p-ISSN: 2307-1583
e-ISSN: 2789-326X

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

العدد 74 - المجلد 13 - أيار/ مايو 2025
Issue 74 - Volume 13 - May 2025

دورية محكّمة تُعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية
A Bimonthly Peer Reviewed Journal of Political Science and International Relations

ملف: قضايا في السياسة والفكر السياسي بعد الثورات العربية

محمد بامية
المعرفة العفوية وروح الثورة

نبيل فازيو
العدل وأزمة "النظرية السياسية" في الفكر السياسي العربي المعاصر: في الحاجة إلى التسويغ

الزواوي بغوره
في الخطاب السياسي العربي المعاصر: بحث في التجربة السياسية الجزائرية من منظور الفلسفة الاجتماعية

رئيس التحرير — Editor-in-Chief
محمد حمشي — Mohammed Hemchi

مدير التحرير — Managing Editor
أحمد قاسم حسين — Ahmed Qasem Hussein

سكرتيرا التحرير — Editorial Secretary
إيهاب محارمة — Ihab Maharmeh
سجى طرمان — Saja Torman

هيئة التحرير — Editorial Board
أدهم صولي — Adham Saouli
حارث حسن — Harith Hasan
حسن الحاج علي — Hassan El Haj Ali
سحيم آل ثاني — Suhaim Al Thani
عبد الرحيم العلّام — Abderrahim Elaallam
عمر عاشور — Omar Ashour
فيصل أبو صليب — Faisal Abu Salib
لولوة راشد الخاطر — Lolwah Rashid Al-Khater
محمد المسفر — Mohammed Al-Misfer
مروان قبلان — Marwan Kabalan
مروة فكري — Marwa Fekry
نادية نصر- نجّاب — Nadia Naser-Najjab

تصميم وإخراج — Design and Layout
أحمد حلمي — Ahmad Helmy
سهيل جلاوي — Souhail Jellaoui

الهيئة الاستشارية — Academic Advisory Commitee
إبراهيم فريحات — Ibrahim Fraihat
برهان غليون — Burhan Ghalioun
ثناء فؤاد عبد الله — Than'a Fouad Abdulla
حمادي الرديسي — Hamadi Redissi
حيدر إبراهيم علي — Hayder Ibrahim Ali
سلطان بركات — Sultan Barakat
سيف الدين عبد الفتاح — Seif Al-Din Abdul Fattah
طارق متري — Tarek Mitri
عبد الله باعبود — Abdullah Baabood
عبد الوهاب الأفندي — Abdelwahab El-Affendi
العربي صذيقي — Larbi Sidiki
غانم النجار — Ghanim Al-Najjar
غسان العزي — Ghassan Elezzi
كاظم هاشم نعمة — Kadhim Hashim Niama
محمد علوان — Mohamed Olwan
محمد مدني — Mohammed Madani
محمود محارب — Mahmoud Muhareb
مصطفى الحمارنة — Mustafa Hamarneh
مصطفى كامل السيد — Mustafa Kamel Al Sayyed
نظام عسّاف — Nizam Assaf

التدقيق — Copy-Editing
آمال فياض — Amel Fayech
عبد الوهاب سويسي — Abdelwaheb Souissi
المولدي العباسي — Mouldi Abbassi

صاحب الامتياز — The Designated Licensee
المدير العام للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

The General Director of the Arab Center for Research and Policy Studies

جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على العناوين التالية

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
صندوق بريد: 10277
منطقة 70 شارع الطرفة، الدوحة، قطر
هاتف 00974 4035 6888

Arab Center For Research & Policy Studies
PO Box: 10277
Al Tarfa Street, Doha, Qatar
Phon: 00974 4035 6888

أو على البريد الإلكتروني للمجلة
siyasat.arabia@dohainstitute.edu.qa

صورة الغلاف

بلال خالد (فلسطين)

فنان غرافيتي ومصوّر. التُقطت هذه الصورة في أم درمان، السودان، عام 2019، وتُظهر لوحةً بعنوان "حامل القرآن"، تجسّد مشهدًا لطلبةٍ من دولٍ أفريقيةٍ مختلفة يجتمعون لتعلّم القرآن الكريم واللغة العربية، في تعبيرٍ بصريّ عن روح الإيمان والمعرفة التي تتجاوز الحدود واللغات.

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

العدد 74 – المجلد 13 – أيار/ مايو 2025
Issue 74 - Volume 13 - May 2025

دورية محكّمة تُعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية
A Bimonthly Peer Reviewed Journal of Political Science and International Relations

لا تعبِّر آراء الكُتَّاب بالضرورة عن اتِّجاهات يتبنَّاها "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" أو "معهد الدوحة للدراسات العليا" أو دورية "سياسات عربية"

جميع الحقوق محفوظة لمعهد الدوحة للدراسات العليا
والمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

DOHA INSTITUTE
FOR GRADUATE STUDIES
معهد الدوحة للدراسات العليا

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA
العدد 74 - المجلد 13 - أيار/ مايو 2025
Issue 74 - Volume 13 - May 2025

Special Issue
Issues in Politics and Political Thought after the Arab Revolutions
Guest Editor: Emad Alali

Emad Alali
Introduction: Arab Politics: The Crises of Reality and Theory 9

Mohammed Bamyeh
Intuitive Knowledge and the Spirit of Revolution 23

Nabil Faziou
Justice and the Crisis of "Political Theory" in Contemporary Arab Political Thought: The Need for Justification 36

Emad Alali
Revolution between Realistic Objectives and Normative Implications: Towards a New Reading of the Arab Revolutions 52

Zwawi Beghoura
On Contemporary Arab Political Discourse: A Study of the Algerian Political Experience from a Social Philosophy Perspective 72

ملف
قضايا في السياسة والفكر السياسي بعد الثورات العربية
المحرر الضيف: عماد العلي

عماد العلي
تقديم
السياسة عربيًا: أزمتا الواقع والنظرية

محمد بامية
المعرفة العفوية وروح الثورة

نبيل فازيو
العدل وأزمة "النظرية السياسية" في الفكر السياسي العربي المعاصر: في الحاجة إلى التسويغ

عماد العلي
الثورة بين الأهداف الواقعية والمضامين المعيارية: نحو قراءة جديدة في الثورات العربية

الزواوي بغوره
في الخطاب السياسي العربي المعاصر: بحث في التجربة السياسية الجزائرية من منظور الفلسفة الاجتماعية

Articles 91
دراسات

Mohmad Waseem Malla
India-Qatar Relations: Growing yet Stagnant? 93

محمد وسيم ملا
العلاقات الهندية - القطرية: نمو حذر في ظل اعتماد متبادل متزايد؟

Translation 117 دراسة مترجمة

Andreas Jungherr
أندرياس يونهير

Translated by Abdelkarim Amengay
ترجمة عبد الكريم أمنكاي

Artificial Intelligence and Democracy: A Conceptual Framework 119 الذكاء الاصطناعي والديمقراطية: إطار مفهومي

Documentation 143 التوثيق

Milestones in Democratic Transition in the Arab World 1/3 - 30/4/2025 145 محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 3/1 – 2025/4/30

Documents of Democratic Transition in the Arab World 1/3 - 30/4/2025 149 وثائق التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 3/1 – 2025/4/30

Palestine Over Two Months 1/3 - 30/4/2025 160 الوقائع الفلسطينية في المدة 3/1 – 2025/4/30

Book Reviews 165 مراجعات الكتب

Ahmed Mamoun
أحمد مأمون

The Palestine Laboratory: How Israel Exports the Technology of Occupation around the World by Antony Loewenstein 167 "مختبر فلسطين: كيف تصدّر إسرائيل تقنيات الاحتلال إلى العالم" لأنتوني لونشتاين

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية فكرية مستقلة، مختصة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، في جوانبها النظرية والتطبيقية، تسعى، عبر نشاطها العلمي والبحثي، إلى خلق تواصل في ما بين المثقفين والمتخصصين العرب في هذه العلوم، وبينهم وبين قضايا مجتمعاتهم، وكذلك بينهم وبين المراكز الفكرية والبحثية العربية والعالمية، في عملية تواصل مستمرة، من البحث، والنقد، وتطوير الأدوات المعرفية.

يتبنى المركز رؤية نهضوية للمجتمعات العربية، ملتزمة بقضايا الأمة العربية، والعمل على رقيها وتطوّرها، انطلاقًا من فهم أنّ التطور لا يتناقض مع الثقافة والهوية، بل إنّ تطوّر مجتمعٍ بعينه، بفئاته جميعها، غير ممكنٍ إلا في ظروفه التاريخية، وفي سياق ثقافته، وبلغته، ومن خلال تفاعله مع الثقافات الأخرى.

ومن ثمّ، يعمل المركز على تعزيز البحث العلمي المنهجي والعقلانية في فهم قضايا المجتمع والدولة، بتحليل السياسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الوطن العربي. ويتجاوز ذلك إلى دراسة علاقات الوطن العربي ومجتمعاته بمحيطه المباشر، وبالسياسات العالمية المؤثّرة فيه، بجميع أوجهها.

وفي ضوء هذه الرؤية، يعمل المركز على تحقيق أهدافه العلمية الأساسية، عن طريق نشاطاته الأكاديمية المختلفة، فهو ينتج أبحاثًا ودراسات وتقارير، ويصدر كتبًا محكّمةً ودوريات علميةً، ويبادر إلى مشاريع بحثية، ويدير عدة برامج مختصة، ويعقد مؤتمرات، وورش عمل وتدريب، وندوات أكاديمية، في مواضيع متعلقة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، وموجّهة إلى المختصين، والرأي العام العربي أيضًا، ويساهم، عبر كل ذلك، في توجيه الأجندة البحثية نحو القضايا والتحديات الرئيسة التي تواجه الوطن والمواطن العربي. وينشر المركز جميع إصداراته باللغتين العربية والإنكليزية.

تأسّس المركز في الدوحة في خريف 2010، وله فرع يعنى بإصداراته في بيروت، وافتتح ثلاثة فروع إضافية، في تونس وواشنطن وباريس. ويشرف على المركز مجلس إدارة بالتعاون مع مديره العام المؤسِّس.

أسّس المركز مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، وما زال يشرف عليه بالتعاون مع مجلسه العلمي، كما أسّس معهد الدوحة للدراسات العليا، وهو معهد جامعي تشرف عليه إدارة أكاديمية ومجلس أمناء مستقل يرأسه المدير العام للمركز.

يعمل في المركز باحثون مقيمون، وطاقم إداري. ويستضيف باحثين زائرين للإقامة فيه فترات محددة من أجل التفرّغ العلمي، ويكلّف باحثين من خارجه للقيام بمشاريع بحثية، ضمن أهدافه ومجالات اهتمامه.

The Arab Center for Research and Policy Studies is an independent social sciences and humanities institute that conducts applied and theoretical research seeking to foster communication between Arab intellectuals and specialists and global and regional intellectual hubs. The ACRPS achieves this objective through consistent research, developing criticism and tools to advance knowledge, while establishing fruitful links with both Arab and international research centers.

The Center encourages a resurgence of intellectualism in Arab societies, committed to strengthening the Arab nation. It works towards the advancement of the latter based on the understanding that development cannot contradict a people's culture and identity, and that the development of any society remains impossible if pursued without an awareness of its historical and cultural context, reflecting its language(s) and its interactions with other cultures.

The Center works therefore to promote systematic and rational, scientific research-based approaches to understanding issues of society and state, through the analysis of social, economic, and cultural policies. In line with this vision, the Center conducts various academic activities to achieve fundamental goals. In addition to producing research papers, studies and reports, the center conducts specialized programs and convenes conferences, workshops, training sessions, and seminars oriented to specialists as well as to Arab public opinion. It publishes peer-reviewed books and journals and many publications are available in both Arabic and English to reach a wider audience.

The Arab Center, established in Doha in autumn 2010 with a publishing office in Beirut, has since opened three additional branches in Tunis, Washington and Paris, and founded both the Doha Historical Dictionary of Arabic and the Doha Institute for Graduate Studies. The ACRPS employs resident researchers and administrative staff in addition to hosting visiting researchers, and offering sabbaticals to pursue full time academic research. Additionally, it appoints external researchers to conduct research projects.

Through these endeavours the Center contributes to directing the regional research agenda towards the main concerns and challenges facing the Arab nation and citizen today.

DOHA INSTITUTE
FOR GRADUATE STUDIES

معهد الدوحة للدراسات العليا

معهد الدوحة للدراسات العليا مؤسّسة أكاديميّة مستقلّة للتعليم العالي والأبحاث في العلوم الاجتماعية والإنسانية والإدارة العامّة واقتصاديات التنمية.

يهدف المعهد من خلال برامجه الأكاديمية ونشاطات أساتذته البحثية إلى تحقيق رسالته المتمثلة في المساهمة في تكوين جيلٍ جديدٍ من الأكاديميين والباحثين المستقلين فكريًا والمتمكّنين من المعايير العلمية العالميّة والأدوات البحثية المنهجية الحديثة القائمة على مبدأ تداخل التخصصات، ومن القادة المهنيين القادرين على الدفع قُدُمًا بالمعرفة الإنسانية والاستجابة إلى حاجات المنطقة العربية في سبيل التطوّر الفكري والاجتماعي والمهني.

ويسعى المعهد لتأسيس نواة لصرح فكري يفيد العالم العربي على نحو خاص. ويدعم المعهد البحوث العلمية التي تهتم بالقضايا العربية، في جوّ من الحرية المؤسسية والفكرية.

يعمل المعهد بالتعاون مع المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعجم الدوحة التاريخي للغة العربية على فتح المجال لطلبته وأعضاء هيئته التدريسية للبحث في أهم القضايا الراهنة التي تتعلق بالعالم العربي والمجتمع الدولي. ويعتبر إشراك الطلبة في أهم المشاريع البحثية في صلب اهتمامات المعهد.

يعتمد المعهد اللغة العربية أداةً للبحث العلمي، ولغةً رسمية في الخطاب العام، ولغةً أساسية للتعليم والبحث. وتُعدّ اللغة الإنكليزية لغةً مرافقة في التعلّم والبحث العلمي. وتستعمل اللغتان في طرح المواضيع المختلفة ودراستها.

The Doha Institute for Graduate Studies (DI) is an independent institute for learning and research in the fields of Social Sciences, Humanities, Public Administration and Development Economics in Doha.

Through its academic programs and the research activities of its professors, the DI aims to achieve its mission of contributing to the formation of a new generation of academics and intellectually independent researchers who are proficient in international scholarship standards and modern interdisciplinary research methodologies and tools, and leading professionals who can advance human knowledge and respond to the needs of the Arab region, resulting in social, cultural and intellectual development.

The institute seeks to establish an intellectual hub that will benefit the Arab region in particular. The Institute supports academic research that deals with Arab issues, in an atmosphere of institutional and intellectual freedom.

The Institute works in cooperation with the Arab Center for Research and Policy Studies and the Doha Historical Dictionary of Arabic Language to facilitate its students and faculty members in their research of the most important current issues related to the Arab world and the wider international community. The involvement of students in the most important research projects is at the heart of the Institute's interests.

The Institute adopts Arabic as its official and primary language for education and research. English serves as an accompaniment to Arabic, with both languages used in presenting and research.

ملف
قضايا في السياسة والفكر السياسي بعد الثورات العربية

المحرر الضيف: عماد العلي

Special Issue

Issues in Politics and Political Thought after the Arab Revolutions

Guest Editor: Emad Alali

المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/XERQ6757

عماد العلي | Emad Alali*

تقديم:
السياسة عربيًا: أزمتا الواقع والنظرية

Introduction:
Arab Politics: The Crises of Reality and Theory

أولًا: نظرية الأزمة وأزمة النظرية

استجابةً للأحداث والتطورات والتحديات التي تواجهها المجتمعات العربية، يواصل الفكر السياسي العربي المعاصر مناقشة قضايا سياسية ما زالت محلّ جدل حتى اليوم، مثل الاستبداد والديمقراطية والإسلامية والعلمانية والقومية، وغيرها[1]. وعلى الرغم من أن مسائل جوهرية مثل الدولة وسياسات الحكم ومحددات العلاقة بين الحاكم والمحكومين نوقشت في حالات كثيرة ضمن مواضيع ومفاهيم مرتبطة بها، مثل الحداثة أو الديمقراطية أو نظرية الدولة الإسلامية أو الثورة[2]، فإنّ هذه القضايا بدأت منذ ثورات الربيع العربي تحظى باهتمام ملحوظ، سواء عبر إخضاعها لمراجعة نقدية أو تناولها بأساليب معرفية ومناظير بحثية جديدة[3]. على هذا النحو، بدأت النقاشات تطرح فرضيات تُلامس متطلبات الواقع الجديد، من قبيل الفرضية القائلة إنّ "أزمة ممارسة الحرية في المجتمعات العربية الراهنة لا تنفصل عن أزمة تمثّل الحرية في الأيديولوجيا العربية المعاصرة، بل تعدّ أن أزمة الممارسة إنما هي [...] الوجه العملي لأزمة هذا الفكر"[4]. تثير هذه الملاحظة الأولية سؤالين رئيسَين: يتعلق الأول بما إذا كانت أطروحات الفكر السياسي العربي واهتماماته تتوافق مع معطيات الواقع في المجتمعات العربية؛ ويختص الثاني بالأسباب التي تجعل الثورات العربية نقطة تحوّل في الفكر السياسي العربي. بعبارة أخرى، لا نسعى لإجرء تقييم مباشر بل نواجه، في ضوء التطورات الراهنة في المنطقة العربية، سؤالًا يتعلق بمدى قدرة أطروحات الفكر السياسي العربي، الحديث والمعاصر، على التأثير، والأولويات التي تعبّر عنها، والتداعيات التي تنبّه إليها.

وعلى الرغم من صعوبة الحديث عن "نظرية سياسية عربية" بالمعنى الذي نستخدمه في الإشارة إلى نظرية سياسية ألمانية أو إنكليزية أو صينية أو غير ذلك، يمكننا التحدث عن فكر سياسي عربي، بوصفه حقلًا معرفيًا يشتغل فيه مفكرون وباحثون عرب على دراسة مفاهيم السياسة في المجال العربي (مثل السلطة والحكم والدولة والسيادة والاستبداد والديمقراطية والقيم والثقافة السياسية، وغيرها). ويهدف هذا الفكر إلى فهم الظواهر السياسية وتفسيرها في سياقها العربي، فضلًا عن تقديم تصورات ممنهجة

* باحث، معهد الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية، جامعة برلين الحرة.
Research Associate, Institute of Islamic Studies, Freie Universität Berlin.
Email: emad.alali@fu-berlin.de

1 محمد عابد الجابري، **قضايا في الفكر العربي المعاصر: العولمة - صراع الحضارات - العودة إلى الأخلاق - التسامح - الديمقراطية ونظام القيم - الفلسفة والمدينة** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997)؛ محمد عابد الجابري، **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**، ط 2 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1990 [1989])؛ شمس الدين الكيلاني، **مفكرون عرب معاصرون: قراءة في تجربة بناء الدولة وحقوق الإنسان** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)؛ **حقوق الإنسان في الفكر العربي: دراسات في النصوص**، سلمى الخضراء الجيوسي (محرر) (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002).

2 نذكر على سبيل المثال: برهان غليون، **المحنة العربية: الدولة ضد الأمة**، ط 4 (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015)؛ عزمي بشارة، **المجتمع المدني: دراسة نقدية**، ط 9 (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019 [1996])؛ عبد الله العروي، **مفهوم الدولة** (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1998)؛ علي أومليل، **الإصلاحية العربية والدولة الوطنية** (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1985)؛ عبدالإله بلقزيز، **الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر**، ط 2 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004).

3 **الدولة العربية المعاصرة: بحوث نظرية ودراسات حالة**، محمد حمشي ومراد دياني (محرران) (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023)؛ **الشرق الأوسط الجديد: الاحتجاج والثورة والفوضى في الوطن العربي**، فواز جرجس (محرر)، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016).

4 سهيل الحبيب، "دولة الحريات الحديثة في البلاد العربية: أزمة الفكر الأيديولوجي العربي في استيعاب الأنموذج الممكن تاريخيًا"، في: **الحرية في الفكر العربي المعاصر**، مراد دياني (محرر) (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018)، ص 481.

تتوافق مع خصوصيات هذا السياق. وإذا لم يكن ثمة بدّ من الحديث عن نظرية سياسية عربية، أو حتى إمكانيتها، فمن نافل القول إنّ مفهوم "النظرية السياسية"[5] يشمل مجموعة واسعة من المقاربات النظرية التي تتقارب أو تتباعد بدرجات متفاوتة في أطروحاتها وتفسيراتها. ومن ثم، هناك مقاربات فكرية عربية متعددة، وليست نظرية سياسية واحدة بمعنى النظرية السياسية؛ وهي تشكّل في مجموعها ما نسمّيه النظرية السياسية العربية. ويجدر التنبيه إلى أنّ هذا الأمر لا يقتصر على النظرية العربية، بل ينطبق أيضًا على النظريات السياسية في مختلف مناطق العالم ودوله[6].

يتعرض الفكر السياسي العربي للنقد منذ عقود خلت[7]. ومع أننا لا نصل إلى حدّ وصفه بـ "العقم" كما يفعل نديم البيطار بسبب قلة الأدبيات حول الثورة والقومية العربية[8]، نفترض أنّ مشروع النظرية السياسية العربية يواجه أزمة مركّبة من وجهين: فمن ناحية يعاني هذا المشروع تشعبًا واسعًا وتشظيًا عميقًا يصل أحيانًا إلى حد التناقض في بعض المواضيع، مثل الجدل المستمر حول العلمانية وعلاقة الديني (الإسلامي) بالسياسي، الذي تحوّل في كثير من الحالات إلى جدل أيديولوجي وكلامي بعيد عن أيّ إطار علمي منهجي[9]. وحتى إذا بدا أنّ هناك توافقًا عامًا على قيم ومُثل سياسية، مثل الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية بوصفها أهدافًا ينبغي للدولة أن تحقّقها، فإنّ تفسير هذه القيم يختلف باختلاف الزاوية التي ينظر منها الكاتب[10]. ومن ناحية أخرى، يبرز نقص في الدراسات التي تقدّم تأملات ذاتية في تاريخ الفكر السياسي العربي الحديث وقضاياه وسجالاته، إذ تساعد هذه الدراسات في مناقشة الأسس العلمية والفلسفية للأطروحات النظرية ومسار تطورها وصلتها بالسياقات السياسية والاجتماعية، ما يتيح التعريف بأهمية النظرية السياسية لفهم الواقع السياسي وقراءته، وربما استشراف مستقبله[11].

تأخذنا هذه الحيثية إلى استحضار مثال يوضح مسألة ذات أهمية في هذا السياق. إذ إن وائل حلاق، في كتابه **الدولة الحديثة** (2012)، يقدّم أطروحته التي وُصفت بأنها "بالغة البساطة"، ومفادها أنّ "مفهوم الدولة الإسلامية مستحيل التحقق وينطوي على تناقض داخلي، وذلك بحسب أيّ تعريف سائد لما تمثّله الدولة الحديثة"[12]. تنبع "بساطة" هذه الفرضية من طبيعتها الحتمية أو الإقرارية؛ إذ إنها توحي بأنّ مفاهيم مثل "الدولة الإسلامية" و"الدولة الحديثة" ثابتة في الوعي العام وتحظى بإجماع سوسيولوجي وإبستيمولوجي بين المفكرين والمنظّرين والباحثين[13]. والحقيقة أنّ الأمر ليس كذلك[14]، وهو ما يناقشه حلاق نفسه في مواضعَ لاحقة. وما يثير الاهتمام أنّ هذه الفرضية تتناول موضوعًا ربما يعتقد البعض أنه خارج نطاق النقاش. ونقصد بذلك أنّ حلاق يشير إلى أن الدولة الغربية الحديثة ليست المعيار النهائي ولا النموذج المثالي والوحيد في التنظيم السياسي[15]. ونحن هنا لا نقيّم فرضية حلاق بالتأييد أو الرفض، بل نبرز أهميتها في أنها تشدد على إمكانية التفكير والبحث عن الأفكار خارج القوالب المُعَدّة مسبقًا.

تحيلنا هذه النقطة إلى إشكالية يمكن وصفها بـالمأزق المنهجي في نظرية المعرفة، أي دراسة الواقع العربي وتحولاته من خارجه، بالاعتماد على نظريات لم يجرِ طرحها وتطويرها وفقًا لمعطيات هذا

5 عن النظرية السياسية عمومًا، ينظر مثلًا: أندرو هيوود، **النظرية السياسية: مقدمة**، ترجمة لبنى الريدي (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2013)؛ نشير أيضًا إلى أن حقول النظرية السياسية والفكر السياسي والفلسفة السياسية متداخلة ومن الصعب فصل بعضها عن بعض، ولا يمكننا، في هذا السياق، تقديم مزيد من التفصيل حول نقاط الالتقاء والاختلاف بينها.

6 Geraint Williams, *Political Theory in Retrospect: From the Ancient Greeks to the 20th Century* (London: Edgar Elgar, 1991); Noel O'Sullivan (ed.), *Political Theory in Transition* (London: Routledge, 2000); Michael Freeden, *Ideologies and Political Theory: A Conceptual Approach* (Oxford: Oxford University Press, 1998).

7 معن زيادة، **معالم على طريق تحديث الفكر العربي**، سلسلة عالم المعرفة 115 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1987)؛ زكي نجيب محمود، **تجديد الفكر العربي** (بيروت: دار الشروق، 1971)؛ رضوان السيد وعبد الإله بلقزيز، **أزمة الفكر السياسي العربي** (بيروت: دار الفكر المعاصر، 2006).

8 نديم البيطار، **الأيديولوجية الثورية**، ط 2 (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1982)، ص 21.

9 جورج قرم، "الفكر السياسي العربي المعاصر: علماني أم ديني؟"، **المستقبل العربي**، مج 38، العدد 444 (2016)، ص 164-179.

10 انتقد عبد الإله بلقزيز ما سماه "الفتنة الثقافية" أو "الانقسام الثقافي" بين المفكرين العرب في العصر الحديث بسبب غياب "الإجماع على قيم ثقافية عليا مشتركة"، ينظر: عبد الإله بلقزيز، **الدولة والمجتمع: جدليات التوحيد والانقسام في الاجتماع العربي المعاصر** (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008)، ص 145–149.

11 يهتم ناصيف نصار بالتأكيد على أهمية الفلسفة السياسية للتأثير في الواقع، ينظر: ناصيف نصار، **التنبيهات والحقيقة: مقالات إضافية حول الفلسفة والديمقراطية** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2019)؛ ناصيف نصار، **منطق السلطة: مدخل إلى فلسفة الأمر**، ط 2 (بيروت: أمواج للنشر والتوزيع، 2005 [1995]).

12 وائل حلاق، **الدولة المستحيلة: الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي**، ترجمة عمرو عثمان، مراجعة ثائر ديب (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014)، ص 19.

13 Richard Bellamy & Andrew Mason (eds.), *Political Concepts* (Manchester: Manchester University Press, 2003); Gregor McLennan et al., *The Idea of the Modern State* (Milton Keynes: Open University Press, 1984).

14 للاطلاع على هذه الملاحظة المنهجية، ينظر:
Kai Nielsen, "Conceptual Relativism," *Grazer Philosophische Studien*, vol. 3, no. 1 (1977), pp. 71–87.

15 في السياق نفسه، يعبّر منير شفيق عن فرضية مشابهة بأن الدولة الإسلامية، ومن خلال السعي لـ "الحكم بما أنزل الله"، ذات خصائص فريدة لا تشبه بقية النظم السياسية وأشكال الحكم الحديثة، ينظر: منير شفيق، **الإسلام ومواجهة الدولة الحديثة**، ط 3 (تونس: دار البيرق، 1992).

السياق وتحولاته. فعندما توضع الأدبيات الإسلامية (الفقه السياسي) في نفس الإطار التحليلي مع الأدبيات الحداثية الغربية، من دون مراعاة الفروق السياقية، تظهر إشكالية منهجية؛ إذ يتناقض المعطى الواقعي مع السياق التاريخي، ما يؤدي إلى اختلال في التوازن بين العناصر الموضوعة للدراسة. ولهذه المقولة النقدية علاقة بما يُطلق عليه "سلطة/ قوة تأويل" الظواهر Power of Interpretation، فالتأويلات تؤدي دورًا جوهريًا في كيفية إدراكنا للواقع من خلال توجيه الانتباه إلى جوانبَ معيّنة يختارها الباحث من الناحية المعرفية، علاوة على قدرتها على تقديم تصورات أو أفكار معيارية Normative تؤثّر في خياراتنا السلوكية في الواقع المعيش[16]، وقد تقود إلى نظم من المعتقدات Belief Systems قادرة على تشكيل وعي جمعي حول قضايا سياسية وثقافية معيّنة (الأيديولوجيا والدين وغيرهما)[17]. ومن ثم، نعتقد أنّ المأزق المعرفي الذي أشرنا إليه يجعل هذه "السلطة التأويلية" تفقد كثيرًا من رصيدها بسبب تعارضها مع الخصوصيات الثقافية والواقعية والمعرفية أيضًا، لأنّ التصورات والأفكار لا تُعَامل على أنها حقائق مثبتة أو مسلّمات بديهية، بل تخضع للفحص والتقييم عبر مقارنتها بالواقع والسياق التاريخي[18]. لا ينبغي فهم هذا على أنه رفض للاستفادة من الأبحاث والنظريات الغربية في دراسة الظواهر الخاصة بالمجتمعات العربية، إذ إنّ الانفتاح عليها قد يزيد من موضوعية الأبحاث ويرفع قيمتها النقدية من خلال تقديم أبعاد معرفية ونظرية جديدة. أمّا ما لا نعتقد في صحته، فهو الجزم بأنّ النظريات الغربية تشكّل المعيار الوحيد الذي ينبغي على أساسه تقييم مختلف الظواهر العربية[19].

نستعين بهذه القراءة (النقدية) للأفكار والمنهجيات والأدوات المعرفية مدخلًا تأسيسيًا لضرورة فتح نقاش موضوعي حول الفكر السياسي العربي، ومن ثم لبلورة مشروع نظرية سياسية عربية معاصرة؛ إذ إن الظروف الراهنة تفرض أهمية البحث في كيفية معاينة الواقع العربي بأعين عربية وبمحدّدات فكرية عربية أيضًا[20]، ونعني بذلك الانشغال بنظرية سياسية عربية ومسارات ارتباطها بالقيم وكيفية تناولها، تفسيرًا وتحليلًا ونقدًا، للتركيبات والبنى والتحولات التي تشكّل في مجموعها الصورة العامة للواقع السياسي العربي. نعتقد أن إثارة نقاش من هذا النوع في حقل الفكر السياسي العربي مُبَرَّرة بل ضرورية، حتى نتمكن من مواكبة التطورات وإعادة النظر في أدواتنا المنهجية والإبستيمولوجية لتفسير الظواهر وتأويلها. وعندما نفترض أن مهمة النظرية السياسية تكمن في تشخيص الظواهر الاجتماعية بطريقة موضوعية ومنطقية، فإنّ ذلك يقتضي انخراطها الكامل في المجتمع وفي تفاعلات قواه ومكوناته. وبما أن المؤسسة السياسية والسلطة السياسية تشكّلان جزءًا من المجتمع ذاته، فإنّ الانشغال النظري والبحثي بممارساتهما يتطلب مراعاة كونهما فاعلَين نشطَين ضمن بنيته الاجتماعية[21].

ثانيًا: الثورات العربية والحاجة إلى الإبداع الفكري

بعد إلقاء نظرة عامة، يتبيّن لمتتبّع الكتابات والأدبيات والنقاشات العربية المعاصرة أنّ الخطاب العربي السائد منذ عقود يقوم على وصف الأزمة السياسية[22] بما يتضمنه من جوانب وأبعاد وخلفيات وتفسيرات متنوعة ومتفاوتة. وقد عبّر محمد جابر الأنصاري عن ذلك بعبارات من قبيل "بؤس السياسة في الوجدان العربي"، و"رسوب العرب في اختبارات السياسة"[23]. وفي هذا السياق، من الطبيعي أن يحمل هذا الخطاب في طياته أسئلة عن طبيعة هذه الأزمة وأسبابها، فضلًا عن البحث عن حلول ومخارج لها. ومن خلال دراسة هذه القضايا، برزت استقطابات واصطفافات فكرية وفق القناعات الأيديولوجية للمفكّرين والمثقفين

16 John Langshaw Austin, *How to Do Things with Words*, The William James Lectures delivered at Harvard University in 1955 (Cambridge: Harvard University Press, 1962).

17 Mostafa Rejai, *Political Ideologies: A Comparative Approach* (London: Routledge, 1994); Philip E. Converse, "The Nature of Belief Systems in Mass Publics (1964)," *Critical Review*, vol. 18, no. 1–3 (2007), pp. 1–74; Philipp Stoellger (ed.), *Deutungsmacht: Religion und belief systems in Deutungsmachtkonflikten* (Tübingen: Mohr Siebeck, 2014).

18 Milton Rokeach, *Beliefs, Attitudes and Values: A Theory of Organization and Change*, 7th ed. (San Francisco: Jossey-Bass Inc., 1980).

19 لا نطالب بأمر جديد، فهذه المطالبة سبق أن وردت على لسان مثقفين ومفكرين آخرين، منهم على سبيل المثال محمد عابد الجابري وطه عبد الرحمن وعزمي بشارة. ومن الأمثلة الملموسة أنّ عبد الرحمن أشار في بداية كتابه **روح الحداثة** إلى التحديات المعنوية التي تواجه "المجتمع المسلم" المعاصر، والتي تتجلى في أحد مظاهرها في ما يسميه "تيه فكري متمثل في فتنة مفاهيمية كبرى" نتيجة لتكاثر المفاهيم الوافدة من المجتمعات الأخرى، ليؤكد أنه "ما لم يهتدِ [المجتمع المسلم] إلى إبداع مفاهيمه أو إعادة إبداع مفاهيم غيره، حتى كأنها من إبداع مفاهيمه ابتداءً، فلا مطمع في أن يخرج من هذا التيه الفكري الذي أصاب العقول فيه". ينظر: طه عبد الرحمن، **روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية** (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2006)، ص 11.

20 يقول حسن صعب حول أهمية تطوير العلوم الاجتماعية والسياسية في العالم العربي من خلال تحقيق استقلاليتها عن الأفكار الغربية: "لقد عملنا طويلًا كمقلدين، وكمترجمين، وكنقلة. ولقد آن لنا أن نفكر ونعمل كمبدعين"، ينظر: حسن صعب، **مقدمة لدراسة علم السياسة** (بيروت: منشورات المكتب التجاري، 1961)، ص 13.

21 محمد طه بدوي، **النظرية السياسية: النظرية العامة للمعرفة السياسية** (القاهرة: المكتب المصري الحديث، 1986)، ص 32.

22 من الأمثلة على الأعمال التي تعاين الأزمة السياسية العربية من أبعاد مختلفة، كتاب خالد الحروب الصادر قبيل اندلاع ثورات الربيع العربي: ينظر: خالد الحروب، **هشاشة الأيديولوجيا - جبروت السياسة** (بيروت: دار الساقي، 2010).

23 محمد جابر الأنصاري، **العرب والسياسة: أين الخلل؟ جذر العطل العميق** (بيروت: دار الساقي، 1998)، ص 15، 31.

والمنظِّرين[24]. ففي الإجابة عن السؤال المتعلق بأسباب الأزمة، تتباين الإجابات بين إرجاعها إلى الاستبداد السياسي وغياب الديمقراطية وضعف الدولة، وبين مقترحات علاجية مستندة إلى الليبرالية أو الإسلامية أو الاشتراكية أو العلمانية وصولًا إلى حكم دولة القانون.

أظهرت ثورات الربيع العربي عمق الأزمة التي يعانيها النظام السياسي العربي[25]، لكن ما لا يقل أهمية عن ذلك هو التأويل القائل إنها أعادت إلى الواجهة التساؤل عن مدى الاتساق بين الواقع السياسي ومعطياته وتطوراته، من جهة، وأطروحات الفكر السياسي العربي واهتماماته، من جهة أخرى. وهو تساؤل له مبرراته، لأن الثورات الشعبية أثبتت أنها تسبق الأدبيات النظرية والفكرية العربية في قضايا السياسة والدولة والنظام والسلطة، وهذه الفجوة لا ترتبط طبعًا بالتنظير بقدر ما تعبّر عن مسألة التأثير. فالحراك الشعبي في بلدان الربيع العربي والمطالبة بإسقاط أنظمة الاستبداد والإصلاح السياسي عبر تفعيل قيم الحرية والعدالة والمساواة والكرامة الإنسانية، لم يكونا متأثرَين بالكتابات السياسية والنظرية العربية بل جاءا نتيجةً لانسداد الأفق أمام تحسّن الأوضاع في البلدان التي شهدت ثورات[26]. وعلى الرغم من أن بعض الكتابات العربية تطرقت إلى هذه الإشكاليات، فإنها افتقدت الحلول الواقعية، فضلًا عن أنها لم تتوقّع اندلاع ثورة شعبية (لا الثورة بالمعنى الأيديولوجي)، في الوقت الذي ظلّ فيه كثير من الكتابات بعيدًا عن القضايا المُلِحّة التي تَمسّ جوهر المجال السياسي، مثل الدولة والسلطة والحكم، وعلاقاتها المتشابكة بالفرد والمجتمع، سواء في ترابطها أو استقلالها النسبي. وعندما يشير عزمي بشارة في معالجته لأحداث الربيع العربي إلى أنّ "سلبيات حركة التغيير الراهنة في الوطن العربي وإيجابياتها ناجمة كلها عن عفويتها وعدم نخبويتها، أي عن خروج قطاعات واسعة جدًا من الشعب إلى الحيز العام، أي إلى السياسة"[27]، فإنه يلمّح ضمنيًا إلى حالة الانفصال بين المجتمعات والنخبة المثقفة (أو الأكاديمية).

خلال القرن الماضي، تعاقبت أجيال من المثقفين والمنظّرين العرب الذين وجدوا أنفسهم معنيين بأربعة أحداث تاريخية كبيرة في التاريخ العربي الحديث: أولها سقوط الدولة العثمانية ونشوء الدولة الوطنية العربية في ظل الاستعمار الغربي، وثانيها الاستقلال الوطني للدول العربية ونكبة عام 1948، وثالثها نكسة عام 1967، ورابعها ثورات الربيع العربي بموجتَيها (2011 و2018-2019). وإذا عدنا بنظرة فاحصة وناقدة إلى الأدبيات الفكرية السياسية العربية عبر هذه التحولات وصولًا إلى أحداث الربيع العربي، نجد أنها تعاملت تحليلًا ونقدًا مع التطورات القائمة، أي مع الصراعات وأبعادها، من دون أن تُنتج نظرية معرفية منهجية حول دراسة تفسيرات الصراع ومستوياته. تمخض عن ذلك، كما أشرنا، حالة من الاصطفاف الأيديولوجي والجمود الدوغمائي، لينشأ تياران أساسيان: الديني والعلماني[28]، وذلك بسبب النزوع إلى تقديم تفسيرات آنيّة للمعضلة السياسية (الاستبداد) بدلًا من الانشغال بجذورها وأسبابها العميقة.

يطرح محمد عابد الجابري، في معالجته لأزمة "الإبـداع" في الفكر العربي، تساؤله عمّا إذا كان "الافتقاد إلى الجدة والأصالة" يكمن في "الفكر العربي كبنية عقلية [كـأداة] أم في الفكر العربي كبنية أيديولوجية [كمحتوى]"، ليؤكد أنها أزمة تشمل الفكر العربي في كلّيته، وأنّ الخطاب العربي المعاصر لم يحرز أيّ تقدّم منذ عصر النهضة، إمّا بسبب تمسّكه بالماضي (الذاكرة) وإمّا لتمسّكه بصورة الغرب (المستقبل). وكانت النتيجة وفقًا للجابري "انقطاع العلاقة بين الفكر العربي وموضوعه: الواقع العربي"[29]. وبينما يرى أنّ هذا الانقطاع أدى إلى إشكالية في المفاهيم السياسية، نزعم أنّ سببه الجوهري يكمن في غياب تطوير نظرية سياسية تنبثق من الواقع العربي وتتموضع فيه، في حاضره ومشاكله وأزماته وتطلعاته، ولهذا السبب لم يكن هناك من مخرج سوى العودة إلى الماضي أو التوجّه نحو الغرب[30].

وحتى في التعامل مع الأزمة السياسية العربية المعاصرة، التي نعتقد أنها تتعلق بجوهر مؤسسة الحكم وعلاقتها بالمجتمع، نلاحظ استمرار النزعة التفسيرية بالعودة إلى الماضي أو بالتوجّه نحو الغرب في كثير من الكتابات العربية، وقد أعادت هذه النزعة إنتاج الصراع الأيديولوجي حول تصورات الواقع، لكنها ظلّت في معظم الحالات مجردة وبعيدة عن الواقع الفعلي، إذ إنها لم تعالجه بقدر ما سعت إلى ترويج واقع غير موجود. فإذا أخذنا قضية "الدولة العربية"

24 برهان غليون، **اغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية**، ط 4 (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2006 [1989]).

25 إن استخدامنا لمصطلح النظام السياسي العربي بألف ولام التعريف لا يعني وجود نظام سياسي عربي واحد ووحدوي، بل إن العالم العربي يشهد نظمًا سياسية متعددة ومتباينة تتقاسم خصائص معينة وتختلف في أخرى.

26 أحمد شراك، **سوسيولوجيا الربيع العربي أو الثورات التأسيساتية** (فاس: مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، 2017).

27 عزمي بشارة، **في الثورة والقابلية للثورة**، ط 3 (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص 34.

28 ينظر على سبيل المثال: محمد كامل ضاهر، **الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر** (بيروت: دار البيروني للطباعة والنشر، 1994).

29 الجابري، **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**، ص 51-57.

30 يقول برهان غليون في هذا السياق إن "التناقض الذي يشق الوعي العربي ويشكل في الوقت ذاته محركه والدافع إلى النشاط والإبداع فيه، هو الانجذاب بين قطبين: رفض الغرب لتأكيد الذات، ورفض الذات لتأكيد الحضارة والاندماج فيها". ينظر: غليون، **اغتيال العقل**، ص 22؛ ومن اللافت حديث فهمي جدعان عن "الثقة المفقودة" بين الإسلام والغرب. ينظر: فهمي جدعان، **الماضي في الحاضر: دراسات في تشكلات ومسالك التجربة الفكرية العربية** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997).

مثالًا، لن نجد صعوبة في استنتاج أنّ الإنتاج العربي ظلّ مقتصرًا على المسلكَين المذكورَين (الذاكرة الإسلامية أو الأفكار الغربية)، ليصل إلى نتائج معروفة مسبقًا، مفادها أنّ الحل يكمن إما في الدولة الإسلامية أو في الدولة الغربية الحديثة.

وبقدر ما نرى في ثورات الربيع العربي حدثًا تاريخيًا استثنائيًا، وفرصة لإعادة التفكير في فهمنا للسياسة وما يتصل بها من علاقات اجتماعية وإنسانية وثقافية[31]، فإننا ننظر إليها أيضًا بوصفها إمكانية لإعادة إحياء مشروع نظرية سياسية عربية؛ فالانتقال السياسي النوعي، أي الانتقال إلى وعي جديد بالسياسة، يتطلب نظرية سياسية نوعية تسعى إلى التأثير في اتجاه بناء واقع سياسي جديد، هو بالضرورة واقع ما بعد الاستبداد؛ إذ إنّ الاكتفاء بالبحث في الاستبداد السياسي وأشكاله وتبعاته لا يفي بما هو منتظَر من أيّ نظرية سياسية، فالمطلوب اليوم هو البحث في العوامل التي جعلت الاستبداد ممكنًا وقادرًا على ترسيخ نفسه إلى الحدّ الذي وصل إليه في الدول العربية. ويتطلب ذلك أن تسهم النظرية السياسية في تعميم القابلية للإبداع وفي إرساء التأصيل النظري والفكري لبناء ثقافة سياسية داخل المجتمعات تساعد على معالجة القابلية للاستبداد وتعزيز الفكر النقدي. وسيقود هذا إلى توسيع مجال البحث، بحيث لا يقتصر على مؤسسة الحكم وحدها، بل يأخذ في الاعتبار التركيبات والبنى المؤثرة في نسج العلاقة بين المجتمع والدولة والسياسة. وبهذا يتيح النهج المقترَح مجالًا واسعًا لمناقشة المفاهيم الجوهرية في النظرية السياسية، ويؤسس لربطها معرفيًا بالحياة العملية.

ثالثًا: جدليات الاستبداد والديمقراطية

طغت السردية القائمة على ثنائية الاستبداد/ الديمقراطية على المناخ الفكري والأكاديمي العربي في العقود الأخيرة. وقد شهد الاستبداد، كما هو حال مختلف أشكال الحكم، تحولات عديدة في أيديولوجيا تبرير علاقات السيطرة والخضوع وأساليب ضبطه للعلاقات الاجتماعية وسيطرته على الأفراد والجماعات الموجودة خارج منظومته السياسية والقيمية[32]. وأسهمت الدولة الوطنية الحديثة في تزويد الاستبداد بتقنيات إدارية وتنظيمية سلطوية جديدة، تزايد استخدامها في الضبط الاجتماعي ولتعزيز التغوّل داخل المجتمع[33]. ويُعدّ الاستبداد بأشكاله المختلفة (الطغيان والتعسف والقمع والدكتاتورية، وغيرها) ظاهرة كونية عاشتها معظم المجتمعات الإنسانية وعانتها على مر حقب تاريخية متباينة، ويكمن التفاوت التاريخي بين هذه المجتمعات في قدرتها على مواجهته وغلبته، وابتكار بدائل سياسية لتنظيم العلاقات داخل المجتمع ضمن أطر جديدة. وقد شكّلت المسارات المختلفة، التي اتخذتها المجموعات البشرية في حقب متفرقة، عاملًا محددًا، إلى حدٍ بعيد، للخصوصية الثقافية لكل مجتمع.

ولا نقصد بذلك أنّ الاستبداد موروث تاريخي يرسم ملامح ثقافة مجتمع ما، فالمسألة الأساسية التي تعنينا لا تتعلق بوجود مجتمعات متقدمة وأخرى متخلفة، أو مجتمعات ديمقراطية وأخرى غير ديمقراطية، فهذه ظواهر متغيرة وليست ثابتة. لكن نوعية استجابة المجتمعات للتحولات العميقة في صيروراتها التاريخية ومدى قدرتها على التعامل مع الأزمات والانسدادات السياسية والاقتصادية والثقافية التي أنتجها (أو يعيد إنتاجها) نظام الحكم هي التي صبغت راهن المجتمع وحكمت على مستقبله[34]. فالمجتمع، بوصفه أفرادًا وجماعاتٍ وقوى، يمارس دورًا في تشكيل النظام السياسي والثقافة السياسية، بالمشاركة السياسية الفاعلة في مناخ سياسي خلّاق (الديمقراطية)[35]، أو بالمقاومة والعزوف عن المشاركة السياسية بسبب ممارسات السلطة الحاكمة واحتكارها للمجال السياسي (الاستبداد)[36].

ينطبق هذا على ثورات الربيع العربي التي شكّلت منعطفًا تاريخيًا غير مسبوق لا نزال نعيش إرهاصاته وتحولاته. ومن البديهي القول إنّ أهم إنجاز لهذه الثورات يكمن في إثبات وجود أزمة سياسية عميقة تتجاوز عدم رضا الشعوب عن حكوماتها[37]. ومن الطبيعي اللجوء إلى نقيض الاستبداد، أي الديمقراطية، بوصفه مخرجًا من الأزمة. تحظى سردية "الانتقال الديمقراطي" بتوافق واسع داخل

31 **أطوار التاريخ الانتقالي: مآل الثورات العربية** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015).

32 إمام عبد الفتاح إمام، **الطاغية: دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي**، سلسلة عالم المعرفة، العدد 183 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1994).

33 للمزيد ينظر مثلًا: حنة أرندت، **أسس التوتاليتارية**، ترجمة أنطوان أبو زيد، ط 2 (بيروت: دار الساقي، 2016). وللقراءة الفلسفية حول الموضوع، ينظر: ميشيل فوكو، **المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن**، ترجمة علي مقلد، مراجعة وتقديم مطاع صفدي (بيروت: مركز الإنماء القومي، 1990).

34 لذلك يقول صمويل هنتنجتون في سياق مشابه: "لا يتعلق الفارق السياسي الأهم بين البلاد بشكل نظام الحكم فيها بل بدرجته". ينظر: صمويل هنتنجتون، **النظام السياسي في مجتمعات متغيرة**، تصدير فرانسيس فوكوياما، ترجمة حسام نايل (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، 2017 [1968])، ص 23.

35 ينظر بالتحديد الفصل الثامن، في:

Fabio de Nardis, *Understanding Politics and Society* (Cham: Palgrave Macmillan, 2020).

36 Ellen Lust-Okar & Saloua Zerhouni (eds.), *Political Participation in the Middle East* (Boulder: Lynne Rienner Publishers, 2008).

37 بشارة، **في الثورة والقابلية للثورة**، ص 67، 81، 93.

النقاشات النخبوية العربية. ويبقى السؤال المشروع يتعلق بما إذا كان الانتقال السياسي إلى الديمقراطية هو الوجهة الوحيدة الممكنة لعملية الانتقال والتغيير، ويرتبط بتحديد آلياته. فإذا فهمنا الدمقرطة على أنها تحوّل في آليات عمل مؤسسة السلطة في أعلى الهرم التنظيمي، فإننا نتحدث عن دمقرطة جزئية ونخبوية، ونزعم أن تغييرًا سياسيًا كهذا يمكن إنجازه بسرعة، لكنه سيكون سطحيًا بسبب اقتصاره على الآليات الوظيفية للعمل السياسي وعلى النخبة السياسية في السلطة. أما إذا فهمنا الدمقرطة على أنها عملية جذرية لتأسيس فهم جديد للسياسة وللعلاقة بين السلطة والدولة والمجتمع، ولترسيخ وعي جمعي بالمشاركة السياسية، وبتفعيل منظومة جديدة من القيم السياسية، فإننا حينها نكون بصدد دمقرطة شاملة وجامعة[38]. تؤدي الدمقرطة الجزئية بالضرورة إلى ديمقراطية إجرائية لأنها لا ترى المشاركة سوى في الانتخابات مثلًا. في حين تجسد الدمقرطة الشاملة ديمقراطية قيمية لأنها تسعى إلى ترسيخ ثقافة سياسية جديدة في المجتمع[39].

كما أشرنا آنفًا، تتمتع الديمقراطية بحضور مكثف في الأدبيات السياسية العربية انطلاقًا من رفضها المبدئي للواقع العربي القائم على الاستبداد[40]. ومع ذلك، فإننا نزعم أنّ التركيز على خطاب الديمقراطية، أو حتى على جدلية الديمقراطية - الاستبداد، ساهم في انغلاق الفكر السياسي العربي أمام تصور نماذج حكم بديلة خارج الإطار التقليدي. هذه أطروحةٌ تحتاج إلى مزيد من البحث والمعالجة؛ ومع ذلك، يبدو أن أولى خطوات تأكيد صلاحية الديمقراطية تكمن في إبقاء المجال مفتوحًا أمام البحث في خيارات بديلة خارج الديمقراطية الغربية نفسها، لأنّ إثبات صلاحية الديمقراطية لا يكون فقط بدحض نقيضها (الاستبداد). ولا يعني هذا بالضرورة نقدًا للديمقراطية (مع أنه يظل ممكنًا وضروريًا)، بل هو محاولة لتنبيه المقاربات العربية إلى وجود فضاء واسع للتنقيب البحثي والتأصيل النظري والإبداع المعرفي في أشكال الحكم المختلفة. وحتى في دول مثل ألمانيا، تخضع الديمقراطية اليوم لمراجعة مستمرة في ضوء صعود الشعبوية والتطرف اليساري واليميني، وهو الموضوع الذي أثاره فايت زيلك في كتابه **أفول الديمقراطية**، والذي يفترض أنّ الديمقراطية ونظرية الديمقراطية المصاحبة لها مهددتَان بالفشل إذا لم تواكبا التطورات الاجتماعية في الواقع[41].

لا يعني خضوع الديمقراطية للمراجعة أنها فشلت، بل هذا جزء من تفاعلٍ معرفي مع تحولات الواقع. وتتوافر أطروحات فلسفية وسوسيولوجية لا ترى في الديمقراطية النموذج الأمثل، أو على الأقل الأوحد، في بناء النظام السياسي والاجتماعي الملائم. من الأمثلة على ذلك، روبرت ميشلز الذي يبرر موقفه غير المؤيد للديمقراطية بصيرورات سياقية معينة، مثل الصراع الطبقي والبرجوازية وغيرهما. لكنه يورد في سياق هذا التبرير نقطة جديرة بأن نأخذها في الحسبان عند الحديث عن الديمقراطية في السياق العربي. فيتساءل عمّا إذا كانت "الديمقراطية هدفًا في حد ذاته في إطار التطور التاريخي"، ليجيب بقوله إن الافتراض أنّ الديمقراطية تمثّل "كمالًا" Vollendung هو موقف "أيديولوجي محض"، لأنه لا يمكن أن تكون هناك نظرية كاملة، "خاصة فيما يتعلق بأشكال الدولة ومشاعر الجماهير"، لأنه لا يمكن التنبؤ بمسار التاريخ. وهكذا، يفترض ميشلز أن الديمقراطية جاءت تطورًا وتفاعلًا في ظل ظروف معيّنة[42]. تقبل هذه المقولة العديد من التأويلات والقراءات التي قد نتفق معها أو نختلف، وما يهمنا التأكيد عليه هو أن الديمقراطية، نظريةً وتطبيقًا، ليست معصومة من النقد[43]، كما أنه يظلّ ممكنًا أن تُنتِج تحولات أيديولوجية غير ديمقراطية من داخلها نفسها[44].

وليست الديمقراطية مفهومًا بدهيًا، فهي تشمل نظريات ومنطلقات فلسفية وأسسًا سوسيولوجية متباينة بما يتناسب مع اختلاف الحالات والسياقات[45]. لقد أنتج الفكر الغربي مجموعة من النظريات في الديمقراطية، فنظرية كارل بوبر مختلفة مثلًا عن نظرية هارولد لاسكي، كما أن الديمقراطية في التطبيق العملي تختلف من حالة إلى أخرى وفقًا لطبيعة النظام السياسي في كل تجربة تاريخية. وإذا كنّا مقتنعين بأن الديمقراطية ليست حكرًا على ثقافة بعينها،

38 نتفق مع عزمي بشارة في تأكيده في سياق مناقشة الانتقال الديمقراطي في حالتَي مصر وتونس أنّ ترسيخ التقاليد الديمقراطية يتطلب، من ضمن أمور أخرى، وحدة وطنية واسعة لإنجاح الانتقال والتزام النخب والقوى السياسية الرئيسة بالإجراءات الديمقراطية. ينظر: عزمي بشارة، **الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 542-550.

39 Iris Marion Young, *Inclusion and Democracy* (New York: Oxford University Press, 2000).

40 **المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية**، علي خليفة الكواري (محرر) (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004)؛ خلدون حسن النقيب، **الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر: دراسة بنائية مقارنة**، ط 2 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996).

41 Veith Selk, *Demokratiedämmerung: Eine Kritik der Demokratietheorie* (Berlin: Suhrkamp Verlag, 2023).

42 Robert Michels, *Masse, Führer, Intellektuelle. Politisch-soziologische Aufsätze 1906-1933*, Mit einer Einführung von Joachim Milles (Frankfurt: Campus Verlag, 1987), p. 183.

43 Robert Dahl, *Democracy and its Critics* (New Haven: Yale University Press, 1989).

44 Tzvetan Todorov, *The Inner Enemies of Democracy* (Cambridge: Polity Press, 2014).

45 Diana C. Mutz, *Hearing the Other Side: Deliberative Versus Participatory Democracy* (Cambridge: Cambridge University Press, 2006).

فإننا مقتنعون بالقدر ذاته بأنّ نظرية الديمقراطية غير مغلقة على مبادئ ومفاهيم كونية وثابتة، بل لديها دينامية لاستيعاب العديد من الأفكار الجديدة والانفتاح على التجديد. ومن هنا، تبرز ضرورة تطوير نظرية عربية مستقلة في الديمقراطية، لا يمكن أن تتحقق إلّا في إطار نظرية عربية مستقلة في السياسة والدولة والحكم، وهي نظرية لم تثبت حضورها وفاعليتها في الثقافة السياسية العربية حتى الآن[46]. فالاجتهادات النظرية في الديمقراطية عمومًا تستقي أفكارها وتصوراتها من النظريات الغربية أو تحاول استلهام النظم ما قبل الحداثية؛ لكن، ألا يمكن تصوّر شكل نظام سياسي عربي خاص وعابر للتيارات الأيديولوجية العربية، بحيث يدمج قيمًا ومبادئ سياسية وثقافية من مختلف التيارات بما يتناسب مع صيرورة المجتمعات العربية وخصوصياتها؟ ندرك أنّ هذه المقاربة تتطلب أولًا تأصيلًا نظريًا لمنظومة القيم قبل دمجها، وتستلزم، بعبارة كارل مانهايم، الانتقال من التصورات الأيديولوجية إلى "سوسيولوجيا المعرفة" للوصول إلى أكبر قدر من الحقيقة حول مسار التاريخ وطبيعة العلاقات الاجتماعية[47]. وتُعدّ هذه الخطوة ضرورية لإحياء منظومة الأفكار السياسية العربية بما يجعلها تخرج من تقوقعها حول النوستالجيا العربية نفسها، أو حول النظرية/ التجربة الغربية.

رابعًا: نحو إعادة تأسيس نظري في السياسة والدولة

إنّ التحولات التي عاشتها المجتمعات العربية، ولا تزال تعيشها، ناتجة من تفاعلات واقعها السياسي، الناتج من شروط ظرفية وسببية حددت، ولا تزال تحدد، معالمه. ونفترض أنّ لطبيعة العلاقات الاجتماعية، داخل المجتمع نفسه، تأثيرًا عميقًا في السياسة. ويُفترض أنّ تفاعل المجتمع مع قضاياه وشؤونه هو ما يرسم ملامح السياسة ويؤطّرها. وتتطور السياسة بتطور المجتمع نفسه، إذ إنه لا يمكن أن تقوم السياسة من دون مجتمع، ولا يمكن من يمارس السلطة أن يحكم إلّا عبر تفويض من المجتمع. وما يصنع الاختلاف بين المجتمعات هو طبيعة هذا التفويض وحدوده وأدواته (القوة/ العنف/ الانقلاب، الانتخاب المباشر، الانتخاب عبر البرلمان، ... إلخ)[48].

المجتمع هو الحلقة الأولى، الأساس، في أيّ نظام إنساني ينحو في اتجاه التنظيم السياسي. ومع التطور التاريخي في إطار تنظيم العلاقة بين المجتمع والسياسة، من خلال بروز معطيات جديدة مثل التطور الصناعي وأنماط الملكية الفردية والعامة وغيرهما، نشأت الدولة إطارًا منظمًا للعلاقة داخل المجتمع نفسه، ومن ثم بينه وبين السلطة. فالدولة هي أيضًا حاجة بشرية، وتطورت بتطور هذه الحاجة وتحولاتها. وعندما تظهر السياسة بصورة غير متناسبة مع منظومة المجتمع الأخلاقية، فإن ذلك يعني وجود خلل في العلاقة بين السياسة والدولة والمجتمع، وهو ما يتضح في حالة المجتمعات العربية، من خلال تفشّي مظاهر الاستبداد والتعسف والقمع مثلًا. والدور المهمّ للفكر السياسي تاريخيًا يتمثل في تحديد مكامن الإشكاليات وتحليلها، واقتراح حلول معقولة لها، فقد كانت النظريات السياسية دائمًا نتاجًا فكريًا ينبع من رحم الأزمات[49].

بناءً عليه، يصبح منطقيًا أن تحظى الدولة بعد ثورات الربيع العربي بتجدد الاهتمام البحثي على نحو متزايد[50]. ويلاحظ في هذا السياق بروز جدل ضمني بين الباحثين في حقل دراسات الدولة ونظريتها حول الدولة بوصفها مفهومًا نظريًا وكيانًا واقعيًا. ففي كتاب **عودة الدولة**، الذي يناقش التحولات في النظام السياسي المصري منذ بداية ثورة 25 يناير 2011 والصيرورات المتعاقبة[51]، تُعرض الدولة بوصفها مفهومًا متطابقًا مع النظام السياسي، وهي مقاربة لا نراها صحيحة، غير أنّ هذه المقاربة تكشف عن فجوة قائمة في نظرية الدولة العربية[52]. ثمة اختلافات دقيقة بين مفاهيم السياسة والدولة والسلطة، ويؤدي الخلط بينها إلى خلل مفهومي لا ينبغي تجاهله. وفي هذا السياق، يشدد برهان غليون على أهمية التمييز بين السياسة والدولة في علاقتهما بالمجتمع لبناء حركة سياسية "صحية وحقيقية"، ويؤكد أنّ مشكلة الحركات الإسلامية هي ضعف اشتغالها على مفهوم الدولة وتقصيرها في تأصيله، في حين أنّ مشكلة الحركات العلمانية تكمن في "غياب مفهوم السياسة كنشاط متميز

---

46 **لماذا انتقل الآخرون إلى الديمقراطية وتأخر العرب؟** علي خليفة الكواري وعبد الفتاح ماضي (تنسيق وتحرير) (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009).

47 كارل مانهايم، **الأيديولوجيا واليوتوبيا: مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة**، ترجمة محمد رجا الديريني (الكويت: شركة المكتبات الكويتية، 1980)، ص 146 وما بعدها.

48 Michael Rush, *Politics and Society: An Introduction to Political Sociology* (Hemel Hempstead: Harvester Wheatsheaf, 1992).

49 مهدي محفوظ، **اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث** (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1990). وتجري في العادة دراسة العلاقة بين الأفكار والواقع في حقل "تاريخ الأفكار".

50 ينظر خاصة: عزمي بشارة، **مسألة الدولة: أطروحة في الفلسفة والنظرية والسياقات** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023)؛ عزمي بشارة، **الدولة العربية: بحث في المنشأ والمسار** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024).

51 علي الدين هلال [وآخرون]، **عودة الدولة: تطور النظام السياسي في مصر بعد 30 يونيو** (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2015).

52 **أزمة الدولة في الوطن العربي**، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع مركز كارنيغي للشرق الأوسط والجمعية العربية للعلوم السياسية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011).

عن الدولة أو عن الصراع من أجل السلطة"[53]. والحقيقة أننا نتفق مع هذا الطرح، بل نجادل بضرورة الوعي بهذا التمييز بين الدولة والسياسة، إلا أننا نزعم في الوقت نفسه أنّ الحدود بينهما ليست بذلك الوضوح، فهما مفهومان متداخلان في العديد من الجوانب، ومن أهم هذه الجوانب هو ارتباطهما الوثيق بالمجتمع وقيمه وتوازناته[54]. ويشدد غليون على التمييز بين الدولة والسلطة، "أي بين المؤسسة كشروط إجرائية لممارسة السلطة، وبين السلطة كمصدر اختيارات اجتماعية وسياسية وفكرية"، لأن هذا التمييز يحول دون إساءة استخدام السلطة وتحويلها إلى سلطة قهرية أو دكتاتورية[55]. ورغم تحفّظنا على هذا التقييد لمفهوم الدولة بالقواعد الإجرائية[56]، تعود إشكالية التمييز القطعية التي تضع مفاهيم السياسة والدولة والسلطة في نماذج منفصلة مستقلة. ومع أنه لا يوجد تَطابق كامل بين مفهومَي الدولة والسلطة، فإن الفصل التام بينهما يصعب الدفاع عنه، مفهوميًا وواقعيًا. وإذا اعتبرنا المجتمع هو الحلقة الواصلة بين الدولة والسياسة، فإن التفاعل بين المجتمع والسياسة يُعدّ أيضًا الرابط المحوري بين الدولة والسلطة[57]. بناء عليه، فإن هذه المفاهيم رغم تمايزها، مترابطة ومتشابكة، ولا يمكن إدراكها على نحو صحيح إلّا بمراعاة تداخلها في النظرية والواقع أيضًا.

لا يتسع مقام هذه المقدمة لمناقشة مفهوم الدولة ونظرياتها المتعددة[58]، وما يهمنا في سياق الدعوة إلى بلورة مشروع لنظرية سياسية عربية هو التأكيد على الحاجة إلى منح العلاقة التشاكلية والتفاعلية بين المجتمع والسياسة والدولة والسلطة مزيدًا من التأصيل العلمي والفلسفي والسوسيولوجي. فالتطورات الراهنة في الدول العربية تدفع بالدراسات والنقاشات العربية السياسية إلى منح التفاعلات الاجتماعية في تحديد شكل الوعي بالسياسة والدولة والسلطة[59] مزيدًا من الاهتمام، وذلك من خلال إعادة النظر في حتمية مقولة إن الدولة أو السلطة هي التي تحدد نوعية العلاقات الاجتماعية، أي تضبط المجتمع وفقًا للقيم التي تؤمن بها النخبة الحاكمة؛ ومن ثم، الانتقال إلى تأمّل مقولة إن المجتمع يؤدي دورًا حاسمًا في تعريف السلطة وسياسة الدولة. وبعد ثورات الربيع العربي، تبدو الحاجة إلى هذا الانتقال مُلِحّة، لأنها تسهم في تعزيز وعيٍ أعمق بمفاهيم الدولة والسياسة بصفتهما ظاهرتين سياسيتين لا يمكن اختزالهما في مفهوم السلطة. وإذا ما افترضنا أنّ السياسة متجذّرة Embedded في المجتمع وتتشكل من خلال تفاعلاته وقيمه المتغيرة، فإنّ الدولة لا يمكن أن تنشأ وتتطور بمعزلٍ عن المجتمع والسياسة. فالدولة ظاهرة سياسية مرتبطة بالمحيط الاجتماعي ومتفاعلة معه وتستمد أسباب وجودها وبقائها منه ومن متطلباته.

من هذا المنظور، نحاجّ بأنّ الأزمة السياسية في العالم العربي لا تكمن في الدولة[60]، بل في نمط معيّن من ممارسات السلطة السياسية، وهو نمط ناتج من انقطاع تاريخي حصل بين المجتمع والسياسة في لحظة تاريخية فارقة، ولا يزال متواصلًا حتى يومنا هذا، وتمثّل ثورات الربيع العربي الحدث التاريخي الوحيد، منذ عهدنا بـ "الدولة الوطنية" العربية، الذي عبَّرَ عن محاولة جادّة لإعادة ربط المجتمع بالسياسة. أما عن لحظة الانقطاع بالضبط، فتبقى موضوعًا مفتوحًا على العديد من التأويلات والقراءات التاريخية، على الرغم من وجود شبه إجماع ضمن الأدبيات التراثية، الإسلامية وغير الإسلامية، على أنّ نهاية الخلافة الراشدة كانت اللحظة التي دشّنت مرحلة الحكم العضوض. غير أن ما يهمّنا، وهو مرتبط بهذه القضية، هو طرح حسن الترابي اللافت، الذي يرى أنّ المجتمع الإسلامي ابتعد عن المؤسسة السياسية لحظة تحوّلها إلى أداة قهر، ذلك أنّ المجتمع قادر على الوجود والعيش من دون الدولة لأنه يشكّل المؤسسة السياسية الأولى، وليس الدولة[61].

كما أشرنا سابقًا، نفترض وجود تلازم بين نظريتَي الدولة والسياسة، إذ تُفهم الدولة باعتبارها ظاهرة سياسية في ضوء فهمنا للمجال السياسي. ويرى ياسين الحافظ أنّ السياسة العربية "سياسة متأخرة" بسبب عجزها عن النهوض بواقع العرب ومواجهة "ألاعيب وعدوانات ومؤامرات إمبريالية عصرية عاتية"، ويخلص إلى أنّ "مأساة السياسة العربية تتجلى في كونها تحاور العالم الحديث بغير منطقه [...]، في كونها عاجزة عن حل هذا التفارق بين واقع العرب القائم وواقع العرب

53 برهان غليون، **نقد السياسة: الدولة والدين**، ط 4 (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2007)، ص 524.

54 Michael Marinello, *Social Theory, the State, and Modern Society* (Buckingham: Open University Press, 2006).

55 غليون، **نقد السياسة**، ص 538.

56 لا نقصد انتقاد مفهوم الدولة في أعمال غليون، بل نقتصر في ذلك على هذا الطرح فحسب.

57 Gianfranco Poggi, *The Development of the Modern State: A Sociological Introduction* (Stanford: Stanford University Press, 1978).

58 ينظر مثلًا: بشارة، **مسألة الدولة**؛
David Held, *Political Theory and the Modern State* (Cambridge: Polity Press 1989); Colin Hay et al., (eds.), *The State: Theories and Issues* (New York: Palgrave Macmillan, 2006);
ينظر الترجمة العربية في: **الدولة: نظريات وقضايا**، كولين هاي [وآخرون] (محررون)، ترجمة أمين الأيوبي (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020).

59 Brian R. Nelson, *The Making of the Modern State: A Theoretical Evolution* (New York: Palgrave Macmillan, 2006).

60 بشارة، **الدولة العربية**، ص 18.

61 حسن الترابي [وآخرون]، **حوارات في الإسلام، الديمقراطية، الدولة، الغرب** (بيروت: دار الجديد، 1995)، ص 43.

الواجب، [أي] نقل العرب من الفوات إلى المعاصرة"[62]. لا يمكن هذا الفهم القائم على رؤية أيديولوجية أحادية للسياسة أن ينهي "مأساة السياسة العربية". وما نحتاج إليه هو نظرية سياسية عربية نقدية قادرة على وضع أطروحات واقعية عن العلاقة بين الفرد/ المجتمع والدولة، والتي تحدد فهمنا للسياسي The Political، والذي نقصد به كل الأبعاد المعنية بالشأن السياسي بما فيها المؤسسة السياسية، وهو الفهم أو التعريف الأفقي للسياسة (العلاقات التفاعلية)، من دون أن يقتصر على العمليات السياسية المتعلقة بصنع القرار السياسي، وهو التعريف الرأسي للسياسة (من أعلى إلى أسفل).

وفي ضوء ذلك، يمكن توصيف السياسة في العالم العربي بأنها سياسة فوق المجتمع، ومنفصلة عن قضاياه؛ وهو ما يشكّل جوهر أزمتها، لأنّ السياسة حين تتعالى على المجتمع تفقد أسباب وجودها وتنحرف نحو الاستبداد والطغيان وإشاعة القمع والعنف[63]. ومن خلال هذا الاستعلاء، تتولد رؤية لدى السلطة عن ذاتها باعتبارها حاكمة للمجتمع يمنحها الشرعية للتحكّم في مصيره، وتصبح "دولة التحكّم لا الحكم"[64]. أما بارتباطها بالمجتمع، فتقبل السياسة الالتزام بضوابطَ تقيّدها. وقد تكون هذه القيود أخلاقية أو دينية أو قانونية وضعية أو حتى تقليدية مستمدة من الأعراف الشعبية.

خامسًا: مساهمات هذا العدد الخاص

سبق أن أشرنا إلى أنّ الأزمة السياسية في الواقع العربي تترافق مع أزمة في النظرية السياسية، وافترضنا أن من أهم خطوات الخروج من الأزمة إعادة النظر في الفكر السياسي العربي، وخاصة ابتعاده عن الواقع السياسي العربي وانخراطه فيه، ويتطلب هذا المسار أولًا تجاوز القيود التي تفرضها الأيديولوجيا السياسية، وإنهاء حالة الاستقطاب الأيديولوجي؛ لأنه لا يقدّم أيّ قيمة مضافة حقيقية للوعي الجمعي بشأن الإنسان والواقع، وثانيًا الابتعاد عن التمركز حول النظام الحاكم والسلطة السياسية وتفكيك ثنائية "المؤيد - المعارض" بوصفها أحد معيقات التفكير النقدي البنّاء. فليست وظيفة النظرية السياسية تأييد الحكم أو معارضته، بل تفسير الظواهر السياسية، ومنها الحكم نفسه والأزمات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية المرتبطة به، وينبغي أن يتمّ ذلك بأدوات معرفية وتصورات منطقية وإرشادات علمية، تسهم في إثراء النقاش العام حول هذه القضايا.

وفي ظل إدراك حجم التحديات التي تواجه النظرية السياسية العربية المعاصرة وقدرتها على مواكبة التحولات الراهنة المتسارعة، بما في ذلك ما تطرحه هذه التحولات من قضايا جديدة أو ما تحدثه من تغيرات مفهومية ذات صلة بالقضايا نفسها (مثل الدولة والحكم والسيادة والمواطنة، وغيرهـا)، تطرح أبحاث هذا العدد الخاص من دورية **سياسات عربية**[65]، بعض الأسئلة المتصلة بالنظرية السياسية العربية في خطٍّ موازٍ لما هي عليه الأوضاع في الواقع العربي، وما يميز هذه الأبحاث بصورة خاصة هو التنوع الذي تعرضه في تصوراتها والرؤى التي تطرحها.

يعالج محمد بامية، في دراسته مفهوم الثورة من منظور "المعرفة العفوية" في الحالات الثورية العربية، مفترضًا أنّ هذا النوع من المعرفة يمكن عدّه بـديلًا من الفكر الأيديولوجي الذي لا يعبّر بالضرورة عن "روح الثورة" كما هي في الشارع المنتفض. ويفترض بامية، استنادًا إلى عدد من الأمثلة الملموسة من الحالات العربية، أنّ سوء فهم الفكر العفوي في الحالات الثورية العربية أدى إلى سوء تقدير في إدراك جانب مهمّ من الثورة؛ وكانت النتيجة وجود ثورتين: الثورة الاجتماعية التي تعبّر عن هموم الشارع والحياة اليومية، والثورة السياسية ذات التوجّه والهدف السياسي، والتي تبتعد عن قضايا الشارع ولا تعبّر بالضرورة عن صوته. ويخلص إلى أنّ هذين الفهمين للثورة والانفصال بينهما لا يشكلان عاملًا يساعد في الدفع بمسار الثورة نحو غاياتها، بل يخدم الثورة المضادة.

أما نبيل فازيو فيستند إلى مقاربة نقدية لمفهوم العدل بمعالجة "بعض المعيقات المعرفية" من داخل النظرية السياسية العربية، لينطلق من ذلك لمناقشة أزمة التسويغ في الفكر السياسي العربي، وليطرح فرضيته البارزة، القائلة إنّ الانشغال الفلسفي والنظري العربي بمفهوم العدل لم يرتق بهذا المفهوم ليكون "سؤالًا محوريًا" في

---

62 ياسين الحافظ، **اللاعقلانية في السياسة العربية: نقد السياسات العربية في مرحلة ما بعد الناصرية**، الأعمال الكاملة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005)، ص 17 وما بعدها.

63 نذكر في هذا السياق فرضية ديفيد إيستون الأساسية، وفحواها أن وجود النظام السياسي واستمراريته وشرعيته مرتبطة بالتفاعل الإيجابي بينه وبين المجتمع، وخاصةً من خلال حصول النظام السياسي على دعم Support المجتمع على أساس علاقة وثيقة متمثلة في مدخلات Inputs، مثل القرارات والوظائف والتصرفات التي يقوم بها النظام السياسي، بوصفها استجابة لمطالب Demands معيّنة من الأفراد أو المجموعات في المجتمع، إضافة إلى مخرجات Outputs تجسد نمط استقبال المجتمع لقرارات النظام السياسي ووظائفه. ينظر: David Easton, *A Systems Analysis of Political Life* (New York: John Wiley and Sons, 1965).

64 حليم بركات، **المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في تغير الأحوال والعلاقات** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000)، ص 533.

65 عُرِضت هذه الأوراق في إطار ورشة علمية، بعنوان "إعادة التفكير بالنظرية السياسية العربية: تحديات نظريات الانتقال"، نظمها معهد الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية في جامعة برلين الحرة Freie Universität Berlin يومَي 26 و27 نيسان/ أبريل 2024، بدعم من الأكاديمية العربية الألمانية الشبابية للعلوم والعلوم الإنسانية Arab-German Young Academy of Sciences and Humanities - AGYA. وخضعت للتحكيم العلمي المزدوج في دورية **سياسات عربية**. يشكر المحرر، في هذا السياق، فلوريان تسيمّين Florian Zemmin على دعمه ومرافقته في عقد الورشة عبر اقتراح الأفكار وتقديم التسهيلات الإدارية على مستوى الجامعة، وهاني رشوان على مساهمته في ترتيبات تنظيم الورشة.

الفكر السياسي العربي مقارنة بمكانته في النظرية السياسية الغربية. ويفسر فازيو ذلك باختلاف طبيعة المسارَين التاريخي والسياسي للمجتمعات. وتهدف الدراسة إلى الإسهام في عملية تثبيت مفهوم العدل في الحياة السياسية العربية بنقله من مفهوم مجرد إلى قيمة واقعية سياقية، أي بجعله جزءًا من الثقافة السياسية والأخلاقية في الفكر العربي.

وفي دراسة عن ثورات الربيع العربي، يناقش عماد العلي مفهوم "الثورة" على أساس منهجي يتجاوز ثنائية النجاح/ الفشل في تقييم الثورات، وذلك بوضع إطار نظري يتضمن أفكارًا وأطروحاتٍ قيمية معيارية وسوسيولوجية حول الثورة في سياق تاريخي مشابه لسياق الثورات العربية. استنادًا إلى ذلك، تفترض الدراسة أن الثورات العربية ليست محاولة لإسقاط أنظمة الحكم القائمة فحسب، بل تتجاوز مسألة الرفض القطعي لممارسات الاستبداد والتعسف، لتطرح فكرتها الأساسية القائلة إن الثورات شكّلت دعوة "للعودة إلى السياسة" التي تعني إعادة النظر في كل ما يتعلق بالمجال السياسي بما فيها من إعادة توجيه نحو تطوير علاقة تعاقدية جديدة وتفاعلية إنتاجية بين المجتمع والدولة.

وفي الدراسة الرابعة، يلقي الزواوي بغورة الضوء على الحالة السياسية ومفهوم السلطوية في الجزائر في إطار الخطاب السياسي العربي المعاصر. وبالإحالة إلى مقاربات ذات صلة، منها تحليل الخطاب والفلسفة الاجتماعية، واستنادًا إلى أفكار ميشيل فوكو وماكس هوركهايمر، يحاول رؤية العلاقات السلطوية بين المجتمع والسلطة في الجزائر من منظور إبستيمولوجي مختلف. ويُبرز الباحث أربع مقاربات مختلفة (التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية) تلتقي في نقاط عديدة يهدف من خلالها إلى تحليل طبيعة العلاقة السلطوية والنظام السلطوي. تساعد هذه الاستراتيجية على أن تشمل الدراسة معالجة بنى وقضايا مختلفة في إطارٍ واحد، في محاولة للكشف عن العلاقة بين الفلسفة الاجتماعية وتصوراتها والتجربة السياسية الجزائرية.

المراجع

العربية

أرندت، حنة. **أسس التوتاليتارية**. ترجمة أنطوان أبو زيد. ط 2. بيروت: دار الساقي، 2016.

أزمة الدولة في الوطن العربي. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع مركز كارنيغي للشرق الأوسط والجمعية العربية للعلوم السياسية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011.

أطوار التاريخ الانتقالي: مآل الثورات العربية. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.

إمام، عبد الفتاح. **الطاغية: دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي**. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1994.

الأنصاري، محمد جابر. **العرب والسياسة: أين الخلل؟ جذر العطل العميق**. بيروت: دار الساقي، 1998.

أومليل، علي. **الإصلاحية العربية والدولة الوطنية**. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1985.

بدوي، محمد طه. **النظرية السياسية: النظرية العامة للمعرفة السياسية**. القاهرة: المكتب المصري الحديث، 1986.

بركات، حليم. **المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في تغير الأحوال والعلاقات**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000.

بشارة، عزمي. **الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

_____. **الدولة العربية: بحث في المنشأ والمسار**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024.

_____. **المجتمع المدني: دراسة نقدية**. ط 9. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017 [1996].

_____. **في الثورة والقابلية للثورة**. ط 3. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

_____. **مسألة الدولة: أطروحة في الفلسفة والنظرية والسياقات**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023.

بلقزيز، عبد الإله. **الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر**. ط 2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004.

_____. **الدولة والمجتمع: جدليات التوحيد والانقسام في الاجتماع العربي المعاصر**. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008.

البيطار، نديم. **الأيديولوجية الثورية**. ط 2. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1982.

الترابي، حسن [وآخرون]. **حوارات في الإسلام، الديمقراطية، الدولة، الغرب**. بيروت: دار الجديد، 1995.

الجابري، محمد عابد. **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**. ط 2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1990 [1989].

_____. **قضايا في الفكر العربي المعاصر**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997.

جدعان، فهمي. **الماضي في الحاضر: دراسات في تشكلات ومسالك التجربة الفكرية العربية**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997.

الحافظ، ياسين. **اللاعقلانية في السياسة العربية: نقد السياسات العربية في مرحلة ما بعد الناصرية**. الأعمال الكاملة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005.

الحروب، خالد. **هشاشة الأيديولوجيا - جبروت السياسة**. بيروت: دار الساقي، 2010.

الحرية في الفكر العربي المعاصر. مراد دياني (محرر). الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.

حقوق الإنسان في الفكر العربي: دراسات في النصوص. سلمى الخضراء الجيوسي (محرر). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002.

حلاق، وائل. **الدولة المستحيلة: الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي**. ترجمة عمرو عثمان. مراجعة ثائر ديب. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014.

الدولة العربية المعاصرة: بحوث نظرية ودراسات حالة. محمد حمشي ومراد دياني (محرران). الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023.

الدولة: نظريات وقضايا. كولين هاي [وآخرون] (محررون). ترجمة أمين الأيوبي. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

زيادة، معن. **معالم على طريق تحديث الفكر العربي**. سلسلة عالم المعرفة 115. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1987.

السيد، رضوان وعبد الإله بلقزيز. **أزمة الفكر السياسي العربي**. بيروت: دار الفكر المعاصر، 2006.

شراك، أحمد. **سوسيولوجيا الربيع العربي أو الثورات التأسيساتية**. فاس: مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، 2017.

الشرق الأوسط الجديد: الاحتجاج والثورة والفوضى في الوطن العربي. فواز جرجس (محرر). ترجمة عبد الواحد لؤلؤة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016.

شفيق، منير. **الإسلام ومواجهة الدولة الحديثة**. ط 3. تونس: دار البيرق، 1992.

صعب، حسن. **مقدمة لدراسة علم السياسة**. بيروت: منشورات المكتب التجاري، 1961.

ضاهر، محمد كامل. **الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر**. بيروت: دار البيروني للطباعة والنشر، 1994.

طه، عبد الرحمن. **روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية**. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2006.

العروي، عبد الله. **مفهوم الدولة**. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1998.

غليون، برهان. **اغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية**. ط 4. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2006 [1989].

_____. **المحنة العربية: الدولة ضد الأمة**. ط 4. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.

_____. **نقد السياسة: الدولة والدين**. ط 4. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2007.

فوكو، ميشيل. **المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن**. ترجمة علي مقلد. مراجعة وتقديم مطاع صفدي. بيروت: مركز الإنماء القومي، 1990.

قرم، جورج. "الفكر السياسي العربي المعاصر: علماني أم ديني؟"، **المستقبل العربي**. مج 38، العدد 444 (2016).

الكيلاني، شمس الدين. **مفكرون عرب معاصرون: قراءة في تجربة بناء الدولة وحقوق الإنسان**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

لماذا انتقل الآخرون إلى الديمقراطية وتأخر العرب؟ علي خليفة الكواري وعبد الفتاح ماضي (منسقان ومحرران). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009.

مانهايم، كارل. **الأيديولوجيا واليوتوبيا: مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة**. ترجمة محمد رجا الديريني. الكويت: شركة المكتبات الكويتية، 1980.

محفوظ، مهدي. **اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث**. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1990.

محمود، زكي نجيب. **تجديد الفكر العربي**. بيروت: دار الشروق، 1971.

المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية. علي خليفة الكواري (محرر). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004.

نصار، ناصيف. **التنبيهات والحقيقة: مقالات إضافية حول الفلسفة والديمقراطية**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2019.

_____. **منطق السلطة: مدخل إلى فلسفة الأمر**. ط 2. بيروت: أمواج للنشر والتوزيع، 2005 [1995].

النقيب، خلدون حسن. **الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر: دراسة بنائية مقارنة**. ط 2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996.

هلال، علي الدين [وآخرون]. **عودة الدولة: تطور النظام السياسي في مصر بعد 30 يونيو**. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2015.

هنتنجتون، صمويل. **النظام السياسي في مجتمعات متغيرة**. تصدير فرانسيس فوكوياما. ترجمة حسام نايل. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، 2017 [1968].

هيوود، أندرو. **النظرية السياسية: مقدمة**. ترجمة لبنى الريدي. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2013.

الأجنبية

Austin, John Langshaw. *How to Do Things with Words*. Cambridge: Harvard University Press, 1962.

Bellamy, Richard & Andrew Mason (eds.). *Political Concepts*. Manchester: Manchester University Press, 2003.

Converse, Philip E. "The Nature of Belief Systems in Mass Publics." *Critical Review*. vol. 18, no. 1–3 (2007).

Dahl, Robert. *Democracy and Its Critics*. New Haven: Yale University Press, 1989.

De Nardis, Fabio. *Understanding Politics and Society*. Cham: Palgrave Macmillan, 2020.

Easton, David. *A Systems Analysis of Political Life*. New York: John Wiley and Sons, 1965.

Frieden, Michael. *Ideologies and Political Theory: A Conceptual Approach*. Oxford: Oxford University Press, 1998.

Hay, Colin et al. (eds.). *The State: Theories and Issues*. New York: Palgrave Macmillan, 2006.

Held, David. *Political Theory and the Modern State*. Cambridge: Polity Press, 1989.

Lust-Okar, Ellen & Saloua Zerhouni (eds.). *Political Participation in the Middle East*. Boulder: Lynne Rienner Publishers, 2008.

Marinello, Michael. *Social Theory, the State, and Modern Society*. Buckingham: Open University Press, 2006.

McLennan, Gregor et al. *The Idea of the Modern State*. Milton Keynes: Open University Press, 1984.

Michels, Robert. *Masse, Führer, Intellektuelle: Politisch-soziologische Aufsätze 1906–1933*. Frankfurt: Campus Verlag, 1987.

Mutz, Diana C. *Hearing the Other Side: Deliberative Versus Participatory Democracy*. Cambridge: Cambridge University Press, 2006.

Nelson, Brian R. *The Making of the Modern State: A Theoretical Evolution*. New York: Palgrave Macmillan, 2006.

O'Sullivan, Noel (ed.). *Political Theory in Transition*. London: Routledge, 2000.

Poggi, Gianfranco. *The Development of the Modern State: A Sociological Introduction*. Stanford: Stanford University Press, 1978.

Rejai, Mostafa. *Political Ideologies: A Comparative Approach*. London: Routledge, 1994.

Rokeach, Milton. *Beliefs, Attitudes and Values: A Theory of Organization and Change*. 7th ed. San Francisco: Jossey-Bass Inc., 1980.

Rush, Michael. *Politics and Society: An Introduction to Political Sociology*. Hemel Hempstead: Harvester Wheatsheaf, 1992.

Selk, Veith. *Demokratiedämmerung: Eine Kritik der Demokratietheorie*. Berlin: Suhrkamp Verlag, 2023.

Stoellger, Philipp (ed.). *Deutungsmacht: Religion und Belief Systems in Deutungsmachtkonflikten*. Tübingen: Mohr Siebeck, 2014.

Todorov, Tzvetan. *The Inner Enemies of Democracy*. Cambridge: Polity Press, 2014.

Williams, Geraint. *Political Theory in Retrospect: From the Ancient Greeks to the 20th Century*. London: Edgar Elgar, 1991

Young, Iris Marion. *Inclusion and Democracy*. New York: Oxford University Press, 2000.

صـدر حديـثًا

تـأليف: جاك دونيلي
تـرجمة: عمرو عثمان

حقوق الإنسان العمومية في النظرية والتطبيق

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ضمن سلسلة ترجمان، كتاب **حقوق الإنسان العمومية في النظرية والتطبيق.** وهو ترجمة عمرو عثمان لكتاب جاك دونيلي *Universal Human Rights in Theory and Practice* في طبعته الثالثة. يقع الكتاب في 464 صفحة شاملًا مقدمة للمترجم ومدخلًا للطبعة الجديدة وقائمة مراجع وفهرسًا عامًا.

المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/HGBD6919
القبول Accepted
2025-4-15
التعديل Revised
2025-3-10
التسلم Received
2024-8-16

محمد بامية | Mohammed Bamyeh*

المعرفة العفوية وروح الثورة

Intuitive Knowledge and the Spirit of Revolution

تتناول هذه الدراسة "المعرفة العفوية" باعتبارها من أهم مصادر فهم مسارات الثورات العربية، على الرغم من ندرة الدراسات التي تهتم بها. نقارب المعرفة العفوية من خلال ما نلاحظه من صفاتها، وتحديدًا باعتبارها بديلًا من "الأيديولوجيا"، بوصفها وسيلة للتعبير عن وجهات النظر الاجتماعية والسياسية، ونهجًا عمليًا تجاه التقاليد التي يتقاسمها المرء مع الآخرين، وفهمًا مرنًا للحياة الارتباطية يلقي الضوء على أبعادها المعتادة والطوعية، ونهجًا براغماتيًا للحكم على الظواهر الاجتماعية والسياسية، وكذلك تعبيرًا عن غياب الثقة بـ "النخب" البعيدة عن واقع الإنسان العادي. من هذه المنطلقات، نطوّر فهمًا للعلاقة بين الفكر العفوي والظواهر الكاريزمية أو الشعبوية العابرة، وكيفية تَكَوّن علاقات الولاء وتلاشيها، خاصة في العصر النيوليبرالي. ونطرح في هذا السياق أهمية فهم الفكر العفوي، باعتباره مدخلًا لتحليل أزمة العلاقة بين الثورتين السياسية والاجتماعية اللتَين أتاح انفصالهما، كما نزعم هنا، فرصًا إضافية للثورة المضادة.

كلمات مفتاحية: المعرفة العفوية، الثورات العربية، الأيديولوجيا، الثورة السياسية، الثورة الاجتماعية.

This article examines the "intuitive knowledge" as one of the most important sources for understanding the trajectories of the Arab revolutions, despite the scarcity of studies that focus on it. We explore intuitive knowledge by examining its observable manifestations, such as its role as an alternative to "ideology" in expressing social and political views, its practical application in shared traditions, its flexible interpretation of relational life emphasising its habitual and voluntary aspects, its pragmatic evaluation of social and political phenomena, and its expression of distrust in "elites" who distance themselves from ordinary people's lives. Building on these premises, we explore the relationship between intuitive thought and charismatic phenomena or volatile populism, as well as the formation and dissolution of loyalty relationships, particularly in the neoliberal era. In this context, we emphasise the importance of viewing intuitive knowledge as a starting point for analysing the relationship between political and social revolution. We argue that the separation of these two types of revolution has created additional opportunities for counter-revolution.

Keywords: Intuitive Knowledge, Arab Revolutions, Ideology, Political Revolution, Social Revolution.

* أستاذ علم الاجتماع، جامعة بيتسبرغ، الولايات المتحدة الأميركية.

Professor of Sociology, University of Pittsburgh, USA.
Email: mab205@pitt.edu

مقدمة

في شباط/ فبراير 2011، عقب استقالة الرئيس المصري محمد حسني مبارك، سأل أحد الحرّاس في الإسكندرية كاتبًا مصريًا بارزًا، يعيش في المبنى نفسه الذي يعمل فيه هذا الحارس، عن سبب عدم مرور أحد ليوزّع ثروة مبارك التي يُشاع أنها تبلغ 70 مليار دولار على الشعب. نقل الكاتب يوسف زيدان هذه الواقعة في صالونه الشهري مثالًا على عدم فهم الناس العاديين آلية التغيير الاجتماعي والسياسي. يمكن النظر إلى موقف الحارس من زاوية مختلفة، هي المفهوم العفوي للعدالة: فثروة الطبقة السياسية الفاسدة تُعدّ، في نظره، "ثروتنا المسروقة". ومن هذا المنظور يكون معنى الثورة، بوصفها ثورةً لا إصلاحًا تدرّجيًا، هو استعادة ما سُلِب منا في زمن ما قبل الثورة.

من خلال مثال الحارس والكاتب، يمكننا ملامسة نظامَين فكريَين متعارضَين: أحدهما الليبرالية السياسية التي تسلّط الضوء على التنمية المؤسسية والواقعية (حتى في أوقات الثورة)، وتعطي الثورة السياسية الأولوية على الثورة الاجتماعية؛ ما يعني الأولوية لإنشاء ديمقراطية إجرائية وبناء مشهد سياسي بقواعد ثابتة للمساءلة. تواجه هذه الفكرة أو العقلية مجموعة مختلفة من الأولويات عن الحقوق والواجبات، يطرحها فكر عفوي، متجذّر على نحوٍ خاص بين الطبقات الدنيا التي تعتبر الثورة الاجتماعية والثورة السياسية أمرًا واحدًا: فالثورة في هذا التصور لا تكون مبرَّرة إلا بقدر ما تحققه من فوائد ملموسة.

في هذا الفكر العفوي، تتجلّى الشرعية الثورية في المعاملات الدنيوية أكثر من المبادئ المجرّدة؛ فالمؤسسات البعيدة عن الحياة اليومية هي مؤسسات غريبة وغير مثيرة للاهتمام، أو لا يمكن الاعتماد عليها؛ لأن التجارب المتراكمة حتى الآن أظهرت أنها لا تستجيب لمتطلّبات حياتنا. والثورة، لأنها ثورة، تعني من وجهة النظر العفوية فرصةً نادرةً للنفاذ المباشر إلى صميم الظلم الذي قامت من أجل إزاحته من الحياة[1].

تنطلق هذه الدراسة من المفارقة بين هاتين العقليتين، وتفترض أن سوء فهم الفكر العفوي، ضمن النخب المثقفة أو المسيّسة، أدى كذلك إلى سوء فهم جانب مهمّ من الثورات. وقد يعود ذلك إلى قلّة الأدبيات التي تناولت الفكر العفوي في حقل العلوم الاجتماعية، مقابل التركيز عليه أساسًا في الفنون والأعمال الأدبية. فالاهتمام الفلسفي بالفكر العفوي، حين صُنّف ضمن نموذج "الفكر البدهي" في أعمال باروخ سبينوزا ورينيه ديكارت، لم يُطرَح بطريقة تتيح الإفادة منه في العلوم الاجتماعية، التي لم تبدأ في الاقتراب من المفاهيم المماثلة للفكر العفوي، إلّا بعد أن طوّر إدموند هوسرل نظرة فينومينولوجية قابلة للتطبيق في التحليل الاجتماعي، خاصة على يد ألفريد شوتز[2]، ثم تلميذيه توماس لوكمان وبيتر برغر اللذين أدخلا إلى صميم السوسيولوجيا مفهوم "الواقع" بوصفه بناءً اجتماعيًا يصوغه الفاعلون من خلال إدراكهم، لا مجموعة من الظروف الموضوعية. وأدّت مساهمات شوتز أيضًا إلى بروز منهج الأثنوميثودولوجيا على يد تلميذ آخر هو هارولد غارفينكل، الذي كرّس منهجه هذا لدراسة التركيبة البدهية للحياة اليومية في شتى المجالات والممارسات. ولا نرى في هذه الإنجازات الفكر العفوي بقدر ما نرى ما يبدو مرادفًا له: "المنطق الشائع" Common Sense. وعلى الرغم من أهمية مفهوم "المنطق الشائع"، فإنه لا يُسعفنا في فهم الفكر العفوي الذي لا يكون بالضرورة منطقًا شائعًا أو متوَقَّعًا، بقدر ما يبرز بوصفه بديلًا مفاجئًا لمنطق شائع آخر، وأعني في هذه الحالة منطق النخبة المسموع.

تُظهِر المواجهة بين العقليتين، الحارس والكاتب، أنه في غياب أيّ مرجعية أخرى سوى الحكمة الشعبية المتراكمة في الذاكرة، وعلى نحوٍ يحاول الوصول مباشرة إلى جوهر الأمور، فإن الشخص العادي، المسلّح بنظرة براغماتية إلى التقاليد المألوفة، يتوقع من الثورة أن تقدم شيئًا يشبه المجتمع الطوباوي الذي جرى تمثيله خلال الثورة نفسها. يبدو من النظرة الأولية أنّ النهج العفوي يريد للثورة أن تكشف عن طبيعتها العادلة بطرائق محسوسة لا مجردة. ولن يكون لهذه النظرة سوى قدر محدود، أو متوسط في أحسن الأحوال، من الصبر على لجنة من النخبة تقضي سنوات في صياغة دستور، لن يقرأه أولئك الذين يعطون المحسوس الأولية، والذين يعرفون، من خبرتهم التاريخية، أنّ دساتيرنا ليست ثابتة، وحتى إن استقرت فإنها لا تعني الكثير لمن له سلطة كافية ليتجاوزها. وهذا ليس نابعًا من أيّ مقاومة متأصلة لفكرة الدستورية، بل من فهم براغماتي لطبيعة الحياة السياسية، رسّخه العقل العفوي على مدى عقود من الخبرة والتجارب الواقعية المتراكمة: "حقوقي" كشخص عادي لم يحمها نص قانوني على ورق، بقدر ما كانت تحميها الرشوة التي نالها الشرطي أو موظف الدولة. إن إثبات أن الأمور يمكن أن تكون على خلاف ذلك يتطلّب تجربة لم تُتَح بعد. وهنا يكمن جوهر الطبيعة البراغماتية الملازمة للفكر العفوي.

---

1 للمزيد حول مفهوم الثورة وسياقاته الواقعية والنظرية في مسار ثورات الربيع العربي وتأويلاتها، ينظر في هذا العدد: عماد العلي، "الثورة بين الأهداف الواقعية والمضامين المعيارية"، **سياسات عربية**، مج 13، العدد 74 (أيار/ مايو 2025)، ص 52-71.

2 ينظر في المقام الأول:

Alfred Schutz, *Der sinnhafte Aufbau der sozialen Welt* (Vienna: Springer, 1932); Peter L. Berger & Thomas Luckmann, *The Social Construction of Reality* (New York: Anchor, 1967).

المعرفة العفوية هي المعرفة التي تُدرَك الحقيقة من خلالها بالإحساس المباشر أكثر من اعتمادها على التماسك المنطقي؛ ويتخذ مفهوم العدالة فيها شكلًا بسيطًا وسهل الفهم، لا صيغة قانونية معقّدة؛ وترى أنّ ما هو عقلاني واضحٌ بذاته، بما يعني أن القول بخلاف ذلك قد يكون محاولة مشبوهة لعقلنة ما هو في جوهره غير عقلاني؛ وثقتها بأيّ شيء لا تنفصل عن المعرفة التجريبية، ومن ثمّ تتراجع كلما ابتعدت السلطة عن نطاق مجتمع الفرد؛ وتكتسب المشاركة معنًى بالنسبة إلى الإنسان العفوي، من خلال الإحساس المباشر بها لا عبر تفويضها إلى الغرباء أو إلى الهياكل البعيدة عنه. ويساعدنا هذا الفهم في إدماج "المعرفة العفوية" ضمن قواعد الديمقراطية، كما جرى تصوّرها خلال الاحتجاجات الجماهيرية. فالمعرفة العفوية متجذّرة في التقاليد الاجتماعية المألوفة، خاصة ذلك الجزء من هذه التقاليد الذي يعطي الحياة الطوعية في الأوقات العادية شكلًا معيّنًا، على الرغم من أن المعرفة العفوية قادرة على التعبئة لأغراض ثورية.

تتناول هذه الدراسة "المعرفة العفوية" على أنها:

1. بديل من "الأيديولوجيا" المتقنة، باعتبارها وسيلة للتعبير عن وجهات النظر الاجتماعية والسياسية.
2. نهج عملي تجاه التقاليد التي يتقاسمها المرء مع الآخرين.
3. فهم مرن للحياة الارتباطية، يسلّط الضوء على أبعادها المعتادة والطوعية.
4. أساس محتمل لاتجاهَين قابلَين للتناقض أو الاتفاق في السياسات "الشعبوية" (أحدهما يسلّط الضوء على "الزعيم القوي"، والآخر يسلّط الضوء على "الشخص العادي").
5. تعبير عن عدم الثقة بـ "النخب" البعيدة عن حياة الإنسان العادي، باستثناء الحالات الكاريزمية، أو الظواهر الشعبوية العابرة، أو علاقات الولاء التي تتكوّن من خلال تداول بعض الثروة عبر الطبقات.
6. فهم لـ "المواطنة" باعتبارها تتكوّن من حزمة من المسؤوليات المباشرة، وليس من خلال تعريفات قانونية أو دستورية أو نظرية.

أولًا: مسارات الفكر العفوي

ما سمّيته "المعرفة العفوية" قد يتغيّر بمرور الوقت، لكنه لا يحدث من دون توافر عاملَين مساعدين. بداية، يكتسب المرء تراكمًا كافيًا من البراغماتية التي تضيف إلى عناصر هذه المعرفة ثقة كافية بأنّ لمصادر القوة البعيدة مصالح أخرى غير مصالحها، وأنّ الدولة، أيًّا كانت، قائمة لسبب يتجاوز خدمة ذاتها. وفي هذا السياق، لا نتناول الحالات الثورية، فحسب، بل نؤكد الأهمية البالغة للفكر العفوي تاريخيًا في تنقيح مصادر المعرفة العامة، بما يجعلها قابلة للحياة على مر العصور؛ وذلك لأن المنهج العفوي يعطي هذه المعرفة هالة من الاستمرارية بصفتها جزءًا من تقاليد المجتمع، على الرغم من استمرارية تعديلها من أجل تقريبها إلى ما يتوافق مع ضرورات الحياة المتغيرة التي يطرحها الفكر العفوي. في سوسيولوجيا الإسلام، مثلًا، نلاحظ قدرة الأفكار الدينية على البقاء عبر قرون من خلال تدفق مستمر للبراغماتية الدينية، بما يشمل إنتاج المذاهب والطرائق والتفسيرات المتعددة، التي أظهرت في كل عصر الأهمية اليومية للأفكار الدينية عبر الأجيال والمجتمعات[3]. إن بقاء الدين الشعبي، في شكل معرفة عفوية، لا يكون ممكنًا إلّا من خلال توفير ذخيرة مستمرة من التفسيرات العملية التي تتوافق مع احتياجات الحياة العادية المألوفة.

وهكذا، فإنّ البراغماتية الاجتماعية مصدر لا مفرّ منه للمعرفة العفوية، التي تتغيّر بالتوازي مع التدفق المستمر للتحقق العملي من المعرفة الجديدة. لكن المصدر الآخر للمعرفة العفوية هو ما نسمّيه عادة "التقاليد"، وهو مفهوم يُساء فهمه عندما يُنظر إليه ببساطة باعتباره نقيضَ "الحداثة". لأغراض هذه الدراسة، سأطرح تعريفًا بسيطًا: التقاليد، على عكس "الأيديولوجيا"، هي مجال الواقع المألوف "المُسَلَّم به" الذي لا يحتاج إلى تفسير أو تبرير. قد يُقدم التفسير أو التبرير في ردٍّ على سؤال، أما في غياب السؤال فلا ضرورة للتبرير. بخلاف ذلك، تشير "الأيديولوجيا" عادة إلى مخطط منهجي واعٍ للعالم - كما هو، أو كما ينبغي له أن يكون - أي الأيديولوجيا بصفتها طريقة للنظر إلى ما هو أبعد من مظهر الأشياء، خارج الحدود المألوفة للعالم، وهي وسيلة للتعبير عن الشك في صحة الواقع "المُسَلَّم به". وعلى الرغم من أن الأيديولوجيا المفهومة على هذا النحو قد تعود إلى قبول الواقع المألوف أو تبريره (كما هي الحال في "الأيديولوجيا المحافظة" على سبيل المثال)، فإنها لا تتبع المسار التقليدي للمعرفة: في الفكر المحافظ الذي يطرح نفسه أيديولوجيا، يتم شرح ضرورة المألوف وتبريره منهجيًا، ونقد البدائل، ثم العودة إلى الواقع المألوف بعد مسار فكري طويل حوله[4].

كانت التواريخ الثورية للقرن العشرين تستخدم الأيديولوجيا بوصلةً، معتبرة المعرفة الشعبية، في أحسن الأحوال، رديفًا لها. وقبل الربيع

3 Mohammed Bamyeh, *Lifeworlds of Islam: The Pragmatics of a Religion* (New York: Oxford University Press, 2019), pp. 137-203.

4 تتسم مجموعة كبيرة من الأدبيات بهذه الخاصية، "التفسير بصفته تبريرًا". لعرض نقدي، ينظر الفصل الأول من كتاب: محمد بامية، **نظام بلا سلطة: المفهوم الأناركي للنظام الاجتماعي** (بيروت: دار جسور، 2024).

العربي، كانت الثورات تميل إلى إبراز أيديولوجيا حديثة تحملها منظمة سياسية معاصرة، وتنقلها إلى الناس نخبة ثورية ترى في التقاليد الشعبية عائقًا أمام التغيير الاجتماعي لا عاملًا مساعدًا عليه. إن حقيقة أن ما نسميه "الأيديولوجيا" لا يتوافق مع المعرفة العفوية، تتجلى في أن الأيديولوجيا، خلافًا للفكر العفوي، تحتاج إلى تفسير. ويمكن قياس غربة الأيديولوجيا، على سبيل المثال، من خلال كمية الكتب التي تشرح المعاني المفضلة للاشتراكية والليبرالية والماركسية والقومية وما إلى ذلك، بل حتى المنظومات الفكرية المألوفة، مثل "الإسلام"، حينما دخلت بصفتها أيديولوجيا حديثة، تطلّبت أيضًا تفسيرًا، إذ بدا أنّ معناها الحديث لم يكن عفويَّ الطابع.

لا تتعلق الحجة هنا بصحة الفكر العفوي الذي يُفهم باعتباره مجموعة من البراغماتية المألوفة، ونقيضَ الأيديولوجيا، بل تكمن في فهم آليات استمرارية هذا الفكر، خاصة في الأوضاع الثورية التي تستهدف إطاحة المألوف واستبداله. إضافة إلى ذلك، يبدو أن بروز المعرفة العفوية، في التعبئة الشعبية العربية المعاصرة، يتناقض بحدّة مع الحلقات السابقة من التاريخ الحديث؛ حيث كانت الأيديولوجيات تهيمن على الحياة السياسية، بما في ذلك الفترات التي شهدت حضورًا شعبيًا للأحزاب الحديثة أو النخب الثورية الجديدة، التي نادت بالتجديد الاجتماعي، أو بحقوق المواطنة أو التنمية الاجتماعية والاقتصادية بصفتها مشاريع تتطلّب التوجيه من خلال الأيديولوجيات، وتجاوز التقاليد القديمة وطرائق التفكير المألوفة حول المجتمع والمستقبل. وكانت فترة "الضباط الأحرار"[5] التي ميّزت معظم فترة ما بعد الاستقلال، في أجزاء واسعة من العالم العربي، مثالًا على ذلك، حيث ظهر ضباط شبان غير تقليديين انحدروا من خلفيات اجتماعية هامشية، وتبنّوا أفكارًا جديدة حول الاشتراكية والهندسة الاجتماعية، فحَظوا فترة بثقة قطاعات كبيرة من السكان، وتمتّعوا بصفات كاريزمية إلى أن فشلوا.

ومن ثمّ، فإنّ الفكر العفوي ليس دائمًا عدوًا للأيديولوجيا، بل قد يُفهم على أنه خطاب احتياطي متاح دائمًا، لأنه كامن في المجتمع. بعبارة أخرى، قد يتراجع الفكر العفوي عندما يبدو الوعد الأيديولوجي بتحقيق واقع أفضل قابلًا للتطبيق عمليًّا، ليعود إلى الصدارة حين يتم تقويض هذا الوعد[6]. وكما هو معلوم، تراجع الخطاب الديني إلى الخلفية في ذروة عهد الضباط الأحرار، إلى درجة أن لا حكومة رأت فيه خطرًا، كما يتضح في حالة محمد أنور السادات الذي روّج لجماعة الإخوان المسلمين بصفتهم ثقلًا موازنًا للمعارضة اليسارية. وركّز شاه إيران الجزء الأكبر من قمعه على اليسار الراديكالي بدلًا من المعارضة الإسلامية. ورغم أنّ الإسلام السياسي لا يعبّر في الواقع عن معرفة عفوية، كما هو محدد هنا، فإنه احتفظ باتصاله بطابع الإسلام الاجتماعي التقليدي، الذي ظل خلال تلك الفترة خطابًا احتياطيًا، يمكن أن يستيقظ عندما تتعثر بدائله، واحدًا تلو الآخر.

ثانيًا: المعرفة العفوية والثورة

يمكن فهم الانتفاضات العربية التي اندلعت في أواخر عام 2010 على أنها تتضمن أبعادًا ليبرالية في الأيديولوجيا أو النيّة، بدليل المطالبة بدولة مدنية أو بحكم مسؤول أمام الشعب، إلا أنها كانت مدفوعة إلى حدٍ بعيد بمعرفة عفوية، بدت قادرة فورًا على حشد الملايين من الناس غير المسيَّسين. ويتجلّى ذلك في أنه إذا كانت أنظمة ما قبل عام 2011 تعرف معارضتها الأيديولوجية وتقمعها، فإنّ الخطر الفعلي الذي واجهته عامَي 2011 و2019، تمثّل في أفراد لم يكونوا جزءًا من أيّ منظمة سياسية، ونادرًا ما أدلوا بأصواتهم في انتخابات، ولم يشاركوا في أيّ مظاهرة قبل اندلاع الثورات. من هنا، يمكن القول إن تلك الثورات كانت أناركية في أسلوبها، وإن بدت ليبرالية في نيّتها[7]. ففي حين أنّ فنّ حركتها لم يتطلّب أو لم يُبرز قيادة شاملة أو منظمات مركزية، فإنّ المطالب الأساسية، من مساءلة وحكم الشعب وحقوق المواطنة وغياب الفساد وقيام الدولة المدنية، تمثّل جوهر البرنامج الليبرالي الكلاسيكي الذي يرتكز على مسألة الحقوق والمشاركة، ويشكّل بذلك عِماد الثورة السياسية. لكن عند إضافة مطلبَي "الخبز" و"العدالة الاجتماعية" إلى هذه المطالب، تتجاوز الإطار الليبرالي الكلاسيكي، لتدخل في فضاء أوسع يسمَّى الثورة الاجتماعية.

إن التداخل بين الثورتين السياسية والاجتماعية أمر معروف، بدءًا من التحليل الماركسي لثورات عام 1848 في أوروبا، التي يمكن مقارنتها إلى حدٍ بعيد بالثورات العربية. فقد جاءت تلك الثورات في شكل موجة

5 على الرغم من أن مصطلح "الضباط الأحرار" يرتبط تاريخيًا بالتجربة المصرية، أرى فائدة تحليلية في تعميمه على تجارب أخرى في المنطقة، تماثلها إلى حد بعيد من نواحٍ سوسيولوجية وسياسية، وبالتحديد في العراق وسورية واليمن وليبيا، حيث نرى ظاهرة مماثلة للتجربة المصرية، بل تستلهمها. في كل هذه الحالات، تمّت إطاحة نظام سياسي بُني على أساس هرميات تقليدية، من فئات عسكرية حديثة العهد بالسياسة، وصغيرة في العمر نسبيًا، وذات خلفية اجتماعية ريفية أو مهمشة، أتت من خارج طبقة الأعيان، وتبنّت برامج قومية استقلالية، وخطابًا تقدميًا، وغالبًا اشتراكيَّ المنحى، وآمنت بالهندسة الاجتماعية الفوقية.

6 حـول مفهوم الدين من حيث هو خطاب "احتياطي" في المجتمع، بمعنى أنه يبرز في الصدارة وعلى نحوٍ تجريبي، عندما تخيب الآمال من خطابات أخرى، ينظر: Bamyeh, pp. 205-220.

7 للمزيد حول ذلك، ينظر مثلًا:
Mohammed Bamyeh, "Anarchist Method, Liberal Intention, Authoritarian Lesson: The Arab Spring between Three Enlightenments," *Constellations*, vol. 20, no. 2 (2013).

عابرة للبلاد، وطرحت في مقدّمها مطالبَ تشاركية ومواطنية وحقوقية، وفي ذيلها مطالبَ اجتماعية. وبذلك بدت كأنها تعبّر عن مطالب كل الطبقات، باستثناء الأرستقراطيين والحكّام (وإلى حدٍّ ما الفلاحين). لكن كما في حالة عام 1848، تضمّنت مرحلة بناء النظام الجديد في البلدان التي بدا أن الثورة نجحت فيها، مثل تونس ومصر، نقطة ضعف قاتلة، تمثّلت في تأجيل الثورة الاجتماعية حتى تُنجز الثورة السياسية مهمتها، وهذا، بمعنى ما، يعيد إنتاج المعضلات التي واجهت ثورات عام 1848 وغيرها من الثورات في أوروبا في القرن التاسع عشر، التي انتقدها بيتر كروبوتكين[8]، لأنها أغفلت مسألة "الخبز" وركّزت بدلًا من ذلك على مطالب الطبقة الوسطى[9]. في نهاية المطاف، أدّى هذا الانفصال إلى أن تخلّى عن الثورات الفقراءُ أو الطبقة العاملة التي لم ترَ في الثورة السياسية المحضة سوى القليل من الأمل في الخلاص من بؤسها. ولا يُسعفنا التحليل الذي يُرجع كل الأمور إلى المؤامرات والعوامل الخارجية والقمع؛ لأنّ هذه العوامل لا تثمر ما لم يتزعزع الإجماع الشعبي على الثورة. وقد أثبتت التجربة نفسها ذلك، إذ إن الثورة بسِلميتها وما بدا إجماعًا شعبيًا حولها، واجهت آلةَ السلطة القمعية في تونس ومصر وسورية واليمن والجزائر والسودان (وإلى حدٍ ما في البحرين، حيث تطلّب الوضع تدخلًا عسكريًا مباشرًا من دول الجوار).

كان الأسلوب الأناركي للانتفاضات في حد ذاته متجذّرًا في المعرفة العفوية، وفي التقاليد المألوفة للحياة اليومية التي تفرض العمل العفوي والمعونة المتبادلة والتضامن مع الأقارب والجيران في مواجهة الغرباء، الذين هم نظام الحكم في اللحظة الثورية. وحقيقة بقاء المعرفة العفوية في الصدارة وعدم تراجعها أمام الأيديولوجيات المقترحة[10]، سواء الإسلامية أو الليبرالية، قد تكون مستندة إلى الذاكرة التاريخية[11]. لكن فهم طبيعة المعرفة العفوية واستمراريتها يساعدنا في تحديد التصدّعات في المشروع الثوري، التي من خلالها عادت الثورة المضادة إلى المشهد، بعد عامَين من الثورة في مصر، وبعد عقد من الزمن في تونس. وفي كلتا الحالتين، كانت القضية نفسها: الفجوة المتزايدة بين الثورة السياسية والاجتماعية، أو بين الخطوط العريضة المنهجية للفكر الليبرالي، في مقابل المنطلقات الحميمية والتجريبية للفكر العفوي.

تعبّر الثورتان، السياسية والاجتماعية، عن مطلب المشاركة، وإن اختلفت طرق التعبير عنه. ففي الثورة السياسية، كما عرفناها حتى الآن، يتمحور مفهوم المشاركة حول حق الانتخاب الحرّ والنزيه، وهي الطريقة التي يشعر فيها "الشعب" بأنه يشارك: أي من خلال تمثيله من شخص أو حزب آخر، يُطلَب منه أن يثق بهذا الممثل، إلى أن تُتاح له فرصة التصويت مرة أخرى (وخلال هذه الفترة بين انتخابات متعاقبة، يُفترض ألّا يحدث أيّ تغيير يُذكَر في السياسات المتبعة، وهذا ما نقده جان جاك روسو نفسه في الديمقراطية الانتخابية في إنكلترا)[12]. أمّا في الثورة الاجتماعية فتبرز رؤية أخرى لمفهوم المشاركة، ذات أهمية أكبر لأولئك الذين اضطروا إلى الاعتماد على أنفسهم بدلًا من الاعتماد على السلطات قبل الثورة، وتشمل إلى حدٍ بعيد أشكالًا من المساعدة المتبادلة والتضامن العملي. ولذلك، فإنّ شعورهم بـ "المشاركة" تجريبي ويومي ومحسوس وملموس، وليس تفويضًا وتمثيلًا[13]. في الواقع، كان السبب الرئيس لشعبية الحركات الاجتماعية الإسلامية، طوال عقود قبل الثورة، يتلخّص تحديدًا في أنها وفّرت لأتباعها إحساسًا مباشرًا ويوميًا بأنهم مواطنون مشاركون في تخفيف المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والجسدية للآخرين، وعلى وجه التحديد في ظروف غابت فيها الديمقراطية الرسمية أو افتقرت إلى الصدقية[14].

إنّ استمرار الفكر العفوي بعد عام 2011، بالنسبة إلى كثيرين، لا يُعزى إلى روح تقليدية متمسكة بذاتها أو معادية للسياسة، بقدر ما يعود إلى أنّ المجال السياسي بعد الثورة احتكرته أحزاب استمرت في الاسترشاد في المقام الأول بأيديولوجيتها، على الرغم من أن الثورات لم تكن مرتبطة بأيّ حزب سياسي، ولم يتوقّع أيّ حزب حدوثها فعليًا، فضلًا عن قيادتها. طبعًا هذا لا ينفي وجود أُطر تنسيقية ذات طبيعة غير حزبية، سواء

8 Peter Kropotkin, *The Conquest of Bread* (London: Penguin Classics, 2015 [1892]).

9 حول هذه الثورات وأبعادها الاجتماعية والسياسية، ينظر على سبيل المثال:
Helge Berger & Mark Spoerer, "Economic Crises and the European Revolutions of 1848," *The Journal of Economic History*, vol. 61, no. 2 (2001), pp. 293-326; Edward Shorter, "Middle-Class Anxiety in the German Revolution of 1848," *Journal of Social History*, vol. 2, no. 3 (1969), pp. 189-215.

10 يستخدم عزمي بشارة مدخلًا مختلفًا، لكنه تناول هذا الموضوع بالتفصيل وبموضوعية تحليلية في كتابه: عزمي بشارة، **في الثورة والقابلية للثورة**، ط 3 (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016).

11 يجدر أن نضيف أننا نتحدث عن "الذاكرة التاريخية"، وليس عن تذكّر دقيق. يعرف علماء الأعصاب بالفعل أن الطريقة التي نتذكر بها تتشكّل دائمًا وفقًا للسياق المحدد الذي يحدث فيه التذكر. لكن عندما نتحدث عن الذاكرة التاريخية لمجموعة كاملة، فهناك سياق اجتماعي إضافي يقدّم الذاكرة في شكل حكم موجز على التجارب الجماعية السابقة.

12 من المعروف أن الديمقراطية، خاصة في مجال الممارسة الواقعية، تتعرض في السنوات الأخيرة لنقد ترافقه بعض الدعوات إلى ضرورة إجراء مراجعة في النظرية والممارسة الديمقراطية لتتناسب أكثر مع متطلبات المجتمعات، حيث لا يقتصر هذا النقد على الأدبيات غير الليبرالية أو على أتباع مدرسة فرانكفورت. ينظر في هذا السياق على سبيل المثال لا الحصر:
Michael J. Sandel, *Democracy's Discontent: A New Edition for Our Perilous Times* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2022).

13 حول أشكال مختلفة من "المشاركة"، ينظر:
Randa Aboubakr et al. (eds.), *Spaces of Participation: Dynamics of Social and Political Change in the Arab World* (Cairo: American University in Cairo Press, 2021).

14 ينظر الفصل الأول من:
Bamyeh, *Lifeworlds of Islam*.

صورة لافتة في أحد شوارع القاهرة بعد ثورة عام 2011

المصدر: صورة التقطها الباحث، 2011.

تلك التي حاولت أن تفاوض على الانتقال الديمقراطي بعد الثورة، كما في السودان وتونس، أو ساهمت في تنظيم الاحتجاجات، على الرغم من أنها لم تتوقع ثورة، كما في مصر مثلًا، أو اختزلت دورها في العمل التنسيقي وتبادل المعلومات، كما في المراحل الأولى من الثورة السورية، أو برز جزء مهم منها من داخل النظام، كما في ليبيا[15]. لكن لا نرى في أيٍّ من هذه الأطر ما نراه في الثورات الكلاسيكية من بروز تنظيم موّحد يؤطّر إجماعًا شعبيًا، أو حتى التنظيم الفكري الاستراتيجي للثورة عمومًا، كما نرى مثلًا في حزب الوفد، في ثورة عام 1919 في مصر، أو في مسار الثورة الإيرانية (1979)، أو في كثير من مراحل الثورات ضد الاستعمار، مثل بروز منظمة التحرير الفلسطينية إطارًا توحيديًا في الحالة الفلسطينية، قبل مساومات أوسلو (1993)، أو جبهة التحرير الوطني في الحالة الجزائرية.

على الرغم من ذلك، يمكن ملاحظة تسامح الفكر العفوي مع الأحزاب السياسية خلال فترة معيّنة، إذ حصل بعضها على نسبة عالية من الأصوات في الانتخابات، على الرغم من علاقتها المترددة أو المتأخرة أو التابعة للثورات، بينما ظل كثيرون ينظرون إليها على أنها خارج الإطار الحقيقي للعملية الثورية. وقد ظهر ذلك واضحًا في العديد من اللافتات في الشوارع التي كانت حذرة من الأحزاب عمومًا، ففي حين استفادت الأحزاب من الثورة من حيث قدرتها على المنافسة انتخابيًا والتمتع بحرية التعبير، لم يُنظر إلى أيّ منها على أنه يجسد روح الثورة، على عكس التجارب التاريخية السابقة، مثل علاقة حزب الوفد بثورة عام 1919 في مصر. لكنّ الواقع بعد عام 2011 أظهر أنّ بعض الأحزاب لم تفز بالانتخابات إلّا لأن المشهد السياسي بعد الثورة كان منظّمًا حول الأحزاب، ولم تتّضح كيفية التعامل مع المعرفة العفوية، أو كيفية بناء مساحة سياسية تستوعبها.

ثالثًا: الفكر العفوي بعد الثورة

كشفت السياسات الحزبية في مرحلة ما بعد الثورة عن فجوة بين الأيديولوجيا والفكر العفوي لم تكن واضحة من قبل. ومن الأمثلة على ذلك الانتخابات واستطلاعات الرأي العام التي جرت في تونس على مدى عشر سنوات، في الفترة 2011-2021، التي أظهرت أنّ الدعم

15 من أمثلة هذا النوع المتعلق بالتحليل الذي ينطلق من يوميات الثورة الحافلة بالمفاجآت، ينظر:
Rusha Latif, *Tahrir's Youth: Leaders of a Leaderless Revolution* (Cairo: American University in Cairo Press, 2022).

الملتزم للأحزاب لم يتجاوز نصف الأصوات التي فازت بها فعليًا، أو حتى ثلثها. واللافت للانتباه أكثر أنّ نتائج استطلاعات الباروميتر العربي أظهرت أنه، رغم اعتقاد أكثر من ثمانية من كلّ عشرة تونسيين أنّ الديمقراطية هي النظام الأفضل، فإنّ سبعة منهم من بين هؤلاء العشرة يرون في الوقت نفسه أنها تؤدي إلى عدم الاستقرار، وتراجع الأداء الاقتصادي، وضعف القدرة على اتخاذ القرارات[16].

قد تفسر عوامل عديدة هذه المفارقةَ الغريبة، أسهلها وأقلّها إفادة القول إن الجماهير لا تفهم معضلات الانتقال الديمقراطي. وبالفعل كانت هذه النظرة الدونية لما نسمّيه الفكر العفوي من أول التفسيرات التي سمعتها مباشرة في مصر، بدءًا من آذار/ مارس 2011، أي في المراحل الأولى من التفكير في نظام ما بعد الثورة، وبالتحديد بعد أن وافق 77 في المئة من المصريين في استفتاء على دستور موقت للمرحلة الانتقالية، اقترحه المجلس الأعلى للقوات المسلحة الذي كُلّف بإدارة تلك المرحلة. ففي اجتماع حضره عدد كبير من الناشطين في قاعة الصاوي في القاهرة بعد ذلك الاستفتاء، بدأتُ أسمع أقوالًا مفادها أنّ معضلتنا الأساسيّة تكمن في أن نسبة 77 في المئة من الشعب جاهلة، وهو عكس ما كان يُقال عن "الشعب" خلال اللحظة الثورية السابقة لسقوط رأس النظام. ومع ازدياد الاحتقان السياسي، اتّضح لي أنّ هذه النظرة امتدّت إلى بعض الأوساط الأكاديمية أيضًا، خاصة حينما واجهني أحد أعضاء جمعية أكاديمية مصرية خلال مؤتمر حول مسارات الثورة بقوله إن نصف شعبنا "لا يعرف الفرق بين الديمقراطية والملوخية".

تُثبت هذه المواقف الأهمية البالغة لفهم الفكر العفوي، ليس فقط في السياقات الثورية التي نحن نتناولها هنا، بل أيضًا في التعامل مع الظواهر الشعبوية أو الكاريزمية المصاحبة للتغييرات السياسية الكبرى. ففي الحالات الثورية، نلاحظ فرقًا هائلًا بين المسارات اليومية البراغماتية للفكر العفوي وفهم الأحزاب للثورة عمومًا، خاصة في الحالة المصرية. وقد يكمن هذا الاختلاف في أن التجربة المصرية انهارت خلال سنتين بعد الثورة، بينما صمدت التجربة التونسية عشر سنوات. ففي تونس لم يكن للأحزاب مفرٌّ من الدخول في الحوار وبناء التحالفات، على الرغم من المشاحنات؛ ما خفّف من الشعور باستئثار السلطة من طرف واحد وإقصاء الآخرين. وفي هذه الحالة، اقتربت سلطة ما بعد الثورة من أحد أوجه الفكر العفوي عندما يكون ثوريًا. وهو الشعور بوجود إجماع على الثورة، إذ يعبّر الشخص العادي عن هذا الإجماع مباشرة من خلال اندماجه في الثورة، فيُمنَح لهذا الشعور بالإجماع رمز يسمّى "الشعب"، كيان له كلمة موحّدة لا تُخطئ. قد لا يستمر مثل هذا الشعور في البروز تعبيرًا عفويًا إذا لم تقتض الحاجة، لكننا نتوقع له حضورًا قويًّا في الحالات الثورية التي تتطلّب شعورًا بإجماع الإرادة الذي يصبح أشد ضرورة للتغلّب على عدوّ قويّ يسمَّى "النظام".

في المحصّلة النهائية، للأحزاب المنظَّمة والمؤدلجة منطق يختلف جذريًا عن الفكر العفوي. ومن هنا، وبفعل هذا الاختلاف في المنطق، تبرز مع مرور الوقت مسافة ملموسة بين الفكر الحزبي المنظّم الهادف إلى الحكم، والفكر العفوي البراغماتي الذي يسعى إلى إيجاد حلول يومية عملية، والمرتبط بالتقاليد الاجتماعية المتعارف عليها[17]. إنّ بروز هذه المسافة يرتبط ارتباطًا وثيقًا بفهم الانقلاب الدستوري الذي قام به قيس سعيّد، الذي أعدّ له من خلال نقد أهمية الأحزاب، وتقديم نفسه شخصًا من خارج الطبقة السياسية برمّتها، وبعبارة أخرى، باعتباره شخصًا يمثل نهجًا أقرب إلى عفوية المعرفة (التي أعتقد أنها تكمن في جذور الجاذبية الحالية لما نسمّيه "الشعبوية"). وهكذا، يمكننا أن نفهم لماذا لم يواجه سعيّد مقاومة شعبية تُذكر عندما علّق، بضربة واحدة، النظام السياسي القائم على الأحزاب السياسية (وهذا لا يعني أنّ هذا "الإنجاز" سيكون أبديًا، أو أنه كان قدرًا مقدّرًا).

أما في مصر فتبدو الصورة أوضح .فقد فازت جماعة الإخوان المسلمين وحلفاؤها بأربعة انتخابات واستفتاءات متتالية خلال العامين التاليين للثورة، لكنها انهارت بسرعة في العام الثالث، نتيجة انقسامات خطرة داخل الطبقة السياسية في مرحلة ما بعد الثورة، وما تبع ذلك من انتفاضة شعبية، أتاحت للجيش فرصة لاستعادة السلطة. في أعقاب انقلاب عبد الفتاح السيسي (2013)، أخبرني ناخب سابق لجماعة الإخوان المسلمين عن نشاطه في تعبئة عائلته بأكملها للتصويت لمصلحة محمد مرسي عام 2012، ليس لأنه كان عضوًا في الجماعة أو ملمًّا بها، بل لأنه كان يعتقد أن الإخوان كانوا قوّة أخلاقية جديرة بالثقة، "بتوع ربنا"، كما عبّر. لكنّ عامًا واحدًا في السلطة كان كافيًا لتغيير هذه الحكمة العفوية كليًّا.

من المعروف أنّ عوامل خارجية أدّت دورًا مهمًا في تقويض التجربة الديمقراطية في مصر، إلى جانب الثورة المضادة داخليًا التي ساندتها قوى ما يسمّى بـ "الدولة العميقة"، خاصة في بعض الوزارات التي سيطرت على جوانب مهمة في الحياة العامة، مثل الداخلية والكهرباء والتموين. لكن حينما طُرحت هذه النقطة، خلال حوارات عادية في

16 *Tunisia Report 2024*, Arab Barometer VIII, p. 3, accessed on 1/1/2025, at: https://acr.ps/1L9GPnT

17 أطّرت دراسات كثيرة هذه المعضلة في الحياة الحزبية، مثل الدراسة الكلاسيكية لروبرت مايكلز حول الحزب الديمقراطي الاشتراكي في ألمانيا:
Robert Michels, *Political Parties: A Sociological Study of the Oligarchical Tendencies of Modern Democracy* (New York: Hearst's International Library Co., 1915).
نلحظ اليوم وجود العديد من الدراسات والمعطيات التي تشير إلى تزايد عزوف المواطنين في الدول الديمقراطية القديمة، ليس عن الأحزاب فحسب، بل عن النظام الديمقراطي برمّته.

الجدول (1)
نموذجَا المساعدة والولاء

المساعدة الاجتماعية والحركات الحديثة	المساعدة الاجتماعية والسياسات التقليدية
الحركات الاجتماعية ---> الولاء الأيديولوجي	علاقات الدعم الموروثة ---> الولاء الموروث
الحركة الاجتماعية ← العميل/ المستفيد	الراعي/ الزعيم/ وليّ الأمر ↓ العميل/ المستفيد

المصدر: من إعداد الباحث.

مصر، بعد خمسة شهور من الانقلاب، فوجئتُ بإجابات من مؤيدي الانقلاب تقول إنهم يقرّون بذلك، لكنّ الإشكالية الأساسية بالنسبة إليهم تمثلت في أنّ الرئيس مرسي وضع نفسه في موقع المسؤولية، ومن ثمّ كان عليه أن يتعامل مع المؤامرات ويتغلّب عليها.

هنا نلمس جانبًا آخر من الفكر العفوي، ربما يتعدّى الطرح الوصفي المعتاد للعقل التآمري[18]. فالمقولة العفوية لا تقوم فقط على نظرة تسعى للوصول المباشر إلى لبّ الأزمة، من ذلك، مثلًا، اعتبار الساحة السياسية بأكملها صيرورة مؤامرات فحسب، بل تتضمن اقتراحًا لحلّ هذه الحالة المستدامة: إذا وضعت نفسك في موقع المسؤولية عن حال الأمة، فيجب أن تتوقّع المؤامرة وتعمل على إنقاذنا منها. ولا يُعفيك من هذه المسؤولية قولك إنك تواجه مؤامرة؛ لأنّ المؤامرة جزء من طبيعة السياسة. وإن كنت أنت قد طلبت ثقتنا بك رئيسًا للبلاد، فقد افترضنا أنك ذو قدرة على مواجهة المؤامرات، لكنك لم تنجح في هذا الامتحان.

رابعًا: نظرة إلى التقاليد بصفتها مقاومة للتحوّل النيوليبرالي

إضافة إلى التباين بين الأحزاب السياسية بأيديولوجيتها المحددة سلفًا والتعبئة الشعبية التي تتبع طريق المعرفة العفوية، العامل المهم الآخر في هذه القضية هو تراث العصر النيوليبرالي، الذي قوّض في نهاية المطاف الإيمان المتبقي بعهد الضباط الأحرار. ما تبقّى بعد ذلك من وعدهم بـ "الثورة من الأعلى"، كان نظامًا يُنظر إليه على نطاق واسع بوصفه فاسدًا. ومن المهم أن نفهم معنى "الفساد" من منظور المعرفة العفوية، بما يستدعي التمييز بينه وبين أشكال التكيّف المقبولة مع المصاعب اليومية الأكثر شيوعًا بين الفئات الأشد فقرًا. ومن الأمثلة الدالة على ما أشير إليه مظاهرة شهدتُها في آذار/ مارس 2011 في القاهرة، أمام وزارة الداخلية، شارك فيها نحو 200 ضابط شرطة، جرى فصلهم من الخدمة، بسبب تلقّيهم رشاوى قبل الثورة، وذلك في إطار سياسة ما بعد الثورة لمكافحة الفساد. ومع ذلك، طالب هؤلاء الضباط بإعادة توظيفهم، بحجة أنّ الرشاوى التي تلقّوها كانت ضئيلة! (خاصة مقارنة بالموظفين الأعلى رتبةً الذين احتفظوا بمناصبهم).

يتضح من خلال تلك الحادثة المفهوم العفوي للعدالة، الذي أصبح توقعًا طبيعيًا في حياة موظفي الحكومة من ذوي الأجور المتدنّية: فالفساد ليس أيّ سرقة، ولا يشمل ما يُعدّ ضروريًا للعيش. ففي العصر النيوليبرالي، غدا مفهوم الفساد تسمية أخرى لحكومة لم تفعل إلّا القليل من أجل الشعب، وفعلت كل شيء من أجل نخبة من رجال الأعمال متحالفة معها. لقد ترسّخت في هذا العصر علاقات وثيقة بين النخب السياسية والاقتصادية، تجسّد من خلالها انتقال من نخبة قديمة راعية (اكتسبت الولاء بتقديم منافع ملموسة لعملائها)، إلى نخبة نيوليبرالية جديدة (احتكرت الثروة ولم تُعد توزيعها في أيّ اتجاه اجتماعي). وفي المنطقة العربية، بدأ التحوّل النيوليبرالي في وقت أبكر مما شهده بقية العالم[19]؛ إذ يمكن اعتبار سياسة الانفتاح

18 تنقد العديد من المقالات هذا النوع من الفكر الذي ينطلق من فرضية المؤامرة، ويبقى سجينًا لها، لكنّ أغلبها يفتقر إلى التحليل الرصين. من الأمثلة النادرة في هذا السياق مقالة خلدون حسن النقيب (نشرها في أوائل الثمانينيات)، "العقلية التآمرية عند العرب"، التي أعاد نشرها في كتابه: خلدون حسن النقيب، **في البدء كان الصراع: جدل الدين والإثنية: الأمة والطبقة عند العرب** (بيروت: دار الساقي، 1997).

19 للمزيد، ينظر على سبيل المثال: نزيه الأيوبي، **تضخيم الدولة العربية: السياسة والمجتمع في الشرق الأوسط**، ترجمة أمجد حسين (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010).

الجدول (2)
المواقف من الفساد في ليبيا ما قبل الثورة

أسباب الفساد	نسبة مئوية	طرائق التعبير عن عدم الرضا عنه	نسبة مئوية
عدم معاقبة مرتكبي الفساد	**97**	الاتصال بالإدارة المعنية	**21.5**
انخفاض مستويات المعيشة	**86**	الاتصال بالقيادة	**0.2**
القرابة والقبيلة	**80**	الاتصال باللجنة الثورية	**29.3**
إهمال القيم الأخلاقية في المدرسة	**70**	طرح الأمر في اجتماع المؤتمر الشعبي	**12.8**
عدم كفاءة القوانين	**67**	الاتصال بوسائل الإعلام	**4.4**
فشل الأسرة في تعليم احترام قواعد القانون	**38**	التحدث في الأماكن العامة	**0.5**
فشل المسجد في تعزيز قيم مكافحة الفساد	**31**	التحدث فقط مع الأفراد الموثوق بهم	**94.6**
		التزم الصمت	**68.9**
		خيارات أخرى	**23.0**

المصدر: من إعداد الباحث استنادًا إلى المصدر التالي (أجري العمل الميداني عام 2001):

Mabroka al-Werfalli, *Political Alienation in Libya: Assessing Citizen's Political Attitude and Behavior* (Reading: Ithaca Press, 2011).

التي انتهجها السادات في سبعينيات القرن العشرين العلامة الأولى على هذا التحوّل المرتقَب. ومن هذا المنظور، أصبح الفساد في الوعي العفوي للفئات الفقيرة تعبيرًا عمّا فُقد في العصر النيوليبرالي: غياب تقاليد تداول الثروة أو ممارساتها، التي لازمت نخبة الأعيان التي اضمحلّت، أو السياسات الاجتماعية لأنظمة الضباط الأحرار التي تآكلت لاحقًا.

مع مرور الوقت، وبفعل النموّ الديموغرافي الهائل وهيمنة النزعات النيوليبرالية، نشأ فراغ في شبكة الأمان الاجتماعي، ملأته جزئيًا الحركات الإسلامية منذ السبعينيات. كانت لهذه الحركات خبرة سابقة في مجال تقديم الخدمات الاجتماعية، وفي الواقع، بدأت غالبًا، كما حدث في غزة بعد عام 1967، منظمات خيرية، قبل أن تتحوّل لاحقًا إلى هيئات سياسية. غير أن اللغة الإسلاموية كانت ذات قدرة خاصة على التواصل المباشر مع عناصر المعرفة العفوية المتجذرة في الثقافة الشعبية، حتى عندما كانت الحركات الإسلامية المنظمة ذات توجه أيديولوجي حديث. ولم يكن ذلك التباين مهمًا خلال فترة من الوقت، إذ قبل أن تصل هذه الحركات إلى الحكم وتمارس السلطة على أيّ شعب، كان يُنظر إليها أساسًا بوصفها كيانات أخلاقية، "بتوع ربنا"؛ الأمر الذي منحها في العصر النيوليبرالي ميزة الظهور بمظهر القوى المحصّنة ضد الفساد. على أن الفساد لم يكن يقتصر على الرشوة البسيطة؛ فهذه كانت أمرًا متوقعًا وشائعًا، بل تمثّل في غياب تداول الثروة، وهو ما كان يُعدّ القاعدة في العلاقات الرعوية الباتريمونيالية التي نادرًا ما كان يُنظَر إليها على أنها "فاسدة".

إلى جانب "الفساد" النيوليبرالي الذي أعقب عهد الضباط الأحرار الذين يُعدّون من الموثوق بهم سابقًا، برز عامل آخر أضفى أهمية متزايدة على الفكر العفوي خلال ما يسمَّى بالعصر العربي المظلم (1974-2011)[20]، وهو انهيار جميع مصادر الثقة الاجتماعية تقريبًا، باستثناء تلك التي يمكن اعتبارها "تقليدية". فقد بدأت في تلك الحقبة مصادر الثقة التقليدية، التي كانت تؤدي سابقًا دورًا هامشيًا، أو تمثّل آلياتِ دعمٍ خلفية للحياة اليومية، تكتسب أهمية متعاظمة بوصفها الملاذ الأخير للدعم في بيئات معزولة ومنفصلة عن الدولة، لم تعد ترى في مؤسساتها فائدة تُذكَر.

ومن الأمثلة الجيدة على ما أشير إليه دراسة استقصائية نادرة أُجريت في ليبيا قبل اندلاع الثورة بعشر سنوات، تناولت أسباب "الفساد"

20 "العصر المظلم" هو موضوع مشروع منفصل لا يزال يتطور. ولأغراض البحث هنا يمكن تعريفه بوجود رغبة اجتماعية واسعة في التغيير، في وضع تتسم الأنظمة فيه بأنها "مستقرة" ومصممة على مقاومة أيّ تغيير.

وأنماط الاستجابة له. من بين الأسباب الكثيرة المذكورة، كان السببان الأقل حضورًا في إجابات المستجيبين هما الأسرة والمسجد؛ أي أقرب مصادر الثقة إليهم، وكذلك المصادر التي جسّدت العناصر الأساسية لما نسمّيه التقاليد. والأهم من ذلك أن قائمة مصادر الفساد تضمّنت القبيلة، في إشارة إلى ضعفها في ذلك الوقت بوصفها مؤسسة اجتماعية، إلى جانب عوامل أخرى، من قبيل تدنّي مستويات المعيشة ورداءة التعليم وقصور المعايير القانونية. أما فيما يتعلق بطرق التعبير عن عدم الموافقة على الفساد فقد كانت الإجابات الأكثر شيوعًا لافتة في دلالتها: إذ جاءت الردود الأقل رواجًا تلك التي لها علاقة بالاتصال بالسلطات أو بوسائل الإعلام، بينما فضّل معظم المشاركين التحدث إلى أفراد يثقون بهم أو التزام الصمت تمامًا. وهكذا نرى أن المعرفة العفوية تكتسب صدًى لأنها تتماشى بطبيعتها مع القريب والمألوف، وتبقى على مسافة من المؤسسات الرسمية. وقد دخل معظم الناس مرحلة الثورة بالعقلية نفسها.

خامسًا: المعرفة العفوية بصفتها تقاليد تجريبية

عندما نتحدث عن التقاليد الاجتماعية باعتبارها أحد مصادر الإرشاد للفكر العفوي، فإننا نعني بها نهجًا عمليًا للحياة، لا تفسيرًا مدرسيًا لها. وهذا الاختلاف مهمّ، خاصةً حين نتناول الفكر العفوي بوصفه ممارسة شعبية. فمن يشعر بالحاجة إلى تفسير التقاليد تفسيرًا مدرسيًا، هو في نهاية المطاف شخص لا تربطه بها علاقة عفوية؛ إذ إن التقاليد بالنسبة إليه موضوع يتطلّب التفسير أو التبرير أو التحقق أو الإحياء، أو لأيّ فعل آخر غير كونها موردًا متاحًا للاستخدام الفوري. في كلتا الحالتين، يظل مفهوم التقاليد قائمًا بوصفه وسيلة لتخيّل التماسك الاجتماعي، كما هو أو كما ينبغي له أن يكون.

قد تنطوي التقاليد الشعبية، بطبيعة الحال، على مختلف أشكال علاقات القوة. لكن إلى الحد الذي تبدو فيه التقاليد طبيعية بالنسبة إلى الشخص الذي يلتزم بها، لا مفروضة عليه قسرًا، فإنها تعبّر عن طوعية الحياة. في هذه الحالة، تكون التقاليد قابلة للاستخدام بديلًا من التنظيم الرسمي للحياة الذي تمارسه الدولة عبر القانون. وإلى الحد الذي يتطلّب فيه قانون الدولة الطاعة بالإكراه أو الشرطة أو السجن، أو أيّ آلية أخرى للعقوبة، فلا بد من التمييز بينه وبين التقاليد في شكلها البدهي والطوعي (وهنا يجب الانتباه إلى أننا نتحدث عن التقاليد المقبولة طوعيًا بعامةٍ، لا تلك التي تُرفض، ومن ثمّ تتطلّب استخدام العنف؛ فحضور العنف يشير إلى تحوّل اجتماعي وإلى بروز معارضة للتقاليد من داخلها، وهو ما يعني فقدانها مكانتها بوصفها دليلًا على الإجماع الاجتماعي المقبول).

هنا يكمن الفرق الجوهري بين التقاليد في شكلها الطوعي وقانون الدولة، حتى عندما يزعم بعضهم أن قانون الدولة يستند إلى التقاليد الاجتماعية؛ وذلك لأن التقاليد عندما تتطلّب قانون الدولة كي يتم الالتزام بها، فإن هذا يشير إلى أنها لم تعد معيارًا مقبولًا طوعيًا، بل أصبحت تستند إلى الإكراه؛ وهو ما يعني أنّ التقاليد فقدت مكانتها بوصفها تعبيرًا عن إجماع اجتماعي واضح. وكذلك عندما تزعم الدولة، خدمةً لمصلحتها الخاصة المتمثلة في إضفاء الشرعية على قانونها، أن تشريعاتها تستند إلى التقاليد الشعبية، فإنّ الهدف من هذا الادعاء ليس حماية ما يمكن أن يستمر من دون تدخّل الدولة، بل تعزيز شرعية القانون ذاته. وبهذا المعنى، يجب أن ننظر إلى القانون والتقاليد بوصفهما متضادَّين لا متكاملَين[21]، خلافًا لما يزعمه بعضهم خطأً: فقانون الدولة يرتبط دائمًا بإمكانية الإكراه، في حين تظل التقاليد الشعبية مصدرًا للتواصل الاجتماعي ما دامت تحتفظ بطابعها الحميم الذي لا يحتاج إلى قوة قسرية للحفاظ عليه. ويُعدّ لجوء المجتمع إلى العنف أو إلى سلطة الدولة لضمان استمرار التقاليد دليلًا على ذبولها وفقدان طابعها العفوي. ففي شكلها القسري القانوني، تفقد التقاليد صلتها بالمعرفة العفوية، وتتحوّل في الواقع إلى نقيضها.

إلى جانب ارتباط الفكر العفوي بالأبعاد الحميمة وغير القسرية للتقاليد العادية، فهو يمثّل أحد أساليب تصور شكل "الشخص العادي"، وبمعنى آخر، هو أيضًا طريقة للحكم على ما ليس "عاديًا". وليس الهدف بالضرورة دائمًا معاقبة الانحراف، بقدر ما هو في محاولة إيجاد طرائق للتفاوض معه. ولأغراض هذا التحليل، أي لفهم كيفية ارتباط الفكر العفوي بالحركات السياسية، من المهم التوقف عند العلاقة بين الفكر العفوي وظواهر مثل "الكاريزما" في العصر الحديث، حين سعى الشخص العادي للخلاص على أيدي سلطة تَصوَّرها قريبةً منه، وفي الوقت نفسه غير عادية، ومحبوبة بما يتجاوز المقاييس العادية، لأنها تمنحه شعورًا بالقوة غير العادية التي يحتاج إليها في لحظة نضال كبير. ويكمن الميل إلى الكاريزما في ما نسمّيه اليوم "الشعبوية". والفرق المهم بين الظاهرتين يتمثل في أنّ الزعيم

21 من اللافت في هذا السياق ما قاله حسن الترابي عن عدم قدرة قوانين الدولة وحدها على تعريف العلاقات الاجتماعية أو تحديدها وضبطها، مع تأكيده "التمييز بين ما هو أخلاقي وما هو قانوني"، ويضيف: "القانون ليس الوسيلة الوحيدة للضبط الاجتماعي. فالمعايير الأخلاقية والضمير الفردي - على الرغم من خصوصيتها - عناصر مهمة للغاية في عملية الضبط الاجتماعي". ومن هنا، يشدّد الترابي على أن "المجتمع - لا الدولة - هو المؤسسة الأولى في الإسلام"، وأن وظيفة الإسلام لا يمكن أن تقتصر على الحكم. ينظر: حسن الترابي [وآخرون]، **حوارات في الإسلام: الديمقراطية، الدولة، الغرب** (بيروت: دار الجديد، 1995)، ص 41، 43.

الكاريزماتي، كما تجلّى في العصور المناهضة للاستعمار، كان يبدو كأنه يمثّل إجماع المجتمع، بينما يمثل الزعيم الشعبوي اليوم شخصية مثيرة للانقسام، يرفضها بوضوح جزء كبير من المجتمع[22]. غير أنّ النوعين من الزعماء، الكاريزميين والشعبويين، يمكن أن يتوافق كلٌّ منهما بطريقته مع أحد عناصر الفكر العفوي، وهو أنّ مثل هذا الزعيم يمنح الشخص العادي شعورًا بالقوة التي يحتاج إليها في أوقات الضعف المتخيّل أو الحقيقي. لكن لا يمكن اعتبار الخبرات الكاريزمية أو الشعبوية الديماغوجية مرافقات ضرورية للفكر العفوي، بل قد تتوافق معه مؤقتًا، إلى الحد الذي يجعلنا ندرك حاجة الشخص العادي إلى مصادر أخرى للقوة تقع خارج نطاق قدرته الذاتية.

ويظهر، من منظور تاريخي، أنّ علاقة تبدو غير قابلة للانفصام، بين الشخص العادي والزعيم القويّ، قد تنشأ في أوقات الأزمات الحادة، فحسب، مع بروز ديمومة أكثر لهذه العلاقة في الحالة الكاريزماتية مقارنة بالحالة الشعبوية[23].

ففي مثل هذه الظروف، يقف الزعيم القويّ محلّ الشخص العادي، مضيفًا إليه القوة في أوقات الحاجة الماسّة إليها. وحتى في هذه الحالة، تميل المعرفة العفوية إلى تصوير الزعيم القويّ باعتباره تجسيدًا مثاليًا للشخص العادي، صادقًا في معتقداته، مُحَصّنًا ضدّ الفساد، بسيطًا في حياته، أبًا حنونًا، ويمكن التسامح معه حتى بعد فشله (مثل جمال عبد الناصر بعد نكسة عام 1967) إلى الحد الذي يُفترض فيه أنه يعمل من أجلنا بحسن نيّة.

تُظهِر انتفاضات عام 2011 وما بعدها أنّ الفكر العفوي قد خرج فعلًا من عصر الكاريزما، على الرغم من أنه لا يزال عرضة في بعض الأحيان لانفجارات قصيرة الأمد من الشعبوية (صدام حسين، وعبد الفتاح السيسي، وقيس سعيّد): ديماغوجية، انقسامية، تفتقر إلى الصدقية الكافية لتشكيل إجماع اجتماعي. والأهم من ذلك من الناحية الاجتماعية، أننا شهدنا رفضًا شبه شامل لجميع النخب، وهو ما تجلّى بوضوح أكبر في موجة احتجاجات عام 2019 في لبنان والجزائر والعراق، وحتى السودان. ففي جميع هذه الحالات، عبّر الشارع صراحة عن معارضته لجميع النخب المعروفة، بمن في ذلك السياسيون من مختلف الأطياف والأحزاب السياسية. ومع ذلك، كان الاستثناء الوحيد لهذا الرفض شبه الشامل للنخب هو "التكنوقراطية". ففي هذه السياقات، كانت الاستجابة النموذجية للمحتجين للسؤال: من يجب أن يحلّ محل هيكل السلطة القائم؟ تتمثل في تشكيل نظام انتقالي برئاسة حكومة تكنوقراط.

إذًا، ما التكنوقراطية من وجهة نظر المعرفة العفوية؟ ببساطة، إنها أحد أشكال الخبرة التي لا يمتلكها الشخص العادي، والتي لا تزال ضرورية لإدارة البلاد، ويمكن الوثوق بها لما يُفترض عن طبيعتها غير السياسية أو الحيادية سياسيًا. إنها مجال الخبرة الفنية البحتة، أي الجزء الوحيد المتبقّي من ثقافة النخبة الذي لا يزال من الممكن الوثوق به. وهنا يكمن مرة أخرى التوجّه البراغماتي للفكر العفوي: فلم نشهد بعد حكمًا للتكنوقراطيين (ربما لأن الساسة كانوا دائمًا يقفون في طريقهم). لكن هذا النوع من الخبراء قد يُرفَض أيضًا لاحقًا، عندما تدرك النظرة العفوية تعالِي الخبراء أو ابتعادهم عن الفطرة السليمة[24]. وقد تجلّى ذلك بوضوح مع التكنوقراطيين Los Científicos في المكسيك حينما أداروا عملية تحديث البلاد بأسلوب فوقي، قبل اندلاع الثورة المكسيكية عام 1910.

سادسًا: عندما تصبح المعرفة العفوية مقاومة

أخيرًا، تُعدّ غزة، بوصفها موقعًا للمعرفة العفوية، من أكثر مناطق العالم كثافة سكانية، يسودها الفقر ويشكّل اللاجئون منذ عام 1948 الغالبية العظمى من سكانها. يعيش هؤلاء تحت احتلال خانق منذ عام 1967، وحصار أشد خنقًا منذ عام 2005. فلم يكن انفجار هذا المكان، في تشرين الأول/ أكتوبر 2023، مفاجئًا من حيث وقوعه، فحسب، بل من حيث الوقت الذي استغرقه حتى ينفجر.

22 لتحليلٍ تاريخي لظاهرة الكاريزما في الحركات المناهضة للاستعمار، والفرق بينها وبين الشعبوية كما نراها اليوم، ينظر:
Mohammed Bamyeh, "The Rise and Fall of Postcolonial Charisma," *Arab Studies Quarterly*, vol. 45, no. 1 (2023).
من المهم إضافة نقطة، وهي أن رفض جزء كبير من المجتمع للزعيم الشعبوي (بخلاف الزعيم الكاريزمي التاريخي) لا ينفي بل يُثبت فوز بعض السياسيين الشعبويين في الانتخابات، خاصة عندما نلاحظ الفرق القليل بين أصواتهم وأصوات منافسيهم. لا نرى سوى استثناءات قليلة لهذه الظاهرة، مثل هنغاريا والسلفادور، وكلتاهما تمثّل حالات خاصّة تحتاج إلى تحليل منفصل، يتعدّى أهداف هذه الدراسة.

23 هناك وفرة من الدراسات حول الشعبوية الحديثة، لكنها خارج السياق العام لنقاشنا هنا، الذي يتعلّق بنقطة عابرة حول الفرق بين الحالة الشعبوية والحالة الكاريزمية، التي يعالجها المرجع السابق بقدر من الاستفاضة.

24 يمكننا الإشارة إلى كتاب نعتقد أن مجادلاته مهمة في هذا السياق، وهو كتاب الفيلسوف إيريك فروم:
Erich Fromm, *The Revolution of Hope: Toward a Humanized Technology* (New York: Harper & Row, 1968);
وعن التكنوقراط وتأثيرهم في الحكم وثقة المواطنين، ينظر مثلًا:
Francesco Antonelli, *Technocratic Politics: Beyond Democratic Society?* (London/ New York: Routledge, 2023); Daniele Caramani, "Will vs. Reason: The Populist and Technocratic Forms of Political Representation and Their Critique to Party Government," *The American Political Science Review*, vol. 111, no. 1 (2017).

هنا أيضًا، تصبح المعرفة العفوية ضرورة مطلقة للبقاء، وأمثلتها كثيرة، وسأكتفي بالتركيز على المصدر الوحيد ذي الصلة بمناقشتنا للتقاليد في سياق هذا البحث. فقد كانت مصاعب الحياة في غزة، خلال العقود القليلة الماضية، التي تضمّنت مستويات بطالة مرتفعة جدًا، تعني أنّ الشخص الذي يعمل كان مؤمنًا بضرورة عدم تعرّض أيّ فرد من الأسرة الممتدة للجوع. وكانت النتيجة الطبيعية لذلك تعزيز مكانة الأسرة الممتدة بصفتها مؤسسة دعم أخيرة؛ إلى جانب ذلك، أدّت الجمعيات الخيرية والإسلامية دورًا مهمًا، وكلتاهما عززت حركة المجتمع نفسها نحو رؤية محافظة، لا تُفهَم هنا باعتبارها أيديولوجيا متقنة، ولا مقاومة عنيدة للفوائد (غير المتاحة بأي حال) للتقدم أو الحداثة، لكن باعتبارها بوصلة أساسية للبقاء. وخلال العقدين الماضيين، بين الاحتلال الإسرائيلي الثاني عام 1967، وتأسيس حركة المقاومة الإسلامية "حماس" عام 1987، يمكن ملاحظة هذه النزعة المحافظة المتزايدة من خلال واقع تمثّل في أنّ بناء المساجد فاق الزيادة السكانية بمقدار 1.6 مرة. وعام 2006، فازت حماس في الانتخابات الفلسطينية الأخيرة المسموح بها، للسبب نفسه الذي دفع الناس في مصر وتونس بعد الثورة إلى التصويت لمصلحة المنظمات الشقيقة: أولئك كانوا أشخاصًا قريبين من الله، أي قريبين منّا (وهنا يجب التذكير بأن فوز حماس، على الرغم من ارتباطه برفض متنامٍ في المجتمع الفلسطيني لاتفاقية أوسلو، كان أيضًا مرتبطًا برفضٍ أشد للفساد في السلطة الفلسطينية). بمعنى آخر، يظل الفكر العفوي، على الرغم من أنه واقعي وتجريبي، يميل دائمًا إلى تفضيل ذلك الذي يكون قريبًا منه في المعاناة المجرّبة، ودافئ الإحساس كاليومي والمألوف، حتى وإن كان يفتقر، كالإنسان المعدم، إلى الخبرة في السياسة العليا، وإن كان لا علاقة له بذلك البعيد، بارد القلب، وغير مهتم بالحياة.

ننهي هذه الدراسة بالحديث عن أبرز مثال لدور الفكر العفوي في روح الثورة، وهو الحدث الذي أطلق شرارة كل الثورات العربية، وتمثّل في إحراق محمد البوعزيزي لجسده في مدينة سيدي بوزيد التونسية، في 17 كانون الأول/ ديسمبر 2010[25]. من هذه النقطة، انطلقت ثورات هائلة، بلا موارد، وبلا هوادة. لم يكن لها رموزٌ أو أيديولوجيا واضحة، وعبّرت عن استمرارية توقعات قديمة للمواطنة والمشاركة، وهي التوقعات التي يتم اكتشاف طبيعتها البدهية وشكلها النقيّ مرة أخرى بعد أن جرى إخفاؤها في لغة خطاب نخبوي أو متعالٍ. وهكذا حينما أضرم البوعزيزي النار في جسده، ثم في البلاد كلها، لم يكن يدرك تمامًا ما كان سيمثّله رمزيًا، وهو عودة المظالم إلى الأرض والتعبير عنها بأكثر الطرائق الدنيوية الممكنة، ليس تلميحًا، وليس إعادة تمثيل لصراع أزلي بين الخير والشر، وليس تعبيرًا عن أيديولوجيا حزبية أو دينية، بل كان تعبيرًا إنسانيًا عن المعاناة والاحتجاج؛ الأمر الذي نفى الحاجة إلى الدخول في جدال حول الأفكار والأيديولوجيات والأنظمة السياسية والمسار الصحيح للعمل، والتكتيكات والاستراتيجيات، وما إلى ذلك. لقد رفض البوعزيزي مصيره، وأنهى حياته علنًا وبطريقة مروعة. لكن قبل ذلك، كان قد اتّبع كل الوصفات المعتادة للبقاء حيًّا بحيّز من الكرامة؛ فقد تلقّى تعليمًا، وعاش وفقًا للقواعد، ولم ينتمِ إلى أي حزب، ولم يزعج أحدًا، واجتهد في العمل، وبقي راضيًا بالحد الأدنى من الحياة، حتى انتُزع منه ذلك. لقد رُويت قصته مرارًا وتكرارًا، وكانت خلاصة معناها الأخلاقي بسيطة للغاية: لم تكن المقاومة خياره الأول، فقد سعى أولًا لجميع الخيارات الأخرى. ثم بدت كل الأبواب والإمكانيات مغلقة، تمامًا مثل انغلاق النظام الذي قبع تحته طوال حياته. إن تعبيره عن شكل مأساوي رفيع من الشعور الجماعي يتجلّى في الطاقة العاطفية الهائلة التي اجتاحت البلاد بأكملها بسرعة، وجعلت من المستحيل على أيٍّ كان أن يشعر بأنّ الحياة يمكن أن تستمر كما كانت من قبل. هنا تبدأ الثورة: عند النقطة التي لا يبدو فيها فعل إضرام النار في الجسد بمنزلة تعبير عن مرض نفسي، بل هو فعل يمكن أن يتوافق معه أيّ فكر عفوي.

25 أعيدت صياغة المقتطف التالي من أولى المقالات عن تلك الثورات، التي ظهرت أولًا مدونة على موقع **جدلية**، في كانون الثاني/ يناير 2011، ثم أُعيد نشرها لاحقًا. ينظر:
Mohammed Bamyeh, "The Tunisian Revolution: Initial Reflections," in: Bassam Haddad, Rosie Bsheer & Ziad Abu-Rish (eds.), *The Dawn of the Arab Uprisings: End of an Old Order?* (London: Pluto Press, 2012).

المراجع

العربية

الأيوبي، نزيه. **تضخيم الدولة العربية: السياسة والمجتمع في الشرق الأوسط**. ترجمة أمجد حسين. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010.

العلي، عماد. "الثورة بين الأهداف الواقعية والمضامين المعيارية"، **سياسات عربية**، مج 13، العدد 74 (أيار/ مايو 2025).

بامية، محمد. **نظام بلا سلطة: المفهوم الأناركي للنظام الاجتماعي**. بيروت: دار جسور، 2024.

بشارة، عزمي. **في الثورة والقابلية للثورة**. ط 3. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

الترابي، حسن [وآخرون]. **حوارات في الإسلام: الديمقراطية، الدولة، الغرب**. بيروت: دار الجديد، 1995.

النقيب، خلدون حسن. **في البدء كان الصراع: جدل الدين والإثنية: الأمة والطبقة عند العرب**. بيروت: دار الساقي، 1997.

الأجنبية

Aboubakr, Randa et al. (eds.). *Spaces of Participation: Dynamics of Social and Political Change in the Arab World*. Cairo: American University in Cairo Press, 2021.

Al-Werfalli, Mabrouka. *Political Alienation in Libya: Assessing Citizen's Political attitude and Behavior*. Reading: Ithaca Press, 2011.

Antonelli, Francesco. *Technocratic Politics: Beyond Democratic Society?* London/ New York: Routledge, 2023.

Berger, Helge & Mark Spoerer. "Economic Crises and the European Revolutions of 1848." *The Journal of Economic History*. vol. 61, no. 2 (2001).

Berger, Peter L. & Thomas Luckmann. *The Social Construction of Reality*. New York: Anchor, 1967.

Caramani, Daniele. "Will vs. Reason: The Populist and Technocratic Forms of Political Representation and Their Critique to Party Government." *The American Political Science Review*. vol. 111, no. 1 (2017).

Haddad, Bassam. "Anarchist Method, Liberal Intention, Authoritarian Lesson: The Arab Spring between Three Enlightenments." *Constellations*. vol. 20, no. 2 (2013).

_____. *Lifeworlds of Islam: The Pragmatics of a Religion*. New York: Oxford University Press, 2019.

_____. "The Rise and Fall of Postcolonial Charisma." *Arab Studies Quarterly*. vol. 45, no. 1 (2023).

Haddad, Bassam, Rosie Bsheer & Ziad Abu-Rish (eds.). *The Dawn of the Arab Uprisings: End of an Old Order?* London: Pluto Press, 2012.

Fromm, Erich. *The Revolution of Hope: Toward a Humanized Technology*. New York: Harper & Row, 1968.

Garfinkel, Harold. *Studies in Ethnomethodology*. New York: Polity, 1991.

Kropotkin, Peter. *The Conquest of Bread*. London: Penguin, 2015 [1892].

Latif, Rusha. *Tahrir's Youth: Leaders of a Leaderless Revolution*. Cairo: American University in Cairo Press, 2022.

Michels, Robert. *Political Parties: A Sociological Study of the Oligarchical Tendencies of Modern Democracy*. New York: Hearst's International Library Co., 1915.

Sandel, Michael J. *Democracy's Discontent: A New Edition for Our Perilous Times*. Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press, 2022.

Schutz, Alfred. *Der sinnhafte Aufbau der sozialen Welt*. Vienna: Springer, 1932.

Shorter, Edward. "Middle-Class Anxiety in the German Revolution of 1848." *Journal of Social History*. vol. 2, no. 3 (1969).

Tunisia Report 2024. Arab Barometer VIII. at: https://acr.ps/1L9GPnT

Received التسلم 2024-7-27
Revised التعديل 2025-2-23
Accepted القبول 2025-4-15
DOI المعرف الرقمي https://doi.org/10.31430/NBMN1082

نبيل فازيو | Nabil Faziou*

العدل وأزمة "النظرية السياسية" في الفكر السياسي العربي المعاصر: في الحاجة إلى التسويغ

Justice and the Crisis of "Political Theory" in Contemporary Arab Political Thought: The Need for Justification

تتناول هذه الدراسة أحد تجلّيات أزمة النظرية السياسية في الفكر السياسي العربي المعاصر، من خلال تناول مكانة مفهوم العدل فيها، وتحليل الطرائق التي سلكها بعض المنظّرين في بناء رؤيتهم السياسية في ضوء صلتها بهذا المفهوم. وتبرز الدراسة أهمية المنظور الفلسفي وحاجة الفكر السياسي إليه، لمواجهة بعض مظاهر تلك الأزمة وبلورة فهم معقول لها. أما الأطروحة الرئيسة التي تدافع عنها، فتكمن في ضرورة انتقال تفكيرنا في قيمة العدل من مستوى المنظور المتعالي المجرّد، الذي يحصرها في سؤال ماهوي وجوهري، إلى التساؤل عن الكيفية التي تصير بها هذه القيمة جزءًا من الثقافة الأخلاقية والسياسية في الفكر العربي؛ وهذا يستلزم الاعتراف بنسبية مفهوم العدل وارتباطه بالسياق الثقافي العربي، بما يعنيه ذلك من إبراز حاجتنا إلى مفهوم التسويغ وآليته في بناء تصوّرنا.

كلمات مفتاحية: التسويغ، العدالة، النظرية السياسية، الفكر السياسي العربي.

This study addresses a manifestation of the crisis within contemporary Arab political theory by examining the status of justice and analyzing the methodologies employed by selected theorists in constructing their political visions relative to this concept. We highlight the importance of a philosophical perspective and the imperative for political thought to confront aspects of this crisis. The central thesis defended here posits the necessity of shifting the discourse on justice from an abstract, transcendental perspective, often encapsulated by the question, what is justice? towards a relative vision. This alternative vision considers how justice, as a value, becomes embedded within Arab moral and political consciousness. Such a reorientation requires recognizing the significance of justice, its cultural contextualization, and its integral relationship with the concept of justification.

Keywords: Justification, Justice, Political Theory, Arab Political Thought.

* أستاذ الفلسفة السياسية، جامعة الحسن الثاني، المغرب.
Professor of polical philosophyPolical Philosophy, University Mohamed V, Rabat, Morroco.
Email: philofaziou_nabil@hotmail.com

مقدمة

إنّ انفتاح المفكّرين العرب على المرجعيات الفكرية السياسية الغربية، الحديثة والمعاصرة، مكّنهم من تعميق وعيهم النقدي بمختلف أبعاد مفهوم العدل وتوتراته في سياق الفكر الفلسفي المعاصر[1]؛ إذ أفادهم ذلك في بلورة فهم نقدي لهذا المفهوم، فتح الباب أمام فهم أكثر دقّة وعمقًا لأزمة الفكر السياسي العربي[2]. ويصعب أن نرجع تلك الأزمة إلى التقابل الحاصل بين المرجعيتَين الغربية والتراثية في ذهن المفكرين العرب فحسب[3]، كما يصعبُ أن نردّها إلى ضعف وعيهم بالصعوبات التي يطرحها الطابع المركّب للمجتمع العربي على فهمنا لمشكلته السياسية[4]، أو إلى جدّة الأحداث التي شهدها العالم العربي منذ نهاية القرن التاسع عشر، ما دام مفكرو الإصلاح لم يتردّدوا في تطوير جهازهم المفهومي ليغدو أقدر على استيعاب جدّة الأحداث والأفكار المتمخضة عنها[5]. ويصعب أن نرجع أزمة النظرية السياسية إلى ضعف دورها في بناء وعي سياسي يستجيب لمتطلّبات الراهن وأسئلته الملحّة، ما دام أنّها تبقى، كغيرها من النظريات، إطارًا تفسيريًا مَحكومًا بنفَس معياريٍ، ينطلق من الواقع لاستشراف ما يمكن أن يكون، أو "ما يجب أن يكون"[6]، من دون أن يعني ذلك أنّ النظرية السياسية ليست أكثر من تصوّر فكري متناغم، يسبح في فضاء الفكر، في انقطاعٍ تام عن الواقع، وهي تبقى نتيجة انهمام بواقع سياسي محدّد، وهذا ما يحدّ من إمكانية تعميم "قوانينها" و"تفسيراتها"، ويجعلها رؤيةً مقرونة بـ "سياقات" فريدة وخاصّة.

ليس غرضنا من هذه الدراسة عرض ما ألّفه المفكرون العرب، قديمًا وحديثًا، في موضوع العدل، ولا تقديم صورة عامة عن تيّارات فلسفة العدالة في الفكر السياسي والأخلاقي المعاصر[7]. ثمّ إننا لا نرمي الفكر العربي وتراثه بالقصور عن بلورة تصوّر معقول عن مفهوم العدل[8]، إنما نقصد من هذا البحث التنبيه إلى بعض المعوّقات المعرفية التي ما زالت تعترض فهمنا له، في ضوء نظرية سياسية متجاوبة مع متطلّبات الواقع؛ وهي عوائق غير منفصلة عن الصعوبات التي ما انفكت تستوقف تطوير النظرية السياسية في الفكر السياسي العربي. لذلك يمثّل التفكير في "أزمة"[9] هذه النظرية ومفهوم العدل في الفكر العربي المعاصر مناسبةً للتساؤل عن الدور النقدي والتأسيسي الذي يمكن أن تنهض به الفلسفة السياسية في مثل هذا السياق[10]، وهو دور يتجاوز رسم صورة مثالية عن العدل والدولة العادلة، ويسعى لبناء منظور نقدي وتركيبي، يلحظ صلة هذا المفهوم بآلية التسويغ ومفعولها المعياري والثقافي[11]، وهو عينه المنظور الذي نعتقد أنّ النظرية السياسية في العالم العربي اليوم في حاجة إليه. فبأي معنى، وفي أيّ سياقات، يكون الانشغال العربي بمفهوم العدل تجليًا من تجلّيات أزمة النظرية السياسية في الفكر العربي المعاصر؟ وكيف تقاطع المنظوران التراثي والمعاصر في التصوّر العربي لهذا المفهوم؟ وما علاقته بالتسويغ ومنظوره السياقي؟ وكيف يمكن أن تفيد منه النظرية السياسية العربية في سياق مقاربتها واقع العدل وأسئلته؟ باختصار، تحاول هذه الدراسة الإجابة عن هذه الأسئلة في مسعى منها لمقاربة مفهوم العدل وتجلّياته في النظرية السياسية العربية.

أولًا: في معوّقات التفكير العربي في العدل

يصعب أن نقارن ما ألّفه الباحثون العرب المعاصرون في موضوع العدل بما نلفيه عند نظرائهم الغربيين. وقد يدفعنا النّفَس التأريخي والمدرسي للكثير من الدراسات الغربية إلى الاعتقاد أنّها لا تتجاوز مستوى تلخيص أبرز نظريات الفلاسفة - منذ أفلاطون وأرسطو، وصولًا إلى جون رولز وويل كيمليكا ونانسي فرايزر - وأنها لهذا السبب عينه لا تختلف عن معظم التأليف العربي في موضوع العدل، الذي هو، إلّا فيما ندر، أقرب إلى التلخيص والشرح منه إلى

1 Will Kymlicka, *Les théories de la Justice: Une introduction* (Paris: La découverte, 2003).

2 رضوان السيد، **سياسات الإسلام المعاصر: مراجعات ومتابعات** (بيروت: دار الكتاب العربي، 1997)، ص 279.

3 أوليفر شاربروت، **محمد عبده: الإسلام الحديث وثقافة الالتباس**، ترجمة طارق غانم (بيروت: نماء، 2023)، ص 224.

4 عزمي بشارة، **مقالة في الحرية** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص 150.

5 محمد عابد الجابري، **المشروع النهضوي العربي: مراجعة نقدية**، ط 5 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016)، ص 58.

6 Hans Kelsen, *Théorie pure du droit* (Bruxelles: Bruylant, 1999), p. 73.

7 يمكن أن يرجع القارئ في خصوص هذا الموضوع، إضافة إلى كتاب ويل كيمليكا **نظريات العدالة** الذي أفرده للتيارات الفلسفية المعاصرة خاصة، وعليه اعتمد بعض المفكرين العرب الذين سنأتي على مناقشة تصورهم، إلى كتاب: صمويل فريدمان، **اتجاهات معاصرة في فلسفة العدالة: جون رولز نموذجًا**، ترجمة فاضل جتكر (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015). وفيما يتعلق بتاريخ مفهوم العدالة، نقترح الرجوع إلى كتاب: ديفد جونستون، **مختصر تاريخ العدالة**، ترجمة مصطفى ناصر، سلسلة عالم المعرفة 387 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2012).

8 سبق أن تناولتُ المفهوم التراثي للعدل، خاصة في بعدَيه السياسي والأخلاقي، ينظر: نبيل فازيو، **العدالة والعدل: مساهمة في تفكيك بارادايم الملك في الإسلام الكلاسيكي** (بيروت: مؤمنون بلا حدود، 2019)؛ ينظر أيضًا:

Nabil Faziou, "La justice dans la pensée politique islamique," in: Sarhan Dhouib & Mongi Serbaji (dir.), *La Justice dans une perspective transculturelle* (Paris: L'Harmattan, 2024), p. 81.

9 بشأن أزمة الفكر السياسي العربي، ينظر: رضوان السيد وعبد الإله بلقزيز، **أزمة الفكر السياسي العربي** (بيروت: دار الفكر المعاصر، 2006).

10 Norberto Bobbio, *Teoria general de la politica* (Madrid: Trotta, 2009), p. 93.

11 Rainer Forst, *Justification and Critique* (Cambridge: Polity Press, 2014), p. 41.

التأصيل النظري[12]. غير أنّ استدعاء تاريخ النظريات الفلسفية في العدل، عند الفلاسفة الغربيين المعاصرين، بقي يشكّل جزءًا من استراتيجية تفكير نقدي في الواقع السياسي، ويعبّر عن رغبة في تطوير النظرية السياسية وجعلها أقدر على فهم موضوعها وبناء منظور نقدي يساعد في توجيه الوعي السياسي. لذلك اقترن هذا الضرب من التأريخ للعدل باستشكالٍ لمضمونه وشروط التفكير فيه، فأمست كل دراسة عنه محاولةً تسعى لإعادة بناء مفهومه في ضوء رؤية معيّنة إلى السياسة والعيش المشترك[13]. وغدا التفكير في العدل، مع المفكرين الغربيين، خطوةً في طريق بناء النظرية السياسية، وجعلها أكثر قدرة على استيعاب الواقع السياسي ومتغيّراته، لذلك تزجّ بنا كتاباتهم في معمعة النقاشات السياسية العمومية، وما ينتظمها من صراع وتساؤلات بشأن مستقبل العيش المشترك، فيبدو تأليفها، كما قراءتها ومناقشتها، حاجةً مجتمعية نابعة من مخاض المجتمع الغربي نفسه. يمكن أن نفهم، إذًا، سبب اعتقاد رولز أنّ من مهمات الفلسفة السياسية الإسهام في صياغة حسٍّ عمومي بالعدل من خلال بلورة يوتوبيا مجتمعية مرشدة للوعي الجمعي بالسياسة وأسئلتها[14]؛ ما دام الإسهام في صياغة فهمنا لهذا المفهوم يبقى إسهامًا في توليد موقف ذهني من الدولة وشعورًا بالانتماء إلى المجتمع.

يختلف الوضع عندما يتعلّق الأمر بما يؤلّفه الباحثون العرب؛ فعلى الرغم من كل التبريرات التي يعلّلون بها اختيارهم الكتابة عن تصوّر هذا الفيلسوف أو ذاك لموضوع العدل، فإنه يمكن الافتراض أنّ ذلك لم يكن كافيًا للارتفاع بسؤال العدل، من منظور التراث والحداثة معًا إلى مستوى الإشكالية المنتظمة في إطار نظريةٍ سياسية نابعة من الراهن وأسئلته، وقادرة على توجيه تفكيرنا، بل تبقى الترجمات الكثيرة التي أنجزها الباحثون العرب لأبرز الأعمال الغربية في الموضوع محدودةَ الأثر، على الرغم من الجهد الكبير المبذول فيها، وكذلك اتصالها مباشرة بالنصوص الغربية في لغاتها الأصلية. ينبغي لنا أن نتساءل: لماذا لم نستطع تصيير سؤال العدل سؤالًا محوريًا في فكرنا السياسي، على الرغم من حضوره القوي في متون الإصلاحيين العرب، وعلى الرغم من كلّ ما أُلّف عنه؟ لماذا لم تُفلح ترجمة كتاب **نظرية العدل** لرولز، على سبيل المثال، في ضخّ عناصر تصوُّره للعدل في النظرية السياسية العربية، على الرغم من كلّ مظاهر الجدّة التي ينضح بها، والتي شكّل دخولها إلى التداول السياسي والفلسفي الغربي هزّةً أعادت ترتيب أوضاع النظرية السياسية في الفكر الغربي المعاصر؟[15] لماذا نشعُر أنّ دساتيرنا وقوانيننا ومعاييرنا الأخلاقية لم تتأثر بمُكتسبات الفهم المعاصر للعدالة والعدل؟[16]

يسهل أن نجيب عن هذا السؤال بتبنّي منظورٍ تاريخي تقدّمي؛ فردّ ذلك إلى أنّ المسار التاريخي للمجتمعات العربية يختلف عن مسار المجتمعات الغربية الحديثة، وأنّ مفهوم كل واحد منهما عن العدل يترجم، على نحوٍ ما، طبيعة مسارهما التاريخي والسياسي. يسهل أيضًا أن نرجع سوء فهمنا للتصور المعاصر للعدل إلى بنية المجتمع العربي المتجذّرة في القبَلية والعُصبَوية والطائفية؛ وهو ما يحول دون تمثّل مفهوم نابع من تجربة سياسية قامت على الدولة القوية القادرة على استيعاب مختلف مظاهر التعدد الثقافي والعرقي، التي صارت آلية لعقلنة المجتمع، كما بيّنت فلسفة هيغل في الدولة، حيث يتعلّق الأمر برؤية للعدلِ تتحدّر من فلسفة إنسانوية استقامت على الاعتراف بمركزية الإنسان وكونية طبيعته التي غدت، في هذه الحالة، المصدر الرئيس لحقوقه، بما يعنيه ذلك من تبرّمٍ من التفسير اللاهوتي للحقّ والدولة والعدل، ومن فصلٍ بين "السياسي" و"الديني"، والنظر إلى المواطنة بصفتها الهوية السياسية للأفراد[17].

تكمن قوّة هذا التفسير ومعقوليته في نفَسه التاريخي الذي يلحظ دور التاريخ في نحت مفاهيم الفكر السياسي وإعادة توجيهها. بيد أنّه يكتفي بتسجيل هذا المعطى التاريخي، من دون الاحتفال بمفعول العولمة التي أعادت هيكلة علاقة فكرنا السياسي المعاصر بالفكر الغربي ومكتسباته. لم يعد وعينا السياسي بمعزل عن "برادايمات" الفكر السياسي الغربي، التي تعجّ الدساتير العربية بمفاهيمها، وتعلن تبنيها مبادءها الكبرى التي تتصدّرها فكرة حقوق الإنسان. فرضت

12 لا ينفي هذا الحكم وجود بعض الحالات الاستثنائية التي سعى أصحابها لاستشكال مفهوم العدل في ضوء أسئلة الراهن العربي، من دون الانفصال عن المرجعيات الفلسفية المعاصرة، ونخصّ بالذكر منها، على سبيل المثال لا الحصر، الجهد الذي يبذله الزواوي بغورة في تعقّبه مسارات فلسفة العدالة المعاصرة في الكثير من أعماله، حيث يتجاور في مقاربته الاطّلاع الواسع على أعمال الفلاسفة المعاصرين، مع رغبة في تأصيل المفهوم في السياق الفلسفي والتداولي العربي. ينظر على سبيل المثال: الزواوي بغورة، **الاعتراف: من أجل مفهوم جديد للعدل، دراسة في الفلسفة الاجتماعية** (بيروت: دار الطليعة، 2013)، ص 173؛ ومقالته عن مفهوم "العدالة الصحية"، في: الزواوي بغورة، **السياسة الحيوية من منظور الفلسفة الاجتماعية: دراسات في الجسد والمرض والعنصرية والعدالة الصحية في النظام الدولي الجديد** (بيروت: دار السؤال، 2022)، ص 253.

13 John Rawls, *Théorie de la justice* (Paris: Nouveaux Horizons, 1987), p. 324.

14 John Rowls, *Justice et démocratie* (Paris: Seuil, 1993), p. 211.

15 **دليل كامبردج في فلسفة القانون**، جون تاسيولاس (محرر)، ترجمة حمد شكري، (الرياض: نادي الكتاب، 2024)، ص 16.

16 نستعمل هنا مفهوم العدالة للإشارة إلى بعدها القيمي؛ أي إلى ما سمّاه المتقدمون فضيلةً يمكن أن تتوطن في النفس، وأن يتم تدبير المدينة في ضوئها، ومن خلال استلهام نموذجها في التناغم. في حين نشير بالعدل إلى الفعل المتعلق بالسياسة ومنطق التدبير والتوزيع. ينظر في الفرق بين المفهومين: ناصيف نصار، **منطق السلطة: مدخل إلى فلسفة الفعل**، ط 2 (بيروت: دار أمواج، 2001)، ص 233؛ وبشأن الاختلاف بين العدالة، من حيث هي قيمة، وغيرها من القيم المتداخلة معها، ينظر: جرانت لاموند، "المنهجية"، في: **دليل كامبردج في فلسفة القانون**، ص 41.

17 عبد الإله بلقزيز، **في الدولة** (بيروت: منتدى المعارف، 2019)، ص 61.

"عالمية" العولمة، المتأصّلة في عالمية التقنية ورؤيتها الميتافيزيقية إلى العالم والإنسان[18]، على وعينا السياسي، الخروجَ من شرنقة تصوّراته الكلاسيكية، وإدراكَ اندراجه الحتمي في سيرورات العولمة الجارفة. وألقى هذا الوضع بظلاله على تصوّرنا لمفهوم العدل؛ فبعد أن كان القاموس التقليديّ، في صيغتيه الشرعية والسلطانية خاصّةً، مهيمنًا على مختلف خطابات العدل قبل مرحلة التحديث، وجد الفكرُ السياسي العربي نفسه ملزمًا بالإنصات لدرس نظيره الغربي باعتباره تجسيدًا للتقدّم الذي حقّقته الإنسانية على مستوى التمدّن وتدبير الشأن العام[19]، بل بوصفه أحد أهم أسباب تقدم الغرب وتأخّر المسلمين[20]. لذلك انصرف أبرز مفكري الإصلاح والنهضة إلى مراجعة مفاهيم الفكر السياسي التقليدي، وجهد هؤلاء في تجديده في ضوء مكتسبات الفكر الحديث[21]. ولم يكن من الممكن أن يواصل المفكرون العرب التفكير في العدل انطلاقًا من معناه التقليدي، كما صاغه القول الكلامي والفلسفي والسلطاني والفقهي؛ لأنهم وجدوا أنفسهم أمام مفهومٍ آخر له، يتجاوز حدوده شرعيًا، ويمثّل مرجعيةً منافسةً له على مستوى تحديد مشروعية الدولة ومقبولية الاجتماع السياسي؛ عدلٌ يتأصّل في الفهم الطبيعي للإنسان، كما في فكرة الأصل التعاقدي للدولة وسلطتها، ويقيم تمييزًا بين الشرعية (القانونية) والمشروعية المرتبطة بالحقّ، وينتظم ضمن تصوّر سياسي، تكون فيه الدولة جهازًا مؤسساتيًا يمارس سلطته على المواطنين داخل مجال ترابي معيّن، خاضع لسيادته، وحيث تتميّز الدولة، بمقتضى تعريفها هذا، من الحاكم وشخصيته وأهوائه. لذلك يمتاز التصوّر الحديث للعدل من التصوّرات الدينية التي ربطت الحقّ بالشرع، باعتباره الترجمة القانونية لمبادئ الدين.

يمكن أن نعمّم الملاحظة عينها على تفاعل الفكر السياسي العربي مع الفكر السياسي الغربي المعاصر ومفهومه عن العدل، الذي يبقى سليل الوجه السياسي للعولمة. فقد زحزحت هذه الأخيرة الكثير من يقينياتنا عن الحقّ والحرية والعدل، وسرعان ما تمّت عولمة نماذج "جديدة" من الحقوق لم تكن معهودة في السابق، مكرّسةً قدرة العولمة على الفتك بالحدود الوطنية والقومية بين الدول، وتفتيت السيادة الوطنية[22].

وما انفكّ هذا النَّفَس "العالمي" للحقوق يلقي بظلاله على الفكر السياسي العربي اليوم، ويحمله على التفكير بجدّية في الأسئلة التي يطرحها على الاجتماع السياسي العربي، حيث يتعلّق الأمر بمنعطفٍ "جديد" في مسار الفكر السياسي العربي، يفرض على كلّ تفكيرٍ جدّي في العدل الوعي بالإبدال البرادايمي الذي حدث في الفكر المعاصر.

لا يمكن اعتبار اهتمام الباحثين العرب بمستجدّات فلسفة العدل المعاصرة نوعًا من "الترف الفكري"، كما أن عنايتهم المتزايدة بأطروحاتها تجسّد صدى لِما تشهده الساحة الفكرية والسياسية الغربية من نقاشٍ حول الحقوق ومآلات العدل، أكثر ممّا هو اهتمامٌ نابع من تقلّبات المجتمع العربي وأسئلته. لا يصدر هذا الحكم على عمل هؤلاء الباحثين، أولًا، عن نزعة إرادوية تفترض أنّنا لا نزال نملك الحرية والوقت أيضًا لاتّخاذ قرارٍ بالاهتمام بمثل هذه الأسئلة، أو بالإعراض عنها. والحال أنّها أسئلة ما عادت تنتظر قرارنا ذاك؛ فهي تداهمنا بسبب عولمة السياسة وأسئلتها المجتمعية والحقوقية. وهذا الحُكم لا يلحظ ثانيًا أنّ استدعاء أسئلة الفكر السياسي المعاصر، والتعريف بما أنجزه في موضوعها الفلاسفة الغربيون، ليس أمرًا يمكن أن نرجعه إلى هاجسٍ أكاديمي صرف فحسب، بقدر ما هو نابع في الكثير من الأحيان من تحوّلات الاجتماع العربي، وما تطرحه على وعينا من أسئلة اليوم. لذلك يبدو اللجوء المتكرر إلى نظرية رولز في العدل كأنه بحثٌ لأسئلة التوزيع والإنصاف والديمقراطية عن أجوبةٍ ما عادت مرجعياتنا التقليدية ولا منظوماتنا الفكرية القائمة تسعفنا بها. ويبدو أيضًا هَوَس الباحثين العرب بالتعدّد الثقافي وفلسفته، كما طوّرها تشارلز تايلور وطلبته، وكيمليكا خاصة[23]، محاولةً للبحث عن أسئلة الاختلاف الديني والثقافي و"الطائفي"، التي تمزّق المجتمعات العربية، عن أجوبة معقولة يمكن الاهتداء بها في مواجهة هذه المعضلة. يضاف إلى ذلك أنّ الانفتاح المستمر على فلسفة النسوية ومراجعاتها المستمرة لأسس المجال العمومي وشروط الديمقراطية، في ضوء فكرة الاعتراف وإعادة التوزيع، إنما يكشف عن مركزية سؤال المرأة ووضعها في المجتمعات العربية، ويرمي إلى أن يجد له جوابًا فيما ألّفه الفلاسفة المعاصرون، من أمثال أكسيل هونيت ورايز فورست وفرايزر وهارتموت روزا وشونتال موف وسيليا بنحبيب، وغيرهم.

يتعلّق الأمر بـ "نماذج" حقوق ترسم في تداخُلها معالمَ فهم مغاير للعدل، يتداخل فيه السياسي والاجتماعي والثقافي والحقوقي والاقتصادي. وسيكون مجانبًا للصواب النأيُ بالنفس عمّا يُكتَب في السياقَين الفلسفي والسياسي الغربي بشأن هذه القضايا، بدعوى أن

18 عبد السلام بنعبد العالي، **هايدغر ضد هيجل (التراث والاختلاف)** (بيروت: دار التنوير، 2006)، ص 11.

19 سعيد بنسعيد العلوي، **الأيديولوجيا والحداثة: قراءات في الفكر العربي المعاصر** (بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1987)، ص 11.

20 السيد وبلقزيز، ص 47؛ ينظر أيضًا: عبد الرحمن الكواكبي، **الأعمال الكاملة للكواكبي**، ط 3 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007).

21 محمد الحداد، **محمد عبده: قراءة جديدة في خطاب الإصلاح الديني** (بيروت: دار الطليعة، 2003)، ص 163.

22 Norberto Bobbio, *Le future de la démocratie* (Paris: Seuil, 2007), p. 39.

23 حسام الدين علي مجيد، **إشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر: جدلية الاندماج والتنوّع** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010)، ص 253.

مجتمعاتنا لم تدرك بعدُ التقدّم الذي يأذن لنا بالانخراط في التفكير فيها. لم تعد المجتمعات العربية بمنأى عن العولمة السياسية والحقوقية، ولا ينفكّ الفكر الغربي يطرح علينا أسئلةً تعنينا نحن أيضًا بالضرورة، وما نكتبه عن مفكّريه وفلاسفته السياسيين ليس ترفًا، بقدر ما هو محاولة للإمساك بمنطق تفكيره ورؤيته التي تفرض نفسها علينا. لذلك يمكن التساؤل عن أسباب ما يمكن اعتباره إخفاقًا للفكر السياسي العربي في صياغة مفهوم عن العدل، ينقلنا من مستوى شرح المتون الفلسفية الغربية والتراثية بشأن العدل إلى مستوى التفكير "فيه" في أسئلة راهننا؛ أي في تحويل العدل إلى منظورٍ لفهم السياسة والعيش المشترك، وعمّا إذا كان ذلك راجعًا إلى قصور في جهازنا المفهومي الذي لم يستطع الإنصات للواقع ومعطياته، والتقاط متغيّراته والوعي بجدلياته، أم إلى محدودية المنظور الذي نصدر عنه في مقاربتنا هذا السؤال، كما غيره من أسئلة عيشنا المشترك.

سنحاول، فيما يلي، وجوابًا عن هذه الأسئلة، إثباتَ الفكرة التالية: إنّ قصور الفكر السياسي العربي المعاصر عن صياغة مفهوم عن العدل، يستجيب لشروط واقعه، لا يرجع إلى ضعفٍ فكري، ولا إلى افتقار إلى قرار بناء تصوّرٍ "خاص بنا"، إنما مردّه إلى المنظور الذي بقي يحكم رؤيتنا للعدل ومفاهيم المجال السياسي. نعتقد أنّ هذا المنظور متجذّر في رؤية كلاسيكية للحقيقة والإنسان والسلطة، عمل الفكرُ المعاصر على تخطّيها[24]، وهو يفرض علينا أفقًا تأويليًا نفهم في إطاره المرجعيات السياسية والأخلاقية، التراثية والحديثة، ويحول دون إدراك حاجة فكرة العدل إلى تأصيل فلسفي. لتكون النتيجةُ افتقارَ هذا المنظور إلى فهمٍ أصيل للذات والهوية الإنسانية التي تبقى، في نهاية المطاف، موضوع العدل والسياسة[25].

ثانيًا: في مسألة المنظور

ليس المنظور تفصيلًا بسيطًا في الفكر السياسي؛ لأنه يمثّل الإطار التأويلي الذي نصدر عنه في فهمنا السياسة ومفاهيمها، ويستدعي بناؤه الوعيَ بطبيعة المعرفة التي يحتاج إليها التفكير في السياسة ومجالها. ويحقّ لنا أن نتساءل عن طبيعة المنظور الذي يحكم رؤيةَ الباحثين العرب للعدل؛ عن أسسه المعرفية وما يترتّب عليها من اختيارات منهجية، والرؤية الفلسفية التي يصدرون عنها في صياغتهم هذا المفهوم. لعلّنا لا نبالغ في القول إنّ مبنى المنظور ذاك على أسس ثلاثة تجعل منه منظورًا لا يلحظ مستجدّات الفكر السياسي ومقتضياته الراهنة: أولها، الفصلُ بين المجالات المعرفية التي تتّخذ من السياسة موضوعها الرئيس، مع تأويلها وفق رؤية شاملة تنظم المشاريع النقدية التي تناولت المسألة السياسية في الفكر العربي المعاصر. وثانيها، الارتهانُ إلى المنطق الحاكم للتصورات التراثية للعدل، بدلًا من البحث عن منظورٍ "مغاير" و"أنسب" لفهم سؤال العدل، يكون أقدر على استيعاب شروط راهننا، وتأويل التراث نفسه في ضوء هذا الراهن. وثالثها، النزوعُ إلى المواءمة بين مقولات التراث وتصوّرات الفكر المعاصر للعدل، بما يعنيه ذلك من تكريس نزعة انتقائية في تعاملنا مع المرجعيتين معًا. تحتاج هذه الأسس إلى مزيد من التوضيح والمعالجة.

1. في أثر المشروعات النقدية في فهمنا التراث السياسي

نترك جانبًا ما ألّفه أنصار الأصالة وخصومهم في موضوع العدل من موقعٍ أيديولوجي صرف[26]، ونركّز على الدراسات التي انصرفت إلى تحليل المفهوم من منظور "معرفي"، ينتمي إلى تاريخ الأفكار السياسية والأخلاقية. نلاحظ، أولًا، أنّ غالبية تلك الدراسات لم تستشكل مباشرةً مفهوم العدل في التراث السياسي والأخلاقي العربي، إنما تناولته في سياق أعم من خلال دراسة الخطاب الأخلاقي أو السياسي أو الديني - الكلامي في الإسلام. وكان من نتائج هذا الوضع أن نُظِر إلى العدل من حيث هو مفهومٌ لاحق لغيره من مفاهيم العقل العملي التراثي، وغالبًا ما آثر الباحثون التفكير فيه في سياق قراءات شاملةٍ لهذا التراث، تنتسب إلى مشروعات نقدية، تربط التراث بالحداثة وأسئلتها في الوعي العربي. وهذا ما يستوقفنا في مقاربة محمد عابد الجابري، مثلًا، لفكرة العدل في التراث الإسلامي؛ فقد تناولها في إطار مشروعه النقدي للعقل العربي الذي حمله على تحليل التصوّر الفقهي والكلامي للعدل في إطار نقده العقل السياسي العربي، قبل أن يمضي إلى تحليل التصوّر الأخلاقي للعدالة في سياق تفكيك العقل الأخلاقي العربي. وفي الحالتَين معًا، يترجم العدل محدداتٍ قبْلية وخطاباتٍ عملية كان لها الإسهام الأكبر في نسج "العقلانية العملية" في الإسلام. لم يرَ الجابري في الفقه السياسي غير تلخيصٍ للخطاب الكلامي وإضفاء طابع تشريعي على إشكاليته[27]، وطفق يبحث، عند محمد أبو بكر الباقلاني خاصّةً،

24 Jürgen Habermas, *Vérité et justification* (Paris: Gallimard, 2001), p. 181.

25 Louis Carré, *Axel Honneth: Le droit à la reconnaissance* (Paris: Michalon, 2013), p. 33; Charles Taylor, *Les sources du moi: La formation de l'identité moderne* (Paris: Seuil, 1998), p. 768; Nancy Fraser, *Qu'est ce que la justice sociale? Reconnaissance et redistribution* (Paris: La découverte, 2011), p. 77.

26 الزواوي بغورة، "خطاب العدل في الفكر العربي المعاصر: دراسة تحليلية ونقدية لنماذج أيديولوجية ونظرية"، **تبيّن**، مج 12، العدد 47 (شتاء 2024)، ص 93.

27 محمد عابد الجابري، **العقل السياسي العربي: محدداته وتجلّياته**، ط 4 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000)، ص 359.

عن جذور تصوّر علي بن محمد بن حبيب الماوردي للعدالة التي لا تعدو أن تكون، وفق هذه القراءة، شرطًا من الشروط التقليدية التي اشترطها المتكلّمون الأشاعرة في الإمام[28]. أمّا في **العقل الأخلاقي العربي**، فإن العدل لم يكن غير صدى للنظريات الفلسفية اليونانية تارة، وللتصوّرات الأخلاقية السياسية الفارسية تارة أخرى[29]. لذلك بدا هذا المفهوم ثانويًا وغير ذي قيمة في تحليل الجابري الفكرَ التراثي السياسي والأخلاقي، وحتى حينما دعا، في خاتمة **العقل السياسي العربي**، إلى ضرورة النفي التاريخي لمحددات هذا العقل، والانتقال من الغنيمة إلى الاقتصاد، ومن العقيدة إلى الأيديولوجيا الدولتية، ومن القبيلة إلى المواطنة، فإنّ دعوته تلك لم تقترح تصوّرًا سياسيًا للعدل، وبقي هذا متواريًا خلف شعار الديمقراطية الذي شهره في وجه الاستبداد المتحدِّر إلينا من التراث. بذلك يكون النَّفَس الشمولي لمشروع الجابري النقدي قد حال دون تبيُّن خصوصية مفهوم العدل كما صاغه خطابُ الفقه السياسي، خاصّة على مستوى تقنيات التدبير التي تتجاوز أفق إشكالية الإمامة، وتجعل من "فقه التدبير" ترجمةً عملية لمبدأ العدل، ومدخلًا لفهم طبيعة المشروعية المرتبطة بفعل سياسة الدولة وتدبيرها[30].

لعلّ عدم اهتمام الجابري بالتداخل القائم بين مجالات "الفقه السياسي" و"أدب النصيحة" و"علم الكلام"، راجع إلى التصنيفات التي يفرضها منظور مشروعه النقدي على التراث وتأويله؛ فبدلًا من صهر فقه السياسة في علم الكلام، وبدلًا من اعتبار تصوّره للعدالة مجرّد صدى لشروط الإمامة، يحسُنُ البحث في التقاطعات التي حصلت داخل التراث بين خطاب الفقه السياسي وخطاب الآداب السلطانية/ النصيحة، والخطاب الكلامي، كما في العلاقة الجدلية التي ربطت المفهوم ذاك بالواقع وشروطه، وحينها سندرك أنّ مفهوم العدل كان مفهومًا عابرًا لهذه الخطابات كلّها، وحمل في طيّاته الكثير من معالم تصوّرات المفكرين التراثيّين المختلفة عن الواقع ومحدداته. وسيتضح حينها أنّ دفاع المعتزلة عن العدل لم يكن بمعزل عن موقفهم السياسي من السلطة السياسية، وأنّ العدل عند الفقهاء لم يكن مجرّد شعارٍ واجهوا به استبدادَ الحاكم بالسلطة، بل كان محدِّدًا معياريًا لمشروعية السلطة التي اقترنت بالشرع في عرفهم.

المطلوب، إذًا، الخروجُ من التصنيفات السكونية للخطابات المكوِّنة للتراث السياسي الإسلامي، التي فرضتها رؤية المشروعات النقدية وتأويلاتها الشمولية للتراث. والوعي، في مقابل ذلك، بالتداخلات القائمة بينها؛ لأنّ من شأن ذلك أن يُفهمَنا كيف يستطيع مفهومٌ سياسي أو أخلاقي، مثل مفهوم العدل، أن ينهلَ من كل تلك الخطابات، وأن يتقدّم إلى مشهد وعينا المعاصر في صورة تركيب يحمل في طيّاته عناصرَ الرؤى المنتظمة للفكر السياسي الكلاسيكي في ديناميته التي تجسّد ليونته وقدرته على التقاط متغيّرات الواقع. وبذلك نتجاوز الانتقائية التي تعامل بها عدد من المفكرين مع الموروث السياسي والأخلاقي، ونتجنّب أحكامهم السلبية عنه، ونزعتهم الانتقائية التي تقف وراءها[31].

2. في ضرورة الخروج من المنظور الخلدوني في دراسة التراث السياسي والأخلاقي

لا يبدو أنّ الجابري ينفرد وحده بهذا المنظور التجزيئي للتراث السياسي العربي الإسلامي، فهذا الموقف ليس جديدًا على الوعي العربي، إنما يضرب بجذوره، على نحو لاشعوري ربما، في موقف عبد الرحمن بن خلدون من التراث السياسي العربي الذي تلقّف الباحثون المحدثون، عربًا ومستشرقين، أحكامه وتصنيفاته. كرّس ابن خلدون فصلًا جذريًا بين الخطابات السياسية المكوِّنة لهذا التراث، حينما ميّز القول الفلسفي (السياسة المدنية) من القول الفقهي (السياسة الشرعية الدينية) والقول السلطاني (السياسة العقلية). وعلى أنقاض نقده هذه الخطابات السياسية، أرسى دعائم نظريته في الدولة القائمة على فكرة العصبية و"طبائع العمران" البشري. ومعه، اختُزلت الفلسفةُ السياسية في تصوُّرها المدينة الفاضلة التي لا تقبل، في نظره، التحقق في دنيا البشر، ومعه أيضًا اختُزلت الآداب السلطانية في نموذج السياسة العقلية التي مدارها على المصلحة الدنيوية[32]. والملاحظة عينها يمكن أن تُقال عن حكمه على الفقه السياسي الذي اختزله في السياسة الدينية[33]، طامسًا بذلك الأبعاد غير الدينية في التصوّر الفقهي السياسي للسياسة وتدابيرها، بل طمس أيضًا الاختلافات الكامنة داخل كلّ خطاب على حدة، فغدت السياسة العقلية (الآداب السلطانية والنصيحة برمّتها)، مثلًا، قرينة الدفاع عن الاستبداد، وقد أخذ اللاحقون به والمعاصرون[34] بهذا الحكم، من دون تفكير في التمايزات الممكن وجودها بين كتّاب الآداب والنصيحة. والملاحظة عينها يمكن أن تُقال عن حكمه على الفقه السياسي والفلسفة السياسية. لذلك كان من الطبيعي أن يقود هذا المنظور التجزيئي

28 المرجع نفسه، ص 361.

29 محمد عابد الجابري، **العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية**، نقد العقل العربي (4) (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2001)، ص 315.

30 فازيو، **العدالة والعدل**، ص 182.

31 فهمي جدعان، "العدل في حدود ديونطولوجيا عربية"، في: **ما العدل؟ معالجات في السياق العربي**، (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014)، ص 93.

32 عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1999)، ص 238-239.

33 المرجع نفسه، ص 150.

34 عبد المجيد الصغير، **المعرفة والسلطة في التجربة الإسلامية: قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة** (القاهرة: رؤية للتوزيع والنشر، 2010)، ص 95.

إلى الحديث عن "وحدة" كلّ واحد من تلك الخطابات السياسية؛ إذ تسوّغ هذه الوحدة والتناغم الداخلي للخطاب انفصاله الكلّي عن غيره من الخطابات، والتخلي الكلّي عن فكرة الكاتب/ المؤلّف. وهكذا، يغلب على مقاربة الباحثين في الآداب السلطانية الحديثُ عن خطاب يعيد تدوير نفسه، ويكاد كلّ مسهم فيه أن يعيد إنتاج ما قيل من قبله، ويضيع في هذا الخطاب صاحب هذا القول أو ذاك، فنجد مرويات مجهولة، تُنسَب في كل مرة إلى مفكرين مختلفين. هذا ما نلفيه، في هذا المعرض، في تمسك عز الدين العلام، في دراسته عن الآداب السلطانية، بوحدة الخطاب السلطاني؛ كما في حديث كمال عبد اللطيف عن "الاستواء النصّي واكتمال النمطية" المهيمنَين على الخطاب السلطاني[35]. يعني هذا الأمر، بالنسبة إلى مفهوم العدل، أنه ليس أكثر من كلمةٍ تنعكس فيها الرؤية الاستبدادية الحاكمة لخطاب الآداب السلطانية، أو الرؤية المتعالية المنتظمة للقول الكلامي، أو تلك المثالية التي تُكرّس مفارقة الفلسفة السياسية لواقعها. أما الاختلافات الموجودة بين المفكرين داخل كل خطاب على حدة، وبين تلك الخطابات كلها، فغير ذات قيمة، ما دام "المؤلّف قد مات"، وما بقي داخل كل خطاب هو تدوير فكرة الاستبداد[36].

خلف تصنيفات ابن خلدون لتاريخ الفكر السياسي في الإسلام يثوي تسليمه بأنّ الأمر يتعلّق بخطابات جسّدت ردات فعل متباينة على واقع واحد؛ واقع العمران وقوانينه المرتبطة بالاستبداد والقهر والتغلّب الذي يمثل جوهر الدولة[37]. بذلك تكون الفلسفة السياسية هروبًا من هذا الواقع إلى حلم لن يتحقّق، ما دام البشر بشرًا يعيشون وفق طبائع العمران[38]، كما تكون الآداب السلطانية سياسة عقلية تسوِّغُ القهرَ والاستبداد[39]، من دون أن تلحظ الشرع ومقتضياته المعيارية التي تخدم المسلم في الدنيا، كما في الآخرة؛ في حين يقترح الفقه السياسي سياسةً دينية مبناها على الشرع وأحكامه، بصرف النظر عن العمران وطبائعه. فهل يحقّ لنا أن نساير اليوم، في تأويلنا العدل التراثي، أحكام ابن خلدون؟ هل كانت مواجهة واقع العدل تعني، بالنسبة إلى المتقدمين، الهروب منه أو تسويغه فحسب؟

35 كمال عبد اللطيف، **في تشريح أصول الاستبداد** (بيروت: دار الطليعة، 1999)، ص 94؛ ينظر أيضًا: عز الدين العلام، **النصيحة السياسية: دراسة مقارنة بين آداب الملوك الإسلامية ومرايا الأمراء المسيحية** (بيروت: مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2017)، ص 78.

36 عز الدين العلام، **الآداب السلطانية: دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي**، سلسلة عالم المعرفة 324 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2006)، ص 35.

37 ابن خلدون، ص 236.

38 من الصعب فصل موقفه من السياسة المدنية التي اعتبرها مجرد فكرة حالمة، لا أمل في تحقيقها في الواقع، عن موقفه العام من الفلسفة، كما بيّنه في الفصل بعنوان "في إبطال الفلسفة وفساد منتحليها"، ينظر: المرجع نفسه، ص 238.

39 ينظر على سبيل المثال: عبد اللطيف، ص 201.

يمكن أن نزعم أنّ من شأن تفكيك المنظور الخلدوني أن يكشف عن تمفصلات مفهوم العدل داخل التراث السياسي برمّته، وأنّ تفكيرنا في التصوّر التراثي للمفهوم مطالب بتجاوز التصنيف الخلدوني، والبحث بدلًا من ذلك عن **الذاتية السياسية** التي انتظمت في ذلك التراث.

لا يعني الاستبداد، بالضرورة، الطغيان[40] المقترن بالعسْف والجوْر، وهذا ما يدل عليه حضور الدعوة إلى العدل في الخطاب السياسي التراثي. قد يُقال إنّ العدل لا يتجاوز في هذا الخطاب مفهوم النظام المقابل للفتنة والفوضى، في مستواه الفردي (أخلاق النفس)، كما في مستوى الاجتماع السياسي (تدبير الملك)، وأنّ التضايف الحاصل بينه وبين العقل والشرع يبقى العلامة الفارقة على ذلك[41]. وعلى الرغم من مشروعية مثل هذا الاعتراض، فإنّ مشكلته تكمن في الاختزال الذي يمارسه على تصوُّر الآداب السلطانية لفكرة العدل؛ فمع أنّه يجعله حبيس التصوّر الأخلاقي لاعتدال النفس، يَصهره في التصوّرات الفلسفية التي اعتمدت فكرة انسجام قوى النفس معيارًا وشرطًا للعدالة على الطريقة الأفلاطونية والفارابية[42]. ومن ثمة، يخدم هذا المنظور التقابل القائم، في ذهن ابن خلدون، بين تصوّر الآداب السلطانية والنصيحة للعدالة، وتصوّر الفقهاء للعدل الذي اعتبروه تجسيدًا لمقولات الشرع، كما يكرّس الفصل الذي أقامه بين هذه المجالات كلها. والحال أنّ خطاب الآداب السلطانية وجد نفسه ملزمًا بصياغة رؤيةٍ واضحة عن النفس وتراتُب قواها وأخلاقها، حتى يتبيّن معنى العدل من حيث هو قيمةٌ تنجم عن نوع من التناغم الداخلي بين مختلف تلك القوى. من هذا المنظور، يدرك أصحاب الآداب السلطانية العدل قيمةً أخلاقية تحتاج إليها نفس المَلِك حتى تصير معتدلة وعادلة في أفعالها[43]، كما تحتاج إليها سياسة المُلك حتى تتحقّق شروط العدل في الرعية. وهكذا، يكون العدل ضمانةً لحسن سياسة المُلك. وعندما يقرّ عبد الرحمن الشيزري بأنّ "من

40 Leo Strauss, *La tyrannie* (Paris: Gallimard, 1954), p. 53.

41 محمد بن علي بن محمد بن الأزرق، **بدائع السلك في طبائع الملك**، تحقيق علي سامي النشار (بغداد: منشورات وزارة الإعلام، 1977)، ص 231. ويعتبر أحمد بن تيمية أن العدل مما تختاره الفطرة السليمة التي هي العقل. ينظر: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، **الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية** (بيروت: دار الكتب العلمية، [د. ت.])، ص 29. وليس صدفة أن ينتهي تفكير بعض المسلمين في علاقة السلطة السياسية بالعدل إلى فكرة "المستبد العادل". ينظر: السيد، **سياسات الإسلام المعاصر**، ص 296.

42 الشيخ الرئيس ابن سينا، "رسالة في السياسة"، في: **السياسة الشرعية: مجموعة رسائل**، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي وأحمد فريد المزيدي (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003)، ص 111؛ ينظر أيضًا: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، حققه وشرح غريبه ابن الخطيب (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، [د. ت.])، ص 184.

43 "أول ما أوصيك به في هذا الباب أن تأخذ نفسك بالاعتدال في جميع الأحوال، في مطعمك ومشربك وملبسك ومنكحك ونومك ويقظتك وتعبك وراحتك". محمد بن الحسن المرادي الحضرمي، **كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة**، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003)، ص 24.

حَسُنَتْ سياستُه، دامتْ رئاسته"[44]، فإنه يجعل من السياسة العادلة ضمانةً لاستمرار الملك. لا أحد ينكر أنّ الغرض الرئيس من العدل، هنا، هو خدمة مصلحة السلطان، لكن ألم يشترط هذا الموقف العدلَ في الرعية، وارتفع به إلى مستوى ما يضمن استمرار المُلك ودوامه؟ ليس المهم أن يكون العدل غاية في ذاته، بل الأهمّ، في هذه الحالة، أن يكون الجميع على وعي بأنّ الحفاظ على المُلك يتطلّب العدل في الرعية.

كيف نفهم، إذًا، وصفَ ابنِ خلدون الخطابَ السلطاني بالاستبداد؟ المشكلة، على ما يبدو، ليست في ابن خلدون، إنما في فهمنا نحن، اليوم، لكلمة الاستبداد، التي تعني الانفراد بالمُلْكِ ومنع الآخرين من التطاول عليه، لذلك اعتبر أن النظام الاستبدادي يقوم على وحدة السلطة ومركزية الحاكم الذي ينفرد بالسلطة درءًا لتوزيعها. وهذا ما يعني أن عملية التوزيع تلك كانت تعني حتمًا تشتيت السلطة وصعوبة استرجاعها مرّةً أخرى، كما تبيّن هندسة الأحكام السلطانية في كتاب الماوردي. وهذا ما يفتح الباب أمام الفتن والفوضى التي أرّقت المفكرين السياسيين بمختلف مشاربهم. وقد سبق أن بيّن عبد الله بن المقفع أنّ من بين أسباب ضعف تجربة المسلمين في السياسة، علاوة على حداثة عهدهم بالدولة ونموذجها، ضعف مركزية الحاكم الذي يفتح الباب على مصراعيه أمام تشتت السلطة، وهو ما يدفع إلى الخروج على السلطان الذي غالبًا ما ينطلق من الهوامش[45]. وأمام مثل هذا الوضع، كان من الطبيعي أن يكون الاستبداد قرين السعي لسلطة موحَّدَةٍ، قادرة على إخراج الأمة من الفتنة إلى الاستقرار[46]. ونجد هذا الهاجس عند معظم الذين فكّروا في السياسة، عند الفقيه، كما عند الفيلسوف والأديب، وما كان في مقدور هؤلاء جميعًا أن يتصوّروا وضعًا يكون فيه اقتسام السلطة أو تشارُكها سبيلًا إلى تقويتها وتثبيت دعائم المُلك، وهذا هو مدلول تشبّثهم بتركيز السلطة بيَد الحاكم، خليفةً كان أم ملكًا أم سلطانًا[47].

3. في الحاجة إلى تجاوز الانتقائية في قراءة النظريات المعاصرة

تَساءل فهمي جدعان، في محاولته الرامية إلى صياغة تصوّر عن العدل في حدود "ديونطولوجيا" عربية، عن الطريقة التي ينبغي التعامل بها مع النظريات الغربية المعاصرة، رافضًا إسقاطها حرفيًا على الواقعِ العربي، ومدافعًا عن ضرورة الوعي بتجذّر وعينا الأخلاقي والسياسي في التراث، مشدّدًا على إمكانية الاستفادة من نظرية المقاصد التي انتهت إلى ربط العدل بالشرع والمصلحة والمنفعة، حيث يمدّنا هذا التصوّر، في اعتقاده، بمبدأ نظري ومعياري يؤسّس لنظرية في العدل تلحظ مستجدات الفكر المعاصر، وتعي علاقتنا بالتراث العربي الإسلامي. وفي دراسة جدعان، يتبدى الكثير من مظاهر التوتر الذي يتملّك الباحثين العرب في موضوع العدل؛ إذ غرضه الإفادةُ من النظريات المعاصرة في العدل وتسويغ استضافة الفكر العربي المعاصر لها، من خلال إظهار الحاجة الواقعية إليها، بوصفها نظريات تحمل معنًى خاصًا لمجتمعاتنا، على حدّ تعبيره. أما جوازه إلى ذلك، فيكمن في نظرية المقاصد والمصلحة التي استطاعت إعادة بناء علاقة الفكر الفقهي بالواقع وطوارئه.

يمكن اعتبار هذه المحاولة واحدةً من أهم ما اقترحه المفكرون العرب فيما يتعلّق بتلقي الفكر العربي المعاصر للنظريات الغربية في العدل، وسيكون علينا أن نتساءل عن طبيعة هذه المواءمة بين منظومتين فكريتين تنتميان إلى نظامين معرفيين وتاريخيين مختلفين، كما عن معقولية انتهاج المواءمة في تعاملنا مع النظريات الغربية المعاصرة.

تتمثّل أبرز نظريات العدل المعاصرة، بحسب جدعان، في النفعية والليبرالية والجماعتية والليبرتارية والماركسية والنسوية. وبغض النظر عن دقّة هذا التصنيف الذي يتجاوز ما ألّفه مفكرون سياسيون وأخلاقيون حاولوا فهم العدل من خارج دائرة التقليد الغربي ونموذجه، مثل أمارتيا صن، وعمّا كتبه كبار فلاسفة القانون الذين اقترحوا تصوّرات للعدل، لا تقلّ أهمية عما قدّمه رولز ونقّاده[48]، فإنّ ما يعنينا هو إفادة جدعان منه في صياغة رؤية للعدل تستوعب مقتضيات الفكر الغربي؛ إذ يعتبر، أولًا، أنّ الثقافة العربية في أمس الحاجة إلى الفلسفة النفعية، باعتبارها تفكيرًا في العدل يقوم على البحث المشروع عن السعادة الفردية والجماعية في الآن ذاته. أمّا تطويعها مع السياق العربي الإسلامي وتراثه، فممكن، في اعتقاده، إن نحن وسّعنا مفهوم المنفعة/ المصلحة ليشمل السعادة الدنيوية والأخروية الدينية أيضًا؛ بالنظر إلى الدور الكبير والحاسم الذي يضطلع به الدين ورؤيته الأخروية في تدبير حياة المجتمعات المسلمة[49]. ويمكن أن نعمّم الحكم نفسه، ثانيًا، على التصوّر الليبرالي للعدالة، كما صاغه رولز خاصة؛ فهذا الضرب من العدل المقترن بالحرية، وبالحاجة

---

44 عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر بن عبد الرحمن الشيزري، **النهج المسلوك في سياسة الملوك** (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003)، ص 80.

45 عبد الله بن المقفع، **رسالة الصحابة** (بيروت: دار البحار، 2009)، ص 124؛ ينظر في شأن قضية العلاقة بين المركز والهوامش في التجربة السياسية الإسلامية: رضوان السيد، **الأمة والجماعة والسلطة: دراسات في الفكر السياسي العربي الإسلامي** (بيروت: جداول، 2011)، ص 131.

46 أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، **الغياثي: غياث الأمم في التياث الظلم**، تحقيق خليل عمران المنصور (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003)، ص 150.

47 السيد، **الأمة والجماعة والسلطة**، ص 113.

48 أشير هنا، على سبيل المثال، إلى اجتهادات هانز كلسن ونوربيرتو بوبيو ولويجي فيرايولي داخل مجال فلسفة القانون. ينظر: نبيل فازيو، "الوضعانية القانونية ونسبية القيم: الحق والعدالة بين هانز كلسن ونوربيرتو بوبيو"، **تبيّن**، مج 11، العدد 49 (2024).

49 جدعان، "العدل في حدود ديونطولوجيا عربية"، ص 99.

إلى المساواة في حدودها الدنيا، يشكّل أرضية للعدالة الاجتماعية، تتجاوز الفهم الضيّق لليبرالية، "وليس ثمّة شك في أنّ تصوّر رولز وأقرانه للعدالة يصلح لأن يكون دعامةً أساسية من دعائم العدل في سياقٍ عربي"[50]. صحيح أنّ هذه الليبرالية نبعت من المراجعات المتكرّرة لنفعية المجتمعات الليبرالية نفسها، غير أنه في المجتمعات العربية "التي لم تبلغ ما بلغته المجتمعات الغربية من تطوّرٍ وتعقيد وصراع وتفاوت، تبدو 'المساواة الليبرالية' ذات جدوى وفائدة، لكنها يمكن أن تكون أكثر جدوى وفائدة، وأعظم توافقًا مع ثقافة هذه المجتمعات وتطلّعاتها، إن هي اتّخذت طابع 'ليبرالية تكافلية' أو تضامنية أبعد غورًا ونُشدانًا للخير العام، من دون التفريط في الحريات الأساسية، أي من دون أن يجور الخير العامّ على الخير الخاص لأفراد المجتمع"[51]. هكذا اعتبر جدعان، ثالثًا، أنّ النزعة الجماعتية قادرة هي الأخرى على ملء فراغ في فكرنا السياسي؛ فهي تشدّد على قضيتَي "حيادية الدولة" و"سياسة الهوية الذاتية"، وهما قضيتان مركزيتان في الفعل الحيوي للنسيج السياسي والاجتماعي لمجتمعاتنا. و"إنّ ثمّة توافقًا عامًّا بين الجماعتية والاتجاه الأغلبي في مجتمعاتنا، من حيث إننا لا نقبل أن تتخلّى الدولة عن مسؤوليتها الاجتماعية [...] ودولة الحدّ الأدنى واليد الخفية التي يتكلّم عليها الليبراليون والليبرتاريون لن يترتب عليها في المجتمعات العربية ودولها، إلّا المزيد من الفوضى والظلم والفساد. لكن، من وجه آخر، نحن لا نطيق أن تتدخّل الدولة في 'الخيارات التفضيلية للأفراد'، وأن تفرض على المواطن طبيعة 'المصير الذاتي' الذي ينبغي أن يحققه، وطبيعة 'النظام الفكري' الذي يجب أن يجسّده في حياته الخاصة"[52].

بذلك تكون الجماعتية استرجاعًا لدور الدولة والمجتمع في خلْق مجتمعٍ عادل، من دون التضحية بحرية الإنسان العربي. علاوة على ذلك، يعتقد جدعان، رابعًا، أنّه من الممكن أقلمة النظريات النسوية في العدل مع الراهن العربي، ولا سيما أنّ مجتمعاتنا في أمس الحاجة إلى عدالة بين الجنسين، أساسها المساواة العادلة والاعتراف بقيمة المرأة ومكانتها. يلخّص جدعان تصوّره لـ "فكرة" العدل التي يحتاج إليها المجتمع العربي انطلاقًا من فكرة المصلحة في قوله: "نستطيع، باطمئنان عظيم، دمجها [نظرية المصلحة] في مركب نظرية عربية في 'العدل الاجتماعية'، أركانها الأساسية: المنفعة الضاربة في الخير العام، وليبرالية تكافلية حافظة للحريات الأساسية والمساواة في الفرص، وفي توزيع الخيرات الاجتماعية، مع الإقرار بالتفاوت وإنصاف الأفراد والفئات الأقل حظًا، وتعزيز القواعد الحامية للهوية في إطار تنمية القدرات والملكات الفردية الحريصة على الجمع بين خير الفرد وخير الجماعة، واجتناب مخاطر 'الأنا الذري' الفرداني والنرجسي، وتعزيز مبدأ الخير العام، وإرساء بنيان المساواة النسوية بإبداع قراءة تأويلية مساواتية للنصوص الدينية التي يفيد ظاهرها المتشابه أوضاعًا لامساواتية وغير عادلة"[53].

واضحٌ أننا أمام محاولة توفيقٍ تطمح إلى استيعاب مكتسبات الفكر السياسي المعاصر انطلاقًا من متطلّبات المجتمعات العربية، وهي لهذا السبب بقيت محاولة مسكونة بهواجس العالم العربي، ومحكومةً في الآن نفسه بنفَسٍ انتقائي ورؤية إسقاطية.

نلاحظ، أوّلًا، أنّ جدعان لم يهتم، بما يكفي، بالشرط السياسي والثقافي للعدل، ويخيَّل إلى قارئه أنّه يقترح "وصفات علاجٍ جاهزة" لواقع المجتمعات العربية، من دون أن يلحظ مقاومة البنى السياسية لفكرة العدل نفسها. صحيحٌ أنه يشير في نهاية دراسته إلى الحاجة إلى الديمقراطية بصفتها شرطًا لتجسيد تصوّره للعدالة، غير أنّ الديمقراطية لا تُختزل في بعدها المؤسساتي، ولا هي وصفة جاهزة يمكن تطبيقها على هذا المجتمع أو ذاك. وفي حالة المجتمعات العربية، فإنّ البنى العُصْبَوية والثقافة السياسية العتيقة لا تزال تلقي بظلالها على وعينا السياسي، وتحول دون توطين الديمقراطية في المجتمعات العربية وتصييرها آليةً لتدبير الاختلاف وتنظيم العيش المشترك وفق مبدأ العقلانية والمصلحة[54]. يعني هذا القول إنّ الحديث عن عدل عربي، أو عن التلقّي العربي للنظريات الغربية المعاصرة، ينبغي له أن يصدر عن دراسة سوسيولوجية ونفسية للثقافة السياسية والوعي الجمعي السياسي العربي، في ضوء رهان التأسيس لنظرية سياسية في العدل، بغرض الوقوف على مفعول البنية الطائفية والعصبوية للمجتمعات العربية، كما على أثر المرجعيات الثقافية (الدينية والرمزية والأخلاقية) الواعية وغير الواعية، في توجيه فهمنا وتأويلنا للفكر المعاصر ومفاهيمه. ونسجّل، ثانيًا، أنّ انتقائية جدعان شملت التراث الإسلامي أيضًا، وانتهت به إلى تجزيئه على نحوٍ لا يلحظ التداخل بين قطاعاته وامتدادات مفاهيمه بينها، وهذا ما نستشفّه من حكمه على العدل الكلامي الذي حصره في بعده الميتافيزيقي، وعلى العدل الفلسفي الذي لم يكن عنده غير علامة على فلسفة أخلاقية منفصلة عن الواقع. كما تبدّى المنزع الانتقائي، ثالثًا، في تعويل جدعان على نظرية المصلحة في تلقّي الفلسفة النفعية، وهذا أمر يفترض مسبقًا

50 المرجع نفسه، ص 100.

51 المرجع نفسه.

52 المرجع نفسه، ص 101.

53 المرجع نفسه، ص 103.

54 عزمي بشارة، **الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 456؛ عزمي بشارة، **في المسألة العربية: مقدمة لبيان ديمقراطي عربي** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007)، ص 111.

إمكانية فصلها عن البرادايم المعرفي الذي تشكّلت في تربته، والنظر إليها باعتبارها آلة يمكن توظيفها في أي سياق فكري آخر. والحال أنّ عبقرية فقهاء المقاصد حملتهم على تسويرها بفكرة الكلّيات، والتقعيد لها بمبدأ اقتران الشرع بالمصلحة والعدل[55].

بذل الفقهاء المحدثون جهدًا في تطويع هذه النظرية مع طوارئ الراهن وأسئلته المحرجة، ولا سيما السياسية منها. غير أنّ السؤال الذي يعترضنا، هنا، يتعلّق بإن كانت نظرية المقاصد، في صيغتها التقليدية، المتحدّرة إلينا من التراث ورؤيتها إلى المصلحة، تستوعب المنزع النفعي المتجذّر في المادية وامتداداتها في الفكر السياسي المعاصر؛ وإن كانت هذه النظرية كافية لاستيعاب التصوّر الحديث والمعاصر للدولة والمجال السياسي. ويمكن أن نتساءل إن لم نكن في حاجة إلى تجاوز التعامل الترقيعي مع نظرية المصلحة والوعي بأنها جزء من منظورٍ متكامل في السياسة، يقوم على البراغماتية، وأنّ هذا الأمر يستلزم تصوّرًا واقعيًا للمشروعية السياسية نفسها. فقد كان على رولز أن يخوض سجالًا طويلًا مع ممثلي الفلسفة النفعية، وأن يعترف بواقع تنازع المصالح وافتراض تجاهلها المتبادل بين الأفراد على مستوى الوضعية الأصلية وحجاب الجهل، كي يحرّر فكرة العدل من أفق الذرائعية، ويوسع أمامها باب التوزيع المنصف، من دون التنكّر لواقع المنفعة ودورها في صياغة تصوّرنا عن العدل[56]. لكنه كان مدركًا، في الآن ذاته، أنّ نظريته جزء من رؤية سياسية يستقيم أمرها على الفهم الواقعي للسياسة من حيث هي تدبير المصالح وتوزيع الخيرات[57]، وعلى الديمقراطية ونموذج الدولة المنتظم لها[58].

أمّا في سياقنا العربي الإسلامي، فإنّ فكرة المصلحة غالبًا ما جرى استعمالها، خاصة من المحدثين، لتبرير موقفنا من طوارئ عارضة، بمعزلٍ عن التفكير في موقع المصلحة داخل نسق فكرنا السياسي. صحيح أنّ فقيهًا مثل عبد الله بن يوسف بن عبد الله الجويني قد اتّكأ على فكرة المصلحة لتبرير ما سمّاه طوارئ السياسة، وأن غيره برّروا ذلك بمفهوم أحكام الوقت عملًا بالمبدأ القائل: "إن الضرورات تبيح المحظورات"، وأنّ "ما لا يكون الواجب إلّا به فهو واجب" ... إلخ، غير أنّ وعي الفقهاء المتقدمين بمفعول المصلحة في السياسة حملهم على بلورة نظرية غدا فيها الشرع نفسه محكومًا بالمصلحة، عندما يتعلّق الأمر بالسياسة والدولة. هذا ما نلفيه في تجويز الماوردي لولاية المستبد، وفي اعتراف الجويني بشرعية سلطة نظام المُلك، كما في إقرار محمد أبو حامد الغزالي بعقد الخلافة لمن قهر وتغلّب ... إلخ؛ فهذه كلّها أحكام احتاجت إلى الاستناد إلى نظرية في السياسة، تتبوّأ فيها المصلحة مكانة محورية، وقد وظّفوها وفق ما يقتضيه نموذج المُلك الذي شكّل أفقهم السياسي آنذاك، ولم تكن المصلحة مجرّد "آلية منطقية" يتم تسخيرها لمواجهة حدث عارض، بل استطاع هؤلاء الفقهاء تحويل المصلحة إلى آلية للتسويغ وإضفاء المشروعية على المنظومة السياسية برمّتها. لذلك يختلف استعمال الفقهاء المتقدمين للمصلحة عن أضرابهم المحدثين الذين يكتفون بالانتقائية في توظيفهم هذه الفكرة، من دون الإقدام على وضعها داخل منظومة فكرية سياسية متكاملة. ولعلّ هذا الفهم التبسيطي للمصلحة هو ما حمل جدعان نفسه على الاعتقاد أنّ أخذ المصالح الدينية (الأخروية) في الحسبان يمكن أن يُسهّل تلقّي المذهب النفعي في العدل، من دون تنبيه القارئ إلى الفجوة الفاصلة بين المنظورَين القديم والحديث لمفهوم المصلحة. يعني هذا القول، في جملة ما يعنيه، أنّ تلقّف المذهب النفعي يحتاج إلى تطوير رؤية مغايرة إلى المصلحة، تحول دون تحوّل المقاصد إلى آلية للتبرير، بدلًا من أن تكون وسيلة لتطوير الشرع، وتحصين مبدئه القائل إنه حيثما كان العدل، فثمّة شرع الله.

تقودنا هذه الملاحظات إلى الإقرار بمحدودية المقاربة التوفيقية بين التراث السياسي والفكر المعاصر فيما يخص مفهوم العدل، وبالحاجة إلى الوعي بأنّ هناك شروطًا أخرى تتدخّل في تأويلنا مكتسبات الفكر المعاصر، هي عينها التي تفرض علينا تأويلًا مغايرًا لتراثنا السياسي نفسه. ولا يكفي التشديد على أولوية العدل السياسي والاجتماعي[59]، ولا ادّعاء القدرة على التبرّم الكلّي من المفهوم الميتافيزيقي واللاهوتي للعدل[60]، للقول إننا قادرون على استضافة المرجعيات الغربية من دون وعي، باختلاف السياق الاجتماعي والشرط التاريخي الحاكم لعملية الاستضافة تلك. ومتى انتبهنا إلى ذلك الاختلاف، ووعينا بفرادة المجتمعات العربية وخصوصية تاريخيتها، أدركنا أنّنا مدعوّون إلى التفكير في العدل وفق منظور يلحظ هذا السياق.

ثالثًا: التسويغ وتجاوز الرؤية الجوهرانية للعدل

جرت عادة الفلاسفة على التفكير في العدل من خلال تحديد ماهيته، من حيث هو قيمة مطلقة، تؤسس للمجتمع المثالي والفاضل. ويبدو أن اعتراف الفلاسفة المعاصرين بنسبية العدل جسّد اقتناعهم بتعذّر

55 كما نجده عند عبد الله بن عقيل وابن تيمية وابن القيم الجوزية.

56 Rawls, *Théorie de la justice*, p. 39.

57 جون رولز، **الليبرالية السياسية**، ترجمة نوفل الحاج لطيف (بيروت: جداول، 2022)، ص 246.

58 Rawls, *Justice et démocratie*, p. 324.

59 جدعان، ص 103.

60 نصّار، ص 236.

ذلك، حينما ربطوه بسياقاته المتعددة، بدلًا من التفكير في مفهومه المجرّد والمطلق. لذلك يختزل مفهوم العدل المعاصر مختلف الأسئلة السياسية المتعلقة بالدولة والمجال العمومي والعيش المشترك ومآله والاختلاف الثقافي وطرائق تدبيره وفق آلية الاعتراف ... إلخ[61]، وقد صار عنوانًا عريضًا لمبحثٍ فلسفي تتقاطع فيه مجالات الفلسفتين النظرية والعملية. لم يعد منظور الفلسفة السياسية والأخلاقية الكلاسيكي كافيًا لفهم مقاصد التصور المعاصر للعدل، وسرعان ما بات على المهتمين بهذا السؤال أن ينهلوا من قطاعات معرفية كثيرة ومتعددة لبلورة فهم معقول له؛ إذ يحضر في تفكيرهم المنظور الاجتماعي والسياسي والأخلاقي والتاريخي والأنثروبولوجي والاقتصادي والقانوني ... إلخ. أما المنظور الفلسفي، فيعمل على صياغة رؤية تستوعب كل تلك المعارف في إطار مفهوم مركّب.

لا يبدو أنّ الفكر السياسي العربي المعاصر قد أقدم على مثل هذه الخطوة، وبدلًا من الوعي باندراج العدل في سياق المجتمع وأسئلته، وبناء منظورٍ مركّب للتفكير في هذا المفهوم يستحضر سياقاته وتداخلاتها، لا نزال نعتقد أنه يكفي الترويج للمرجعيات الأخلاقية والسياسية الغربية، أو التراثية، كي نقدّم "الجواب الأنسب" عن أسئلة العدل في سياق المجتمع العربي المعاصر. وما زلنا نفكر في العدل من منظور السؤال الجوهراني العتيق: "ما العدل؟"، بدلًا من مقاربته من منظور سؤال أكثر واقعية ونسبية: كيف يمكن تحويل العدل إلى قيمة أساسية في الثقافة العربية؟ وبأي معنى يمكن أن يصير المجتمع العربي مجتمعًا عادلًا؟ يزجّ بنا السؤال الأول في آفاق مفهوم العدل وتاريخ نظرياته، في حين يضعنا السؤال الثاني على أعتاب فكرة عن العدل يستدعيها المجتمع العربي، وتأخذ في الحسبان تاريخية وعيه ومنظوره المعياري، وأثر الفكر المعاصر في توجيه رؤيته واختياراته؛ وهو ما يستلزم تطوير منظور معرفي مركب لصياغة تلك الفكرة.

لم يعد في مقدورنا، اليوم، الاكتفاء بما يقدّمه تاريخ الفلسفة والقانون والأخلاق من نظريات عن العدل؛ لأنّ إشكالية العدل أمست تركيبًا بين أسئلة تحتاج إلى بناء معرفي متكامل ومركّب في الآن ذاته، كما أنّ مفهومها بات ينتمي إلى نظامٍ معرفي استطاع الانفصال عن نظام المعرفة الكلاسيكية الذي في تربته تشكّل المفهوم التقليدي للعدل. لذلك يُفترض في هذا المنظور التركيبي القدرة على قراءة التراث الأخلاقي والسياسي العربي – الإسلامي، في ضوء الثورة المعرفية التي شهدها العقل الغربي منذ مطلع القرن التاسع عشر فيما يتعلق بتصوّره للإنسان ومفهومه؛ وهي ثورة كرّست قيم النسبية المعيارية على مستوى الحياة الأخلاقية والسياسية معًا.

كشف توظيف الفلاسفة المعاصرين لمفهوم التسويغ عن نسبية العدل واندراجه، كغيره من القيم السياسية والأخلاقية، في سياقات سياسية واجتماعية وثقافية مختلفة؛ فلم يعد من الممكن اختزاله في مفهومٍ مطلق ومتعالٍ عن تلك السياقات وسابق لها، من قبيل مفاهيم المساواة والإنصاف والتناغم ... إلخ، إنما غدت فكرة العدل نتيجة سيرورة تتفاعل فيها الشروط الواقعية والتطلّعات المجتمعية والرهانات السياسية والأخلاقية للوعيَين الجمعي والفردي، وهذا ما يشي باندراجها في أفق رجاءٍ جماعي مشترك. لا غرابة في أن يُبدل المعاصرون سؤال "ما العدل؟" بآخر قد يبدو أقلّ تجريدًا، لكنّه أكثر واقعيةً وتشبّعًا بالنسبية، وأقدر على التقاط متغيرات الواقع الاجتماعي وشروطه؛ بأي معنى يكون المجتمع عادلًا؟ فقد أتاح هذا "الإبدال" ربط العدل بالمجتمع وأسئلته السياسية والاقتصادية والثقافية، والوعي بنسبيته في أفق معياري. هذا ما نلفيه في نقد أمارتيا صن للنزعة المركزية الغربية وتصوّرها لعلاقة العدل بالديمقراطية والتقدم، واعتقاده أن الفلسفة السياسية الغربية كرّست سردية احتكار النموذج الغربي لمفهومَي الديمقراطية والعدل، منبّهًا، في الآن ذاته، إلى إمكانية البحث للممارسة الديمقراطية عن إرهاصات لدى الثقافات السابقة للحضارة الغربية، شرط أن نتخطّى الفهم الصوري للديمقراطية، والفهم المثالي السكوني للعدالة، فندرك الديمقراطية من حيث هي "تدبير للشأن العام، يعتمد النقاش العمومي"[62]، ونفهم العدل بصفته دفعًا متدرّجًا للظلم وممارسةً تربط الحرية بالتنمية ومحاربة المظاهر الاجتماعية والاقتصادية للجور. خلف هذا النقد للمفهوم الغربي للعدل، يكمن وعيٌ بنسبية قيمته كما بالحاجة إليه لترشيد الفعل السياسي وفق نموذج لمجتمع عادل يترتب على المواجهة المستمرة للجور وتجلياته في الواقع المعيش. لذلك فضّل صن الحديث عن "فكرة العدل"، بدلًا من مسايرة سعي الفلاسفة للإمساك بجوهر مفهومه.

يمثّل الوعي بنسبية العدل واقتران صلاحية قيمته بسياقاته الشرطَ القبلي لفهم علاقته بعملية التسويغ، وتشير هذه الأخيرة إلى إضفاء الصلاحية على فكرة أو قيمة معيَّنة، والارتفاع بها إلى مستوى القيمة التي تحظى بالمقبولية من منظورٍ معياري. فهو، إذًا، آلية لإنتاج الصلاحية والمقبولية التي يحتاج إليها العيش المشترك ومجاله السياسي، وهو من هذه الجهة عملية محكوم عليها بالنسبية، ما دام أن الحجج والمسوغات يمكن أن تتسلسل إلى ما لا نهاية، كما بيّن

61 عبد العزيز ركح، **الشرعية الديمقراطية من التعاقد إلى التواصل: هابرماس في مواجهة رولز** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019)، ص 12.

62 Amartya Sen, *L'idée de justice* (Paris: Flammarion, 2012), p. 399.

لودفيغ فيتغنشتاين[63]. وإذا كان رولز قد اعتبر الحسّ بالعدل من مقومات المواطن وهويته السياسية[64]، فإنّ فهم هذا الشعور/ الحسّ يستلزم الوعي بدور تسويغ القيم والمعايير داخل الفضاء السياسي، كما بالاستراتيجيات التي يوظفها الأفراد والجماعات السياسية والسلطة؛ ما يعني أنّ قيمة العدل تتحدّد في إطار الاستعمال العمومي للعقل، وتقترن دلالتها بما سيؤول إليه النقاش العمومي بشأن أسئلتها. على أنّ "التسويغ" لا يتماهى مع "التبرير"، على الرغم من التداخل القائم بينهما؛ إذ ينحو التبرير إلى حملنا على قبول الواقع كما هو، من دون التفكير في تجاوزه، فهو تكريس للوضع القائم في انفصال تامّ عن كل أفق لتغييره في المستقبل. بذلك يقدّم التبرير الواقع في صورة الإمكان الوحيد المتاح أمام الفعل الإنساني، فلا يترك للعقل العملي من بديلٍ غير البحث عن مبررات للتأقلم مع الواقع وتقبّله. أمّا التسويغ، فهو عملية ذهنية تتأرجح بين الواقع والمعيار، وتعيد بناء صورة الواقع في إطار مآلٍ ممكن؛ حيث ينطلق من الواقع صوب المعيار الذي يتمّ توظيفه من أجل رسم أفقٍ ممكن للواقع، فينقلنا، ذهنيًا على الأقلّ، من الوضع القائم صوب الوضع الممكن الذي نأمله؛ ما يجعل هذا الأخير نفسه مآلًا ممكنًا بالنسبة إلى المجتمع.

في هذا الإطار، يمكن فهم النّفَس المعياري لمفهوم العدل؛ فهو ليس محضَ وصف للواقع وانعكاسًا للوضع القائم، ولا هو مثال متعالٍ أو حلمٌ متعذّر، إنما هو "أفق معياري" ممكن ومتاح أمام الإنسان وعيشه المشترك. وللسبب عينه استطاعت فكرة العدل تحريك المجتمعات وخلق "رجاءٍ مشترك" في الانتقال نحو مجتمع عادل. في سياق التسويغ، ندرك أن فكرة العدل نتيجة وعي قلق بالوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي القائم، وأنها تمثّل نموذجًا ذهنيًا مرشدًا إلى "المجتمع العادل". وينبّهنا مفهوم العدل إلى مظاهر الجور السياسي والاجتماعي والثقافي القائم، ويكشف التسويغُ عن استراتيجيات تبرير الجور وتحويل مسوّغاته إلى حقائق وبدهيات معيارية. نتمكّن من هذا المنظور، على سبيل المثال، من الوقوف على مظاهر الحيف التي تكرّسها بعض الطقوس الثقافية التي نستند في تسويغها إلى سلطة التقاليد والماضي، عندما ندرك أنّ الأمر لا يتعلّق بـ "بداهة أخلاقية"، إنما بـ "حجج" و"تصوّرات" معيارية ذات طابع عملي، يرتفع بها التسويغ إلى مستوى البداهة والقيمة الثقافية ذات الصلاحية المعيارية، وبالوضع المترتب عليها إلى مستوى الوضع العادل والمقبول، بما يعنيه ذلك من وعي بمفعول الآليات السيكولوجية والذهنية في بناء صلاحية القيم والمعايير وتسويغ الأفعال "العادلة"[65].

نشدّد على علاقة التسويغ بالعدل تجنّبًا لحصره في نموذج المجتمع الغربي - الديمقراطي المتقدم سياسيًا، كما قد يُفهم من حديث رولز ويورغن هابرماس وتلاميذه عن الديمقراطية المرتبطة بالمجتمعات المتقدمة؛ لأنّ ربطه بالديمقراطية التشاورية وفضائها العمومي قد يوحي بأنّ فهم اشتغاله في سياق مجتمعات، لم تدرك المستوى نفسه من التقدّم، يبقى أمرًا متعذّرًا. والحال أنّ التسويغ ليس حكرًا على مجتمع بعينه، ولا على تجربة سياسية محددة، وإنما هو آليةٌ ذهنية مرتبطة بقدرة الإنسان على إعطاء ذاته وأفعاله والعالم المحيط به معنى. وأعتقد أنّ إعماله في فهم مشكلة العدل في السياق العربي أمرٌ ممكن، ومن شأنه أن يتيح فهمًا مغايرًا له، يلحظُ اختلافَ سياقاته الثقافية والمجتمعية. بذلك ننتقل في استشكال العدل من المقاربة الماهوية إلى المقاربة السياقية. سيكون على الباحثين أن يأخذوا في الحسبان استراتيجيات التسويغ الثقافي، بما يعنيه ذلك من ضرورة إضفاء النسبية على القيم والمعايير والاقتناع بأنّ الأمر يتعلّق بقيمة يمكن التفاهم بشأنها. في ظلّ هذا المنظور، يبقى تأويل التراث السياسي والمرجعيات الحديثة بوصفها نماذج لاستراتيجيات تسويغٍ لقيمة العدل وإنتاجٍ لصلاحيتها، بما يقتضيه ذلك من اعترافٍ بأننا نؤوّلها في سياق ثقافي وسياسي وأخلاقي مختلف عن الذي نشأت فيه، وأنّ توظيفها اليوم يرمي إلى الإسهام في بناء "ذاتٍ سياسية" فاعلة قادرة على استيعاب شروط وجودها.

خاتمة

لم ننطلق في هذه الدراسة من موقف عدمي من التراث السياسي الاسلامي، إنما كانت غايتنا التنبيه إلى أنّ حضور هذا التراث في الفكر السياسي العربي اليوم، وهيمنته على الكثير من مرجعيات التسويغ فيه، يفرض علينا التموقع في دوائره قصد فهم منطق اشتغاله؛ وهي خطوة من شأنها أن تساعد في الخروج من رؤيته للسياسة والإنسان، التي ما انفكت تشكّل أحد أبرز مكوّنات أزمة فكرنا السياسي. ليست هذه الرؤية منفصلة عن مفهوم التسويغ التي تثوي وراء تشكّل مفاهيم حياتنا العملية، وقد بيّن درس الفلسفة العملية المعاصرة أهمية هذا المفهوم ودوره المفصلي في بناء مفاهيمنا الأخلاقية والسياسية، وهذا ما سعينا لإثباته من خلال توظيفه في تناول تصوّر

63 جوليا هيرمان، **اليقين الأخلاقي والتسويغ والممارسة**، ترجمة سمير عبد الرحيم (بيروت: ابن النديم، 2024)، ص 28.

64 John Rawls, *La justice comme équité: Une reformulation de Théorie de la justice* (Paris: La découverte, 2008), p. 32.

65 حتى فعل القتل قد يغدو مسوّغًا من الناحية النفسية والمعيارية الأخلاقية. ينظر: هيرمان، ص 20. وقد حلّل فيودور دوستويفسكي التسويغ القيمي والسيكولوجي للجريمة في رواية **الجريمة والعقاب**، في سياق وصفه قرار راسكونيلكوف الإقدام على ارتكاب جريمته.

الفكر السياسي العربي المعاصر لمفهوم العدل الذي ينضح بمعالم أزمة النظرية السياسية في السياق العربي. اتضح، في ضوء هذه المقاربة، أنّ الفكر السياسي العربي غالبًا ما عمد إلى إسقاط المفهوم التراثي، أو الغربي المعاصر، للعدل على راهنه الخاص، معمّقًا بذلك الفجوة بين المفهوم والواقع، ومتجاهلًا سياقية مفهوم العدل وتجذّره في رؤية ثقافية ومعيارية تضفي عليه الكثير من النسبية. ليست المشكلة، إذًا، في مضمون مفهوم العدل عندنا، إنما في المنظور الفلسفي الذي نصدر عنه في مقاربتنا له، لذلك شدّدنا على أهمية النقد المعرفي لهذا المنظور، واقترحنا منظورًا تركيبيًا ينهل من مكتسبات الفلسفة السياسية الحديثة والمعاصرة، ولا سيما في جانبها المنهجي[66]، ويدعو إلى تكريس رؤية نسبية للعدل، منفتحة على مختلف مكوّنات الفكر السياسي المعاصر. خلف تصوّرنا للعدل، يثوي تصوّر للذات الإنسانية الحاكمة لقيمته، وإذا كان الفلاسفة المعاصرون قد ذهبوا بعيدًا في البحث عن تلك الذات واعتبارها محور المجتمع العادل المنفتح على التعدد الثقافي، فإنّ مثل هذا العمل لم يُنجز عندنا بعد؛ وهذا ما يكشف عن حاجتنا إلى الاستفادة من درس الفلسفة السياسية والأخلاقية المعاصرة، وترسيخ وعي بأنّ أزمة العدل والنظرية السياسية تبقى عندنا، في جوهرها، أزمة الذات الإنسانية والإنسان.

66 Bobbio, *Teoria general de la politica*, p. 98.

المراجع

العربية

ابن الأزرق، محمد بن علي بن محمد. **بدائع السلك في طبائع الملك**. تحقيق علي سامي النشار. بغداد: منشورات وزارة الإعلام، 1977.

ابن المقفع، عبد الله. **رسالة الصحابة**. بيروت: دار البحار، 2009.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. **الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية**. بيروت: دار الكتب العلمية، [د. ت.].

ابن خلدون، عبد الرحمن. **المقدمة**. بيروت: دار الكتب العلمية، 1999.

بشارة، عزمي. **في المسألة العربية: مقدمة لبيان ديمقراطي عربي**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007.

_____. **مقالة في الحرية**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

_____. **الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

بغورة، الزواوي. **الاعتراف: من أجل مفهوم جديد للعدل، دراسة في الفلسفة الاجتماعية**. بيروت: دار الطليعة، 2013.

_____. **السياسة الحيوية من منظور الفلسفة الاجتماعية: دراسات في الجسد والمرض والعنصرية والعدالة الصحية في النظام الدولي الجديد**. بيروت: دار السؤال، 2022.

_____. "خطاب العدل في الفكر العربي المعاصر: دراسة تحليلية ونقدية لنماذج أيديولوجية ونظرية". **تبيّن**. مج 12، العدد 47 (شتاء 2024).

بلقزيز، عبد الإله. **في الدولة**. بيروت: منتدى المعارف، 2019.

بنعبد العالي، عبد السلام. **هايدغر ضد هيجل (التراث والاختلاف)**. بيروت: دار التنوير، 2006.

الجابري، محمد عابد. **العقل السياسي العربي: محدداته وتجلّياته**. ط 4. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000.

_____. **العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية**. نقد العقل العربي (4). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2001.

_____. **المشروع النهضوي العربي: مراجعة نقدية**. ط 5. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016.

جونستون، ديفد. **مختصر تاريخ العدالة**. ترجمة مصطفى ناصر. سلسلة عالم المعرفة 387. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2012.

دليل كامبردج في فلسفة القانون. ترجمة حمد شكري. جون تاسيولاس (محرر). الرياض: نادي الكتاب، 2024.

الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله. **الغياثي: غياث الأمم في التياث الظلم**. تحقيق خليل عمران المنصور. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003.

الحداد، محمد. **محمد عبده: قراءة جديدة في خطاب الإصلاح الديني**. بيروت: دار الطليعة، 2003.

ركح، عبد العزيز. **الشرعية الديمقراطية من التعاقد إلى التواصل: هابرماس في مواجهة رولز**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019.

رولز، جون. **الليبرالية السياسية**. ترجمة نوفل الحاج لطيف. بيروت: جداول، 2022.

السيد، رضوان. **سياسات الإسلام المعاصر: مراجعات ومتابعات**. بيروت: دار الكتاب العربي، 1997.

_____. **الأمة والجماعة والسلطة: دراسات في الفكر السياسي العربي الإسلامي**. بيروت: جداول، 2011.

السيّد، رضوان وعبد الإله بلقزيز. **أزمة الفكر السياسي العربي**. بيروت: دار الفكر المعاصر، 2006.

شاربروت، أوليفر. **محمد عبده: الإسلام الحديث وثقافة الالتباس**. ترجمة طارق غانم. بيروت: نماء، 2023.

السياسة الشرعية: مجموعة رسائل. تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي وأحمد فريد المزيدي. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003.

الشيزري، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر بن عبد الرحمن. **النهج المسلوك في سياسة الملوك**. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003.

الصغير، عبد المجيد. **المعرفة والسلطة في التجربة الإسلامية: قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة**. القاهرة: رؤية للتوزيع والنشر، 2010.

عبد اللطيف، كمال. **في تشريح أصول الاستبداد**. بيروت: دار الطليعة، 1999.

العلام، عز الدين. **الآداب السلطانية: دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي**. سلسلة عالم المعرفة 324. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2006.

_____. **النصيحة السياسية: دراسة مقارنة بين آداب الملوك الإسلامية ومرايا الأمراء المسيحية**. بيروت: مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2017.

العلوي، سعيد بنسعيد. **الأيديولوجيا والحداثة: قراءات في الفكر العربي المعاصر**. بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1987.

فازيو، نبيل. **العدالة والعدل: مساهمة في تفكيك بارادايم الملك في الإسلام الكلاسيكي**. بيروت: مؤمنون بلا حدود، 2019.

_____. "الوضعانية القانونية ونسبية القيم: الحق والعدالة بين هانز كلسن ونوربيرتو بوبيو". **تبيّن**. مج 11، العدد 49 (2024).

فريدمان، صمويل. **اتجاهات معاصرة في فلسفة العدالة: جون رولز نموذجًا**. ترجمة فاضل جتكر. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.

الكواكبي، عبد الرحمن. الأعمال الكاملة للكواكبي. ط 3. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007.

مجيد، حسام الدين علي. **إشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر: جدلية الاندماج والتنوّع**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010.

ما العدل؟ معالجات في السياق العربي. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014.

المرادي، محمد بن الحسن الحضرمي. **كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة**. تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003.

مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب. **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**. حققه وشرح غريبه ابن الخطيب. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، [د. ت.].

نصّار، ناصيف. **منطق السلطة: مدخل إلى فلسفة الفعل**. ط 2. بيروت: دار أمواج، 2001.

هيرمان، جوليا. **اليقين الأخلاقي والتسويغ والممارسة**. ترجمة سمير عبد الرحيم. بيروت: ابن النديم، 2024.

الأجنبية

Bobbio, Norberto. *Le future de la démocratie*. Paris: Seuil, 2007.

_____. *Teoria general de la politica*. Madrid: Trotta, 2009.

Carré, Louis. *Axel Honneth: Le droit à la reconnaissance*. Paris: Michalon, 2013.

Dhouib, Sarhan & Mongi Serbaji (dir.). *La Justice dans une perspective transculturelle*. Paris: L'Harmattan, 2024.

Forst, Rainer. *Justification and Critique*. Cambridge: Polity, 2014.

Fraser, Nancy. *Qu'est ce que la justice sociale? Reconnaissance et redistribution*. Paris: La découverte, 2011.

Habermas, Jürgen. *Vérité et justification*. Paris: Gallimard, 2001.

Kelsen, Hans. *Théorie pure du droit*. Bruxelles: Bruylant, 1999.

Kymlicka, Will. *Les théories de la Justice: Une introduction*. Paris: La découverte, 2003.

Rawls, John. *Théorie de la justice*. Paris: Nouveaux Horizons, 1987.

_____. *La justice comme équité: Une reformulation de Théorie de la justice*. Paris: La Découverte, 2008.

_____. *Justice et démocratie*. Paris: Seuil, 1993.

Sen, Amartya. *L'idée de justice*. Paris: Flammarion, 2012.

Strauss, Leo. *La tyrannie*. Paris: Gallimard, 1954.

Taylor, Charles. *Les sources du moi: La formation de l'identité moderne*. Paris: Seuil, 1998.

صـدر حديـثًا

تـأليف: ديباسيش روي شودري وجون كين
تـرجمة: هيثم فرحت

قتلُ الديمقراطية: جنوح الهند نحو الاستبداد

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ضمن سلسلة ترجمان، كتاب **قتلُ الديمقراطية: جنوح الهند نحو الاستبداد** *To Kill a Democracy: India's Passage to Despotism*، وهو من تأليف ديباسيش روي شودري وجون كين، وترجمة هيثم فرحت. ويقع في 368 صفحة، شاملًا مقدمة وخاتمة ومراجع وفهرسًا عامًا، وقائمة أشكال وصور.

التسلم Received 2024-10-5
التعديل Revised 2025-3-8
القبول Accepted 2025-4-15
المعرّف الرقمي DOI https://doi.org/10.31430/DLRF8678

عماد العلي | Emad Alali*

الثورة بين الأهداف الواقعية والمضامين المعيارية: نحو قراءة جديدة في الثورات العربية

Revolution between Realistic Objectives and Normative Implications: Towards a New Reading of the Arab Revolutions

يتواصل الجدل بشأن ثورات "الربيع العربي" وتقييم نتائجها، خاصةً في إطار ثنائية "النجاح/الفشل"، واستنادًا إلى أدوات التحليل السوسيولوجي التي تؤكد إجمالًا قصور الثورات العربية وأفكارها. تجادل هذه الدراسة بأن للثورات العربية أهدافًا إصلاحية ذات مضامين قيمية ومعيارية، تَمَسُّ جوهر المسألة السياسية، ولا تقل أهمية عن الأهداف المادية، مثل إسقاط أنظمة الحكم، وتحاول تقديم قراءة مختلفة للحالة العربية اعتمادًا على منهجية معرفية مُغايرة، وتسعى لإظهار مضامين الحراك الشعبي السياسية غير المادية، وذلك من خلال مدخل مفهومي ومنهجي جديد، يشتمل على أفكار وتصورات معيارية وسوسيولوجية. وفقًا لذلك، تركّز الدراسة على الأبعاد السياسية للمطالب الثورية التي تَكمُن في رفض الاستبداد على نحو قطعيّ وتأكيد حقوق الفرد الأساسية، وتحاول دَحض تقييم الثورات العربية بالفشل في تحقيق الانتقال الديمقراطي، وتفترض – في أثناء ذلك – أن الهدف الثوري غير المادّي يتمثل في إبراز ما يمكن تسميته "العودة إلى السياسة" بصفتها قاعدة حَاملة للتغيير السياسي والديمقراطي المستقبلي، التي تعني الدعوة إلى إعادة التفكُّر في كل ما يخصّ المجال السياسي عربيًا، وبناء أُسس جديدة لعلاقة تعاقدية متناسبة مع متطلّبات العصر بين الدولة والمجتمع.

كلمات مفتاحية: الربيع العربي، الثورة، الإصلاح، مفهوم السياسة، الدولة العربية، الديمقراطية.

The debate continues over the "Arab Spring" revolutions and the evaluation of their results continues, especially within the framework of the "success-failure" dichotomy, based on sociological analysis tools that generally emphasize their shortcomings. This study argues that these revolutions have reformist goals with value-oriented and normative contents touching on the core of the political question, which are no less important than material goals such as regime overthrow. Attempting to provide an alternative interpretation of the Arab situation through a different epistemological approach, this study aims to demonstrate the non-material political content of the Arab revolutions by incorporating normative and sociological ideas and conceptions into a new conceptual and methodological approach. Accordingly, the study adresses the political dimensions of revolutionary demands: the decisive rejection of authoritarianism and affirmation of political rights. While attempting to refute the assessment of the Arab revolutions as a failure to achieve democratic transition, it posits that the non-material revolutionary purpose is to highlight a "return to politics" as a basis for future political and democratic change. This is a call to rethink all aspects of Arab politics and to establish new foundations for a contractual relationship between the state and society that meets the conditions of the time.

Keywords: Arab Spring, Revolution, Reform, Concept of Politics, Arab State, Democracy.

* باحث، معهد الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية، جامعة برلين الحرة.
Research Associate, Institute of Islamic Studies, Freie Universität Berlin.
Email: emad.alali@fu-berlin.de

أولًا: مدخل نظري ومنهجي

جاءت ثورات الربيع العربي نتيجةً لواقع متأزّم سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا؛ إذ دعت المظاهرات إلى إصلاحات جذرية للخروج من الواقع الحالي الموسوم بالتسلّط والقهر، إلى فضاء جديد يسعى لتلبية تطلّعات المجتمعات[1]. ومن المؤكد، في الوقت نفسه، أن الثورات لم ترتكز على برنامج سياسي معيّن، ولم تكن مرتبطة بقوة سياسية، ولم يعكس حراكها أيديولوجيا حزبية بعينها. في المحصّلة، لم ينجح الحراك الشعبي في بلورة برنامج سياسي مستقبلي[2]. وغياب هذا البرنامج السياسي جعل من الصعب تقييم الثورة العربية، باعتبارها ظاهرة سياسية استثنائية. ومع أن الثورات رفعت شعارات ثورية واضحة، ركّزت على مبادئ الحرية والعدالة ودولة القانون والإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية، فإنها لم تطرح رؤيتها لكيفية تحقيق هذه الشعارات والمطالب.

في تناول جاك غولدستون لسببية ثورات الربيع العربي، أبرز مسألة "النظام السلطاني" الذي أدّى إلى فجوة عميقة بين النظام الحاكم والمجتمع المحكوم؛ الأمر الذي يجعل من الانتفاضات العربية ردّة فعل على غياب الاتساق بين النظام السياسي والمجتمع، ذاك الخلل البنيوي في النظام الاجتماعي العام[3]. تركّز هذه المقاربة على النظام السياسي، أو على مؤسسة الحكم (النخبة السياسية) لتفسير الإشكالية السياسية، ولكن ثمّة رأي آخر يعتقد أن السلطوية مجرد امتداد أو انعكاس لنوعية العلاقات داخل المجتمعات العربية[4] (يصح هذا الرأي على الأقل ضمنيًا على بعض المقاربات الأنثروبولوجية في السياق العربي الحديث والمعاصر المنطلقة، من ضمن أمور أخرى، من تفسيرها الآية القرآنية ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: 11)، التي نجدها في سياقات مختلفة عند بعض الكتّاب مثل محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي ومالك بن نبي وحسن الترابي، وغيرهم)[5].

على صعيد آخر، أثارت ثورات الربيع العربي جدلًا داخل الأوساط الفكرية والأكاديمية بشأن تفسير ظاهرة خروج المتظاهرين ضد أنظمتهم الحاكمة المعروفة بطبيعتها الاستبدادية، من دون برنامج سياسي ملموس يقدّم بديلًا من النظام القائم[6]. اعتبر إيفان كراتسيف أن ثورات الربيع العربي كانت انفجارًا لم يكن من الممكن التحكم فيه، وتمرّدًا ضد المؤسسات السياسية لم يتبلور في حزب، أو في حركة واضحة المعالم، لكنها خلّفت آثارًا، وأبقت الأمل في أن يتسبب الحراك الجمعي في تغيير ما في المستقبل[7]. عمومًا، تتوافق آراء كثيرة على أن "المعارضين للنظام السياسي أحدثوا الضجّة الأولى، لكن الكلمة النهائية كانت للعسكر"[8].

في السياق ذاته، ينتقد آصف بيات في كتابه **ثورة بلا ثوار** الحراك الشعبي في الربيع العربي، منطلقًا من الفرضية القائلة إن الثورات العربية افتقرت إلى الإطار الفكري والأيديولوجي القادر على تجذير الحالة الثورية؛ الأمر الذي جعلها أكثر هشاشة أمام الثورة المضادة، مقارنةً بثورات أخرى سبقتها، مثل الثورة الإيرانية (1979) وغيرها[9]. ويذهب بيات إلى القول إن الربيع العربي لم يكن ثورة بالمعنى التقليدي للمفهوم (التغيير السياسي السريع من خلال الحشود الشعبية)[10]،

---

1 لا تشكّل ثورات الربيع العربي حالة استثنائية، فلطالما كانت مظاهر القهر والتسلّط والقمع من الحكومات ضد الشعوب سببًا في التمرد والثورة. ينظر:
Ted Rober Gurr, *Why Men Rebel* (Princeton: Princeton University Press, 1970); Ronald A. Francisco, "The Relationship between Coercion and Protest: An Empirical Evaluation in three coercive States," *Journal of Conflict Resolution*, vol. 39, no. 2 (1995), pp. 263-282.

2 أحمد بودراع، "فشل ثورات 'الربيع العربي': محاولة للفهم"، **جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية**، العدد 11 (2017)، ص 51-64.

3 Jack Goldstone, "Understanding the Revolutions of 2011," *Foreign Affairs*, vol. 90, no. 3 (2011), pp. 8-16.

4 Oliver Schlumberger (ed.), *Debating Arab Authoritarianism: Dynamics and Durability in Nondemocratic Regimes* (Stanford: Stanford University Press, 2007).

5 لا تقتصر هذه النوعية من المقاربات على النقاشات العربية، خصوصًا أن لطبيعة الظروف التاريخية في المجتمعات تأثيرًا في تحديد البرادايمات المستَخدمة. ومن الأمثلة على ذلك أنْ نفترض أنّ كتاب الفيلسوف الألماني هيلموت بليسّنر **الأمة المتأخرة** الذي يحلّل فيه بأدوات المنهجية التاريخية بعض العوامل الثقافية في المجتمع الألماني، التي ساعدت في وصول النازية إلى الحكم في عام 1933، يُعتبر من الأعمال الأنثروبولوجية الفلسفية المهمة التي درست نوعية العلاقات الاجتماعية، إضافة إلى تأثير التحوّلات التاريخية في المجتمع في تشكيل سلطوية المؤسسة السياسية. ينظر:
Helmuth Plessner, *Die verspätete Nation: Über die politische Verführbarkeit bürgerlichen Geistes*, 5 Auflage (Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1994 [1935]).

6 Adam Roberts, "The Fate of the Arab Spring: Ten Propositions," *Asian Journal of Middle Eastern and Islamic Studies*, vol. 12, no. 3 (2018), pp. 273-289.

7 Ian Kratsev, "From Politics to Protest," *Journal of Democracy*, vol. 25, no. 4 (2014), pp. 16, 18.

8 Jason Brownlee, Tarek Masoud & Andrew Reynolds, *The Arab Spring: Pathways of Repression and Reform* (New York: Oxford University Press, 2015), p. 63.

9 آصف بيات، **ثورة بلا ثوار: كي نفهم الربيع العربي**، ترجمة فكتور سحّاب (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2022)، ص 20، 39.

10 "الثورات الاجتماعية هي تحوّلات سريعة وأساسية في بنية المجتمع وطبقاته؛ وهي مصحوبة، ويجري تنفيذها جزئيًا، بثورات قائمة على الطبقات من القاعدة". ينظر:
Theda Skocpol, *States and Social Revolutions: A Comparative Analysis of France, Russia, and China* (Cambridge: Cambridge University Press, 2015 [1979]), p. 4;
يبدو هذا التعريف معنيًا بالشكل الخارجي للثورة فحسب، في حين يتجاهل نقاطًا جوهرية بالنسبة إلى تحليل الثورة باعتبارها ظاهرة اجتماعية، مثل الأفكار الأيديولوجية الثورية والصراع النخبوي أو الطبقي. وعلى الرغم من التوافق الكبير في الأدبيات الأكاديمية على هذا التعريف للثورة، فإنه بالتأكيد ليس التعريف الوحيد. من أجل نظرة عامة في بعض التعريفات، ينظر مثلًا:
Lawrence Stone, "Theories of Revolution," *World Politics*, vol. 18, no. 2 (1966), pp. 159-176.

ولم يكن أيضًا إصلاحًا (تغيير متدرّج في التركيبة السياسية)، بل إنه جاء على شكل "مزيج معقّد ومتضاد من كليهما"، يسمّيه "ثورات - إصلاح"، المفهوم الذي يقابله بالإنكليزية Refolution، أي الجمع بين Reform وRevolution، بحيث يعني الكاتب بذلك أن الثورة أكدت وجود مشكلة في النظام السياسي، لكنها تركت للنظام مسؤولية حل المشكلة، ولم تبادر هي نفسها إلى تولّي السلطة والعمل على حلّها من خلال أجندة ملموسة وواضحة.

يمكن الاتفاق مع طرح بيات في أن انتفاضات الربيع العربي لم تؤدِّ إلى تغيير في "الواقع، وفي مؤسسات الدولة، أو في أسس سلطة النخب القديمة"، لكن يصعب القبول بفرضيته القائلة إن الخلل في هذه الانتفاضات كان في "التناقض بين الرغبة الثورية في الجديد، والنتيجة الإصلاحية التي يمكن أن تقود إلى احتواء القديم"[11]؛ إذ على الرغم من الضعف التنظيمي والفكري الذي أظهره الحراك الثوري في الشارع، فإنه لا يمكن تجاهل حقيقة أن الإطار الاستبدادي الذي يحكم الدولة والمجتمع لا يتلاشى بين ليلة وضحاها[12]. ومن ثمّ، تجادل هذه الدراسة بأن الثورة باعتبارها، ظاهرة سياسية، لا تتناقض مع الإصلاح، بل إن هدف الثورة السياسية هو الوصول إلى الإصلاح السياسي، وهذا الهدف هو الذي يشرعن الفعل الثوري (في نظر الشارع الثائر على الأقل). ولذلك، يشترط الفهم الدقيق لمسار ثورات الربيع العربي بحثًا في عناصر الإصلاح السياسي الذي طالبت به هذه الثورات، وفهم مضامينه.

بناءً عليه، تروم هذه الدراسة البحث في السؤال عن المضامين الإصلاحية المرئية وغير المرئية للثورات العربية، وفي افتراض مفاده إنْ كانت هذه المضامين تشكّل مدخلًا لقراءة جديدة للثورة، ومن ثمّ لا تقتصر على تقييم المعطى الواقعي المرئي، ولا على ثنائية "النجاح/ الفشل". ويتطلّب هذا التساؤل البحثي إيجاد أدوات معرفية منهجية (في النظرية، أو في الفلسفة السياسية)، تساعد في الكشف عن الأبعاد السياسية الكامنة، أو غير المرئية للظاهرة. وإذا اكتفينا بتحليل المعطى الواقعي، فإن أي تقييم لثورات الربيع العربي لن يخرج عن إطار التشكيك في فشلها، حتى إن كان لهذا الفشل أسبابه الواقعية[13]. ومع أن نجاح القوى الثورية السورية، مثلا، في إسقاط نظام بشار الأسد في 8 كانون الأول/ ديسمبر 2024، تقابله حالة من عدم اليقين بشأن إنجاز تحوّل سياسي نحو الديمقراطية والمواطنة والحريات السياسية[14]، فإن ذلك يفتح الباب مجدّدًا أمام تفسيرات جديدة لثورات الربيع العربي، حيث أظهرت الحالة السورية أن إمكانية حصول التغيير لا تزال ممكنة من حيث المبدأ، وأنه من الصعب وضع تقييمات نهائية وقطعية للظاهرة.

نظرًا إلى التجارب الثورية العالمية، خاصةً المصنّفة ثورات كبرى، فإن دراستها تشتمل على أبعاد التغيير الحاصلة في النظام ومقوّمات نجاحها، إضافة إلى التحولات في الثقافة الجمعية السائدة[15]. ويساعدنا هذا الفهم في أن يكون لدينا هامش لتحليل المخرجات الثورية العربية من زاوية مختلفة. ثمّ إن ثنائية النجاح/ الفشل لا تضمن تزويدنا بحُكم دقيق عن الثورات، لأنّ كليهما، النجاح والفشل، يخضع لقاعدة النسبية في تحليل الظواهر الاجتماعية، ويتطلّب التعامل معهما، معرفيًا، توفير معايير ذات مرونة. فحتى نجاح نظام دكتاتوري في قمع ثورة سلمية، لا يمكن أن يكون نجاحًا مطلقًا للنظام، ولا فشلًا مطلقًا للثورة، لأنه قد يتولّد من هذه الممارسة سخط متزايد ضد النظام من الداخل، ومن الخارج[16].

تتضمن الثورة، بوصفها أحد أشكال الدفع في اتجاه تغيير اجتماعي، محاولة لتغيير واقع لا يحظى بقبول الثائرين. من المنظور السوسيولوجي، تتركز أهداف الثورات العربية على التخلّص من الاستبداد (تغيير النظام السياسي أو إسقاطه)، ومنح المجتمع مزيدًا من الحقوق السياسية وتحسين الوضع المعيشي. هذه قراءة واقعية وصحيحة، لكنها تكتفي بالعرض الوصفي لما هو معلَن وموجود، ولا تساعد على نحو كافٍ في معرفة دقيقة بمضامين الحراك الشعبي في الحالة العربية. بناءً عليه، نفترض أن المعيار، أو الإطار المفهومي لتعريف الثورة السياسية، هو ذاك المضمون السياسي الذي ينطوي تحت كل الظروف على الدفع في اتجاه الإصلاح السياسي الذي يُجسِّد نوعية التغيير الاجتماعي المنشود. فالثورة السياسية هي "ثورة إصلاحية"[17] ضد الحالة السياسية السائدة في مجتمع ما، في لحظة

11 بيات، ص 218، 224.

12 George Lawson, "Revolution, Non-violence, and the Arab Uprisings," *Mobilization*, vol. 20, no. 4 (2015), pp. 453-470.

13 Marc Lynch, *The New Arab Wars: Uprisings and Anarchy in the Middle East* (New York: Public Affairs, 2016).

14 Qutaiba Idlibi, Charles Lister & Marie Forestier, "Reimagining Syria: A Roadmap for Peace and Prosperity Beyond Assad," Middle East Institute, 13/3/2025, accessed on 29/3/2025, at: https://shorturl.at/l3TmB

15 Jaroslav Krejčí, *Great Revolutions Compared: The Search for a Theory* (Brighton: Wheatsheaf Books, 1983).

16 Maria J. Stephan & Erica Chenoweth, "Why Civil Resistance Works: The Strategic Logic of Nonviolent Conflict," *International Security*, vol. 33, no. 1 (2008), p. 18.

17 كان هذا التوصيف الذي أطلقه عزمي بشارة على الانتفاضات العربية لكونها تشمل مكوّنات "الثورة" و"الإصلاح". ينظر: عزمي بشارة، **الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 446.

زمنية معيّنة[18]. أما التحديد الدقيق للمضمون السياسي للثورة، فهو يختلف من ثورة إلى أخرى، ولا يمكن أن يكون متطابقًا في جميع الثورات؛ لأن كل ثورة مرتبطة بسياق تاريخي معيّن يرسم معالم الحالة الثورية ويؤثر في مسار الثورة نفسها ومآلاتها.

وهكذا، يمكن أن نخلص إلى أن هذه الدراسة لا تبحث في سببية ثورات الربيع العربي، ولا في مسارها الواقعي، بل في إعادة التفكير في نتاجها الضمني غير المادّي، أو كما عبّر عنها مالك بن نبي بأنها "تتناول الأشياء في كنهها، لا في مظهرها"[19]. بتعبير آخر، هي قراءة جديدة، تتناول ذلك الفضاء الكامن خلف المبادئ والقيم التي طالبت بها الثورات العربية، فهي محاولة تفسير جديدة للثورات الشعبية باعتبارها ظاهرةً عفويةً، لكنها هادفة، سواء تحققت هذه الأهداف أم لم تتحقق. تعي هذه الدراسة أنه لا يوجد تفسير واحد ونهائي للظاهرة، لكنها تسعى لأن تكون إسهامًا جديدًا في النقاش المعرفي والفكري المتواصل حولها. وينبغي، في هذا السياق، توضيح بعض الجوانب المنهجية التي تتيح للدراسة حيّزًا لطرح الرؤى والفرضيات الخاصة بتفسير مضامين الثورات العربية الكامنة (غير المعلَنة) أو تحليلها.

تستند الدراسة في اعتمادها هذه الاستراتيجية البحثية إلى ما شدّد عليه عالم الاجتماع البريطاني والتر رونسيمان بالنسبة إلى الالتزام بمعيار وجود ترابط دقيق وموضوعي بين الفرضيات المطروحة والظاهرة الاجتماعية المدروسة، وترتكز على الفرضيات المستندة إلى بدهيات مقبولة؛ إذ توجد أنماط من الفرضيات لا يمكن إثباتها، وتقديمها بوصفها تفسيرات للتصرفات الإنسانية، وحينها يكون الأمر الأساسي متعلقًا بالمواقف والقناعات التي تُقدَّم من خلالها التفسيرات[20]. وتنطلق الاستراتيجية المذكورة، أيضًا، من الرأي القائل إن لكل ثورة خصوصيتها التي تحددها المعطيات الواقعية ما قبل الثورية، والتي أوصلت إلى الحالة الثورية. يؤكد جورج لاوسون أن الثورات هي جزء من مجموعة أوسع من العمليات المرتبطة بالتحوّل الاجتماعي، وهذا يفسر لماذا نتج من الثورات العالمية المختلفة (الفرنسية والروسية والصينية والفيتنامية وغيرها) مجموعة غير متطابقة من التحوّلات السياسية[21]. علاوةً على ذلك، وبما أن الثورة تمثّل ظاهرة اجتماعية في سياق تاريخي معيّن، فإن من البدهي أن يوجد أكثر من تفسير لها، ويمكن دراستها أيضًا وإعادة تفسيرها من مناظير معرفية مختلفة، كما فعل فرانسوا فوريه مع الثورة الفرنسية[22] وأليساندرو روسّو مع الثورة الصينية[23]، على سبيل المثال.

وبما أنه لا توجد نظرية في العلوم السياسية أو علم الاجتماع تتضمن منهجية معرفية، يمكن تطبيقها لتفسير الحالات الثورية[24]، وذلك نظرًا إلى وجود سلسلة طويلة من الثورات في العالم تختلف خلفياتها ومعطيات الحالة الثورية الخاصة بها[25]، فإن ذلك يدفعنا إلى الاستعانة بالمنهجية المذكورة لتقديم قراءة نظرية على أرضية معرفية قد تُسهِم في رؤية الأبعاد السياسية للتجربة الثورية العربية من منظور جديد.

للانشغال بهذا الهدف، تذهب الدراسة في اتجاهين يلتقيان في نقطة واحدة: الاتجاه الأول هو المُحَاجَّة بأن القراءة السوسيولوجية للثورة، التي تحتّم على الثورة الوصول إلى التغيير السياسي المادّي، مثل إسقاط النظام وإقامة نظام جديد، ليست الأساس الوحيد لتقييم الثورة وتفسيرها، بل إن ذلك ممكن أيضًا من خلال معالجة نوعية الأهداف السياسية التي ترسمها الثورة وتحاول الوصول إليها، أي وفقًا للمحتوى السياسي الذي ينطوي عليه الحراك الشعبي. أما الاتجاه الثاني، فيتمثل في محاولة تعريف أو لنقل إعادة تعريف ثورات الربيع العربي في إطار نظري مفاهيمي جديد، بناءً على المضامين السياسية التي نحن بصدد استقرائها وتحليلها.

ثانيًا: مضامين الثورة معياريًا وسوسيولوجيًا

تتلاقى الأفكار والآراء المذكورة سابقًا مع نقد عزمي بشارة لتصنيف الحراك الشعبي باعتباره ثورة فحسب في حال نجاحه في تغيير النظام؛ إذ يعتبر هذه التصنيفات "غير مفيدة"، مضيفًا أن "أي حراك شعبي

18 بشأن ذي صلة بالجدل المعروف تاريخيًا في الأدبيات الماركسية بين إدوارد بيرنشتاين وروزا لوكسمبورغ حول الموقف من الثورة والإصلاح، يجادل هنتنجتون بعدم تطابق "الثورة" و"الإصلاح"، فالإصلاح قد يحدث من دون ثورة، والثورة قد لا تؤدّي إلى إصلاح. لكن تعريف الثورة السياسية الذي ذكرناه، باعتبارها ثورة إصلاحية، يتضمن التشديد على عدم التناقض بين الثورة والإصلاح في الهدف النهائي، وليس على تطابق المفهومين أو الظاهرتين. ينظر: صمويل هنتنجتون، **النظام السياسي في مجتمعات متغيرة**، تصدير فرانسيس فوكوياما، ترجمة حسام نايل (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، 2017 [1968])، ص 419-453.

19 مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين (دمشق: دار الفكر، 1986)، ص 13.

20 Walter G. Runciman, *Social Science and Political Theory*, 2ed ed. (Cambridge: Cambridge University Press, 1969), pp. 121, 123, 168.

21 George Lawson, *Anatomies of Revolution* (Cambridge: Cambridge University Press, 2019), pp. 4, 7.

22 François Furet, *Interpreting the French Revolution*, Elborg Forter (trans.) (Cambridge: Cambridge University Press, 1981 [1978]); François Furet, "The French Revolution Revisited," *Government and Opposition*, vol. 24, no. 3 (Spring 1981), pp. 264-282.

23 Alessandro Russo, *Cultural Revolution and Revolutionary Culture* (Durham: Duke University Press, 2020).

24 عزمي بشارة، **في الثورة والقابلية للثورة**، ط 3 (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص 65.

25 Michael Freeman, "Review Article: Theories of Revolution," *British Journal of Political Science*, vol. 2, no. 3 (1972), pp. 339-359.

واسع ومستمر، مُنَظَّمًا أكان أم عفويًّا، يصل إلى المطالبة المثابرة بتغيير النظام من خارج البنية الدستورية للدولة، هو ثورة، سواء أدى إلى ديمقراطية أم لا، وسواء نجح في إسقاط نظام الحكم أم لا"[26]. ولهذا نميل إلى الاعتقاد أن الهدف المتمثّل في الوصول إلى السلطة، أو السعي لها، لا يمكن أن يختزل مجموع الأدبيات الأخلاقية والسياسية للثورة التي قد تحمل أفكارًا لنظام جديد قادر، في ظروف معيّنة، على إعادة إحياء النشاط التفاعلي في المجتمع.

لا بدّ إذًا من استكمال النماذج الوصفية الإمبريقية بمقاربة تساعد في إبراز الجوانب والمكوّنات الضمنية للحراك الثوري العربي، ويمكن تحقيق ذلك من خلال مقاربة تحليلية وتنظيرية تحاول الكشف عن المضامين غير المعلَنة للثورات العربية. وتتطلّب مقاربة كهذه الارتكاز على أساس نظري يوفّر الأدوات المنهجية، ويسلّط الضوء على الأبعاد الأخلاقية المعيارية والجوانب الواقعية السوسيولوجية لظاهرة الثورة. ومن أجل هذه الغاية، ستعتمد الدراسة على كتاب المنظّر الألماني أرتور ليبرت **عن روح الثورة**، الصادر في عام 1919، إضافة إلى مقالة عالم الاجتماع النمساوي إيميل ليدرير، الصادرة في عام 1918، "أفكار عن سوسيولوجيا الثورة".

إن اختيار هذين العملين والاستناد إليهما بوصفهما، في آن واحد، مرجعيةً نظرية في محاولتنا فهم ظاهرة الثورة، ونقلها إلى الثورات العربية، يعود إلى كونهما يضمنان صيغة منسجمة، تجمع الجوانب القيمية المعيارية والسوسيولوجية، وصادرين في مرحلة ثورية شهدها التاريخ الألماني الحديث المعروفة بـ "ثورة تشرين الثاني/ نوفمبر" التي اندلعت في عام 1918، واستمرت قرابة عشرة شهور، وشهدت أحداث عنف وتقلبات كبيرة، أدّت إلى إسقاط النظام القيصري وتأسيس الجمهورية الألمانية البرلمانية المعروفة بجمهورية فايمار (1918-1933)، إلّا أن هذه النتائج لم تستمر طويلًا، لأسباب عديدة، من أهمها وصول النظام النازي إلى الحكم. وعلى الرغم من أن هذه الثورة ذهبت إلى حَدٍّ ما طَيّ النسيان[27]، فإنها كانت "نقطة تحوّل" فاصلة في التاريخ الألماني.

ما يهمّنا بالنسبة إلى موضوع بحثنا هو أنّ هذين العملين صدرا في وقت لم تكن فيه مآلات الثورة واضحة، ولم يكن معروفًا بعد إن كانت الثورة نفسها قادرةً على تحقيق أهدافها السياسية والاجتماعية، علاوةً على ما يمكن وصفه بأنه شكلٌ من التشابه في السياق التاريخي لكل من ثورة تشرين الثاني/ نوفمبر والربيع العربي. نستند في ذلك إلى ملاحظة أبرزها عالم الاجتماع النمساوي فريدريك فيزر بشأن الفرق بين الثورة الفرنسية وثورة تشرين الثاني/ نوفمبر الألمانية؛ إذ يشير إلى أن الأولى جاءت بعد أن تشكّلت قوة قادت الحراك الشعبي ضد النظام القائم، في حين جاءت الثانية بعد أن فقدت القوة الحاملة للنظام القائم قدرتها على القيام بوظائفها[28]. هذا التمييز مُهِمّ لفهم السياق التاريخي الخاص بالحالة الثورية، ونعتقد أن ما ينطبق على ثورة تشرين الثاني/ نوفمبر، ينطبق أيضًا على ثورات الربيع العربي التي جاءت نتيجة لضعف الأنظمة الحاكمة بسبب ضعف مصادر شرعيتها في نظر مجتمعاتها[29].

1. الثورة وجدلية "المطلق" المعياري و"النسبي" الواقعي

يعتبر آرثر ليبرت، في كتابه **عن روح الثورة**، أن الفهم العميق لظاهرة الثورة يتطلّب الانطلاق من مبدأ فلسفة الثورة، أو ميتافيزيقيا الثورة؛ أي من تلك الشروط والمحددات التي تعالج الثورة؛ ليس باعتبارها حقيقة أو تجربة واقعة، إنما باعتبارها كيانًا قائمًا بذاته؛ وليست بصفتها ظاهرة خارجية، إنما بصفتها مجموعة من المبادئ والقيم. ويعتقد ليبرت أنه يمكن، من خلال هذا الأساس المستنِد إلى التأصيل الفلسفي للثورة بوصفها من فصول الفلسفة التاريخية[30]، معاينة الثورات المختلفة وتحليل مجرياتها. فالثورة من حيث هي حدث تاريخي في ظروف تاريخية معيّنة تندلع عندما يصل "التناقض" بين تيارين إلى مرحلة لا يمكن لهما الاستمرار معًا: تيار الأمر الواقع الثابت ومحاولة الحفاظ عليه، وتيار التغيير المتحرك الدافع في اتجاه واقع جديد. هذا الصراع التفاعلي بين الثابت والمتحرك هو الذي يحدد مسار التطور الكلّي في المجتمع.

يُعرِّف ليبرت الثورة على أنها "النتيجة الوحيدة التي لا تزال ممكنة" للصراع بين قوى معيّنة تسعى لخلق وضع متوازن في العلاقة بينها، ويكون هذا السعي في اتجاه خلق توازن بين القوى، عادةً، لمصلحة التيار المظلوم أو المتضرِّر من التراكمات التاريخية في الأوقات السابقة قبل الثورة. ويتّضح من هذا التعريف أن الثورة ليست حدثًا تاريخيًا عاديًا، بل هي حدثٌ استثنائي[31]، لأنها الرمز والتعبير الأكثر صدقية

---

26 بشارة، **الانتقال الديمقراطي وإشكالياته**، ص 451.

27 Gaard Kets & James Muldoon (eds.), *The German Revolution and the Political Theory* (Cham: Palgrave Macmillan, 2019).

28 Adolf Menzel, *Friedrich Wieser als Soziologe* (Vienna: Julius Springer, 1927), p. 46.

29 Michael C. Hudson, "Arab Politics after the Uprisings: Still Searching for Legitimacy," in: Larbi Sadiki (ed.), *Routledge Handbook of the Arab Spring: Rethinking Democratization* (London: Routledge, 2014), pp. 28-38.

30 Arthur Liebert, *Vom Geist der Revolution*, 3 Auflage (Berlin: Verlag Rolf Heise, 1919), p. 10.

31 وصفنا الثورات العربية باعتبارها "ظاهرة تاريخية استثنائية"، انطلاقًا من تعريف ليبرت هذا.

عن إشكالية مأساوية وميتافيزيقية؛ ولذلك، فإنها تلجأ إلى العنف أكثر من أي وقت طبيعي آخر، من أجل التخلّص من هذه الإشكالية[32]. لا يرى ليبرت في اللجوء إلى العنف جانبًا سلبيًا؛ إذ إن ذلك نتيجة حتمية لما سمّاه "التفريغ العنفي" للاحتكاك القائم بين القوى والتيارات القائمة، الذي وصل إلى درجة لا يمكن معها حلُّه بطريقة أخرى[33]. وعلى أساس مشاهدته الثورة الألمانية الراهنة آنذاك، يعتبر أن الثورة، عمومًا وليست الثورة الألمانية فحسب، محاولة للانفصال عن التاريخ؛ أي عن الواقع الذي فرضته التطورات التاريخية، حيث يكمن جوهر الثورة وشرعيتها في رفضها الأمر الواقع على أنه معطى ثابت ودائم لا يُمسّ. يوضح قول ليبرت هذا أنه ينظر إلى الثورة باعتبارها ظاهرة واقعية وغير واقعية في آنٍ واحد؛ فهي تنطلق من واقع معيّن برفضها معطيات معيّنة (سياسية، اجتماعية، اقتصادية، ثقافية ... إلخ)، لتحاول خلق واقع جديد بمعطيات جديدة مختلفة عن السابقة، قد تبدو مثالية (غير واقعية)، من حيث إنها تطرح تصورات قيمية جديدة غير موجودة في الواقع الفعلي.

يقرر ليبرت أن التناقض أو إشكالية الحياة التاريخية، تكمُن في التفاعل الذي لا يمكن تجنّبه بين ما هو "مطلق" das Absolute، أي مستقل وقائم بذاته وبقانونه وشرعيته، وما هو "نسبي" das Relative، أي غير مستقل ومرتبط بسياقات معيّنة، فهو حلقة في سلسلة، أو في نظام، وقانونيته هي قانونية هذا النظام. وعلى هذا الأساس، يحدّد شرطَين أو مصدرين أساسيين للثورة: المصدر الأول هو إرادة الحياة (استقلالية الإرادة)؛ والثاني هو العقل (استقلالية الفكر).

سواء أكانت الإرادة متعلقة بالحياة والوجود كما هي عند شوبنهاور أم بالسلطة والقوة كما هي عند فريدريش نيتشه، فإن هذه الإرادة تمثّل شكلًا أو خاصية بيولوجية طبيعية، وهي الرغبة التي يجري التعبير عنها بمحاولة تغيير محددات العلاقات الاجتماعية الراهنة (مؤسسات، تقاليد، أعراف ... إلخ) والانتقال إلى علاقات جديدة على أُسُس جديدة، لكن وجود الإرادة القوية للتغيير لا تكفي وحدها؛ لأن هذه الإرادة مرتبطة مباشرةً بالأسباب المادية الملموسة التي تفجّر الثورة، مثل الممارسات السياسية للسلطة والتوزيع غير العادل للموارد. وما دامت الثورة مقتصرة على مقاومة هذه الأسباب، فإن ذلك سيؤدي إلى قمعها بسهولة وسحق الطبقة المحرومة. سيقود ذلك إلى "هلاك هذه الطبقة، وهذا يعني أنه لا يمكن أن تتشكّل من هذا الحراك ثورة، ما لم يكن لدى هذه الطبقة قوة إرادة متجذّرة وغير قابلة للقمع"[34]. ما يهدف ليبرت إلى قوله هو أن الثورة لا تكتفي بأن تكون ردّة فعل على ظروف تاريخية حسّية أو مادّية، ونعتقد أن هذه المسألة جديرة بالاهتمام؛ فإذا ما اكتفت الثورة بأن تعبّر عن نفسها برفضها واقعًا معيّنًا، من دون تقديم تصوّر لواقع بديل، ستجد نفسها حبيسة هذا الواقع، ومن ثمّ لن تكون قوة "متحركة" دافعة (الثوار/ القوى الثورية) ضدّ القوة "الثابتة" الرافضة للتغيير (النظام السياسي الحاكم).

تتكوّن "قوة الإرادة" في "الحالة الثورية" التي يعرّفها بشارة باعتبارها "القابلية للثورة"، والتي تجسّد "الوعي بأن وضع المعاناة هو حالة من الظلم، أي الوعي بأن المعاناة ليست مبرّرة، ولا هي حالة طبيعية معطاة، ووعي إمكانية الفعل ضدّه في الوقت نفسه"[35]. هذا التطور للشعور الجمعي وسياقاته السياسية هو الذي يجعل الظاهرة الاجتماعية ثورة سياسية، وهي تتميز كذلك من الظواهر السياسية الأخرى من خلال الوعي الجمعي الذي تعبّر عنه بوصف ذلك ردّة فعل على واقع سياسي إشكالي، ومن خلال إبرازها شكلًا من أشكال المنظومة السياسية القيمية البديلة، فضلًا عن كونها فعلًا سياسيًا هادفًا إلى التغيير السياسي والاجتماعي عبرَ السعي لتفعيل النظام القيمي الجديد. والمقصود بالوعي الجمعي[36] أن الباعث الثوري يتجاوز مستوى المصالح الفردية، ويمثل غاية سياسية لأجزاء من المجتمع، تجتمع حول هذه الغاية وتسعى لتحقيقها. ومعنى أن تنفجر ثورة ضد الاستبداد هو رغبة الثائرين في الدخول إلى فضاء السياسة والتأثير في آليات اتخاذ القرار الخاصة بمصيرهم[37].

برفض ليبرت اختزال الثورة في الاستقلالية المادية، كما أوضحها، يحاول التشديد على أن ذلك سيُقلّل من فرص نجاح الثورة، ولن يثير حماسة الناس للانضمام إليها؛ لأنها تحمل بوادر حصول الكارثة والفاجعة، على حد تعبيره. وبينما يؤكد أن هذا التوجّه المادّي الطبيعي لا يختصر مفهوم الثورة، فإنه يشير إلى أن الصراع من أجل الإرادة يكون عادةً تحت شعارات المعركة من أجل الحرية والعدالة والعقلانية، وهي التي تُجسِّد الاستقلالية غير المادية للثورة، والتجسيد الجوهري أيضًا لمختلف المطالب والأهداف والأعمال التي تتعلق بمجالات العلوم

32 Liebert, pp. 18-19.

33 Ibid., p. 20.

34 Ibid., p. 29.

35 بشارة، **في الثورة والقابلية للثورة**، ص 68.

36 نعتقد أن الوعي الجَمعي يشكّل أحد أسس سوسيولوجيا التغيير الاجتماعي، لكننا نتّفق في الوقت ذاته مع أميتاي إتزيوني على أن الوعي ليس "شرطًا مسبقًا للتصرف"، وأن هذا الوعي يصبح "شرطًا ضروريًا" عندما توجد وحدة مجتمعية فاعلة تدير وتضبط نفسها من أجل تحقيق قيمها بصفة كاملة. ينظر:

Amitai Etzioni, *The Active Society: A Theory of Societal and Political Processes* (New York: The Free Press, 1968), p. 267.

37 بشارة، **في الثورة والقابلية للثورة**، ص 63.

والفن والدين والحياة السياسية والقانونية؛ أي باختصار التي تتعلق بحقل "الممارسة الفكرية". ولذلك، فإن هذه الاستقلالية تصف - بخلاف استقلالية الطبيعة الحسّية - استقلالية العقل.

ليس من السهل الإجابة عن السؤال المتعلق بكيفية نشوء هذه الاستقلالية العقلية، أو تجلّيها، في خضمّ الحراك الجمعي الثوري. ونعتقد أن ذلك يختلف من حالة ثورية إلى أخرى، بحسب الظروف التاريخية. ففي حالة ثورات الربيع العربي، وبما أنها انطلقت من خلفية سياسية تمثّلت في رفضها واقعًا تحكمه ظروف الاستبداد والتراجع الاقتصادي وغياب برامج التنمية[38]، فإنه كان من الطبيعي أن تطالب الثورات بأهداف سياسية، مثل احترام حقوق المواطنين أو الانتقال إلى نظام سياسي يقوم على قيم سياسية جديدة، من دون أن تكون أيديولوجية مُقَولبة مسبقًا. ويفسر هذا الأمر تركيز مطالب الحراك الثوري على إحداث تغييرات ذات أبعاد سياسية - اجتماعية[39].

قد يفرض التطور التاريخي مسارًا يجعل من الصعب منح العقل مجالًا ليكون عاملًا محدِّدًا، في هذا السياق، لا تكون فيه سيادة الإرادة، إنما سيادة العقل، هي التي تضع نفسها في مواجهة هذا المسار التاريخي؛ فالثورات تدرك نفسها على أنها ضرورية، حيث تشدِّد على أولوية العقل ضد أولوية التاريخ (الواقع)، وهذا يولي الثورة صدقية عميقة وتسويغًا خاصًا، بعكس الاستناد إلى الإرادة الطبيعية وغرائز الحياة الأولية[40]. ومن أهم سمات هذه الخاصيّة العقلانية للثورة أو التزاماتها أنها تضع كل الأفكار والمعارف والقناعات والأوضاع السائدة والموروثة محلّ نقدٍ، وذلك من خلال الإنسان المستعِّد لتحرير نفسه من الاستسلام للوقائع التاريخية والقادر على ذلك، ووضع نفسه في مواجهتها والتسامي عليها. فالنقد في جوهره هو تعبير عن استقلالية العقل Vernunft في شكل خاص من أشكال استقلالية الإدراك Verstand[41].

يعبّر جوهر الثورة، أو مضمونها الميتافيزيقي، عن نفسه فعليًا من خلال البحث عن آليات لتكون صالحة واقعيًا، وهو ما يكون بمحاولة خلق قيم جديدة، والسعي لمكاسب ثقافية جديدة. وهنا تكمن ما سمّاها ليبرت "راديكالية الثورة"، بمعنى أن الثورة في سعيها هذا ترفض الواقع، ولا تعترف به، وتحاول فرض واقع جديد، وترى نفسها مخوَّلة داخليًا للظهور بصفتها قيمة في الثقافة، ومن أجل الثقافة. وبهذه الطريقة، فإنها تحمل في طياتها الدلالة على كونها حركة في اتجاه إحراز "مرتبة تاريخية"، وتضع نفسها بوعي وعلى نحو هادف في خدمة "التقدم التاريخي"[42].

تكون الثورة قادرة على تقديم بناء تاريخي على هذا النحو من خلال "الأفكار فوق التاريخية"، أي الأفكار غير المرتبطة بلحظة تاريخية معيّنة، إنما تلك "الأبدية" والصالحة لكل زمان، وتحت كل ظرف. ويمكن اعتبار هذه الأفكار بمنزلة القوة المحركة والقانون الذي يسيّر التطور التاريخي وفقًا له[43]. ومن هذا المنظور، لا تعني الثورة مجرد رفض الواقع الذي نضجت فيه أسبابها، وهي في حالة ثورة تشرين الثاني/ نوفمبر الألمانية إرهاصات الرايخ الثاني (الملكية/ القيصرية) التي فشلت في إيجاد حلول لقضايا اجتماعية وسياسية جوهرية، مثل التفاوت الطبقي داخل المجتمع (الصعود الحاد للصراع الطبقي بين طبقة العمال والصناعيين الذي تحوّل إلى استقطاب سياسي - أيديولوجي)[44].

ومن ثمّ، يؤكد ليبرت أن الأفكار ينبغي ألّا تكون مجردة، بل واقعية، وينبغي كذلك أن تجسّد أشكالًا إبداعية من الواقع التاريخي. فالثورة تحوز صورتها الإيجابية من خلال الأفكار التي تتبنّاها وتعمل على تحقيقها. ومن دون استقلالية العقل، لا يمكن وجود الأفكار التي ليست صنيعة التاريخ، إنما هي التي تقود التاريخ. وبما أنه لا يمكن أن تكون ثورة من دون استقلالية العقل، فإنه لا يمكن أن تكون ثورة من دون أفكار قائدة؛ فالأفكار هي الحَامِل الفعلي والحقيقي للثورة، ويمكن تعريف الثورات وتنظيمها من خلال الأفكار القائدة التي تتبنّاها وتبرزها. وانطلاقًا من ذلك، يصل ليبرت إلى تعريف لمفهوم الثورة على أساس جوهرها، بقوله إنها "وحدة أفكار العقل في صراعها ضدّ التاريخ المجرد، أي ببساطة الصراع مجددًا بين المطلق والنسبي"[45]. إن وجود الأفكار السياسية (الحرية، والمساواة، والعدالة وغيرها)، بوصفها قيمًا تمهّد للثورة، هو ضرورة بالنسبة إليه، وليس موضع نقاش، مع تأكيده شرط تبنّي المجموعات الثورية هذه الأفكار، حيث يشير في أكثر من موضع إلى تأثير أفكار التنوير الأوروبي Enlightenment في الثورة الفرنسية بصفة خاصة[46].

---

38 ينظر على سبيل المثال: **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**، علي خليفة الكواري (محرر)، ط 2 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006).

39 Juan Cole, *The New Arabs: How the Millennial Generation is Changing the Middle East* (New York: Simon & Schuster, 2014).

40 Liebert, p. 36.

41 Ibid., p. 40.

42 Ibid., p. 44.

43 Ibid., pp. 45, 48.

44 Peter C. Caldwell, *Popular Sovereignty and the Crisis of German Constitutional Law: The Theory and Practice of Weimar Constitutionalism* (Durham/ London: Duke University Press, 1997).

45 Liebert, p. 53.

46 بالنسبة إلى تأثير الأفكار السياسية (المجال النظري) في الثورة (المجال الواقعي)، ينظر على سبيل المثال: الفصل "هل تصنع الكتب الثورات؟" Do Books Make Revolutions?، في: Roger Chartier, *The Cultural Origins of the French Revolution*, Lydia G. Cochrane (trans.) (Durham/ London: Duke University Press 1991).

في ضوء هذا التعريف الإيجابي، أو حتى المثالي لمفهوم الثورة، لا يلبث ليبرت أن يضع فرضيته المحورية بأن الثورة لا يمكنها بأي حالٍ من الأحوال الإيفاء بجوهرها الفكري بصفة خالِصة؛ لأن المفهوم نفسه يحتوي على إشكالية عميقة؛ لكونه يشتمل على تناقض، والنتيجة الحتمية لذلك هي انحرافٌ حتمي للثورة عن مفهومها، وعن فكرتها، وهذه هي "مأساتها الحتمية"، وهي الظاهرة التي يصفها بأزمة الثورات[47]. تكمن هذه الأزمة أو الإشكالية في التناقض بين الجانبين اللذين تقوم عليهما الثورة، أي الاستقلالية الطبيعية البيولوجية للإرادة، والاستقلالية الفكرية للعقل.

يتعلق الأمر، في هذا السياق، بمحاولة إيجاد التوازن بين القوى القطبية للواقع التاريخي، للتوفيق بين الحرية والصيرورة، بين ما هو الأمر عليه وما ينبغي له أن يكون. فعندما يصبح من الصعب كبح جماح الغرائز الطبيعية، فإن مصير أي ثورة هو الفوضى والكارثة. وفي مقابل هذه الكارثة الناتجة من الجانب الغرائزي، توجد عادةً بوادر لظهور كارثة تنتج من الجانب العقلي والفكري، ويتعلق الأمر بالميل الأيديولوجي، فكل حركة ثورية تُظهِر مقدارًا من اللحظات الأيديولوجية التي قد تقترب من حدود الخيال الوهمي، أو حتى تجاوزها. في هذه الحالة، يتخلخل ويقلّ ارتباط الجانب الفكري بالواقع التاريخي. وعندما يرتفع مقدار اللحظات الفكرية إلى مقدار مفرط من العقائدية والدوغمائية الأيديولوجية، فسيؤدي ذلك إلى أزمة الثورة.

يشير ليبرت إلى مسألة ذات أهمية على صعيد آخر، وهي العقلانية الواقعية للثورة. فمفهومها المطلق قد يكون له تأثير سلبي؛ لأن أي افتراض سيفقد قوّته الدافعة التاريخية، وسيفقد تأثيره إذا ما قُدّمت مطالبه بصفتها حتمية، فكل حتمي مرتبط بما هو غير حتمي، وتؤدي هذه الديالكتيكية إلى ضرورة الاعتراف بالواقع ومنحه شيئًا من الصلاحية (الشرعية). لذلك، يؤكد ليبرت أن كل مطلقية هي مطلقية النسبي وأن كل حتمية هي حتمية غير الحتمي[48].

من منظور الثورة، هذا النسبي هو التاريخ. وهذا يعني، نتيجة لذلك، أن مطالب الثورة المطلقة أو العليا لا يمكن أن يكون لها معنًى أو صلاحية، إلا عندما تعترف بمعطى الحياة التاريخية (الواقعية) وبحقه، وهنا تكمن إشكالية الثورة المشار إليها. فاستقلالية الثورة ومطلقيتها ينبغي لها، من أجل الثورة نفسها، أن تضع قيودًا لهذه المطلقية حتى لا تفقد إمكانية تأثيرها، ويكون ذلك من خلال مراعاتها المعطيات التاريخية، وهو ما يقود إلى نقطة تحوُّل عميقة في مسار الثورة، تتجلى في إدراك أن الثورة تحقق معناها وصلاحيتها التاريخية وتأثيرها وتجسيد أهدافها عندما تنتقل من ثورة إلى تطور أو ارتقاء Evolution فحسب: "عندما لا تبقى الثورة ثورة فحسب، إنما تنتقل لتصبح تطوّرًا، فعندها، في إمكانها إظهار حيويّتها، وأن ترتقي لتكون قيمة حياتية تاريخية فعليًّا، وأن تحافظ على مطالبها العقلانية وأفكارها وصلاحيتها"[49]. يعني "الارتقاء" في هذا السياق تغلّب الثورة على راديكاليتها كما بيّناها من قبل، أي بذهابها في اتجاه الأمر الواقع والاستجابة له. وعلى الرغم من تشديد ليبرت على أهمية الأفكار في الثورة، فإنه يرى ضرورة أن تسير الأخيرة في عملية تطوّر (ارتقاء) للتقارب مع الواقع ومعطياته، وهو ما يعتبره شرطًا لتحافظ الثورة على وجودها.

2. سوسيولوجيا الثورة والفكرة الثورية

على نحوٍ مشابه لأطروحة ليبرت، يؤكد إيميل ليدرير محورية الأفكار في الثورة؛ إذ يستهلّ مقالته بالمجادلة بأن الحركة الثورية المندلعة في مجتمع ما لا تكون ثورة إلا عندما لا يقتصر وجودها أو هدفها على استخدام العنف، وعندما تطرح فكرة يتبنّاها المجتمع، ويكون مستعدًا للدفاع عنها، ومن ثمّ عندما تكون الثورة قادرة على إحداث التغيير في المجتمع وفقًا لهذه الفكرة. وعلى أساس ذلك، يُعرِّف ليدرير الثورة باعتبارها انتقال فكرة لتصبح واقعًا، فالثورة هي أولًا الفكرة التي تشكّل الأرضية النفسية الخصبة للحراك الثوري، وهي قادرة ثانيًا على تحريك قوة اجتماعية[50].

يبرز ليدرير ملاحظة مثيرة للاهتمام، تقول إن الأحوال السيئة السائدة في مجتمعٍ ما، بسبب سياسات السلطة، لا تفسّر وحدها ظاهرة الثورة؛ لأن هذه الأزمات أو الصعوبات أو الأوضاع غير الجيّدة قد تظهر في سياق أي نظام حكم، عادل أو غير عادل، ولأن الثورة لا تشكّل ضمانة للتخلّص منها أيضًا. فالثورة مضمَّنة في المجتمع، ومن دون هذا الترابط مع المجتمع، لا يمكن أن توجد ثورة. انطلاقًا من ذلك، يعتبر ليدرير أن سوسيولوجيا الثورة ينبغي أن تتناول إشكاليتين: الأولى تتعلق بالشرط السوسيولوجي للفكرة الثورية، والثانية تتعلق بالعوامل التي تساعد في تحقيق الفكرة الثورية لتصبح حركة اجتماعية.

يبقى السؤال متعلقًا بمقوّمات الفكرة الثورية. فليست كل الأفكار ثورية، كما أن تحقيق الأفكار يكون من خلال طرائق عديدة، وتحديد هذه الطرائق يعتمد على الظروف الاجتماعية السائدة. يرى

47 Liebert, p. 56.

48 Ibid., p. 65.

49 Ibid., p. 70.

50 Emil Lederer, *Einige Gedanken zur Soziologie der Revolution* (Leipzig: Der Neue Geist, 1918), p. 11.

ليدرير أن الأفكار إذا كانت هي روح الثورة، فإن الثورة لا تختزل هذه الأفكار. وبناءً عليه، يمكن أن ننظر إلى الفكرة الثورية باعتبارها التغيير المسبَق للوضع القادم. وإن كان هذا التغيير المسبَق غير ممكن - وهذا مرتبط بما سمّاها ليدرير "الشرط السوسيولوجي للفكرة" - فإن ذلك قد يؤدّي إلى كارثة اجتماعية، وليس إلى بناء جديد. وينبغي كذلك أن يؤخذ في الحسبان تمييز ثلاث مراحل في تطور العلاقة بين الفكرة والثورة، وهي أولًا ظهور الفكرة؛ وثانيًا تحوُّلها إلى فكرة ثورية؛ وثالثًا تحوُّلها إلى واقع في الثورة[51]. ولأنّ الثورة نابعة من وعي جمعي بضرورة التغيير، فقد تلجأ إلى العنف، كما أشرنا إلى ذلك آنفًا، لكن لا يمكن أن تجعل من العنف هدفًا لها. وهذه المقولة تتوافق مع ما يؤكده بشارة: "في أي إصلاح جدّيّ، ثمّة عناصر ثورية، وفي أي ثورة لا تكتفي بالهدم والفوضى وتنهمك في البناء، لا نلبث أن نجد عناصر إصلاحية"[52]، مع التشديد على أن الإصلاح السياسي المنبعث من ثورة شعبية مختلف عن الإصلاح السياسي المنبعث من ضرورة أو حاجة سياسية تفرضها الظروف على النخبة في السلطة[53].

على الرغم من أن تحوّل الفكرة، من مجرد فكرة لتصبح فكرة ثورية، يرتبط بالمعطيات الاجتماعية التاريخية، فإن نجاحها في أن تمضي في طريقها لتصبح واقعًا يعتمد في الدرجة الأولى على نوع الطبقات المثقّفة والفكرية في المجتمع المعني وطبيعتها. ففي هذه الطبقة، تجد الفكرة جذورها الأولى، وحينئذ ينبغي أن تنصهر في الحياة الفكرية في زمنٍ ما، وتحاول تغييره في اتجاه معيّن. وعندما يوجد إيمان عميق راسخ بالفكرة وبأهميتها من أجل الحياة، تكون مواصلة تأثيرها وحيويّتها ممكنة. لكن حدوث ذلك يستوجب شرطًا لا يمكن إغفاله: "عندما يكون للطبقة المثقّفة والفكرية حَدْس بالممكن الاجتماعي فحسب، عندما يكون لديها أُذُن واعية وعَين نافذة إلى التيارات الراهنة وبذور الصيرورة المستقبلية، عندما يكون لديها آذانٌ صاغية لما يمكن أن يحدث في هذه الطريق نتيجة لذلك، فهنا تكون هذه الطبقة قادرة على التقاط الفكرة الثورية ومعالجتها وتطويرها وربطها مع الوعي الجمعي، حيث لا يمكن لأحد التنصّل منها"[54].

تتحقق الفكرة الثورية في الغالب من خلال العنف. فمن مميزات الفكرة الثورية رفضها التصالح مع الواقع الحاضر، حتى إن التنازلات التي تقدّمها النخبة الحاكمة لا تجعلها تتراجع، بل على العكس؛ إذ من شأن كل تنازل أن يرفع من مستوى الروح الثورية. وعندما تكون الثورة مستعدة لتقديم التضحية من أجل إسقاط الوضع القائم، فإن الفكرة الثورية تعرف هنا نقطة تحوّل، حيث تتوقف عن كونها مجرد فكرة، وتتحوّل إلى فعل Handlung[55]. وبما أنه لا يوجد فعل يجسِّد تمامًا بصفة متطابقة الجانب الفكري - خاصة عندما يتعلق الأمر بفعل جماهيري - فإن هذا الانتقال للفكرة الثورية إلى الواقع يمثل "لحظة حرجة"، وتكون هذه اللحظة أكثر حرجًا عندما يكون الحامل للفعل الثوري طبقات فكرية مختلفة، عاشت حتى هذه اللحظة بوصفها عقائدية بعيدة عن الممارسة، أو عندما تصل إلى قمة الفعل الثوري شخصيات كانت فاعلة في نظام سياسي أفضل نسبيًا، فإن هؤلاء المثقّفين لا يلبثون أن يدخلوا في دوامة الأحداث التي يشعرون فيها بالمسافة الشاسعة بين عالم الأفكار والواقع[56].

يعتبر ليدرير أن الجماهير (الشعب) هي الحاملة الرئيسة للثورة، وأن الثورة بصميمها هي تحقيق الفكرة الثورية في حركة جماهيرية. وعلى الرغم من أن كمية الجماهير المشاركة في الثورة لا تمثّل عاملًا حاسمًا، وأن النوعية الاجتماعية للثورات قد تختلف من حالة إلى أخرى، فإنه توجد نقطة مشتركة بين كل الثورات، مفادها أنه لا يمكن أن تسير ثورة من دون استخدام العنف؛ فمن المهمّ بالنسبة إلى الثورة أن تهزم مقاومة كبيرة أو صغيرة من القوى الحاكمة للوصول إلى أهدافها[57].

من نافلة القول إن تحوّل المظاهرات الثورية السلمية إلى مظاهر من العنف كان أحد أوجه النقد التي وُجِّهت إلى الثورات العربية، وهذا لا يُشَكِّل حالة استثنائية تاريخيًا، فلطالما كان اللجوء إلى العنف موضوعًا جَدليًا في الفلسفة السياسية والأخلاقية[58]، وحتى الثورة الفرنسية كانت محلّ جدل فكري لدى فلاسفة كبار، مثل جورج فيلهلم فريدريش هيغل وإيمانويل كانط وإيدموند بيرك وغيرهم. ومن اللافت للانتباه قول جون دان، في هذا السياق: على الرغم من أن الثورات قد تكون "مدمِّرة" و"وحشية"، فإنه لم يسبق أن فشلت ثورة في تدمير جوانب

51 Ibid., pp. 15, 17.

52 بشارة، **في الثورة والقابلية للثورة**، ص 40.

53 للمزيد حول مفاهيم الثورة والإصلاح والتغيير والعلاقة بينها في سياق ثورات الربيع العربي، ينظر مثلًا:

Sonia L. Alianak, *The Transition towards Revolution and Reform: The Arab Spring Realised?* (Edinburgh: Edinburgh University Press 2014).

54 Lederer, p. 18.

55 Ibid., p. 22.

56 Ibid., p. 23.

57 يتطابق هذا الأمر مع ما أشرنا إليه، فلطالما كان استخدام العنف جزءًا من الثورات العالمية التاريخية، بما فيها الثورات الكبرى. ينظر مثلًا:

David Armitage, "Every Great Revolution is Also a Civil War," in: Keith Michael Baker & Dan Edelstein (eds.), *Scripting Revolution* (Palo Alto: Stanford University Press, 2015), pp. 57-68.

58 Patrick Taylor Smith, "Political Revolution as Moral Risk," *The Monist*, no. 101 (2018), pp. 199-215.

إيجابية أكثر من الجوانب السلبية[59]. لا يمكن تقييم الثورة بالتركيز على حدث أو جانب بعينه، منفصلًا عن السياق الشامل، بل ينبغي مراعاة الحالة ما قبل الثورية والفعل الثوري، والحالة ما بعد الثورية.

يقدم ليدرير تصوّرًا مميزًا عن العنف الثوري وعلاقته بالفكرة الثورية. فهو يوضح أن الثورة ليست مجرد صراع من العنف؛ عنف من طبقة اجتماعية، يقابله عنف من الدولة. فهذا العنف يبقى عملية فكرية خاصة، له علاقته بالسلطة واكتساب الحق لاستخدام السلطة. لكن ما هذه القوة أو العنف سوى أداة: أي الفكرة لفرض القانون أو الحق. يعني ذلك أن الثورة لا تأخذ حقها من السلطة أو القوة، إنما تأخذ الحق من الفكرة من أجل استخدام القوة. وهكذا تختلف الثورة عن أي تغيير في النظام الاجتماعي على المسار الديمقراطي، فهنا يجري اكتساب السلطة على نحوٍ نظامي، من دون "التثوير العالي للفكرة"[60]. وانطلاقًا من ذلك، يذكر ليدرير ملاحظة مهمّة، من خلال تأكيده أن استخدام العنف هو ما يربط الفكرة والجماهير؛ أي إن الارتباط بالفكرة، فحسب، يجعل من العنف فعلًا ثوريًا، ومن خلال العنف، فحسب، يمكن أن تصبح الفكرة ثورية صادقة. أما السيرورة الثورية واقعيًا، وإن كان من الممكن الحفاظ على الارتباط بين الفكرة والجماهير في كامل مسار الثورة، فإنها تعتمد على تركيبة الجماهير المرتبطة بمصالحها اليومية وحياتها الخاصة.

ولا يمكن فهم "الفكرة الثورية"، كما يُعبّر عنها ليدرير، إلّا من خلال ربطها بالهدف الثوري العام، بذاك المجال الثقافي أو الجانب السياسي أو الوضع الاقتصادي الذي تستهدفه الثورة بالتغيير. ويعتبر هنتنغتون أن كل الثورات تُعنَى بتوسيع نطاق المشاركة السياسة، وأن بعض الثورات تؤدّي إلى أنماط جديدة من النظام السياسي[61]. فمنطلق الثورة السياسية سياسي جمعي، وغايتُها سياسية جامعة أيضًا. وبسبب وضعها مجموعة تصورات لقيم سياسية جديدة، فإن الهدف الأعلى للثورة السياسية هو التغيير في اتجاه نظام اجتماعي Social Order جديد، محوره الصالح العام، لا المصالح الفردية. وهكذا، تتميّز الثورة السياسية بشمولية مفهوم التغيير من خلال القطيعة مع النظام الاجتماعي السابق. يقول هنتنغتون في هذا السياق: "الثورة تهدم النظام الاجتماعي القديم بطبقاته وتعدديته وولاءاته الضيقة. فتظهر مصادر جديدة أعم للأخلاقية والشرعية [...]. فالشعارات وسحرها، وربما أيديولوجية الثورة، توفّر معيارًا جديدًا للولاء السياسي"[62].

تختزل بعض النظريات الأيديولوجية والسوسيولوجية الهدف السياسي في تغيير السلطة القائمة. ويؤكد لينين، مثلًا، أنه لا يمكن بناء مجتمع غير طبقي إلّا من خلال "دولة ثورية"، أي بالتخلّص من الدولة القائمة بوصفها قوة قمعية خاصة للبرجوازية ضد البروليتاريا، من خلال إيجاد "قوة قمعية خاصة" للبروليتاريا، موجَّهة ضد البرجوازية[63]. ويعتبر هذا التصور المستنِد إلى النظرية الماركسية أن تأسيس الحزب أو السلطة السياسية الذي يقود التغيير هو الهدف الأعلى للثورة السياسية، وهذا يتوافق مع أطروحات عديدة أيضًا مثل الأطروحات التي قدّمتها سكوكبول[64]، وهنتنغتون الذي يربط نجاح الثورة بقدرتها على "إنشاء هياكل سياسية جديدة لتحقيق الاستقرار وإضفاء طابع مؤسّسي على مركزية السلطة وتوسيع نطاقها. وباختصار، يقتضي نجاح الثورة إنشاء نظام سياسي حزبي"[65].

إن تحفُّظنا على هذا التقييد السوسيولوجي لمفهوم الثورة لا يعني إنكار أن الثورة قد تسعى لتغيير السلطة السياسية، لكننا نجادل في أن هذه الغائية ينبغي ألّا تكون المعيار الوحيد الذي يجب تقييم الثورة وفقًا له؛ ذلك أننا نعتقد أن مفهوم "السياسي" في الحالة الثورية قد يتجاوز الحدود الخاصة بمؤسسة السلطة. فعلى الرغم من أهمية تغيير النظام وإقامة نظام جديد يتبنّى أهداف الثورة وإنجازها، فإنه لا يوجد ما يضمن أن النخبة في السلطة الجديدة المنبثقة من الثورة ستحافظ في أجندتها على قيم الثورة الأصلية؛ فربما تعجز عن حمايتها أمام الثورة المضادة التي يقودها النظام القديم من الخلف[66]، وما تجربتا مصر وتونس إلّا مثال واقعي عن قوة هذا الاحتمال.

ثالثًا: الثورات العربية والديمقراطية

نستخلص من قراءتنا كتاب ليبرت ومقالة ليدرير أن الثورة - ولأنها لا تأتي من العدم - تمثّل حالة من الصراع الاجتماعي لخلق واقع جديد، بمنظومة قيمية جديدة، متناسبة مع أفكار تحدّد ملامح العصر الجديد.

59 John Dunn, *Modern Revolutions: An Introduction to the Analysis of a Political Phenomenon*, 2nd ed. (Cambridge: Cambridge University Press, 1989 [1972]), p. 2.

60 Lederer, p. 25.

61 هنتنجتون، ص 376.

62 المرجع نفسه، ص 378 وما بعدها.

63 V. I. Lenin, *State and Revolution: The Marxist Theory of the State and the Tasks of the Proletariat in the Revolution*, Special Edition (New York: International Publishers, 1935), p. 17.

64 ينظر الملاحظة في الهامش رقم 10.

65 هنتنجتون، ص 380.

66 Stephen Walt, "Revolution and War," *World Politics*, vol. 44, no. 3 (1992), pp. 321-368.

ونلاحظ تركيز ليبرت خاصة على منحه الأولوية لما سمّاها "استقلالية العقل" على "إرادة الحياة"؛ فاختصار العمل الثوري في أهداف مادية خالصة، مثل تحسين الوضع المعيشي أو الوصول إلى السلطة، لا يمكن أن يكون ثورة إذا ما غابت المبادئ الفكرية العليا المتمثّلة في القيم السياسية، مثل الحرية والكرامة والعدالة والمشاركة. يركز ليدرير على هذه المسألة، ويعتبر أن الثورة مرتبطة بوجود فكرة تسعى لتحقيقها وتحويلها إلى واقع، بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك، ليشير إلى أن الثورة لا تندلع إلّا عندما يصل الترابط بين الفكرة الثورية والمجتمع إلى مستوى الانصهار. وهذه الفكرة الثورية هي الفكرة المسبَقة المطروحة لمرحلة ما بعد؛ أي كيف ينبغي أن يكون الواقع الجديد؟

نلاحظ، أيضًا، نوعًا من التوافق بين ليبرت وليدرير على أن تحقيق هذه الفكرة والانتقال إلى واقع جديد هو توافق، مرتبط بمجموعة العوامل التاريخية السائدة؛ الأمر الذي يفرض على الفكرة الثورية أن تنسجم مع تصورات واقعية. ومن ثمّ، تأتي فكرة أن الثورة ليست مجرد خروج مظاهرات إلى الشارع؛ إما أن يتم قمعها، وإما أن يتم إسقاط النظام وتشكيل حكومة جديدة، بل هي حراك جَمعي عقلاني[67]، وعملية متواصلة تشهد أحداثًا وإرهاصات مختلفة، لكن كل ذلك في إطار "تطور" Evolution في اتجاه واقع مختلف عن ذاك قبل الثورة.

في حالة الثورات العربية، يمكننا القول إن ما تشهده دول المنطقة منذ نهاية عام 2010 هو عملية تطور مطّرد لصراع اجتماعي متواصل. إلى حين اندلاع الثورات العربية، كان هذا الصراع موجودًا، لكنه كان في وضعية السكون، ثم عرف زخمًا قويًا مع خروج المظاهرات إلى الشارع. ولا يمكن تفسير هذه الكثافة في الحركية الثورية المفاجئة إلّا بافتراض أنها نتيجة لأزمة سياسية - اجتماعية مكبوتة طوال سنوات، وأنها وجدت في الربيع العربي فرصة لتفريغها والتعبير عنها[68]. ومع ذلك، فإن هذه الحالة من الأزمة لا تكفي وحدها لتفسير الثورة، بل نعتقد أن ثمّة فكرة ثورية في عمق هذه الظاهرة، سنحاول الكشف عنها وفقًا للمنهجية التي عرضناها واستنادًا إلى الأفكار والطروحات في الإطار النظري الذي عرضناه لكل من ليبرت وليدرير.

نتيجة لسياسات القمع الممنهجة من جانب الحكومات، إضافة إلى تأثيرات الثورة المضادة، عرفت ثورات الربيع العربي انحسارًا في الحراك الشعبي، لكن انحسار الثورة لا يعني بالضرورة انحسار فكرة الثورة؛ لأن الثورة، كما قال ليدرير، لا تختزل الفكرة. ويمكن اعتبار الثورات العربية مقدمة لتحوّل في منظومة القيم السائدة في المجتمعات العربية الرازحة تحت الاستبداد ونعتقد أن هذا الحدث، نظرًا إلى تنوّع أبعاده وعمق تصوراته، هو الأول من نوعه على مستوى الصراع داخل المجتمعات العربية منذ تأسيس الدولة الوطنية الحديثة عربيًا. فهي ليست صراعًا على السلطة والنفوذ داخل النخبة السياسية، وليست صراعًا أيديولوجيًا بين قوى حزبية، بل هي تعبير شعوب عن حقها في تقرير مصيرها[69]، ورفضٌ جَمعي من فئات واسعة من المجتمع لسياسة السلطة الحاكمة، وما المطلب بإسقاط النظام الحاكم سوى مطلب بالتخلّص من هذه السياسة[70].

في جميع الثورات العربية، نجد أن الخطاب الثوري تركّز في محورَين جوهريين متلازمين: أولًا رفض شكل الممارسة السياسية العربية ومحتواها، وبمعنى أوضح، رفض قطعيّ للاستبداد والطغيان؛ ثانيًا التأكيد الواضح لقيمة الإنسان العربي وحقوقه. نجد أن هذين المحورين يشكّلان جوهر مطالب الثورة في مختلف سياقات الحراك الشعبي العربي وتقلّباته. فعندما ترفع الثورة شعار "الحرية" مثلًا، فهذا يعني الحرية من الاستبداد الذي تمارسه السلطة من ناحية، وحرية الإنسان الفرد من هذا الاستبداد ومن أي شكل تسلّطي من ناحية أخرى.

استنادًا إلى هذه المطالب، اعتبرت تحليلات وأبحاث كثيرة أن الربيع العربي مشروع دمقرطة[71]. ونعتقد أن هذه القراءة غير دقيقة، مع الاعتراف بأن الديمقراطية امتلكت مكانة مميَّزة في السردية الثورية[72]، لكنها لم تكن الخطاب الوحيد أو المسيطر. ربما يجوز افتراض أن الخطاب الديمقراطي، بصفته جزءًا من مجموع أدبيات الثورات العربية، جاء نتيجة لرفض استبداد السلطة باعتبار الديمقراطية المقابل الطبيعي والتاريخي للحكم الاستبدادي.

---

67 Michael Taylor, "Rationality and Revolutionary Collective Action," in: Michael Taylor (ed.), *Rationality and Revolution* (Cambridge: Cambridge University Press, 1988), pp. 63-97.

68 عن تأثيرات الاستبداد في الفرد والمجتمع من منظور سيكولوجي، ينظر: مصطفى حجازي، **التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور** (بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2001)؛ مصطفى حجازي، **الإنسان المهدور: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية** (بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005).

69 Noah Feldman, *The Arab Winter: A Tragedy* (Princeton: Princeton University Press, 2020).

70 Hamid Dabashi, *The Arab Spring: The End of Postcolonialism* (London/ New York: Zed Books, 2012);
نتفق مع حميد دباشي في أن ثورات الربيع العربي تحمل تغييرًا عميقًا يلحق مختلف الأنماط السياسية والثقافية والأيديولوجية السائدة منذ عقود، لكننا نختلف معه في جزمه أنها تمثّل نهاية للتيارات الأيديولوجية (الإسلام السياسي، القومية، الماركسية وغيرها) لأننا نعتقد أن الثورات لم تكن موجّهة ضد تيار، أو لصالح تيار، ولأن هذه التيارات قد تستفيد من التطورات الحاصلة لتُعيد النظر بفكرها ومسارها وخطابها، ومن ثمّ إمكانية تَكَيُّفها مع مسار الأحداث.

71 Tofigh Maboudi, *The "Fall" of the Arab Spring: Democracy's Challenges and Efforts to Reconstitute the Middle East* (Cambridge: Cambridge University Press, 2022); Jason Brownlee, Tarek Masoud & Andrew Reynolds, "Tracking the 'Arab Spring': Why the Modest Harvest?" *Journal of Democracy*, vol. 24, no. 4 (2013), pp. 29-44.

72 Michael Robbins, "After the Arab Spring: People Still Want Democracy," *Journal of Democracy*, vol. 26, no. 4 (2015), pp. 80-89.

لذلك، يبدو من الصعب التسليم بأن الديمقراطية تجسِّد الهدف الأعلى أو الأخير للثورة عربيًا؛ فالديمقراطية المقصودة هنا ليست شعارًا أو قيمة سياسية مثل الحرية والعدالة والكرامة، بل هي نظام حكم سياسي يرتكز على هذه القيم وغيرها من المبادئ والصيغ السياسية المكوِّنة في مجملها للنظرية الديمقراطية. تحظى الديمقراطية باهتمام واسع في النظرية السياسية والفكر السياسي العربي، لكنها تبقى ثمرة لتجربة غربية في سياق معطيات تاريخية معيّنة، ونقلها إلى مجتمع آخر يتطلّب معالجتها مع المعطيات التاريخية والمحددات الثقافية لهذا المجتمع. ولهذا نجد هانيس فيمّر يصف هذه التجربة التاريخية بارتقاء السياسة[73]، فضلًا عن أن الأمر في عمليات الانتقال السياسي من نظام سُلطوي إلى نظام ديمقراطي، خاصةً في الحالات الثورية، لا يتعلق بالسؤال "لماذا الديمقراطية؟"، بقدر ما يتعلق بالسؤال عن كيفية الوصول إليها[74].

ينبغي ألّا يُسَاء فهم هذه المسألة من خلال ربطها بفكرة "المركزية الغربية"، أو بفكرة "الاستثنائية العربية"، فليس المقصود، في هذا السياق، أن الديمقراطية مُنتَج غربي وأنها تناسب المجتمعات الغربية فحسب، بل المقصود أيضًا أن جوانب عَمَليَّة ومفهومية لا تزال في حاجة إلى تأطير نظري، ونقاش يشمل الرأي العام في المجتمعات العربية. فعلى سبيل المثال، ترتكز الديمقراطية الغربية على العلمانية، في وقت ما زالت العلمانية فيه محلّ جدل واستقطاب بين التيارات السياسية والمدارس الفكرية العربية المختلفة[75]. ومن المؤكد، أنه توجد مقاربات عربية تتجاوز فكرة "العلمانية" في طرحها قضية الديمقراطية عربيًا و/ أو إسلاميًا[76]. وبطبيعة الحال، فإن الأمر الذي يصعب التشكيك فيه هو أن أحداث الربيع العربي دلّت على ضعف فرضية "الاستثنائية العربية"، وجسّدت في الوقت نفسه دعوة إلى إعادة التفكير في نظريات الانتقال السياسي والدمقرطة عربيًا، وإلى مزيد من الجهد في التأصيل الفلسفي والفكري والأكاديمي لها[77].

لو افترضنا أن هدف الثورات العربية هو تحقيق الانتقال السياسي بالوصول إلى الديمقراطية، فإن عدم تحقيق هذا الهدف سيعني بـالضرورة الحكم بفشل هذه الثورات نفسها، وهو ما نعتبره تقييمًا غير موضوعي للثورة باعتبارها ظاهرة سياسية واجتماعية استثنائية[78]. وحتى لو أخذنا بفرضية فشل الثورة، لأنها لم تحقق أهدافها، فمِمّا لا جدال فيه أنها تركت تأثيرًا يشمل الأداء السياسي على مستوى الحكومات وولادة وعي ثقافي جديد على مستوى الأفراد والمجتمع[79]. وما اندلاع الانتفاضات (2019) في لبنان والجزائر والعراق والسودان التي سماها بعضهم "الموجة الثانية للربيع العربي"[80]، وسقوط نظام الأسد في سورية في نهاية عام 2024 إلّا دليل على أن الأمر لم ينتهِ. ولذلك، نميل إلى تبنّي رأي عالم الاجتماع الأميركي مايكل كيمّل المتعلق بأهمية التفريق بين الظروف الثورية (معطيات الأمر الواقع) والمخرجات الثورية[81]. ويؤكد بشارة، بحق، أن الخلط بين الثورة والانتقال إلى الديمقراطية هو "خطأ جسيم"، لأن "شروط تفجّر ثورة، وحتى انتصارها، ليست هي ذاتها شروط الانتقال إلى الديمقراطية"[82].

يمكن أن نشير إلى ملاحظة المُنَظِّر الأميركي جون شار بشأن الثورات في العصر الحديث، والهامش الذي يمكن أن تُحقّقه من تغيير أو إصلاح بشكل عام. يقول شار: "إن الثورة اليوم، لأسباب عدة، لم تعد قادرة على إنجاز أي شيء من قبيل تغيير العالم [الواقع]، أو حتى الوصول إلى درجة معقولة من النتائج الجيدة. ستكون انتفاضات، وربما الكثير والكثير منها، لكن لا يمكن أن تخرج من هذه الانتفاضات ثورة حقيقية بعد الآن، كما كانت الحال في أوقات سابقة أكثر

73 Hannes Wimmer, *Evolution der Politik: Von der Stammesgesellschaft zur modernen Demokratie* (Wien: WUV-Universitätsverlag, 1996).

74 Bruce Gilley, *The Right to Rule: How States Win and Lose Legitimacy* (New York: Columbia University Press, 2009), p. 179.

75 ينظر مثلًا: ناصيف نصار، **الديمقراطية والصراع العقائدي** (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2017). كانت العلمانية، ولا تزال، مسألة حاضرة بقوة في مقاربات فكرية ونظرية لدى العديد من المفكرين والكتّاب العرب، ومنهم فرج فودة ومحمد أركون وعزمي بشارة وعزيز العظمة وجورج طرابيشي وطه عبد الرحمن وعبد الوهاب المسيري، وغيرهم.

76 نقصد بـ "التجاوز" هنا عدم اعتبار العلمانية شرطًا مسبقًا للديمقراطية، وهو ما نجده في بعض أعمال برهان غليون وبشارة وغيرهما. فغليون مثلًا، وفي إطار مناقشته إشكالية العلاقة بين الدِين والدولة في السياق العربي، يوضح أن الإشكالية المقصودة ليست في طبيعة العلاقة بين الدِين والدولة من حيث المبدأ، بل هي "في الواقع مشكلة السياسة الاجتماعية كلّها التي تُحَدِد للدِين وغير الدِين وظائفهما"، ينظر: برهان غليون، **نقد السياسة: الدين والدولة**، ط 4 (بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2007)، ص 518. ونجد كذلك شكلًا مختلفًا من هذا التجاوز لفكرة التشاكُل بين العلمانية والديمقراطية عند بعض الإسلاميين، مثل راشد الغنوشي أو مالك بن نبي الذي يعتبر أن الحكم في الإسلام ديمقراطي في أصله، ينظر: مالك بن نبي، **تأملات** (دمشق: دار الفكر، 1979)، ص 63-94 (فصل "الديمقراطية في الإسلام"). وفي سياق آخر، يدعو محمد عابد الجابري إلى تجاوز مفهوم "العلمانية" عربيًا، والاستعاضة عنه بخطاب "الديمقراطية والعقلانية"، ينظر: محمد عابد الجابري، **الدين والدولة وتطبيق الشريعة**، سلسلة الثقافة القومية 29، قضايا الفكر العربي 4 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996)، ص 108 وما بعدها.

77 Abdelwahab El-Affendi & Khalil Al Anani (eds.), *After the Arab Revolutions: Decentering Democratic Transition Theory* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2021).

78 ينظر: بشارة، **في الثورة والقابلية للثورة**، ص 93.

79 كمال عبد اللطيف، "مدخل إلى قراءة الأبعاد الثقافية للثورات العربية"، في: **الانفجار العربي الكبير: في الأبعاد الثقافية والسياسية**، إعداد كمال عبد اللطيف ووليد عبد الحي (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012)، ص 19-72.

80 László Csicsmann & Erzsébet N. Rózsa, "Authoritarian Resilience and Political Transformation in the Arab World: Lessons from the Arab Spring 2.0," *International Journal of Euro-Mediterranean Studies*, vol. 15, no. 1 (2022), pp. 3-30.

81 Michael S. Kimmel, *Revolution: A Sociological Interpretation* (Oxford: Polity Press, 1990), p. 6.

82 بشارة، **الانتقال الديمقراطي وإشكالياته**، ص 450.

سهولة"[83]. ويجادل شار بأن الظروف التي أدّت إلى اندلاع الثورات الإنكليزية والأميركية والفرنسية في القرنين السابع عشر والثامن عشر مختلفة تمامًا عن الظروف اللاحقة التي نتجت من هذه الثورات نفسها. فمنذ القرن التاسع عشر، امتلكت الدولة بصفة متزايدة أكثر مصادر السلطة، خاصةً من خلال نظام اقتصادي مؤسَّساتي على نحو معقّد، قبل أن يكتمل "استغراب" الإنسان المعاصر في القرن العشرين والعصر الحالي، من خلال تشكيكه في المنظومة القيمية التي تحكم مسارات حياته اليومية نفسها[84].

تساعدنا هذه الملاحظة في الانتباه إلى أن الثورات هي وليدة واقع معيّن، وأن نتائجها مرتبطة بهذا الواقع أيضًا، وهي مسألة مهمة ركّز عليها كل من ليبرت وليدرير كما رأينا. وهذا يفضي، مرة أخرى، إلى التساؤل عمّا أرادت الثورات العربية تحقيقه في الظروف الواقعية آنذاك. قلنا إن تحديد الهدف المعلَن هو ما يحمله الخطاب الثوري من مطالب، الذي يكون له تأثيره المباشر في الوعي الجمعي العام، في حين أن تحديد الهدف غير المعلَن هو مسألة تحليلية تقبل أكثر من تفسير أو وجهة نظر[85]. إن تركيز الثورات العربية على رفض الاستبداد ومنح الإنسان قيمته الحضارية والطبيعية، يبدوان في أساسهما أكثر عمقًا من مجرد المطالبة بإسقاط سلطة قائمة. من منظور فلسفي أنطولوجي، ومن خلال الاستناد إلى ما سمّاه ليبرت "المضمون الميتافيزيقي للثورة"، يتضمن هذا المطلب الثوري بشقّيه فكرة "العودة إلى السياسة". ومن أجل فهم فرضية "العودة إلى السياسة"، ينبغي أولًا مناقشة بعض الجوانب في مفهوم "السياسة" نفسه؛ فهي قد تساعد في إيضاح الفرضية.

رابعًا: الربيع العربي: ثورة من أجل العودة إلى السياسة

ثمّة وفرة من تعريفات مفهوم السياسة أسّست مجموعة من التصورات التي تشكّل اليوم النظريات السياسية المختلفة التي تعرض أفكارها حول كيفية تنظيم العلاقة بين الأفراد والسلطة. ويعود الاختلاف في تعريف المفهوم إلى أساس النظرية السياسية عند أفلاطون وتلميذه أرسطو. ما يهمّنا، في هذا السياق، هو أن تعريف المفهوم قد يختلف من مفكر إلى آخر، ومن فيلسوف إلى آخر أيضًا، وفقًا للزاوية الفكرية أو الفلسفية، أو حتى الأيديولوجية والأخلاقية التي يروي منها الكاتب موقفه أو تعريفه للعلاقة بين المجتمع والسلطة، ولا سيما أن المفهوم ينطوي على دينامية تاريخية؛ فهو مفهوم متغيّر من زمن إلى آخر، وفقًا للمعطيات الثقافية والاجتماعية والحضارية (أزمات، تحديات، تنمية، عمران ... إلخ) التي تحدّد ملامح كل عصر.

كانت هذه فعلًا النتيجة التي استخلصها دولف شتيرنبرغ في دراسة حلّل فيها مفهوم السياسة عند ثلاثة مفكرين سياسيين بارزين من ثلاثة أزمنة مختلفة: أرسطو وأغسطينوس ومكيافيلي[86]. ينطبق الأمر نفسه على مفهوم السياسة في التاريخ العربي الإسلامي الذي مرّ بأطوار مختلفة، وفقًا لطبيعة كل مرحلة تاريخية. وحتى مع افتراض أن مفهوم السياسة في التاريخ الإسلامي يحمل، إجمالًا، دلالات على التدبير والتعقّل في إدارة شؤون الرعية والحفاظ على الدولة[87]، فإن هذه القضايا عامة، والتعرّف إلى حيثيّاتها بدقة، هو ما يؤطّر مفهوم السياسة في السياق العربي الإسلامي.

لفرضية "العودة إلى السياسة" في سياق دراستنا ارتباطٌ بمفهوم "السياسي" The Political الذي وضع ملامحه أرسطو بتعريفه الإنسان بصفته كائنًا سياسيًّا، وصاغته حنة أرندت لاحقًا ليكون انعكاسًا لأحداث وظواهر سياسية معاصرة، وهو المفهوم الذي يشكِل "المعيار القيمي"[88] لأفكارها الفلسفية السياسية، كما يعدّ المفهوم الذي طوّرته بمنزلة دحض لمفهوم "السياسي" المعروف عند المفكر الألماني كارل شميت الذي يرتكز على النظر إلى مفهوم "السياسة" من زاوية الممارسة السياسية عبر السلطة تجاه الآخر. فالسياسة عنده ظاهرة شاقولية تدور فصولها في أروقة الحكومة والسلطة التي تكتسب فيها ثنائية "الصديق/ العدو" مكانتها المميّزة بصفتها معيارًا لمفهوم السياسة، في حين يبقى المجتمع أو الرأي العام على هامش الأحداث[89]. أما بالنسبة إلى أرندت، فالسياسة ليست حِكرًا على

83 John H. Schaar, *Legitimacy in the Modern State* (New Brunswick: Transaction Books, 1981), p. 340.

84 Ibid., p. 342.

85 يقول كيمّل في هذا الصدد: "في حين أنه لا ينبغي لعلماء الاجتماع تجاهل الهدف الأيديولوجي لأي محاولة ثورية، فإنه لا يمكن أن يكون الآلية الحاسمة في تعريف العمل الثوري. فالثورات هي ظواهر تشمل أعدادًا كبيرة من الناس الذين يتصرفون بشكل جماعي سعيًا لتحقيق مصالح مادية (اقتصادية وسياسية) ومثالية (أيديولوجية واجتماعية). ومهما كان تحليل الثورة مقنعًا من الناحية الأخلاقية [...]، فإنه يجب أن يستند إلى أكثر من الأهداف المتعلقة بأفكار المشاركين فيها وتصوراتهم لها". ينظر: Kimmel, p. 8.

86 Dolf Sternberger, *Drei Wurzeln der Politik* (Frankfurt am Main: Insel Verlag, 1979).

87 مكرم عباس، "مفهوم السياسي في الفكر الإسلامي: ما هي السياسة؟"، ترجمة محمد الحاج سالم، **ترجمات**، مركز نهوض للدراسات والبحوث، 2022/7/19، شوهد في 2025/1/14، في: https://acr.ps/1L9GPOZ

88 Thomas Bedorf, "Das Politische und die Politik - Konturen einer Differenz," in: Thomas Bedorf & Kurt Röttgers (eds.), *Das Politische und die Politik* (Berlin: Suhrkamp Verlag, 2010), p. 16.

89 كارل شميت، **مفهوم السياسي**، ترجمة سومر المير محمود (القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، 2017).

المؤسّسات السياسية، إنما هي حق من حقوق العامة كذلك، وهي تستند بأفكارها إلى نشوء الـ Polis عند اليونانيين القدماء، فالسياسة في هذا الإطار تعني التعامل مع كل الأمور بوساطة الحوار والقدرة على الإقناع بوسائل اللغة، وليس بالإكراه والعنف[90].

من أهم الملاحظات بشأن مفهوم السياسة عند أرندت أنه يفتح المجال للتفكير في المفهوم فلسفيًا وميتافيزيقيًا، حيث حاولت في كتابها الشهير **في الثورة** تفسير ظاهرة الثورة من خلال التركيز على إنجازاتها المادية وغير المادية؛ أي ما تغيّره الثورة في مجتمع ما بالانتقال من المتغيّرات المرئية (انتقال الحكم أو تغيير الدستور مثلًا) إلى المتغيّرات غير المرئية التي تعكسها الثورة وما حققته من متغيّرات مرئية. ووصلت أرندت إلى نتيجة مفادها أن الحرية Freedom - مع التشديد على تَمييزها من التحرر Liberty - كانت الهدف غير المعلَن في الثورات التاريخية التي طالبت بالحقوق المدنية[91]. فالتحرر من اضطهاد نظام مستبِد كان يمكن تحقيقه تحت أي سلطة سياسية دستورية، بما فيها الملكية الدستورية، في حين أن الحرية تعني الحق في المشاركة السياسية في الشؤون العامة، وهذا يتطلّب نظامًا سياسيًا جديدًا في شكل جديد للدولة، أي الجمهورية الدستورية[92].

يمكن إسقاط منهجية أرندت على افتراض هذه الدراسة، ومفاده أن للثورات العربية مضامين معيارية غير مادية، تتجاوز في دلالاتها الأهداف المُعلَنة (المادية) التي عَبَّر عنها الشارع، وهي مضامين تؤكد عمق التأثير السياسي للثورات بصفتها عامل تغيير اجتماعي. نجحت الثورات العربية في قلب المعادلة السياسية العربية من خلال تشكيكها في جوانب المجال السياسي السائد عربيًا كلها، من الدولة ومؤسّساتها، مرورًا بالسلطة السياسية، ووصولًا إلى ما رسّخته الثقافة السياسية العربية الحديثة من رواسب أيديولوجية ونخبويّة. وعندما تضع الثورة ذلك كله محل تساؤل، فهي تشكّك أولًا في شرعية السياسة العربية إجمالًا، وتدعو ثانيًا إلى التفكير في شرعية سياسية بديلة تقوم على فهم جديد للشأن السياسي بكل جوانبه ومستوياته[93].

يبدو واضحًا، إذًا، أن البحث في "العودة إلى السياسة" عربيًا يشترط إدراك مكوّنات "السياسة" العربية الحالية. ويمكن وصف السياسة العربية المعاصرة بأنها سياسة "أداتية" من وجهين؛ فهي من ناحية تهتم بالأدوات التي تساعدها في الوصول إلى أهدافها، من دون اعتبار إن كانت هذه الأهداف نفسها تصبّ في الصالح العام، ومن ناحية أخرى، لأنها تعتمد على أجهزة السلطة البيروقراطية والتقنية والأمنية لضبط العلاقات الاجتماعية وتحديدها. فالسياسة العربية تهمل الإنسان العربي، وتمنع مشاركته في الشؤون السياسية والاجتماعية، ولا تتردّد في ظروف أخرى في قمعه إذا ما شعرت أنها معرَّضة للخطر بسبب تمسّكه بحقه في أن يكون جزءًا من الشأن العام، وهو ما حدث في قمع الأنظمة العربية للثورات العربية.

هذا التصور لواقع السياسة العربية هو الإطار العام لمفهوم السياسة عربيًا، حيث تبدو السياسة مختزَلة في جانب وظيفي جوهره السلطة والحفاظ عليها. أما "العودة إلى السياسة"، فهي الثورة على هذا المفهوم الناقص للسياسة والدعوة إلى واقع سياسي جديد. لذلك، نعتقد أن ثورات الربيع العربي هي محاولة للانتقال من مجتمع محروم من السياسة إلى مجتمع يشارك في صُنْع السياسة. ففكرة العودة إلى السياسة في السياق العربي بعد الثورات لا تنفي وجود ممارسة للسياسة، لكنها سياسة مجتزَأة مقتصِرة على مجتمع سياسي محدود، نسمّيه السلطة، التي جعلت من السياسة مفهومًا نخبويًا إقصائيًا. من خلال احتكارها أبعاد المجال السياسي كلّها، تنجح السلطة في بسط سيطرتها على الدولة وضبط العلاقات الاجتماعية، وهذا أساس الحكم الاستبدادي[94].

تساعدنا هذه الإيضاحات في العودة إلى الانتقادات التي تقول إن الربيع العربي لم يحقق التغيير السياسي (أو الانتقال إلى الديمقراطية). فذلك ليس قصورًا في الثورات العربية، إنما مردّه في المقام الأول إلى القصور السياسي في الدولة العربية. تقول ثيدا سكوكبول في كتابها **الدول والثورات الاجتماعية** (1979) إن الثورات تخفق في تحقيق أهدافها في الانتقال السياسي عندما يكون الجهاز القمعي للدولة قادرًا على التماسك والحفاظ على احتكار أدوات ممارسة القهر والكبت؛ لأن ذلك يجعلها قادرة على مواصلة تأثيرها واستعادة شرعيتها، وحتى التخلّص من شعور الحرمان الموجود عند أفراد المجتمع[95]. واستخدمت إيفا بيلّين هذه الفرضية لتفسير "الاستثنائية العربية" في عدم الانتقال إلى الديمقراطية، فالسبب في ذلك ليس

---

90 Hannah Arendt, *The Human Condition*, 3rd ed. (Chicago: University of Chicago Press, 1970), pp. 25-27.

91 حنة أرندت، **في الثورة**، ترجمة عطا عبد الوهاب، مراجعة رامز بورسلان (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2008)، ص 38-45.

92 المرجع نفسه، ص 44.

93 يُعَبِر مارك لينتش عن هذه الفكرة بطريقة مشابهة بقوله: "لقد غيرت الانتفاضة العربية الشرق الأوسط على نحو جذري بطرائق لن يتم استيعابها كليًا إلا بعد عقود. وفي سياق الظروف القاتمة والعنيفة والقمعية السائدة حاليًا، يكون من الصعب استذكار مدى الإثارة التي أحدثتها الحركات الاحتجاجية في أوائل عام 2011، أو كيف أنها جابهت النظام الإقليمي برمته". ينظر: Lynch, p.47.

94 ينظر مثلًا:
Juan Linz, *Totalitarian and Authoritarian Regimes* (Boulder: Lynne Rienner Publishers, 2000).

95 Skocpol, pp. 32-34.

غياب مقومات الدمقرطة/ الديمقراطية (غياب المجتمع المدني القوي، والثقافة الديمقراطية، والدخل المناسب، ومستويات التعليم، وغيرها)، إنما في الاستبداد العربي، وبخاصةٍ في تماسك الجهاز القمعي في الدول العربية[96].

تجسِّد القوة في القمع والاستبداد حالةً من القصور في الدولة التي تبدو غير قادرة على التعبير الجمعي أو التمثيل الكليّ للمجتمع؛ فهي دولة قوية في القمع والقهر، كما عبّر عنها نزيه الأيوبي[97]، لكنها بائسة وضعيفة في سياسة البناء والتنمية والقانون والتمثيل الدستوري، قوية في البنية الوظيفية الأداتية، لكنها فقيرة في المضمون المعياري الأخلاقي. ولهذا، لا غرْو في أن "مسألة الدولة العربية"[98] تجد نفسها محل بحث ونقد وإعادة نظر جذرية منذ الثورات العربية.

تدفعنا هذه الحيثية إلى البحث في العلاقة بين السياسة والدولة. وعلى الرغم من صعوبة القبول بفرضية التماهي بينهما، نعتقد أن السياسة والدولة تتشاكلان في لحظات معيّنة، بحيث يصبح الفصل الكامل بينهما شبه مستحيل[99]. وسبب ذلك أنه يصعب في العصر الحديث تخيّل وجود سياسة من دون دولة أو دولة من دون سياسة. فالدولة وشكلها وخصائصها في مجتمع ما، وفي زمن ما، هي انعكاس للسياسة وكيفية إدراكها في سياقها الظرفي والزمني. ويساعد هذا الفهم العلاقة التشاكلية بين السياسة والدولة في المحاجّة ضد محاولات تسويغ تسلّط الدولة العربية وإلقاء اللوم على السياسة، متمثّلة في ظواهر أو عوامل سياسية من خارج المنظومة السياسية (مثل التدخلات الخارجية أو الأزمات الاقتصادية ... إلخ) لتبرير تفاقم الأزمة السياسية والثقافية في المجتمعات العربية. فالمسؤول عن الأزمة ليست السياسة، إنما شكل من أشكال السياسة، متبلوِر في مجموع السلوكيات والأفعال والإدارة السياسية التي ترسمها وتنتهجها الأنظمة العربية[100].

96 Eva Bellin, "The Robustness of Authoritarianism in the Middle East: Exceptionalism in Comparative Perspective," *Comparative Politics*, vol. 36, no. 2 (2004), pp. 139-157.

97 نزيه الأيوبي، **تضخيم الدولة العربية: السياسة والمجتمع في الشرق الأوسط**، ترجمة أمجد حسين (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010 [1994]). وعبّر الأيوبي عن هذه الإشكالية في الدولة العربية أيضًا. ينظر: نزيه الأيوبي، **العرب ومشكلة الدولة** (بيروت: دار الساقي، 1992).

98 نستخدم عبارة "مسألة الدولة العربية" في إشارة دلالية إلى كتابَي: عزمي بشارة، **مسألة الدولة: أطروحة في الفلسفة والنظرية والسياقات** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023)؛ عزمي بشارة، **الدولة العربية: بحث في المنشأ والمسار** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024).

99 ينظر مثلًا الفصل الخاص بمفهوم السياسة في كتاب: عبد الكريم غلّاب، **أزمة المفاهيم وانحراف التفكير**، سلسلة الثقافة القومية 33 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987)، ص 91-103.

100 لمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع، ينظر: بشارة، **الدولة العربية**، ص 15-18، 419-448.

في الأحوال الطبيعية، تقابل هذه السياسة من جانب الدولة رؤى ومواقف سياسية من جانب الرأي العام (المجتمع) الذي قد يدعم سياسة الدولة أو يعارضها، ويخلق التفاعل بين سياسة الدولة ومواقف الرأي العام ثقافةً سياسيةً تتجذّر في النظام الاجتماعي الكليّ تدريجيًا[101]. في الدولة العربية، يبدو هذا التفاعل معدومًا؛ لأنها دولة في حالة طوارئ دائمة وقائمة على تجريد الأفراد والمجتمع من أي حقوق، ووضع كل الصلاحيات والامتيازات في أيدي سلطة الدولة، وهذه الوضعية الخاصة من حالة الطوارئ الدائمة (غير المُعلَنة عادةً) ليست استراتيجية تقنية خاصة بالحكم قد تُهدّد الحياة الدستورية، كما عبّر عنها جورجيو أغامبين[102]، بل هي أساس هذه الدولة وجوهرها، لتبقى قادرة على الاستمرار.

لذلك، تبدو الدولة العربية دولة من دون مجتمع، فهي قائمة بذاتها ومستقلة عن المجتمع[103]. فأهمية ثورات الربيع العربي تتمثّل في إظهارها هذا الخلل في المنحى السياسي للدولة العربية. وبناءً عليه، يمكننا القول إن العودة إلى السياسة تعني عودة الدولة إلى المجتمع، إنها عودة إلى جذور الرابطة بين الحكومة والمحكومين، أي باختصار: عودة إلى التفكير بعقد اجتماعي جديد متناسب مع متطلّبات العصر[104]. فالتطور التاريخي الثقافي الذي أدخلته الثورات العربية يستلزم بناء نظام اجتماعي جديد قادر على استيعاب العلاقات الاجتماعية على نحوٍ أشمل من تلك التعاقدية الأحادية الجانب (سلطويّة) المفروضة على الطرف الآخر (المجتمع) بوسائل القوة وبحكم الأمر الواقع[105].

101 تأتي هذه في صلب مقاربة ديفيد إيستون التحليلية للعلاقة بين الأنظمة السياسية والمجتمع ومحددات استمراريتها. ينظر:
David Easton, *A Systems Analysis of Political Life* (New York: John Wiley and Sons, 1965).

102 Giorgio Agamben, *State of Exception*, Kevin Attell (trans.) (Chicago: University of Chicago Press, 2005);
للمزيد حول نظرية أغامبين، "حالة الاستثناء" (الطوارئ)، وكذلك مفهوم "الإنسان المستباح"، ينظر: محمد عبد الهادي عمري، "حالة الاستثناء والإنسان المستباح عند جورجيو أغامبين"، **تبيّن**، مج 12، العدد 48 (2024)، ص 43-58.

103 للمزيد، ينظر مثلًا: محمد جابر الأنصاري، **تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القطرية: مدخل إلى إعادة فهم الواقع العربي** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994)؛ **الدولة الوطنية المعاصرة: أزمة الاندماج والتفكيك**، أحمد عوض الرحمون (محرر)، سلسلة كتب المستقبل العربي 58 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008).

104 ينظر: غسان سلامة، **نحو عقد اجتماعي عربي جديد (بحث في الشرعية الدستورية)** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987). نعتقد أنه حتى بعض الأفكار التي طرحها غسان سلامة لتكون صُلب عقد اجتماعي عربي جديد تحتاج إلى إعادة تمحيص، ليس لأنها خاطئة، إنما لأن التطورات السياسية منذ صدور الكتاب خلقت سياقًا جديدًا ومختلفًا عن الذي صدر فيه الكتاب.

105 يقول عبد الإله بلقزيز إن سياسات الدولة العربية التسلّطية قوّضت شرعيتها ومشروعيتها، وأدّت إلى هشاشتها وهشاشة المجتمع أيضًا. ينظر: عبد الإله بلقزيز، **الدولة والمجتمع: جدليات التوحيد والانقسام في الاجتماع العربي المعاصر** (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008)، ص 57-73.

يدعو حازم صاغية، في كتابه **الانهيار المديد** (2013)، إلى ضرورة التمييز بين مستويين: "مستوى طلب التحرر والحرية، وهو ما أطلق مخيلة الشعوب العربية، فهبّت إليه، ومستوى بناء الأمم ديمقراطيًا"[106]. فهو بهذه المقولة، يشدّد على عدم تطابق المفهومين؛ لأن المفهوم الأول، الحرية، هو مفهوم طبيعي، حق طبيعي إنساني، في حين أن المفهوم الثاني، الديمقراطية، هو شكل من التنظيم السياسي الذي لا يمكن أن يتم إلّا بتوافر المفهوم الأول، أي الحق في الحرية. ولهذا نجد تطابقًا ضمنيًا مع الفرضية المطروحة المتمثلة في أن المطلب الثوري العربي بالحرية والكرامة هو مطلب العودة إلى السياسة والحق في الممارسة السياسية الذي لا يكون مضمونًا إلّا بضمان هذه الحقوق الإنسانية. ونظرًا إلى فرضيتنا الأساسية في هذا البحث، فإن تحقيق الديمقراطية يستلزم أولًا "العودة إلى السياسة" لتكون أرضية حامِلة نظريات وأفكارًا سياسية جديدة، تُمهِّد للانتقال السياسي، وتَدرُس متطلّباته ومقوّماته، وتُحَدِّد أبعاده ومضامينه.

خاتمة

حاولت هذه الدراسة تقديم قراءة جديدة لثورات الربيع العربي، بعيدًا عن التقييمات السوسيولوجية المرتكزة على توصيف الوضع الواقعي، من دون مراعاة الإنجازات غير المادية لهذه الثورات، وذلك بعد توجيه النقد إليها بالفشل في تحقيق التغيير السياسي والانتقال الديمقراطي. وجادلت الدراسة بأن التقييم المعتمد على ثنائية النجاح/ الفشل لا يمكن أن يكون المعيار الوحيد لقياس نتائج الثورات العربية. وبدلًا من ذلك، اقترحت مدخلًا مفهوميًّا جديدًا لدراسة حالة الثورات العربية من خلال المضامين الثورية القيمية وما تعنيه، والمجال الذي يمكن أن تدفع فيه بالوعي الجمعي نحو ثقافة سياسية جديدة.

ناقشت الدراسة بدايةً الأبعاد السياسية والاجتماعية لثورات الربيع العربي للوصول إلى نقطة متعلقة بتعريف الثورات العربية على أنها ثورات سياسية إصلاحية، حيث يؤكد ذلك أهمية المضامين السياسية للحراك الشعبي العربي، أولًا ثورة سياسية، وهدفه بالدفع في اتجاه التغيير السياسي والاجتماعي، وثانيًا إصلاح. وفي مقابل رفض الدراسة لتقييد مفهوم الثورة بالمعايير السوسيولوجية، مثل تغيير النظام السياسي، وضعت مقاربة نظرية تتضمن تصورات معيارية - أنطولوجية وأفكارًا سوسيولوجية - وصفية.

بالنسبة إلى الحالة العربية، توجد أسباب عديدة أدّت إلى عدم نجاح الثورات في تنصيب أنظمة حكم جديدة، فالوصول إلى هذا الهدف يتطلّب وجود قوة أو جماعة ثورية ذات برنامج سياسي واضح الرؤية وذات قدرة على تولّي مسؤوليات السلطة والإدارة في المرحلة المقبلة. لم تكن هذه الحال بالنسبة إلى الثورات العربية، وهذا يُثبِت أن هدفها كان تأكيد الشروع في إجراءات إصلاحية، وليس مجرد استبدال سلطة بسلطة. ولا يتمثّل مطلب الإصلاح هذا بالضرورة في الانتقال الديمقراطي، لكنه لا يستبعده، لأن للحقل الخاص بالانتقال الديمقراطي شروطه ومحدداته التي تختلف عن تلك المتعلقة بالثورة الشعبية العفويّة.

ركّز الخطاب الثوري في الحالة العربية على محورين على نحوٍ خاص: رفض السياسة الاستبدادية للدولة أولًا؛ وإعلاء قيمة وحقوق الإنسان/ المواطن ثانيًا. ومن خلال هذا الخطاب، شكّلت هذه الثورات نقطة تحوّل تاريخية من خلال تأكيدها وجود المجتمعات العربية فاعلًا في العملية السياسية بعد إقصائها طوال عقود؛ أي إنها وضعت يدها على خلل سياسي في ميزان العلاقة بين السلطة والشعب، وبادرت بإصلاحها وإعادتها إلى طبيعتها، وهي ما سمّيناها "العودة إلى السياسة" التي تضع "دولة الأمر الواقع" على المحكّ بتقويض شرعيتها، وبالدعوة إلى التفكّر في نظام سياسي - اجتماعي جديد يقوم على التفاعل الإنتاجي بين الدولة والمجتمع، وينظم مختلف العلاقات الاجتماعية في إطار عقلاني. تعني العودة إلى السياسة حق الفرد في القيم السياسية الكونيّة، مثل الحرية والكرامة والمشاركة، وهي تمثّل بذلك شرطًا أوّليًا للانتقال السياسي والديمقراطي.

---

106 حازم صاغية، **الانهيار المديد: الخلفية التاريخية لانتفاضات الشرق الأوسط العربي** (بيروت: دار الساقي، 2013)، ص 13.

المراجع

العربية

أرندت، حنة. **في الثورة.** ترجمة عطا عبد الوهاب. مراجعة رامز بورسلان. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2008.

الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة. علي خليفة الكواري (محرر). ط 2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006.

الأنصاري، محمد جابر. **تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القطرية: مدخل إلى إعادة فهم الواقع العربي.** بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994.

الأيوبي، نزيه. **العرب ومشكلة الدولة.** بيروت: دار الساقي، 1992.

_____. **تضخيم الدولة العربية: السياسة والمجتمع في الشرق الأوسط.** ترجمة أمجد حسين. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010 [1994].

بشارة، عزمي. **في الثورة والقابلية للثورة.** ط 3. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

_____. **الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة.** الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

_____. **مسألة الدولة: أطروحة في الفلسفة والنظرية والسياقات.** الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023.

_____. **الدولة العربية: بحث في المنشأ والمسار.** الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024.

بلقزيز، عبد الإله. **الدولة والمجتمع: جدليات التوحيد والانقسام في الاجتماع العربي المعاصر.** بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008.

بن نبي، مالك. **تأملات.** دمشق: دار الفكر، 1979.

_____. **شروط النهضة.** ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين. دمشق: دار الفكر، 1986.

بودراع، أحمد. "فشل ثورات الربيع العربي: محاولة للفهم". **جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية.** العدد 11 (2017).

بيات، آصف. **ثورة بلا ثوار: كي نفهم الربيع العربي.** ترجمة فكتور سحّاب. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2022.

الجابري، محمد عابد. **الدين والدولة وتطبيق الشريعة.** سلسلة الثقافة القومية 29. قضايا الفكر العربي 4. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996.

الدولة الوطنية المعاصرة: أزمة الاندماج والتفكيك. أحمد عوض الرحمون (محرر). سلسلة كتب المستقبل العربي 58. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008.

حجازي، مصطفى. **التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور.** بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2001.

_____. **الإنسان المهدور: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية.** بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005.

سلامة، غسان. **نحو عقد اجتماعي عربي جديد (بحث في الشرعية الدستورية).** بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987.

شميت، كارل. **مفهوم السياسي.** ترجمة سومر المير محمود. القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، 2017.

صاغية، حازم. **الانهيار المديد: الخلفية التاريخية لانتفاضات الشرق الأوسط العربي.** بيروت: دار الساقي، 2013.

عباس، مكرم. "مفهوم السياسي في الفكر الإسلامي: ما هي السياسة؟". ترجمة محمد الحاج سالم. **ترجمات.** مركز نهوض للدراسات والبحوث. 2022/7/19. في: https://acr.ps/1L9GPOZ

عبد اللطيف، كمال [وآخرون]. **الانفجار العربي الكبير: في الأبعاد الثقافية والسياسية.** الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012.

عمري، محمد عبد الهادي. "حالة الاستثناء والإنسان المستباح عند جورجيو أغامبين". **تبيّن.** مج 12، العدد 48 (2024).

غلّاب، عبد الكريم. **أزمة المفاهيم وانحراف التفكير.** سلسلة الثقافة القومية 33. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987.

غليون، برهان. **نقد السياسية: الدين والدولة.** ط 4. بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2007.

نصار، ناصيف. **الديمقراطية والصراع العقائدي.** بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2017.

هنتنجتون، صمويل. **النظام السياسي في مجتمعات متغيرة.** تصدير فرانسيس فوكوياما. ترجمة حسام نايل. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، 2017 [1968].

Dabashi, Hamid. *The Arab Spring: The End of Postcolonialism*. London/ New York: Zed Books, 2012.

Dunn, John. *Modern Revolutions: An Introduction to the Analysis of a Political Phenomenon*. 2ed ed. Cambridge: Cambridge University Press, 1989 [1972].

Easton, David. *A Systems Analysis of Political Life*. New York: John Wiley and Sons, 1965.

El-Affendi, Abdelwahab & Khalil Al Anani (eds.). *After the Arab Revolutions: Decentering Democratic Transition Theory*. Edinburgh: Edinburgh University Press, 2021.

Etzioni, Amitai. *The Active Society: A Theory of Societal and Political Processes*. New York: The Free Press, 1968.

Feldman, Noah. *The Arab Winter: A Tragedy*. Princeton: Princeton University Press, 2020.

Francisco, Ronald A. "The Relationship between Coercion and Protest: An Empirical Evaluation in three coercive States." *Journal of Conflict Resolution*. vol. 39, no. 2 (1995).

Freeman, Michael. "Review Article: Theories of Revolution." *British Journal of Political Science*. vol. 2, no. 3 (1972).

Furet, François. *Interpreting the French Revolution*. Elborg Forter (trans.). Cambridge: Cambridge University Press, 1981 [1978].

_____. "The French Revolution Revisited." *Government and Opposition*. vol. 24, no. 3 (Spring 1981).

Gilley, Bruce. *The Right to Rule: How States Win and Lose Legitimacy*. New York: Columbia University Press, 2009.

Gurr, Ted Rober. *Why Men Rebel*. Princeton: Princeton University Press, 1970.

Goldstone, Jack. "Understanding the Revolutions of 2011." *Foreign Affairs*. vol. 90, no. 3 (2011).

الأجنبية

Agamben, Giorgio. *State of Exception*. Kevin Attell (trans.). Chicago: University of Chicago Press, 2005.

Alianak, Sonia L. *The Transition towards Revolution and Reform: The Arab Spring Realised?* Edinburgh: Edinburgh University Press 2014.

Arendt, Hannah. *The Human Condition*. 3rd ed. Chicago: University of Chicago Press, 1970.

Baker, Keith Michael & Dan Edelstein (eds.). *Scripting Revolution*. Palo Alto: Stanford University Press, 2015.

Bedorf, Thomas & Kurt Röttgers (eds.). *Das Politische und die Politik*. Berlin: Suhrkamp Verlag, 2010.

Bellin, Eva. "The Robustness of Authoritarianism in the Middle East: Exceptionalism in Comparative Perspective." *Comparative Politics*. vol. 36, no. 2 (2004).

Brownlee, Jason, Tarek Masoud & Andrew Reynolds. "Tracking the 'Arab Spring': Why the Modest Harvest?" *Journal of Democracy*. vol. 24, no. 4 (2013).

_____. *The Arab Spring: Pathways of Repression and Reform*. New York: Oxford University Press, 2015.

Caldwell, Peter C. *Popular Sovereignty and the Crisis of German Constitutional Law: The Theory and Practice of Weimar Constitutionalism*. Durham/ London: Duke University Press, 1997.

Cole, Juan. *The New Arabs: How the Millennial Generation is Changing the Middle East*. New York: Simon & Schuster, 2014.

Chartier, Roger. *The Cultural Origins of the French Revolution*. Lydia G. Cochrane (trans). Durham/ London: Duke University Press 1991.

Csicsmann, László & Erzsébet N. Rózsa. "Authoritarian Resilience and Political Transformation in the Arab World: Lessons from the Arab Spring 2.0." *International Journal of Euro-Mediterranean Studies*. vol. 15, no. 1 (2022).

the Middle East. Cambridge: Cambridge University Press, 2022.

Menzel, Adolf. *Friedrich Wieser als Soziologe*. Vienna: Julius Springer, 1927.

Michael Robbins, "After the Arab Spring: People Still Want Democracy." *Journal of Democracy*. vol. 26, no. 4 (2015).

Plessner, Helmuth. *Die verspätete Nation: Über die politische Verführbarkeit bürgerlichen Geistes*. 5 Auflage. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1994 [1935].

Roberts, Adam. "The Fate of the Arab Spring: Ten Propositions." *Asian Journal of Middle Eastern and Islamic Studies*. vol. 12, no. 3 (2018).

Runciman, Walter G. *Social Science and Political Theory*. 2ed ed. Cambridge: Cambridge University Press, 1969.

Russo, Alessandro. *Cultural Revolution and Revolutionary Culture*. Durham: Duke University Press, 2020.

Schaar, John H. *Legitimacy in the Modern State*. New Brunswick: Transaction Books, 1981.

Schlumberger, Oliver (ed.). *Debating Arab Authoritarianism: Dynamics and Durability in Nondemocratic Regimes*. Stanford: Stanford University Press, 2007.

Skocpol, Theda. *States and Social Revolutions: A Comparative Analysis of France, Russia, and China*. Cambridge: Cambridge University Press, 2015 [1979].

Smith, Patrick Taylor. "Political Revolution as Moral Risk." *The Monist*. no. 101 (2018).

Stephan, Maria J. & Erica Chenoweth. "Why Civil Resistance Works: The Strategic Logic of Nonviolent Conflict." *International Security*. vol. 33, no. 1 (2008).

Sternberger, Dolf. *Drei Wurzeln der Politik*. Frankfurt am Main: Insel Verlag, 1979.

Idlibi, Qutaiba, Charles Lister & Marie Forestier. "Reimagining Syria: A Roadmap for Peace and Prosperity Beyond Assad." Middle East Institute. 13/1/2025. at: https://shorturl.at/l3TmB

Sadiki, Larbi (ed.). *Routledge Handbook of the Arab Spring: Rethinking Democratization*. London: Routledge, 2014.

Kets, Gaard & James Muldoon (eds.). *The German Revolution and the Political Theory*. Cham: Palgrave Macmillan, 2019.

Kimmel, Michael S. *Revolution: A Sociological Interpretation*. Oxford: Polity Press, 1990.

Kratsev, Ian. "From Politics to Protest." *Journal of Democracy*. vol. 25, no. 4 (2014).

Krejčí, Jaroslav. *Great Revolutions Compared: The Search for a Theory*. Brighton: Wheatsheaf Books, 1983.

Lawson, George. "Revolution, non-violence, and the Arab Uprisings." *Mobilization*. vol. 20, no. 4 (2015).

_____. *Anatomies of Revolution*. Cambridge: Cambridge University Press, 2019.

Lederer, Emil. *Einige Gedanken zur Soziologie der Revolution*. Leipzig: Der Neue Geist, 1918.

Lenin, V. I. *State and Revolution: The Marxist Theory of the State and the Tasks of the Proletariat in the Revolution*. Special Edition. New York: International Publishers, 1935.

Liebert, Arthur. *Vom Geist der Revolution*. 3 Auflage. Berlin: Verlag Rolf Heise, 1919.

Linz, Juan. *Totalitarian and Authoritarian Regimes*. Boulder: Lynne Rienner Publishers, 2000.

Lynch, Marc. *The new Arab Wars: Uprisings and Anarchy in the Middle East*. New York: Public Affairs, 2016.

Maboudi, Tofigh. *The "Fall" of the Arab Spring: Democracy's Challenges and Efforts to Reconstitute*

Stone, Lawrence. "Theories of Revolution." *World Politics*. vol. 18, no. 2 (1966).

Taylor, Michael (ed.). *Rationality and Revolution*. Cambridge: Cambridge University Press, 1988.

Walt, Stephen. "Revolution and War." *World Politics*. vol. 44, no. 3 (1992).

Wimmer, Hannes. *Evolution der Politik: Von der Stammesgesellschaft zur modernen Demokratie*. Wien: WUV-Universitätsverlag, 1996.

Received التسلم 2024-8-18
Revised التعديل 2025-2-3
Accepted القبول 2025-4-15
DOI المعرف الرقمي https://doi.org/10.31430/HBEI7427

الزواوي بغوره | Zwawi Beghoura*

في الخطاب السياسي العربي المعاصر: بحث في التجربة السياسية الجزائرية من منظور الفلسفة الاجتماعية

On Contemporary Arab Political Discourse: A Study of the Algerian Political Experience from a Social Philosophy Perspective

لا جدال في أنّ النظر في الخطاب السياسي العربي المعاصر يحيل إلى ما أصاب المجتمعات العربية من تغيّرات وتحوّلات، وذلك منذ ما اصطلح عليه بالنهضة العربية الحديثة واصطدامها بالحداثة الغربية العنيفة ماديًا ورمزيًا. ولقد شمل هذا التغيّر والتحوّل جوانب ومستويات عديدة، أظهرُها للعيان لغة الخطاب نفسه، وطرائق تحليل التجارب السياسية التاريخية. ويعنيني في هذه الدراسة أن أحلّل التجربة السياسية الجزائرية في علاقتها بالسلطوية، سواء من الناحية التاريخية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية، وقبلها من الناحية النظرية الفلسفية.

كلمات مفتاحية: الخطاب، التجربة الجزائرية، الفلسفة الاجتماعية، السلطوية، العلوم الاجتماعية.

There is no doubt that examining contemporary Arab political discourse points to the transformations and changes that Arab societies have undergone since what is commonly referred to as the modern Arab Renaissance and its violent material and symbolic confrontation with Western modernity. These changes and transformations have affected various aspects and levels, most notably reflected in the language of the discourse itself and the ways in which historical political experiences are analyzed. In this paper, I aim to analyze the Algerian political experience in relation to authoritarianism—whether from a historical, social, economic, or political perspective, and prior to all that, from a theoretical and philosophical standpoint.

Keywords: Discourse, Algerian Experience, Social Philosophy, Authoritarianism, Social Sciences.

* أستاذ ورئيس قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الكويت.
Professor and Head of Philosophy Department, College of Arts, Kuwait University.
Email: zouaoui.beghoura@ku.edu.kw

"التفـكير في حـدّ ذاته علامــة على المقاومــة، وجهد لكي لا ننخــدع، أو نقع في الأخطــاء. لا يعارض الفكــر أبدًا الأوامر والطاعة، ولكنــه في كل حالة ووضعية يضعهما في علاقة مع مشروع تحقيق الحرية"[1]

مقدمة

لا جدال في أنّ دراسة الخطاب السياسي العربي المعاصر تحيل إلى مفاهيم سياسية، تحاول تفسير تجارب سياسية. وإذا شئنا أن نعبّر عن ذلك بلغة تحليل الخطاب[2]، فإنّ الخطاب السياسي العربي يشير إلى مجمل الممارسات الخطابية وغير الخطابية التي تكوّن التجارب التاريخية السياسية العربية الحديثة والمعاصرة، وذلك منذ ظهور ما يُعرف باسم الدولة الوطنية أو الدولة القومية أو الدولة-الأمة، ومحاولات تشخيصها بمصطلحات أو ملفوظات سياسية، بلغة تحليل الخطاب، ومنها مفهوم السلطوية Autoritarisme، وعلاقاته المختلفة بالسلطة والهيمنة والحكم وقبلها بالدولة، وذلك منذ القرن التاسع عشر أو ما اصطلح عليه بالنهضة العربية الحديثة واصطدامها بالحداثة الغربية العنيفة ماديًّا ورمزيًّا، وما عرفته وتعرفه هذه العملية من تغيّر وتحوّل أصاب مختلف جوانب المجتمعات العربية ومستوياتها، ويظهر جليًا في التجارب السياسية وخطاباتها المختلفة، وكذلك في طرائق تحليل هذه التجارب السياسية العربية؛ وهو ما يعني أنّ القضية الرئيسة في تحليل كل خطاب سياسي تتمثل في "التوازن بين التحليل اللساني والتحليل السياسي [...]، وفي الجمع بين النظرية الاجتماعية والنظرية اللسانية"[3].

وبالنظر إلى اتساع الموضوع وتعقّده، فإنّني سأكتفي في هذه الدراسة بالنظر في جملة من الأسئلة المحدِّدة التي يمكن صوغها على النحو الآتي: إذا كان كتاب **الدولة التسلطية** لخلدون النقيب[4] قد ناقش مفهوم السلطويّة في تجارب مشرقية عربية محددة، وذلك من خلال مقاربة علم الاجتماع السياسي[5]، أيمكن اعتبار ما توصل إليه من نتائج ينطبق أيضًا على التجربة الجزائرية[6]، أم أنّ هذه التجربة لها خصوصيتها التي تستدعي توظيف المفهوم بمقاربة مغايرة، نصطلح عليها بمقاربة الفلسفة الاجتماعية؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما التحليلات التي قدمها الباحثون حول هذه التجربة في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية المختلفة؟ وبتعبير آخر، كيف حلّلت الفلسفة الاجتماعية مسألة السلطويّة؟ وكيف أسهم الباحثون الجزائريون من تخصصات علمية مختلفة في تحليل التجربة السياسية الجزائرية؟

أولًا: في المصطلح السياسي

لعل الخطوة المنهجية الأولى المطلوبة هي إجراء فحص دقيق لمسألة المصطلح قبل الشروع في مناقشة المسائل النظرية والعملية لهذا البحث، آخذين في الاعتبار بقاعدتين أساسيتين: الأولى أنّ الاستعمال هو الذي يحدّد في نهاية المطاف دلالة المصطلحات، والثانية أنّ اللغة السياسية لا تدّعي البراءة الأيديولوجية، مثلما هو الحال في بعض المجالات المعرفية، وأنّ مصطلحاتها ومفاهيمها بعيدة عن أن تكون لها دلالة واحدة أو ثابتة. إنّها، بتعبير دقيق، لغة مفتوحة دائمًا للنقاش والاعتراض، وتبدو منفلتة من التحديد العلمي الصارم، ويغلب عليها التعدّد، والتشتت في بعض الأحيان، ومع ذلك، فإنّ هذا الوضع المعرفي للمصطلح السياسي لا يشكّل عيبًا في ذاته. لماذا؟ لأنّه جزء من طبيعة اللغة السياسية، ولأنّه يتعيّن علينا ألّا نتعجب من تعدّد تأويلاتها المتصارعة؛ وذلك لأنّ الصفة الأولى للمفاهيم السياسية ليست صفة الوضوح، هذه القيمة العزيزة على العلم في صيغته الطبيعية، بل صفتها الأولى والأساسية هي قدرتها على تسويغ الفعل أو العمل السياسي، وأن تساعد مستعمليها على بناء برامج عمل، وصوغ أيديولوجية سياسية.

ثم إنّه إذا كانت المفاهيم السياسية في مجملها غير محدَّدة بما يكفي، وغامضة نسبيًّا، ومتعدّدة وظيفيًّا، فإنّ ذلك يعود إلى طبيعتها التكوينية المزدوجة والمتمثلة في طابعها الوصفي والمعياري في الوقت نفسه؛ أي إنها تعبّر عن وقائع اجتماعية وسياسية من جهة، وعن أحكام قيمية وأخلاقية من جهة أخرى. لذا يصعب الاتفاق حول معناها، بحيث يستقر هذا المعنى، ويصبح واضحًا، إلّا باتخاذ موقف بذاته، يرجّح أحد مكوّنَيها ويفضّل حكمًا قيميًّا معيّنًا على غيره.

وبناء عليه، نستطيع القول، وفقًا لبعض المقاربات التي تقدّمها فلسفة اللغة، ومنها نظرية الاستعمال لفيتجنشتاين، إنّ المفاهيم السياسية مفاهيم مفتوحة Ouverts/ Open-ended، لا تفهم خارج

1 Max Horkheimer, *Théorie critique*: *Essais*, Luc Ferry & Allain Renaut (présentés), Le groupe de traduction du Collège de philosophie avec la participation de G. Coffin et al. (trad.) (Paris: Payot, 2009), pp. 324-325.

2 ينظر: الزواوي بغورة، "تحليل الخطاب في فرنسا وألمانيا وبريطانيا: الحالة، المنهج، الممارسة"، **تطريس في النقد وتحليل الخطاب**، العدد 2 (كانون الثاني/ يناير 2024)، ص 10-36.

3 **دليل تحليل الخطاب**، إشراف ديبورا شيفرن وديبورا تانن وهايدي إ. هاملتون، ترجمة خليفة الميساوي (المنامة: هيئة البحرين للثقافة والآثار، 2019)، ص 482.

4 خلدون حسن النقيب، **الدولة التسلطية في المشرق العربي: دراسة بنائية مقارنة**، ط 3 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004)، ص 15-38.

5 المرجع نفسه، ص 17.

6 ثمة ثلاث إشارات عرضية إلى الجزائر في كتاب خلدون النقيب، ينظر: المرجع نفسه، ص 108، 163، 265.

مجموعتها المماثلة أو عائلتها المشابهة Family Resemblance أو تشكيلتها الخطابية Formation Discursive بحسب ميشيل فوكو، وبعلاقاتها الثقافية أكثر من علاقاتها المنطقية التي يكون فيها للتاريخ وأحداثه الدور الأساسي في صوغها. ولذا، فإنّ كل محاولة لوضع حدٍّ، ولو نسبيًّا، لهذا الاختلاف واللبس والتعدّد، لا تحتاج إلى اتخاذ قرارات منهجية علمية فقط، بل تتطلب كذلك اتخاذ مواقف سياسية واعية[7].

يتفق هذا التوجه مع ما يراه فيلسوف النظرية النقدية الألماني ماكس هوركهايمر من ضرورة تحليل مفهوم السلطوية ضمن شبكة المفاهيم المشكِّلة له، وذلك بحكم أنّ المفاهيم العامة لا تكون لها دلالة في النظرية الاجتماعية إلّا في علاقتها بالمفاهيم الأخرى، وبالواقع الذي تعبّر عنه. وهو ما ينطبق على مفهوم السلطوية الذي يجب ألّا نكتفي بتحديده منفردًا، بل ضمن شبكة العلاقات التي تربطه بغيره من المفاهيم، وبالتجربة السياسية موضوع البحث. فمثلًا لا يكفي أن نحدّد السلطوية بأنّها "كل التصرفات الداخلية أو الخارجية، التي بوساطتها يخضع الناس لهيئة غريبة"[8]، بل علينا أن ننظر في علاقتها بغيرها من المفاهيم، وبخاصة مفاهيم الهيمنة أو السيطرة Domination، أو الإخضاع Assujettissement، والسلطة، والحكم، وقبل هذا وذاك مفهوم الدولة.

وتحقيقًا لذلك، فإنّ أول ما يجب الإشارة إليه هو مساءلة لفظ السلطوية في اللغة العربية، وبعدها النظر في مسألة ترجمته، وذلك لأنّ أغلب المفاهيم المشكّلة للخطاب السياسي العربي المعاصر تنتمي إلى الفكر الغربي الحديث والمعاصر، وتطرح مسائل عديدة في التلقّي والقراءة والفهم، وقبلها في الترجمة والتعريب. ومن هذه الألفاظ لفظ السلطوية الذي هو مصدر صناعي من تسلُّط[9]، أي القهر والتحكّم والسيطرة والهيمنة، وهو اسم منسوب إلى سُلْطَة المشتق من "السَّلْط" و"السَّليط"، أي الشديد، ومنه السُّلطة التي تعني "السهم الدقيق الطويل"[10]، و"السَّلاطة" التي تعني القهر. ومنها "السَّلِط" و"السَّليط" أي الطويل اللسان. ويشتق من السَّليط كذلك السُّلطان الذي يعني "ما يضاء به"، ولذا قيل إنّ "الزيت سليط"، كما يفيد لفظ السُّلطان الحجّة، وذلك بحكم أنّ السلاطين "هم الذين تقام بهم الحجة والحقوق [...]. والسُّلطان قدرة الملك، وقدرة من جعل ذلك له، وإن لم يكن ملِكًا كقولك: 'قد جعلت له سلطانًا على أخذ حقي من فلان'. وسلطان كل شيء، شِدَّته وحِدَّته وسطْوتُه"[11].

ولقد وردت في القرآن الكريم كلمة سُلطان في أكثر من آية، وإنْ لم ترد كلمة سُلطة، مع العلم أنّ الجذر اللغوي للسُّلطة والسُّلطان واحد في اللغة العربية، وهو على غير ذلك في اللغة الفرنسية على سبيل المثال. ويمكننا القول إنّ خلاصة هذه المفردات ومعانيها نجده في مصطلح السلطوية الذي يشير في الفكر السياسي المعاصر إلى نظام سياسي يحتكر السلطة ويمارس التّسلُّط ويحكم بالتعسُّف، مع أنّ هذا المصطلح، في صيغته الجديدة، يعكس جانبًا من ترجمة الفكر الغربي إلى الفكر العربي. ومن المعلوم أنّ جهازنا المفاهيمي العربي المعاصر ينتمي في أغلبه إلى الفكر الغربي الحديث والمعاصر، ومن هذه الألفاظ التي تعنينا لفظ Autoritaire الذي تُرجم بلفظَي التسلُّط أو السُّلطوي، ولفظ Autoritarisme الذي تُرجم بـ: السُّلطوية، والتسلطيَّة، والنزعة السلطوية، وكذلك الحال بالنسبة إلى مصطلح Etat autoritaire الذي تُرجم بـالدولة السُّلطوية، ومنه أيضًا Regime Autoritaire/ Système Autoritaire الذي تُرجم بالنظام السُّلطوي.

وفي هذا السياق، يجب الإشارة إلى أنّ الألفاظ السابقة إذا كانت تتفق في مصدرها المتمثل في لفظ Autorité الذي يُترجم بـالسُّلطة، وذلك على الرغم من تفاوتها في الدلالة، فإنّ المشكلة التي يطرحها هذا اللفظ الأخير تتمثل في تداخله مع لفظ آخر هو Pouvoir الذي يُترجم أيضًا بـ: السلطة والقدرة والقوة. وهنالك من يترجم الكلمتين الفرنسيتَين معًا Autorité /Pouvoir بلفظ واحد هو السُّلطة[12]، في حين أنّ هنالك من يترجمهما بكلمتين مختلفتَين هما: سُلطان بالنسبة

7 الزواوي بغوره، **الإسلام والحكم: دراسات في المسألة السياسية في الفكر الإسلامي المعاصر** (بيروت: ابن النديم للنشر والتوزيع؛ دار الروافد - ناشرون، 2019)، ص 220.

8 Max Horkheimer, "Autorité et famille," in: Max Horkheimer, *Théorie traditionnelle et théorie critique*, Claude Maillard & Sibyle Muller (trad.) (Paris: Gallimard, 1974), p. 255.

9 سليط اللسان، أي فاحش اللسان طويله، أو صاحب اللسان البذيء والجارح المؤذي للآخرين، كما يفيد لفظ سلَّط ركز، كقولنا سلَّط الضوء على أمر من الأمور، أو مكّنه منه وحكّمه فيه، ومنها قوله تعالى: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ (النساء: 90). إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية** (القاهرة: دار الحديث، 2009)، ص 52.

10 محمد بن يعقوب الفيروزابادي، **القاموس المحيط**، ط 2 (الرياض/ عمان: بيت الأفكار الدولية، 2004)، ص 832.

11 **موسوعة العلوم السياسية**، محمد محمود ربيع وإسماعيل صبري مقلد (محرران) (الكويت: جامعة الكويت، 1994)، ص 147.

12 المرجع نفسه، ص 504-505، 1008؛ إبراهيم مدكور، **المعجم الفلسفي** (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1979)، ص 95، 98، حيث شدّد على فكرتين مهمتين هما: 1. كل ما يحدِّد سلوكًا أو رأيًا لاعتبارات خارجة عن القيمة الذاتية للأمر أو القضية المعروضة، وتطلق أيضًا على الشخص الحجة، وهو كل من يصبح مصدرًا يعوَّل عليه في رأي أو علم معيَّن، مثل حجة الإسلام الغزالي. 2. من أقدم صورها في تاريخ البشرية السُّلطة الأبوية؛ عبده الحلو، **معجم المصطلحات الفلسفية: فرنسي - عربي** (بيروت: مكتبة لبنان، 1994)، ص 14، 132. ولكن هذا المؤلف يترجم أيضًا Autorité بلفظ السطوة، ولفظ Pouvoir بلفظ القدرة؛ علي بن مخلوف ومحمد الصغير جنجار، **مفردات الفلسفة الأوربية: الفلسفة السياسية** (الدار البيضاء/ بيروت: المركز الثقافي العربي، 2012)، ص 65، كما يستعمل الحجة بالنسبة إلى لفظ Autorité.

إلى كلمة Autorité، وسُلطة بالنسبة إلى Pouvoir أو العكس، مع بعض الإضافات[13].

وإذا كان لكل ترجمة أسبابها اللغوية، بحسب وجهة نظر المترجم، فإنّ الذي يعنينا هو الإشارة إلى سمتَين أساسيتَين، هما:

1. التداخل الاصطلاحي القائم بين الكلمتين، سواء من جهة الترادف، أو من جهة بعض العناصر المكوِّنة لهما، كالقدرة والحجة.
2. الفرق الدلالي الحاسم بينهما والمتمثل في الحق والضرورة بالنسبة إلى لفظ Autorité، والإكراه والقوة والأمر الواقع بالنسبة إلى لفظ Pouvoir. ومع ذلك، فإنّ هنالك من يرى أنّ السُّلطة بالمعنى الذي ترتبط فيه بالشرعية والقانون والحق تصاحبها القدرة والقوة: "لأنّ الحكّام لا يستطيعون الاعتماد على السلطة الشرعية وحدها، ولا بد لهم من آن لآخر أن يقهروا"[14]. وهذا من الجوانب التي ستكشف عنها النماذج الفلسفية التي سأحاول من خلالها التأسيس لمفهوم السلطوية، وبخاصة في الفلسفة الاجتماعية.

ثانيًا: في المقاربة النظرية

في البداية يجب الإشارة إلى أنّ الغرض من هذا التحليل الأوّلي ليس تقديم دراسة مفصلة عن مسألة النظام السُّلطوي في الفلسفة الاجتماعية، وكما حلّلها فلاسفة مدرسة فرانكفورت، وبخاصة الجيل الأول من هذه المدرسة؛ لأنّ نصوصهم وما تطرحه من مشكلات، وما تعرفه من تأويلات وامتدادات، تتجاوز كثيرًا خطة هذا البحث الذي يحاول أن يجيب عن أسئلة محدّدة تتعلق بكيفية معالجة الفلسفة الاجتماعية بما هي مبحث فلسفي معاصر يختلف عن الفلسفة السياسية والأخلاقية في صورتهما التقليدية، وعن العلوم السياسية والاجتماعية على الرغم من العلاقة القائمة بينهما، ومدى إمكانية أن تسهم هذه المقاربة في تحليل التجربة السياسية الجزائرية المعاصرة[15].

1. في الدولة السلطوية

لعل أول نص يفرض نفسه في هذا السياق هو نص هوركهايمر الموسوم بـ **الدولة السلطوية** *Autoritärer Staat* المنشور عام 1942[16]، وفيه يصف تعاظم دور الرأسمالية والتحوّلات التي طرأت على الطبقة البورجوازية، وبخاصة بعد ظهور الاتحادات الاحتكارية الكبرى Trust، ودور الدولة وجهازها البيروقراطي والصناعي في هذه التحوّلات التي سمحت بظهور ما سماه: "رأسمالية الدولة التي هي الدولة السلطوية في وقتنا الحاضر"[17]. وهذا يعني أنّ الدولة السلطوية تتعيَّن بعلاقاتها الاقتصادية المتمثلة في رأسمالية الدولة، ويعدّ النظام النازي الذي حلّل جوانب منه في هذه الدراسة مثالًا نموذجيًّا على ذلك.

على أنّ ما يلفت الانتباه هو أنّ هوركهايمر يرى أنّ البورجوازية التي ارتبط اسمها بالثورة والحرية ارتبط أيضًا بإقامتها للدولة السلطوية. ويمثل ماكسيميليان دي روبسبيير Maximilien de Robespierre، القائد الثوري الفرنسي المعروف، مثالًا لعملية تجلّي الدولة السلطوية، وذلك من خلال تركيزه السلطة في لجنة الخلاص العام، وتفريغ البرلمان من كل سلطاته الأساسية. وهو ما يعني أنّ: "الثورة الفرنسية ذاتها لها وجهها السلطوي"[18]، ولكنّ الشكل الأمثل للدولة السلطوية هو شكل "اشتراكية الدولة"[19]، لأنّه تحرَّر من الخضوع لرأس المال الخاص. وهذا يعني أنّ السلطوية قد تكون سمة لنظام سياسي في طور التأسيس، كما هو الحال في الثورة الفرنسية، أو أنه نظام سياسي قائم بذاته، وهو ما تجسد في النظامَين النازي والفاشي على حد سواء اللذَين يشتركان في مجموعة من الصفات، ومنها:

أ. القمع النابع من هيمنته المطلقة، ومن تسويغه لفكرة (العدوّ الداخلي) الذي يوجد في كل مكان ولا أثر له في أي مكان في الوقت نفسه.

---

13 خليل أحمد خليل، **مفاتيح العلوم الإنسانية: معجم عربي - فرنسي - إنكليزي** (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1989)، ص 229. مع إضافة الألفاظ الآتية: الحجة، القوة، الولاية، الأمر؛ وكذلك: أندريه لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية**، ترجمة خليل أحمد خليل، مج 1 (بيروت/ باريس: منشورات عويدات، 2001)، ص 122-123، 1011-1012. ولكن هذا المؤلف يضيف إلى كلمة سُلطان كلمة "الأمر" و"مرجع بمعنى مرجعية"، ولكلمة سلطة "الاستطاعة، والقدرة، وكذلك كلمة السُّلطان". وهذا يعني أن هذا المترجم يميل إلى ترجمة اللفظين الفرنسيَين بلفظ واحد هو السُّلطة، على الرغم من الفوارق القائمة بينهما، وبخاصة من جهة ارتباط السُّلطة/ السُّلطان Autorité بالحق، في حين أنّ السُّلطة/ القوة Pouvoir يمكن أن تمارس من دون الحق، لأنّ هنالك "سلطات مغتصبة، وأن الحق يمكن وجوده دون وجود السلطة، لأنّ هنالك سلطات غير معترف بها"، ينظر: المرجع نفسه، ص 122. بناء عليه، فإنّ الفرق بين الكلمتين، سواء استعملنا لفظين مختلفين: السُّلطان والسُّلطة، أو اكتفينا بلفظ واحد، يتمثل في الحق والإكراه. وبهذا المعنى، فإن السُّلطة بالمعنى الأول (أ) هي: "حق مبدئي في التقرير والقيادة في الحياة الاجتماعية والسياسية"، والسُّلطة بالمعنى الثاني (ب) هي: "قدرة يمارسها المرء على غيره بحسب القانون أو الأعراف أو الأمر الواقع". ينظر: الحلو، ص 14، 132. ومن المترجمين من يعكس اللفظَين، فيترجم Pouvoir بلفظ السُّلطان، وAutorité بالسُّلطة. ينظر: ميريام ريفولت دالون، **سلطان البدايات: بحث في السلطة**، ترجمة سايد مطر (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2012)، ص 7.

14 **موسوعة العلوم السياسية**، ص 147.

15 حول دلالة الفلسفة الاجتماعية وعلاقتها بالمباحث الفلسفية والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ينظر: الزواوي بغورة، "الفلسفة الاجتماعية: بحث في مفهومها ونظريتها وعلاقاتها"، **تبيُّن**، مج 8، العدد 30 (2019)، ص 55-78.

16 Horkheimer, *Théorie critique*, pp. 301-325;
الزواوي بغورة، "الدولة الاستبدادية 1942"، في: فرانسوا شاتليه وأوليفيه دوهاميل وإيفلين بيزيه، **معجم المؤلفات السياسية**، ترجمة محمد عرب صاصيلا (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2001)، ص 1177-1181.

17 Horkheimer, *Théorie critique*, p. 302.

18 Ibid., p. 307.

19 Ibid., p. 308.

ب. دور القائد والزعيم، وما يفرضه من طاعة وخضوع[20].

ج. تمدّد أشكال التسلّط وتوسّعها، وانفتاح المجال الاجتماعي أمامه. ويعتبر تاريخ المجتمعات الأوروبية شاهدًا على ذلك منذ نهاية العصور الوسطى إلى الوقت الحاضر[21]. وهو ما يقرّبه في نظرنا من تحليل فوكو الذي لم يرَ في عصر التنوير عصر اكتشاف الحرية فقط، بل اكتشاف السجن كما سنبيّن ذلك لاحقًا[22].

د. مهما بلغت السلطوية من تمدُّد، فإنّ ذلك "لا يمنع المقاومة"[23].

هـ. إذا كان هدف كل مقاومة هو الحدّ من السلطوية، وهو ما يعني القول بالحرية، فإنّ هوركهايمر لا يسمح لنا بالتفاؤل بقدوم عصر الحرية؛ لأنّه كما يقول: "لقد اتفقنا حول واقعة أنّ كلمة الحرية يجب ألّا تُستعمل إلّا في صورتها البلاغية، وأنّ النظر فيها بجدّية يعني الوقوع في الطوباوية"[24]. وهذه هي النزعة الريبيّة والتشاؤمية و"غياب الأفق" الذي توقّف عنده كثير من نقاد الجيل الأول لمدرسة فرانكفورت، وعلى رأسهم يورغن هابرماس[25].

2. بين المجتمع والسلطوية

لم يكتف هوركهايمر بدراسة الدولة السلطوية بوصفها نظامًا سياسيًّا، تجسّد واقعيًّا في النازية، بل حاول الوقوف عند جذورها وبنيتها الاجتماعية المتمثلة في العائلة. يقول: "إن معنى السلطة قد ابتُكِر في العائلة"[26]. ذاك ما قرّره في نصه: **السلطة والعائلة**، الذي هو مقدمة لكتاب ضخم اشتمل على دراسات ميدانية، وتحليلات نظرية، وشارك فيه فريق كبير من أساتذة معهد العلوم الاجتماعية، ونُشر بعنوان **دراسات في السلطة والعائلة**[27]، مؤكدًا ضرورة إعطاء التحليل التاريخي الكلّي الأولوية، ورفض الأولوية المعطاة للعلاقات الاقتصادية كما ترى ذلك الماركسية.

تتطلب هذه الرؤية الكلّية النظر إلى أعضاء المجتمع لا على أساس "السمات أو الطباع النفسية التي أصبحت تاريخية [...]، بل الذي يحدّدهم بشكل مفصلي هو فن الحكم L'art de gouverner، وتنظيم سلطة الدولة، وفي النهاية العنف الفيزيائي"[28]. وهو ما يفيد الربط بين العلاقات الاجتماعية والسياسية باسم فنّ الحكم الذي نجده أيضًا عند فوكو باسم الحكمانية Gouverenmentalité التي تعني مختلف فنون الحكم[29]. ثم إنّ هذه العلاقة التي تحدّد أعضاء المجتمع بفن الحكم لا ترتبط بالدور الذي قامت به الأخلاق والدين، بل ترتبط بالعنف الذي بوساطته أصبح الناس اجتماعيين ومتحضّرين، لأنّ ذكرى العنف لا تزال تهدّدهم. وهو ما يحيلنا، مرة أخرى، إلى تحليلات فوكو حول الحرب ودورها في تأسيس السلطة، وبخاصة حرب الأعراق، وتجد سندها المشترك سواء عند هوركهايمر أو فوكو في فلسفة نيتشه التي تؤكد أنّ الذاكرة لا تصنع إلّا بوساطة العذاب، والتضحية، والشهداء، والقرابين[30].

وثمة وجه آخر يقرّب بين الفيلسوفَين، ويتمثل في فكرة انتشار السلطة في المجتمع، بما أنّ هوركهايمر لا يرى اقتصار العنف والقمع على مؤسسة الدولة، بل يشمل مختلف المؤسسات الثقافية، وكما يقول: "ليس الجهاز القمعي للبيروقراطية هو وحده الذي له مصالح وقوى، بل هنالك أيضًا هيئة أركان لكل المؤسسات الثقافية، وذلك بالمعنى الضيق للكلمة"[31]. وهو ما نجده في تحليلات فوكو باسم ميكروفيزياء السلطة Microphysique du pouvoir المنتشر في الجسد الاجتماعي. ولعل في دراسة العائلة، بوصفها نموذجًا للسلطة، ما يؤكد هذا المسعى الذي يريد أن يعطي الأولوية لدراسة السلطة في المجتمع، أو بالأحرى لدراسة السلطة الاجتماعية قبل السلطة السياسية المتمثلة في الدولة. ويتماثل ذلك أيضًا مع دراسة فوكو للسجن الذي هو نموذج لدراسة المجتمع، مع ضرورة تأكيد بعض

20 Ibid., p. 310.

21 Ibid., pp. 316-317.

22 حول علاقة ميشيل فوكو بمدرسة فرانكفورت وأعلامها، ينظر: الزواوي بغوره، **ما بعد الحداثة والتنوير: موقف الأنطولوجيا التاريخية** (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2009)، ص 232-237؛ الزواوي بغوره، **مدخل إلى فلسفة ميشيل فوكو** (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2013)، ص 82-89.

23 Horkheimer, *Théorie critique*, p. 319.

24 Ibid., p. 322.

25 Jürgen Habermas, *Le discours philosophique de la modernité, Douze conférences*, Christian Bouchindhomme & Rainer Rochlitz (trad.) (Paris: Gallimard,1988), p. 155.

26 Horkheimer, *Théorie critique*, p. 328.

27 Max Horkheimer, *Studien über Autorität und Familie: Forschungsberichte aus dem Institut für Sozialforschung* (Lüneburg: Dietrich zu Klampen Verlag, 1987).

28 Horkheimer, "Autorité et famille," p. 238.

29 Michel Foucault, *Sécurité, Territoire, Population: Cours au Collège de France. 1977-1978* (Paris: Gallimard-Seuil, 2004), p. 169.

30 حول مفهوم السلطة عند فوكو، ينظر على سبيل المثال: ميشيل فوكو، **يجب الدفاع عن المجتمع**، ترجمة الزواوي بغوره (الكويت: دار صوفيا، 2020)، ص 51-115. وحول الصلة بين مفهوم السلطة عند فوكو وفلاسفة مدرسة فرانكفورت، ينظر:
Axel Honneth, *Critique du pouvoir*, Marianne Dautrey & Olivier Voirol (trad.) (Paris: La Découverte, 2016);
ونشير إلى أنّ هوركهايمر يستعمل اللفظين: Pouvoir /Autorité. مع تغليب أكثر للفظ Autorité، والعكس بالنسبة إلى فوكو؛ ما يعني أن الكلمتين تختلفان بحسب السياق، وأنّ اختلافهما ليس اختلافًا نوعيًّا، بل هو اختلاف في الدرجة.

31 Horkheimer, "Autorité et famille," p. 243.

وجوه الاختلاف بين النموذجين، سواء من حيث تركيبتهما أو بنيتهما، أو من حيث وظائفهما، ومكانتهما. ففي الوقت الذي تظهر فيه العائلة بوصفها مؤسسة طبيعية واجتماعية وسياسية، فإنّ السجن مؤسّسة سياسية واجتماعية بالدرجة الأولى.

3. بين الهيمنة والسلطة والسلطوية

سواء أكان أصل السلطة العائلة أم السجن، فإنّها ترتبط بالهيمنة Domination، التي تعدّ مقولة أساسية في كل تحليلات مدرسة فرانكفورت، التي استفادت من الدراسات الاجتماعية عند ماكس فيبر أو في النظرية الماركسية، وبخاصة عند أنطونيو غرامشي، وهو ما نلقاه أيضًا عند فوكو الذي يستعمل مفهوم الإخضاع Assujettissement أكثر من استعماله مفهومَ الهيمنة، إلّا أن ثمة تقاطعات كثيرة بين المفهومَين[32]، ليس هنا مجال مناقشتها، بل يجب التأكيد أن الهيمنة تحيل إلى ثلاثة مجالات أساسية هي: أولًا، هيمنة الطبيعة وما تستوجبه من نقد للعقل وتحرر من الخوف وقدرة على السيادة واستعمال التقنية، والعودة إلى مقولة فرنسيس بيكون المعروفة: المعرفة قوة أو قدرة أو سلطة. وثانيًا، هيمنة الإنسان على الإنسان التي تظهر في تقسيم العمل اليدوي والذهني. وثالثًا، الهيمنة على الطبيعة الإنسانية، وهو ما يطرح مسألة الاستعباد الذاتي. ومن البيِّن أنّ الهيمنة في المجالَين الأول والثاني لا تتصل بالتسلطية وذلك على عكس المجال الثالث، وأنّ الفارق الأساسي بينهما يتمثل في معيار الشرعية.

على أنّ ثمة أوجهًا أخرى للتقارب، ليس فقط بين مقاربة هوركهايمر وفوكو، بل كذلك مع مقاربة حنة أرندت للسلطة، وبخاصة من جهة محاولتها استعادة معناها الروماني مقارنة بمعناها الحديث[33]. يظهر ذلك في محاولة هوركهايمر التركيز على بعض السمات العامة والدائمة للسلطة، ومنها أنّ "الغالبية من الناس قد عملت دائمًا تحت قيادة القِلّة وأوامرها، وأنّ حالة التبعية هذه قد تُرجمت دائمًا بمفاقمة شروط الـوجـود"[34]، وأنّ العنف ليس وحده هو الذي يؤدي إلى الحفاظ على النظام القائم، بل الناس أنفسهم قد تعلّموا استحسانه وقبوله. وبناء عليه، فإنّ المبدأ العام والأساسي لعلاقة الناس بالسلطة هو أنّهم على الرغم من اختلافهم "عبر المراحل التاريخية، لهم سمة مشتركة، ألا وهي: إنّهم يتحدّدون، في ملامحهم الأساسية، بعلاقة الهيمنة التي تميّز المجتمع في مرحلتهم"[35]. وهو ما يعني أنّ الهيمنة هي السمة الأساسية الملازمة للسلطة بمختلف أنواعها، وأنّ "الأمزجة وأساليب التصرف تتميّز بعلاقة الهيمنة التي تشكّل إطار العملية الحيوية للمجتمع"[36]. وهذا يعني أنّ الهيمنة لا تتعلق بالسلطة السياسية فقط أو السلطوية، بل تخترق مختلف العلاقات والمستويات الاجتماعية، وأنّها مقولة أساسية في التاريخ، وتؤدي دورًا مقرِّرًا في حياة الجماعات والأفراد، وفي مختلف المجالات والمراحل التاريخية.

ولا يمكن فصل الدولة السلطوية عن السلطة بما هي هيمنة، وفي علاقتها بالبنية الاجتماعية الأولى المتمثلة في العائلة، فالأب يظهر متفوِّقًا كأمر واقع De facto، وصاحب حق De jure بالنسبة إلى الطفل. يقول: "إنّ هذه الوضعية العائلية، التي تعتبر وضعية محدِّدة لتطور الطفل، تتضمّن سلفًا البنية السلطوية للواقع الخارجي للعائلة: يجب أن يتقبّل الفرد التفاوت في شروط الوجود التي يجدها في العالم، ويجب عليه أن يخطّ طريقه ضمن الشروط الموجودة، من دون أن يلحق بها الضرر"[37]. وبتعبير آخر، إنّ الاعتراف بالوقائع هو اعتراف بسلطتها. ينطبق هذا الأمر على المجتمع البورجوازي في بدايته، مثلما ينطبق على غيره من المجتمعات. يقول: "في بداية العهد البورجوازي فإنّ سلطة الأب كانت شرطًا لازمًا للتقدم"[38]. ونقرأ هذا أيضًا في كتاب **المجتمع العقابي** لفوكو، الذي يصف فيه الإجراءات التي اتخذتها البورجوازية، ومنها تلك التي تفرض على العامل أن يهتم بأسرته، إلّا أنّ ثمة فرقًا أساسيًا يتمثل في أنّ هوركهايمر يحلّل هذه الأفكار على مستوى المذاهب والأديان، بينما فوكو يستعمل التاريخ والوقائع المادية. وبتعبير آخر: يحلّل هوركهايمر الأيديولوجيات، في حين يعمد فوكو إلى تحليل التقنيات والآليات والإجراءات التي تحكم السلطة، وفي الوقت الذي يكتفي فيه هوركهايمر بالإحالة إلى دراسات تاريخية واجتماعية، نجد فوكو يجري بنفسه مثل هذه الدراسات التاريخية أو يكتب تاريخ "المجتمع العقابي"[39]؛ وهو ما يعني أنّ الاختلاف بينهما يكمن في المقاربة المنهجية، وليس في مضمون القضية المتمثلة في ظاهرة السلطة وبعض سماتها، وأجهزتها، وأشكالها كالسلطوية ومؤسساتها، ومنها مؤسسة العائلة التي تتبع "الديناميكية الكلّية للمجتمع"[40].

---

32 حول الهيمنة والإخضاع، ينظر: بول-لوران آسون، **مدرسة فرانكفورت**، ترجمة سعاد حرب (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1990)، ص 113-121.

33 Hannah Arendt, *La Crise de la culture*, Patrick Levy (trad.) (Paris: Gallimard, 1972), pp. 166-167.

34 Horkheimer, "Autorité et famille," p. 254.

35 Ibid.

36 Ibid.

37 Ibid., p. 290.

38 Ibid.

39 Michel Foucault, *La société punitive* (Paris: Gallimard-Seuil, 2013), pp. 191-201.

40 Horkheimer, "Autorité et famille," p. 292.

غير أنّ السؤال الذي اهتم به هوركهايمر وميَّزه، وعمل عليه فريق مدرسة فرانكفورت، هو: ما الذي يمكن فعله أمام ما يُسمّى "غريزة الخضوع"؟ وكيف تصنع العائلة هذه الغريزة في مجالَي التربية والتعليم؟ يقول هوركهايمر في هذا السياق: "إنّ تشكّل العائلة لحظة مهمة في مجموع القواعد والقوانين المهيمنة في هذه المرحلة التاريخية"[41]. ولذلك لا يتردد في الاعتماد على ما قاله عالم الاجتماع فريدريك ليبلاي Frédéric Le Play في كتابه **العمال الأوروبيون** *Les ouvriers européens* من أنّ الإيمان بإله واحد والخضوع للسلطة الأبوية هما "مبدآن خالدان في كل مجتمع"[42]، وأنّ الخضوع هو "العنصر الملموس في السلم الاجتماعي"[43].

ويؤدي الدين دورًا أساسيًّا في عملية الخضوع للسلطة، ولكن من المعلوم تاريخيًّا أنّ للدين وجهه الآخر المتمثل في مقاومة السلطة، وبخاصة السلطة الجائرة، وهو ما يظهر في التجربة التاريخية الجزائرية المعاصرة سواء في عهد الاستعمار أو في عهد الدولة الوطنية[44]. ويعني هذا أنّه إذا كانت السلطة ضرورة اجتماعية قبل أن تكون سياسية، وتكون مقبولة كلّما كانت شرعية، وتحمل في ذاتها دائمًا الميل نحو التسلّط، فإنّها تختلف عن السلطوية بوصفها نظامًا قهريًّا، حيث تكون الهيمنة غير مشروعة، وتفرز ظواهر كثيرة، أبرزها ظاهرة الشخصية السلطوية التي توقّفت عندها مدرسة فرانكفورت بالدراسة والتحليل[45].

وتجب الإشارة إلى أنّه إذا كان بحث الشخصية السلطوية خاصًّا بالتجربة النازية تحديدًا، فإنّ ذلك لم يمنع من الاهتمام بنتائجها وآثارها في مناهضة الديمقراطية، وبخاصة في النظم السلطوية حيث تفرز أفكارًا مناهضة للديمقراطية بأسماء وعناوين مختلفة، ولكنها بأدوار تكاد تكون ثابتة. من هنا، فإنّ السؤال الذي طرحه أدورنو هو: ما الشيء الذي يسهم في تشكيل الفكر المضادّ للديمقراطية؟[46] سؤال يعنينا في هذا البحث، وبخاصة من جهة التمييز بين المستوى الأيديولوجي ومستوى الحاجات في تحليل الفئات الاجتماعية، وتوظيف العلوم الإنسانية والاجتماعية لهذين المستويَين، مع ضرورة الأخذ بالنظرة الكلّية في دراسة هذه الشخصية، وذلك لكونها "تتطوّر في بيئة اجتماعية، ولا يمكنها أن تنعزل أو تنفصل عن الكلّية الاجتماعية التي تتجلى من داخلها"[47]. وتؤدي العائلة والتربية والتعليم دورًا محوريًّا في تكوين هذه الشخصية، كما أشرنا إلى ذلك سابقًا[48].

وعلى الرغم من أشكال النقد الموجهة إلى مفهوم الشخصية السلطوية[49]، فإنّ عودة الشعبوية Populisme، في صورتها اليمينية واليسارية، تجعلنا نشكّك في قيمة هذا النقد، كما يفرض علينا طرح السؤال الآتي: هل فقد المفهوم هذه الوظيفة في المجتمعات التابعة أو مجتمعات العالم الثالث التي لا تزال تسود فيها النظم السلطوية؟ يبدو لنا أنّ معطيات كثيرة تؤكد أهمية توظيف هذا المفهوم في التحليل الاجتماعي والسياسي للمجتمعات التي لا تزال تخضع للسلطوية، مع الاهتمام بالتطوّرات والتحولات التي عرفتها مختلف مفاهيم مدرسة فرانكفورت في موضوع الدولة السلطوية. وهو ما يحتّم علينا أن ننظر إلى ما قدّمه الجيل الأول من هذه المدرسة من زاوية نقدية، آخذين في الاعتبار التحولات التاريخية والمعرفية في الوقت نفسه، ومدى ملاءمتها لتحليل تجارب تاريخية واجتماعية مغايرة للتجارب التي اهتمّ بها. وقبل هذا وذاك، يتعيّن علينا أن نشير إلى التطورات التي عرفتها هذه المدرسة نفسها تجاه مسألة السلطوية، وذلك ضمن التحليل العام الذي قدّمناه في الصفحات السابقة، ومنها:

أ. تنطلق الفلسفة الاجتماعية مما هو كائن، وليس مما يجب أن يكون، معتمدة في ذلك على ما تقدّمه العلوم الإنسانية والاجتماعية من دراسات ميدانية، مع محاولة فتح آفاق التحوّل والتغيير، من هنا يتبدّى تميُّز الفلسفة الاجتماعية بالنقد.

ب. مثّل موضوع السلطة والنزعة السلطوية موضوعًا مركزيًّا في البرنامج البيني للنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، باعتبارها الوجه الأحدث للفلسفة الاجتماعية. ولقد دُرس هذا الموضوع من خلال مقاربات متعددة ومتكاملة: الفلسفة، وعلم الاجتماع،

41 Ibid., p. 300.

42 Ibid., p. 303.

43 Ibid.

44 حول السلطة الأبوية في المجتمع العربي، ومنه المجتمع الجزائري، ينظر: هشام شرابي، **مقدمات لدراسة المجتمع العربي**، ط 6 (بيروت: دار نلسن، 1999)؛ هشام شرابي، **النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي**، ترجمة محمود شريح، ط 4 (بيروت: دار نلسن، 2000).

45 Théodore W. Adorno et al., *The Authoritarian Personality* (New York: Harper & Brothers, 1950).

46 Ibid., p. 8.

47 Ibid., p. 14.

48 لا يتسع المجال هنا لدراسة هذا الموضوع المهمّ والمتعلق مباشرة بالتسلّطية، ولكن من الضروري الإشارة إلى جهود أحد أعلام مدرسة فرانكفورت في تحليل ظاهرة الشخصية التسلطية، وأعني به إريك فروم. ينظر: إريك فروم، **الخوف من الحرية**، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972).

49 ينظر:
Stéphane Haber, "Pathologie de l'autorité. Quelques aspects de la notion de 'personnalité autoritaire' dans l'École de Francfort," *Cités*, vol. 6, no. 2 (2001), p. 65.

وعلم النفس الاجتماعي، والتحليل النفسي، والتاريخ، وعلم الاقتصاد، وهو ما سنحاول تطبيقه في القسم الثاني من الدراسة[50].

ج. استبعدت الفلسفة الاجتماعية في شكلها الجديد، وبخاصة عند يورغن هابرماس وأكسيل هونيت، إمكانية الثورة، ورجّحت إمكانية الإصلاح، مبيِّنةً العوائق التي تحول دون إحداث التحوّلات الجذرية في المجتمع. من هنا، أصبحت مهمة النظرية النقدية هي دراسة العقبات التي تحول دون الانعتاق، وبخاصة بالنسبة إلى الجيل الأول لهذه النظرية. وهو ما يفرض علينا الإجابة عن سؤال أساسي في بحثنا، ألا وهو: ما تلك العقبات التي تحول دون إحداث التغيير المنشود في المجتمعات التي لا تزال تخضع للنظم السلطوية؟

د. إذا كان الجيل الأول من النظرية النقدية قد ركّز على العقبات، فإنّ الجيلَين الثاني والثالث قد أجريا نقدًا لميراث الجيل الأول، واهتمّا بالآفاق الممكنة، وهو ما يظهر بوضوح في نظرية الديمقراطية التداولية عند هابرماس، ونظرية الاعتراف عند هونيت[51]. وتكشف هذه البدائل النظرية عن تجاوز إشكالية النظام السلطوي، سواء فُهم منه السلطوية على وجه العموم أو النظام النازي على وجه التحديد. ولا يعود ذلك إلى أسباب نظرية بحتة فقط، بل يعود أيضًا إلى أنّ المجتمع الألماني نفسه قد تجاوز النظام السلطوي النازي، ومن ثم، فإنّه من المنطقي البحث عن آفاق أخرى لمجتمع رأسمالي ليبرالي، شخّص فوكو بعض ملامحه، وذلك في دراسته لليبرالية الجديدة في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، باسم الليبرالية المنظمة Ordo-libéralisme[52]. ولكن مفهوم النظام السلطوي لا يزال يستعمل في دراسة كثير من المجتمعات في العالم الثالث، بما في ذلك المجتمعات العربية، ومنها المجتمع الجزائري. وإذا كنّا لا نعيش تحت نظام شمولي على الطريقة النازية أو الفاشية أو الستالينية، فإنّنا لا نزال نرزح تحت وطأة نظم سُلطية، درستها جملة من البحوث التي أُنجزت في مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية، باستثناء الفلسفة السياسية بمنظورها الكلاسيكي التي لا تزال تهتم بما يجب أن يكون، وليس بالوقائع الاجتماعية والتاريخية، أو أنّها تناقشها بقاموس كلاسيكي ضمن التصنيف المعتاد للنظم الاستبدادية، والدكتاتورية، والطغيانية من دون اعتبار لتاريخيتها.

هـ. لا يمكن فصل مفهوم السلطوية عن السلطة سواء من جهة أصلها، أو بنيتها، أو علاقتها، أو أشكالها الاجتماعية. وهذا يعني ضرورة الأخذ بالنظرة الكلّية وليس الجزئية التي تحصر المشكلة في الجانب السياسي المتمثل في الدولة أو النظام السياسي فقط.

وبناءً عليه، يُطرَح علينا سؤال منهجي وجيه، وهو: ما قيمة إسهام مدرسة فرانكفورت في تحليل الدولة السلطوية، إذا ما قورنت بالدراسات المنجزة في هذا الموضوع والمتعلقة بالتجارب السياسية لمجتمعات العالم الثالث، وتحديدًا في المجتمع الجزائري؟ لا نستطيع الإجابة عن هذا السؤال، ما لم ننظر في الدراسات المنجزة في هذا الموضوع، والمتعلقة بالتجربة الجزائرية على وجه التحديد.

ثالثًا: في التجربة السياسية الجزائرية

لا يخفى على الدارسين ما كُتب عن التجربة السياسية الجزائرية، بمختلف اللغات العالمية، وبخاصة في اللغة الفرنسية، ما يسمح لنا بالحديث عن تراكم معرفي حول تاريخ الجزائر الحديث، والثورة التحريرية، وعمليّات بناء الدولة الوطنية، وإقامة نظام سياسي جزائري. ولا يعنينا في هذا السياق أن نجري عملية إحصائية، أو تصنيفًا لهذه الدراسات، أو سردًا لمضامينها، بل يعنينا النظر في بعض الأبحاث التي ناقشت مسألة السلطوية، وذلك وفقًا لبعض فروع مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، وعلى رأسها التاريخ.

ولا يستقيم الحديث عن التجربة الجزائرية من دون الحديث عن التاريخ الجزائري الحديث الذي يتحدّد بخمسة معطيات كبرى، هي: الاستعمار الفرنسي، والمقاومة الوطنية، والحركة الوطنية، والثورة التحريرية، وبناء الدولة الوطنية. ويمكننا القول إنّ مختلف الدراسات التي اهتمت بالتجربة السياسية الجزائرية تستعيد هذه المعطيات التاريخية وتوظّفها في تحليلها لمسألة بناء الدولة الوطنية، وتعيين طبيعة النظام السياسي الذي رُسِمت معالمه وفقًا لمخططات سياسية كبرى، يمكن إجمالها في مخططَين كبيرين: أولهما، مخطط حَمَل اسم "بناء الدولة باسم الشرعية الثورية" في الفترة 1962-1988، واتبع نظامًا اشتراكيًا (على الطريقة

50 إضافة إلى النصوص التي أشرنا إليها، يجب تأكيد أهمية كتاب فرانز نويمان، وهو أحد أعضاء المدرسة الأساسيين، والخاص بدراسة التجربة النازية تحديدًا. ينظر:
Neumann Franz, *Béhémoth: Structure et pratique du national-socialisme* (Paris: Payot, 1987);
وكذلك الترجمة العربية في: فرانز نويمان، **البهيموت: بنية الاشتراكية القومية (النازية) وممارساتها**، ترجمة حسني زينة (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017).

51 ليس غرضنا في هذه الدراسة أن نتناول أوجه النقد المختلفة التي وجّهها هابرماس وهونيت إلى أساتذتهما من الجيل الأول في مدرسة فرانكفورت، ولا أن نقف عند البدائل المقدمة، بل سنحاول أن نجري توظيفًا منهجيًا لبعض المفاهيم ذات الصلة المباشرة بالدولة التسلطية. يكفي في هذا السياق الإشارة إلى كتابين من كتبهما، وهما:
Habermas, pp. 128-156; Honneth, pp. 17-118.

52 ميشيل فوكو، **مولد السياسة الحيوية**، ترجمة الزواوي بغوره (الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية، 2018)، ص 97-191.

الجزائرية)[53]. ومنذ عام 1988، شُرع في تطبيق مخطط ثانٍ حَمل اسم "بناء الدولة الديمقراطية"، مع أنّ الدولة الجزائرية حملت منذ تأسيسها اسم الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية[54].

ومع أنّ هذين المخططين مختلفان في ظاهرهما على الأقل، فإنهما يتضمنان عناصر مشتركة، أهمها عنصر النظام السلطوي، الذي يُدرس بمصطلحات ومفاهيم ومقاربات مختلفة، منها المقاربة التاريخية التي تحتلّ مكانة مركزية سواء من جهة مكانتها في إبستيمولوجيا العلوم الإنسانية والاجتماعية، أو من جهة التجربة السياسية الجزائرية التي يحظى فيها المعطى الاستعماري والحركة الوطنية وثورة التحرير بطريقة واعية أو غير واعية بحضور مكثّف في مختلف المقاربات التي تناولت المجتمع الجزائري بالدراسة والتحليل.

1. المقاربة التاريخية

أعتقد أنّ المقاربة التاريخية التي قدّمها المؤرخ الجزائري محمد حربي لها أهمية منهجية ونظرية على حدٍّ سواء؛ وذلك لثلاثة أسباب على الأقل: أوّلها، تقديمه دراسة شاملة للتجربة السياسية الجزائرية في المراحل الأولى والثانية والثالثة، أي مرحلة الحركة الوطنية، والثورة التحريرية، وبناء الدولة الوطنية إلى عام 1988. وثانيها، لأنه كان فاعلًا في المرحلتين الأولى والثانية وفي جزء من المرحلة الثالثة، ما جعل تحليلاته تتسم بسمات الفاعل الواعي، والشاهد، والدارس الناقد، وهو ما يعني من الناحية الإبستيمولوجية تداخل الذاتي والموضوعي، ويطرح مشكلات معرفية وأخرى أيديولوجية يجب الكشف عنها. وثالثها، إنّ كثيرًا من الدراسات التاريخية والاجتماعية والسياسية تحيل إلى تحليلاته، ما جعلها مرجعًا أساسيًّا في معظم الدراسة للنظام السياسي الجزائري.

يعتمد هذا المؤرخ في تحليله النظامَ السياسي أو نظام الحكم في الجزائر على أطروحتين: تتمثل الأطروحة الأولى في أنّ الحركة الوطنية الجزائرية في أساسها ذات منزع سلطوي، ويعود ذلك إلى ثلاثة أسباب هي: الاستعمار، والنضال السري وما يفرضه من تنظيم محكم، و"ثقل ماضٍ يتجاهل الفرد والحرية، ليفرضا على الحركة الوطنية الشعبية بُنى تأطير سلطويّة، وشكلًا خاصًّا من العلاقة بالشعب. إنّ الإشارات المستمرة إلى ضرورة حماية التنظيم، تخفي إرادة القيادة والحذر حيال الجماهير"[55]. وتقوم الأطروحة الثانية على أنّ البيروقراطية هي التي تشكّل النواة المركزية للسلطوية. يقول: "لم تكن الأزمات والتبدّلات المتكرّرة في المجال السياسي غير لحظات من تكوين قواعد اجتماعية جديدة هي البيروقراطية"[56]. وفي تقديره، فإنّ هذه البيروقراطية أصبحت واعية بمصالحها بعد الانقلاب العسكري في 19 حزيران/ يونيو 1965، مع العلم أنّ حربي كان شريكًا في الحكم المنقلَب عليه.

تعزز معطيات وتحليلات كثيرة هاتين الأطروحتين، منها: إنّ مؤسّسي جبهة التحرير الوطني الذين فجّروا ثورة التحرير لم يكونوا مدعومين بحركة شعبية، بحكم نضالهم السرّي. لقد عرف حزب "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" وريث "حزب الشعب الجزائري"، انشقاقًا في قيادته عام 1953، قاده من جهة زعيم الحزب مصالي الحاج، ومن جهة أخرى اللجنة المركزية أو ما يُعرف بـ "المركزيين". وعلى الرغم من محاولات الصلح والوحدة بينهما، فإنّها أخفقت، ما دفع بعض المناضلين المنضمّين تحديدًا في المنظمة الخاصة شبه العسكرية للحزب، والتي تُعرف اختصارًا بـ OS[57]، والذين يُعرفون بالناشطين Activistes، إلى إنشاء تنظيم جديد كان وراء اندلاع ثورة التحرير الوطني الذي قادته جبهة التحرير الوطني. من هنا، خلص حربي إلى فكرة تعزّز تحليله للسلطوية في الجزائر. يقول:

> لمّا لم تكن تُدعِّمهم، حين دخولهم حلبة الصراع، حركة شعبية دينامية حقيقيّة، استولوا على السّلطة في الحركة عن طريق القوة، واحتفظوا بها عن طريق القوّة. فلمّا كانوا مقتنعين بأنه يلزم العمل بحزم لأجل حماية أنفسهم بوجه خصوم الكفاح المسلح، اختاروا طريق التسلُّط والاستبداد عن سابق تصور وتصميم. ورُفعت نزعة السلطة المطلقة إلى مقام المبدأ بوجه نزعات التوفيق والمصالحة. وإذْ دخلت الساحة فسوف تبقى سيِّدة فيها[58].

53 بهذه العبارة حدَّد الميثاق الوطني لعام 1976 مفهوم الاشتراكية في الجزائر. ولقد تعاقب على حكمها الرؤساء: أحمد بن بلة (1962-1965)، هواري بومدين (1965-1978)، الشادلي بن جديد (1979-1992). وإذا كان صحيحًا أنّ ثمة اختلافات بين هذه المراحل، فإنّ بنية النظام السياسي لم تعرف تغيّرًا نوعيًّا، وثمة دراسات كثيرة حولها لا يتسع المجال لذكرها أو مناقشتها.

54 تعاقب على حكم الجزائر منذ عام 1992: محمد بوضياف (1992/1/11-1992/6/29)، علي كافي (1992-1994)، اليمين زروال (1994-1999)، عبد العزيز بوتفليقة (1999-2019)، عبد المجيد تبون (منذ عام 2019). وبالطبع فإن هذه المرحلة تميزت بـ "الحرب الأهلية" التي عرفتها البلاد، والحراك الشعبي الذي وضع حدًّا لحكم بوتفليقة الذي يعدّ أطول حكم عرفته الجزائر، ومحاولات إيجاد آليات جديدة للحكم.

55 محمد حربي، **جبهة التحرير الوطني: الأسطورة والواقع**، ترجمة كميل قيصر داغر (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1983)، ص 16.

56 المرجع نفسه، ص 15.

57 L'organisation secrète، ولكن عند سماع من ينطق بها، فإنها تعني العظم L'os، وما يرمز إليه من قوة وشدة وبأس، وغير ذلك، بناء على شهادة قدّمها أحد أعضائها، وهو حسين آيت أحمد في محاضرة بجامعة قسنطينة، عام 1990. أسس هذه المنظمة المؤتمر الأول لحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، في 15 شباط/ فبراير 1947.

58 حربي، ص 20.

يبدو هذا التحليل في ظاهره متسقًا نظريًّا، ولكن بعد تدبّره يطرح سؤال العلاقة بين هؤلاء الناشطين وقواعدهم النضالية، وكذلك مدى الانقطاع الذي يمكن تصوّره بينهم وبين الجمهور، وبخاصة إذا عرفنا أنّ الحزب، حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، كان شبه سري، ومن ثم، فإنّ تقديم هؤلاء القادة في صورة انقلابيّين، والتقليل من قيمة الأزمة التي عرفها الحزب، يبدوان انعكاسًا للكتابة التاريخية الآنيّة التي قدّمها حربي أكثر مما يعكسان مقاربة تاريخية تراعي سياق الأحداث ومتطلباتها، وفي مقدّمها مطلب الاستقلال، وضرورة تحقيقه بالوسائل السلمية والحربية على حد سواء، وإلّا فكيف يمكن أن نفهم استقبال هؤلاء القادة في المناطق التي عملوا فيها، وقدرتهم على قيادة العمليات الحربية الأولى لولا ما أصبح يُعرف بالحاضنة الشعبية؟

إنّ هذه الأسئلة لا تمنع في تقديرنا من الاستنتاج الذي توصّل إليه حربي، والذي يحتاج إلى تدقيق، وأعني بذلك وصفه جبهة التحرير الوطني بأنّها ليست إلّا شكلًا من أشكال السلطوية الجديدة Neo-autoritarisme و"خليطًا من العتاقة والحداثة القمعي بالقوة"[59]. فإذا كان من المؤكد أنّ جبهة التحرير خليط من الحداثيين والتقليديين، من التحرريين والمحافظين، فإنّ ذلك يعود إلى أنها جبهة تضمّ مختلف التيارات السياسية الجزائرية، وأنّه ليس مطلوبًا في حالة الثورة أو الحرب التحريرية، وضمن التجربة الجزائرية التي أخفقت فيها حركة انتصار الحريات الديمقراطية في الحفاظ على وحدتها، أن تنشأ جبهة من تيارات متقاربة، بل ما كان يعنيها بالدرجة الأولى هو الاتفاق على الأهداف الكبرى والوسائل الأساسية.

ولكن مع ذلك، يجب القول إنّ حربي يجري نوعًا من جينيالوجيا السلطوية في الجزائر، وذلك حينما رأى أنّ الطابع السلطوي للنظام السياسي لا يرجع إلى ظروف اندلاع الثورة التحريرية، وقيادتها من جانب عناصر المنظمة الخاصة فقط، بل إلى الطابع السلطوي للحركة الوطنية، وبخاصة حركة انتصار الحريات الديمقراطية في التجنيد، ومن بعدها جبهة التحرير الوطني[60]. وهو ما يعني أيضًا أنّ النظام السياسي في الجزائر ليس إلّا وريثًا شرعيًّا لهذا الميراث المتكوّن من الحركة الوطنية والثورة التحريرية. ومهما كان الاختلاف في هذا الميراث سواء أكان بين الفاعلين السياسيين أنفسهم أم بين الباحثين والدارسين، حول حقيقته وقيمته، فإنّه يتّسم بثلاث سمات مشتركة أساسية ومتكاملة، وهي السلطوية والشعبوية والريعية[61].

59 Mohammed Harbi, "L'hypothèse totalitaire en Algérie," in: Mohammed Harbi, *L'Algérie et son destin: Croyants ou citoyens* (Paris: Éditons Bouchene, 2016), p. 71.

60 Ibid., p. 73.

61 Ibid., p. 134.

ترتبط السلطوية بالشعبوية ارتباطًا عضويًّا[62]، وتظهر في التجربة الجزائرية مقرونة بالبدايات الأولى للحركة الوطنية، وبأحد تياراتها الأساسية التي قادها حزب "نجم شمال إفريقيا"، وزعيمها مصالي الحاج. وتتميّز هذه الشعبوية بتقديسها للشعب باعتباره الفاعل المطلق في التاريخ، وكذلك لأنّ قيادة هذا الحزب تفتقر إلى الوسائل الفكرية التي تسمح لها بالتفكير النقدي في الإرث الثقافي؛ ما أدّى بها إلى الاستعانة بالأيديولوجيا (المحافظة) المتمثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبخاصة بعد الاستقلال[63]، إضافةً إلى طبيعة الحزب القائمة على التعبئة الجماهيرية المحكومة بتنظيم مركزي على طريقة الأحزاب الماركسية اللينينية.

2. المقاربة الاجتماعية

يوافق الباحث الجزائري في علم الاجتماع السياسي لهواري عدّي هذا الطرح في عمومه، ليؤكد أنّ الشعبوية في الجزائر لم تكن مفروضة من الأعلى، بل تتّفق مع الثقافة السياسية الجزائرية، وطريقتها في مقاومة الهيمنة الاستعمارية، وذلك من خلال استنادها إلى القيم والفضائل التي حافظ عليها الشعب ويدافع عنها. وهو ما تجسّد في التيار الوطني الشعبوي الذي قاد الكفاح المسلّح، واستولى على السلطة في الاستقلال. وتكمن المشكلة الأساسية لهذه الشعبوية التي أصبحت خطابًا رسميًّا في مفارقاته المكشوفة، ومنها على وجه التحديد تلك المفارقة التي "تُعلي على نحو مثالي من قيمة وفكرة الشعب على المستويَين النظري والخطابي، ولكنها تحتقر المجتمع في الممارسات"[64]. ولقد سبق لباحثَين فرنسيَّين أن بيَّنا، في كتاب لهما عن التجربة السياسية في الجزائر عام 1975، الطابع الشعبوي للنظام السياسي الجزائري، والمتمثل في اعتقاد تفوّق الإرادة الشعبية المرتبطة بالعدل عن بقية القيم والمعايير، وأهمية العلاقة المباشرة بين القائد والشعب، والريبة من المثقفين والسياسيين[65].

وإذا كان حربي يصف الحركة الوطنية، وجبهة التحرير الوطني، والنظام السياسي في الجزائر، بالطابع السلطوي، فإنّه يرفض وصفه بالنظام الشمولي Système totalitaire كما حدّدت معالمه أرندت[66]، وذلك

62 للمزيد ينظر: الزواوي بغوره، "خطاب الشعبوية في الفكر السياسي المعاصر"، **التفاهم**، مج 17، العدد 65 (2019)، ص 135-158.

63 حربي، ص 28.

64 Addi Lahouari, "Sociologie politique d'un populisme autoritaire," *Confluences Méditerranée*, vol. 81, no. 2 (2012), p. 29.

65 Jean-Claude Vatin & Jean. Leca, *L'Algérie politique* (Paris: Les Presses de la Fondation nationale des sciences politiques, 1975), p. 472.

66 ينظر: الزواوي بغوره، **الشمولية والحرية: دراسات في الفلسفة السياسية والاجتماعية** (بيروت/ الكويت: دار سؤال وصوفيا، 2018)، ص31-40.

لثلاثة أسباب: أوّلها، إنّ إطلاق الصفة الشمولية على جبهة التحرير الوطني مصدره الدوائر الاستعمارية الفرنسية التي كانت تسوّغ ذلك بما كان يُسمّى في ذلك الوقت "يد موسكو" في أحداث الجزائر، وذلك ضمن الصراع القائم بين المعسكرَين الرأسمالي والاشتراكي في أثناء الحرب الباردة. وثانيها، استعمال الإدارة الاستعمارية الفرنسية لها بوصفها ذريعة لمحاربة الشعب الجزائري المدني والمحارب على حد سواء. وثالثها، إنّ العناصر المحدِّدة للشمولية لا تتوافر في النظام السياسي الجزائري، إلّا بنسبة محدودة، تتفاوت بتفاوت مراحل الحكم المختلفة، وبخاصة في الستينيات وإلى نهاية الثمانينيات[67].

تتحدّد هذه السلطوية بالطبيعة البيروقراطية لجبهة التحرير الوطني، ولنظامها السياسي الذي ستقيمه بعد الاستقلال؛ إذ إن "جبهة التحرير، هذا الرمز لوحدة كلّف تحقيقها غاليًا، ليست الحزب السياسي الذي كانت تزعم أنّها تمثّله، بل بيروقراطية مدعوّة لأن تغدو دولة، وتكمن قوّتها في الجهاز العسكري"[68]. ولقد تكوّنت هذه البيروقراطية عبر مراحل مختلفة، شكّلت ما يسمّيه حربي "الجسم العسكري" الذي يتألف من جيش الولايات (الداخل)، وجيش الحدود (الخارج)، والاستخبارات، والفروع المدنية، وذلك بعد قرار المجلس الوطني لجبهة التحرير الوطني في كانون الأول/ ديسمبر 1959، القاضي بأنّ "جبهة التحرير ليست تجمُّعًا مؤقّتًا"[69]. ومن ثمّة جاء رفض التعددية الحزبية، واعتبارها وجهًا مزيّفًا للتعددية الاستعمارية.

ولا يتحدّد الطابع السلطوي بالمعطى البيروقراطي ومكوّناته المادية والسياسية، وما نتج منه من اعتماد فكرة الحزب الواحد التي تُعدّ في حدّ ذاتها شكلًا من أشكال التسلّط، بل يتعدّى ذلك إلى التراتُبَين الثقافي والسياسي للشعب الجزائري؛ لأنّ جبهة التحرير ليست إلّا نوعًا من "إعادة أشكال سياسية تمدّ جذورها في الماضي البعيد"[70]، ما يعني أنّ السلطوية الجديدة لها جذروها في الماضي الثقافي للشعب الجزائري. وهو ما يؤدي بنا إلى القول إنّ تلازم التحليل التاريخي والاجتماعي يكشف عن جملة من العناصر، أهمّها:

أ. إقامة نوع من جنيالوجيا السلطوية في الجزائر. يظهر ذلك في محاولة الكشف عن ينابيعها الأولى في الحركة الوطنية، وتشكُّلها إبّان الثورة التحريرية، وتجسُّدها في النظام السياسي الجزائري من بداية الستينيات إلى نهاية الثمانينيات.

ب. تستند السلطوية السياسية في الجزائر إلى ميراث ثقافي وديني لم يُدرس دراسة نقدية، ولم يقدِّم حوله حربي إلّا إشارات عامة تحتاج إلى البحث لمعرفة حقيقتها وحدودها ودورها في تعزيز النزعة السلطوية في الحكم الجزائري.

ج. يتمثل العنصر التكويني لهذه السلطوية في البيروقراطية التي تعتبر مبدأ لتفسير السلطوية السياسية في الجزائر. وتعود مرجعية هذا التفسير إلى بعض التيارات الماركسية التي حاولت فهم المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية ومجتمعات العالم الثالث[71].

د. لا شك في أنّ التفسير وفقًا لمبدأ البيروقراطية يطرح مشكلات منهجية ومعرفية عديدة، سواء داخل التيار الماركسي، كعلاقة البيروقراطية بالتكوين الطبقي للمجتمعات، ونوعية نمط الإنتاج الاقتصادي الذي تعمل فيه، ودورها في الصراع الطبقي، ... إلخ. ويثير مشكلات على مستوى علم الاجـتماع، وكيفية قراءة النظريات المتعلقة بالبيروقراطية وعلى رأسها ما قدّمه ماكس فيبر، والتطورات المعرفية التي تركّز على الحركات الاجتماعية والفاعلين الاجتماعيين كما يرى ذلك ألان تورين. والحق، فإنّ القول بالبيروقراطية سواء أكان يتمتع بقدرة تحليلية أم لا، لا يُغني عن تأسيس نظرية تفسّر المجتمع في كلّيته، وهي المهمة التي تضطلع بها الفلسفة الاجتماعية، وهذا ما تبرزه جهود فلاسفة مدرسة فرانكفورت بأجيالها الثلاثة، ومن ثم، ضرورة البحث عن نظرية اجتماعية ملائمة للمجتمع الجزائري.

من هنا نرى أنّ ما قدّمه حربي وكذلك عدّي يحتاج إلى مناقشة، لا يتسع لها مجال هذه الدراسة، وبخاصة من جهة التغيّرات التي عرفها هذا المجتمع منذ الاستقلال إلى اليوم. ولعل في الإشارة إلى ما قدّمته الباحثة الجزائرية مغنية الأزرق، التي ترى أنّ القول بدورٍ أكبر للبيروقراطية في مجتمعات العالم الثالث مقارنة بالمجتمعات الصناعية لا يشكّل أساسًا علميًّا كافيًا للقول بتحوّلها إلى طبقة، لأنّ البيروقراطية تستخدم "أداة للإنتاج الطبقي وإعادة الإنتاج الطبقي

67 يصف بعض الباحثين والسياسيين النظام السياسي الجزائري بالشمولية، ولكن من غير تدقيق وضبط للمفهوم، وتطبيق يراعي معطيات التاريخ والواقع، بل يحتكم إلى الانتقائية والانحياز الذي تضمنه اللغة السياسية لتعزيز مواقف سياسية، كما أشرنا إلى ذلك في مقدمة هذا البحث. ينظر على سبيل المثال:
Saïd Chiban, *L'Algérie entre totalitarisme & populisme*, vol. 1: *Le temps du parti unique*, vol. 2: *La fausse ouverture ou l'heure des illusions/désillusions* (Paris: L'harmattan, 2016).

68 حربي، ص 257.

69 المرجع نفسه، ص 249.

70 المرجع نفسه، ص 248.

71 ثمة تصورات كثيرة حول مفهوم البيروقراطية ودورها، ولعل أهمها ما قدّمه ماكس فيبر، وما استعملته بعض الاتجاهات الماركسية المعاصرة ذات الصلة بتحليلات حربي، ومنها ثلاثة تصورات أساسية. نقرأ التصور الأول عند ليون تروتسكي وأتباعه، أو المجموعة اليسارية المنضوية في مجلة **الاشتراكية أو البربرية** *Socialism ou Barbarie*، التي يمثلها بعض الفلاسفة منهم: كلود لوفور، كورنيليس كاستورياديس، جان-فرانسوا لويتار في كتاباته الأولى، ينظر:
Claude Lefort, *Eléments d'une critique de la bureaucratie* (Paris: Gallimard, 1979).

على السواء"[72]. وفي تقديري، فإنّ هذا يعدّ مؤشرًا كافيًا لمعرفة المشكلات النظرية التي يطرحها التحليل التاريخي والاجتماعي، وبخاصة إذا استحضرنا المعطى الأساسي الذي لا يشير إليه حربي وكذلك عدّي، ألا وهو ضرورات بناء الدولة، أو بعبارة دقيقة ضرورات الانتقال من حالة الثورة إلى حالة الدولة، من حالة حرب التحرير إلى حالة بناء الدولة، ودور الإدارة والمؤسسات وأهميتها، وهو ما يستوجب ضرورة التمييز بين السلطوية والدولة.

3. المقاربة الاقتصادية

يقودنا هذا التحليل التاريخي والاجتماعي الأوّلي إلى النظر في الجانب الاقتصادي وعلاقته بالنظام السلطوي، وبخاصة ما تعلق بما يسميه الاقتصاديون الاقتصاد الريعي أو "نظرية الدولة الريعية" التي تستعمل بغرض فهم التناقض القائم بين ضرورة الإصلاح الجذري للاقتصاد الذي يخضع للتبعية شبه الكاملة للمحروقات (البترول والغاز)، والإرادة المعلنة للنخب الحاكمة في البقاء في السلطة بقصد الاستفادة من الريع، وذلك من خلال ما يوفّره الريع من إمكانية "شراء السلم والاستقرار المدنيَين"، وعلاقة ذلك كله بالنظام الاقتصادي العالمي الذي يظهر، بحسب بعض الدراسات، أنّه يفرض على بعض بلدان العالم الثالث أدوارًا يصعب التخلي عنها.

ولا تكمن أهمية هذه النظرية في الكشف عن جانب أساسي من النظام الاقتصادي، بل إن أهميتها تكمن أكثر في المجالَين السياسي والاجتماعي، وذلك لأنّ المسلَّمة التي تقوم عليها هي "ليس للمواطنين المصلحة، ولا القدرة على الثورة للمطالبة بحكومة أكثر انفتاحًا وديمقراطية"[73]؛ وذلك لأنّ النخبة الحاكمة توزّع الثروة لشراء السلم المدني، ولأنّ مصادر الثروة لا تأتي من المجتمع، من هنا تستطيع النخبة الحاكمة ألّا تسمح بإحداث التغيير ما دامت الثروة تأتي من الخارج، وبذلك تتحقّق القاعدة القائلة "لا ضرائب لا تمثيل". وإذا حدث وثار المجتمع، فإمّا أن يُستوعب بالوسائل التي يوفرها الريع، وإمّا أن تتكفّل الأجهزة الأمنية المجهَّزة والمدربة بذلك. ولكن عندما يحدث انخفاض في العائدات، فإنّ مطالب المواطنين ترتفع، وتصبح تنادي بالديمقراطية؛ أي إنّ المواطنين يطالبون بدور مركزي في اتخاذ القرار. وفي الغالب تكون الحلول بالقمع أو بإيجاد مصادر جديدة للتمويل، وكل ذلك من أجل استبعاد العملية الديمقراطية التي تؤدي إلى تداول الحكم، ومشاركة المجتمع في القرار السياسي.

والحق، فإنّ ثمة ضروبًا من النقد الموجَّه إلى هذه النظرية، ومنها القول إنّ الريع لا يقوم بدوره إلّا عندما يكون النظام السلطوي قائمًا أصلًا. وهذا يعني أنّ السياسي سابق ومقرِّر للاقتصادي، ثم إنّ عملية توزيع الريع تكون في الغالب عملية غير عادلة، وتؤدي إلى تفاوتات اجتماعية، تؤدي إلى معارضة النظام بقدر ما تُنتج حلفاء له. وأكثر من هذا، فإنّ المعارضة لا ترتبط آليًّا بارتفاع العائدات النفطية أو انخفاضها، والدليل على ذلك أنّ أحداث "الربيع العربي" في موجته الأولى (2011) وقعت في زمن ارتفاع هذه العائدات، ولكنّ المتأمل فيها قليلًا يدرك أنّ بعض الدول البترولية مثل الجزائر استطاعت أن تشتري السلم المدني، أما ليبيا فلم تتمكن من ذلك. لذا يبدو أن دور الريع أكثر تعقيدًا مما يظهر عليه.

من هنا خلص باحثان في النظرية الريعية إلى أنّ الجزائر من الوجهة السياسية "بلد تسلّطي بواجهة ديمقراطية تضمن تعدُّد الأحزاب، وانتخابات دوريـة، ووسائل إعلام حرة نسبيًّا"[74]. ويقوم فيها الاستقرار الاجتماعي على حركة الريع. ويجد القائمون على السلطة أنفسهم أمام هذا التحدي المتمثل في أنّ التخلّي عن سياسة الريع قد يؤدي إلى انهيار النظام، والبدائل الإنتاجية تتطلب وقتًا لتحقيقها. وكما يقولان: "إنّ التقليل من حالة التبعية للريع يمكن أن تكون له آثار سلبية قد تؤدي إلى سقوط النظام من جهة أولى، ومن جهة ثانية، فإنّ البدائل الاستراتيجية تتطلب وقتًا قبل أن تصبح فعّالة، ولكنّ النخب الحاكمة ليس لها الوقت الكافي لإقناع المواطنين بهذه البدائل، بما أنّهم مطالبون بتقديم تضحيات مع استبعاد مطلب المشاركة السياسية من جهة ثالثة"[75].

والحق، فإنّه على الرغم من النقد الموجّه إلى نظرية الدولة الريعية، فإنّها لا تزال تحتفظ بصلاحيتها. ولعل ما يثبت ذلك أنّ الجزائر قد عرفت انتفاضة شعبية دامت أكثر من سنة (انتفاضة 22 شباط/ فبراير 2019)، إلّا أنّ المؤشرات العامة، كما يقول أهل السياسة، لا توحي بأنّ السلطة السياسية على استعداد للدخول في عملية ديمقراطية تشاركية، بل تصرّ على إحداث التغيير داخل أجهزة السلطة نفسها، معتبرة أنّ الأمر يتعلق بنوعية الأشخاص أكثر مما يتعلق بالنظام نفسه، وأنّ تغيير بعض القواعد لا يعني تغيير النظام، وذلك على الرغم من إدراك النظام السياسي الجزائري ضرورةَ حسم مسألة الشرعية، وهو ما يؤكده خطابه الرسمي المعلن.

72 مغنية الأزرق، **نشوء الطبقات في الجزائر: دراسة في الاستعمار والتغيير الاجتماعي-السياسي**، ترجمة سمير كرم (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1980)، ص 182.

73 Francesco Cavatorta & Belgacem Tahchi, "Politique économique et résilience autoritaire en Algérie: Les difficultés de la diversification économique," *Études internationales*, vol. 50, no. 1 (2019), p. 10.

74 Ibid., p. 13.

75 Ibid.

4. المقاربة السياسية

تمثّل المقاربة الاقتصادية بسلبياتها وإيجابياتها، في تقديري، مدخلًا مناسبًا للنظر في المقاربة السياسية في الجزائر، وذلك من خلال عنصرَين أساسين. نتوقف في الأول عند المفهوم الإجرائي للنظام السلطوي، ونناقش في العنصر الثاني موضوع الجيش ومكانته ودوره في هذا النظام. ومعلوم أنّ مفهوم النظام السلطوي قد استُعمل في العلوم السياسية لوصف النظم السياسية التي تختلف عن النظامَين الديمقراطي والشمولي اللذَين عرفهما القرن العشرون، وكذلك لتمييزه من الأشكال القديمة المتمثلة في الاستبداد والطغيان والدكتاتورية. ولقد ذهب مجموعة من الباحثين في علم السياسة إلى أنّ النظم السياسية في العالم الثالث لا تستجيب لمعايير النظامَين الشمولي والديمقراطي كاملة. ومن هؤلاء الباحث الفرنسي غي هارمي الذي رأى أنّ النظام السلطوي يتحدّد بعنصرين أساسين: أولهما، إنّ علاقة القوة هي التي تحكم الحكّام بالمحكومين، وليس علاقة الإقناع. وثانيهما، الاعتماد على قاعدة أساسية في التسيير قائمة على التعيين وليس على المنافسة بين المترشحين للمسؤوليات العامة. وهذا يعني أنّ الحكّام لا يُخضعون سلطتهم للمنافسة الحقيقية التي تكشف عنها العملية الانتخابية[76].

وفي تقديري، فإنّ الباحث فيليب دروز-فانسون قد عبّر بدقّة عن طبيعة النظام السلطوي، حينما قال إنّ السلطوية تتحدّد أساسًا بـ "آلية الإقصاء والحدّ من التعددية السياسية"[77]. ولا شك في أنّ كل نظام سياسي، بما في ذلك النظام الديمقراطي، يتضمّن قدرًا من الإقصاء، بما أنّ فريقًا معيّنًا هو الذي يحكم. ولكنّ الفارق النوعي بين الحالتين، الديمقراطية والسلطوية، يتمثل في أننا في الحالة الأولى لا نملك خيارًا، بما أنّ العملية الانتخابية هي التي تحسم المسألة، وأمّا في الحالة الثانية فإنّ الإقصاء مقصود ومدروس ومخطَّط له، ويمتلك أجهزة معنيّة بعمليات الفرز والتنقية والتطهير؛ أي بتعبير آخر، إنّ الإقصاء عنصر تكويني في بنية النظام السلطوي، أما في النظام الديمقراطي فهو عنصر عَرَضي.

ولكن علينا أن نستدرك لنقول إنّ النظام السلطوي لا يعمل فقط بآلية الإقصاء، بل يعمل بآلية الاحتواء أيضًا، وإنّه من هذه الناحية نظام منتج وفقًا لمفهوم السلطة عند فوكو، مع التشديد على أنّه لا يمكن اعتبار المتحالفين أو المتواطئين مع هذا النظام شركاء بالمعنى الدقيق للمشاركة السياسية واتخاذ القرار، بل هم شركاء في التطبيق؛ لأنّ النظام السلطوي يعمل وفق منطق العصبيات، والتراتبية أو التراتبية العصبية، ومن ثم، ليست كل العصبيات قادرة على صنع القرار، وبخاصة القرار الاستراتيجي الذي تحدّده مجموعة محدَّدة.

ويمكنني أن أضيف إلى آليتَي الإقصاء والاحتواء آلية أخرى ملازمة لهما، وهي آلية الإنكار والنفي، وبخاصة على مستوى الخطاب الرسمي الذي يعمل بهذه الآلية إلى درجة العبث. ويعتبر الخطاب الإعلامي الرسمي مثالًا لهذه الآلية، لأنّه ينكر حتى الوقائع المادية الجارية في المجتمع، بل ينكر وجود بعض مكوّنات المجتمع، كما ينكر المعطيات الاقتصادية (السلبية)، أو غيرها من المعطيات، بحيث يمكننا القول إنّ آلية الإقصاء لا يمكن أن تعمل إلّا وفقًا لآلية الإنكار التي لا تعترف بالوقائع والحقائق والحقوق إلّا بصورة انتقائية، وبما يخدم مصالح النظام السلطوي واستمراريته. ومن ثم، ستظل الحرية تهديدًا مباشرًا لكل نظام سلطوي.

ولقد سبق لفوكو أن شخّص في دراساته التاريخية عمليات الإقصاء التي تلحق بالأقليات والمهمشين، منبِّهًا إلى ضرورة التمييز بين الإقصاء على مستوى التمثلات والتصورات، والإقصاء الذي تمارسه السلطة في المجتمع[78]. وإذا عرفنا أنّ السلطة تنتشر في الجسد الاجتماعي، عرفنا أنّ المجتمع يمارس الإقصاء أيضًا، بل إنّ بعض التحليلات النقدية ترى أنّ مفهوم السلطة عند فوكو يعكس مفهومه للمجتمع. وسواء أصحَّت هذه التحليلات أم لم تصحّ، فإنّه يجب التأكيد أنّ المجتمع يمارس الإقصاء أيضًا، وأنّ النظام السلطوي يستند إلى المجتمع ليعزز عمليات الإقصاء، بحيث يتحوّل إلى مرض اجتماعي أو باثولوجيا اجتماعية، بحسب تحليلات هونيت، ويعزز تحالفاته مع الاتجاهات التسلطية الفاعلة في المجتمع.

ويحتل الجيش أو مؤسسة الجيش في بنية النظام السلطوي مكانة مركزيّة ومقرِّرة، علينا أن نناقشها من خلال رأيَين فقط، على الرغم من الاهتمام الكبير الذي يثيره هذا الموضوع في كل نقاش متعلق بالتجربة السياسية الجزائرية. ولكن قبل ذلك، علينا أن نشير إلى قاعدة منهجية عامّة، ولكنها ضرورية لكي يستقيم هذا النقاش، وهي أنّ الجيش يرتبط دائمًا بالسياسة، بما أنّه مؤسّسة من مؤسّسات الدولة المعنيّة بمسائل الأمن والدفاع[79]، وليس بين هذه المسائل والسياسة جدارٌ سميك يفصل بينهما. يقول عزمي بشارة: "لا يوجد جدار فاصل بين الجيش والسياسة بحكم تعريفهما. وللجيوش في الدول الناميَة والمستقلّة دور في بناء الدولة، وفي فرض تماسكها قبل أن تنجز مرحلة بناء الأمة"[80]. ويعني هذا أنّ ثمة علاقات متعدّية بينهما، ومن ثم، فإنّ

76 Guy Hermet, *Traité de science politique*, vol. 2: *Les régimes politiques contemporains* (Paris: PUF, 1985), p. 270.

77 Philippe Droz-Vincent, "Quel avenir pour l'autoritarisme dans le monde arabe?" *Revue française de science politique*, vol. 54, no. 6 (2004), p. 947.

78 Foucault, *La société punitive*, p. 7.

79 منصور لخضاري، **السياسة الأمنية الجزائرية: المحددات-الميادين-التحديات** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015).

80 عزمي بشارة، **الجيش والسياسة: إشكاليات نظرية ونماذج عربية** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017)، ص 7.

المشكلة متعلّقة بطبيعة العلاقة ذاتها: أهي علاقة قائمة على ما يقرّره الدستور الذي يحدّد مجال كل مؤسسة من مؤسسات الدولة، أم على نوع من الهيمنة تمارسه المؤسسة العسكرية على بقية المؤسسات؟ هذا من الناحية القانونية الصورية، أمّا من الناحية العملية، فإنّه من المهمّ أخذ بعض المعطيات التاريخية والواقعية في الاعتبار.

ضمن هذا الطرح العامّ يرى عبد الحميد مهري أنّ مكانة الجيش الجزائري ودوره يجب أن ينظر إليهما من خلال التجربة التاريخية للمجتمع الجزائري في صراعه مع الاستعمار، وفي محاولة بنائه لدولته المستقلة. يقول:

> الظاهرة العسكرية في الجزائر قد تمثّل حالة فريدة تجمَّعت فيهـا عدّة عوامل وصفـات منها ما تشترك فيـه مع غيرها، ومنها ما تنفرد به. فهي لم تأت نتيجة انقلاب، بالرغم من أنّ بعض مراحل تطوّرها [...] كان يتسـم بسمات الانقلاب، بل إنّها نشأت وتطوّرت على مراحل، وتغذّت من أوضاع سياسية مختلفة، مدّة تزيد [على] نصف قرن. فهي ظاهرة تراكمية، متصلة بتاريـخ الحركة الوطنيـة في الجزائـر، وبالتطورات السياسية في المنطقة العربية[81].

يلخّص هذا النص ما سبق أن أشرنا إليه في موضوع تشكّل النزعة السلطوية في الجزائر، مع التركيز على مؤسسة الجيش التي تجد جذورها الأولى في المنظمة الخاصّة، والأزمة التي فجّرتها عملية اكتشافها من جانب السلطات الاستعمارية، وما ارتكبت فيها من أخطاء في معالجتها، كانت لها آثار "نفسية انعكست على مجمل أعضاء المنظمة الخاصّة والقيادة السياسية للحزب"[82]. ومن المعلوم أنّ بيان أول نوفمبر 1954 الذي أعلنته جبهة التحرير الوطني قد تبعه إعلان آخر بتوقيع جيش التحرير الوطني، وهذا ما سماه مهري "ازدواج المسعى"[83].

ولقد شملت هذه الثنائية أو "الازدواجية" مختلف الهيئات التي أقامتها الثورة[84]. وإذا كان مؤتمر الصومام، المنعقد في 20 آب/ أغسطس 1956، قد أقرّ مبدأ الأوّلية للسياسي على العسكري، فإنّ هذا المبدأ قد أعيد النظر فيه في مؤتمر القاهرة بعد عام من ذلك، أي عام 1957، وجرت التضحية بمهندسه، الشهيد عبّان رمضان. وإذا كانت هذه الوقائع التاريخية أصبحت معروفة في تاريخ الثورة الجزائرية، فإنّ ما أشار إليه مهري جدير بالنظر والاهتمام، ويتمثل في أنّ من نتائج إعطاء الأولوية للعسكري على السياسي في معظم القضايا أن تحوَّل الأمر إلى ما يشبه قاعدة في التفكير والعمل، مفادها أنّ "الصواب هو دائمًا بجانب الذين يحملون السلاح"![85].

ولعلّ من بين العوامل التي ساعدت على فرض هذه القاعدة، التي تحتكر القوة والحق والعمل والحكم، أنّ ما أشار إليه الباحث الجزائري عبد القادر يفصح عن "إفلاس جبهة التحرير الوطني بوصفها حزبًا، وانتهائها عمليًّا منذ بروز أزمة صيف 1962[86]، التي جعلت مختلف مكوّناته يصارع بعضها بعضًا في سباق محموم من أجل الاستيلاء على السلطة"[87]؛ وذلك، لأنّ جبهة التحرير الوطني كانت خليطًا من التيارات السياسية المتناقضة، عبّر عنها مهري الذي كان أمينًا عامًّا لـحزب جبهة التحرير الوطني في التسعينيات، بصورة بلاغية دالّة، وذلك حينما شبّهها بـسفينة سيّدنا نوح عليه السلام.

هذا الخليط غير الممزوج، الذي كانت تحكمه وحدة صوريّة متمثلة في مطلب الاستقلال إبان الثورة، انفجر في فجر الاستقلال، تاركًا الساحة للتنظيم الأكثر قوة والمتمثل في الجيش، وجيش الحدود تحديدًا، الذي لم يتردّد في حسم معركة الحكم لمصلحته، مستفيدًا من ضعف التنظيم السياسي ومن قوة الجيش الذاتية، وأكثر من هذا، استفاد من إرهاق المجتمع والشعب طوال حرب دامت ما يزيد على سبع سنوات، وخرج متظاهرًا للمطالبة بالحدّ من الاقتتال على السلطة، رافعًا شعار: "سبع سنين بَركات". وبذلك يتحقق أحد معاني السلطة بما هي قوة في وضع استراتيجي محدَّد، كما حدّدها فوكو.

وإذا كان المجتمع الجزائري من الاستقلال إلى يومنا هذا قد عرف تغيرات كبيرة، وتحديثًا شمل مختلف المجالات، فإنّ التغيّر والتحديث على الصعيد السياسي لم يتحولا إلى تغيّر نوعي، وبخاصة من جهة إنتاج طبقة أو نخبة أو قيادة سياسية تمثيلية قادرة على أن تكون بديلًا مقبولًا، تحقّق الحد الأدنى من الإجماع، وتمتلك القدرة على تقديم مشروع سياسي يُخرج الجزائر من أزماتها المتعدّدة، وتعيد

---

81 عبد الحميد مهري، "الجيش والسياسة والسلطة في الوطن العربي: تجربة الجزائر"، في: **الجيش والسياسة والسلطة في الوطن العربي** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002)، ص 62.

82 المرجع نفسه، ص 64.

83 المرجع نفسه، ص 65.

84 يصف عـدّي السلطة في الجزائر بالثنائية والقطبية، كما يستعمل مصطلح النيوباترمونالية في وصف النظام التسلطي، علمًا أنّ هذا الوصف ليس جديدًا؛ لأنّ تركيبة السلطة الجزائرية في أصلها كانت ثنائية. ينظر:
Lahouari Addi, "L'armée, la nation et l'État en Algérie," *Confluences en Méditerranée*, no. 29 (1999), pp. 39-46.

85 مهري، ص 66.

86 حول أزمة صيف 1962، ينظر: علي هارون، **خيبة الانطلاق أو فتنة عام 1962**، ترجمة الصادق عماري وآمال فلاح (الجزائر: دار القصبة للنشر، 2003).

87 Abdelkader Yefsah, *Le processus de légitimation du pouvoir militaire et la construction de l'état en Algérie* (Paris: Editions Anthropos, 1982), p. 4.

التوزان لمؤسسات الدولة، بحيث لا يكون الجيش "المؤسسة الوحيدة والحقيقية المنظمة [...]، ومن ثمّ فإنّها سواء ابتعدت أو اقتربت، فإنّ ذلك لا يغيّر من طبيعة السلطة الجزائرية"[88]. ويمكن أن تفنّد هذه الطبقةُ السياسية أطروحةَ "شعب قاصر يحتاج إلى وصيّ"، أو "شعب غير ناضج للحكم الديمقراطي"، وبناء عليه فإنّ المشكلة، في تقديرنا، اجتماعية قبل أن تكون سياسية.

وإجمالًا، فإنّ الناظر في أغلب الدراسات المعنيّة بالجيش الجزائري يستنتج أنّه على الرغم من اختلافها في التأويل والأهداف، فإنّها تشترك في قاعدة أساسية هي الاعتماد على الحجة التاريخية والصورية سواء من أجل تسويغ قيام النظام السلطوي أو من أجل نقده ورفضه. ويمكن صوغ منطوق هذه الحجة على النحو الآتي: أدت الظروف التاريخية إلى أن تكون الأولوية للجيش في الحكم. وبناء عليه، وكما يقول أحد الباحثين العرب، "إنّ تدخُّل العسكر في السياسة وسيطرته على الحكم يتوقف على النموذج الأم الذي نشأ عليه، وعلى تركيبة المجتمع وفصائله بشكل عـام"[89]. وسواء قلنا بالحجة التاريخية أو بالحجة الواقعية التي تقول إن الجيش قوة حقيقية وواقعية ووحيدة، فإنّ السؤال الذي يفرض نفسه على الفلسفة الاجتماعية بما هي فلسفة نقدية هو: أعلينا أن نسلِّم بالحجّتَين اللتين تنحلّان إلى الحجة الاستقرائية، كما يقتضي المنطق، ونضيف إليهما الحجة الصوريّة المتمثلة في القانون الذي يفرضه النظام السلطوي باسم الاحتكام إلى الدستور، أم علينا أن ننقد هاتين الحجّتين بناءً على منطقهما الداخلي، وذلك بالقول إنّ تاريخ المجتمعات ليس ثابتًا ولا قارًّا، بل يتغيّر ويتحوّل، ومن هنا، فإنّ ما يصلح لمرحلة معيّنة لا يصلح بالضرورة دائمًا؟ هذا بالنسبة إلى الحجة الاستقرائية. وأمّا بالنسبة إلى الحجة الصوريّة، فإنّه يكفي التذكير بعدد الدساتير التي اعتمدها النظام السياسي الجزائري حتى ندرك أهمية مطلب الشرعية الحقيقية والصوريّة في الوقت نفسه[90]. من هنا، فإنّ التحليل الفلسفي والتاريخي الذي اعتمدناه في هذه الدراسة يبدو لنا ضروريًّا، لأنّه يمكّننا من التحرر من الضرورة التاريخية من خلال المعرفة النقدية بالتاريخ.

هذا على مستوى بعض الدراسات التي تناولت التجربة السياسية الجزائرية، أما على مستوى هذه الدراسة فإنّ السؤال الذي يفرض نفسه علينا في الأخير، هو: ما الصلة بين الفلسفة الاجتماعية والتجربة السياسية الجزائرية؟ وما القيمة المعرفية التي تميّز مقاربة الفلسفة الاجتماعية في تناولها التجربةَ السياسية الجزائرية؟ وبتعبير آخر: ما الذي يميّز الفلسفة الاجتماعية من الفروع الإنسانية والاجتماعية التي درست التجربة الجزائرية، وبخاصة علم التاريخ وعلم الاجتماع السياسي وعلم الاقتصاد وعلم السياسة؟

أ. لقد كان هدفنا أن نقدّم تحليلًا فلسفيًّا لمسألة السلطة والنظام السلطوي باسم الفلسفة الاجتماعية كما حدَّدت معالمها الكبرى النظرية النقدية المعاصرة التي تستعين بإسهامات العلوم الاجتماعية والإنسانية في دراستها لعلاقة السياسي بالاجتماعي، وهو ما حاولنا أن نبيّنه في الدراسات التي أنجزها بعض الباحثين في هذا المجال.

ب. أهمية طرح سؤال السلطة وليس النظام السلطوي فقط بالنسبة إلى الفلسفة الاجتماعية. فقد يكتفي علم التاريخ، وعلم الاجتماع السياسي، وعلم السياسة، بالسؤال عن طبيعة النظام السلطوي، ولكنّ الفلسفة الاجتماعية تحتاج إلى مساءلة طبيعة السلطة نفسها، وأصلها. من هنا، كانت إحالتنا إلى بعض فلاسفة مدرسة فرانكفورت وفوكو الذين حلّلوا جذور السلطة بغرض فهم أشكال التسلّط في المجتمع والسياسة على حدٍّ سواء.

ج. على الرغم من أنّ المقاربة المنهجية التي اعتمدناها متعدّدة المشارب، وبخاصة من جهة أعلام مدرسة فرانكفورت وفوكو، فإنّنا حاولنا أن نطبّق قواعد أساسية مشتركة تتمثل في الكلّية والتاريخية والنقدية. وإذا لم نناقش هذه القواعد من الناحية الإبستيمولوجية، فلأننا فضّلنا إعطاء التطبيق الأولوية في هذه الدراسة، وبخاصة ما تعلّق بالسلطة والنظام السلطوي سواء أكان من جهة علاقتهما بالاجتماعي الذي أشرنا فيه إلى العائلة، والشخصية السلطوية، والطبقة الاجتماعية، مع إقرارنا بأنّ هذا الجانب يحتاج إلى بحوث أخرى، بما أنّ الفلسفة الاجتماعية تقوم على نظرية اجتماعية، أو من جهة بنيتهما السياسية التي ركّزنا فيها على النظام السلطوي في بنيته وتاريخه، وميّزنا فيه بين النظام الشمولي الذي كان هدف تحليلات مدرسة فرانكفورت والنظام السلطوي الذي كان يعنينا في هذه الدراسة.

د. فضّلنا على المستوى الاصطلاحي استعمال مصطلحات: النظام السلطوي والنزعة السلطوية، ولم نستعمل الدولة السلطوية إلّا في سياقها الخاص؛ وذلك لاعتقادنا أنّ الدولة بما هي كذلك، يجب ألّا تكون تسلّطية. وبما أنّ التسلّط نظام إقصائي، فإنّ الدولة يجب أن تكون بالتعريف دولة جميع المواطنين، ولأن

---

88 Abdelkader Yefsah, "L'armée et le pouvoir en Algérie de 1962 à 1992," *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, vol. 65, no. 1 (1992), p. 77.

89 فؤاد إسحاق الخوري، **العسكر والحكم في البلدان العربية**، سلسلة بحوث اجتماعية (بيروت: دار الساقي، 1990)، ص 51.

90 خلال ستين سنة تقريبًا من الاستقلال، اعتمدت السلطة الجزائرية ثمانية دساتير: دستور 1963، 1976، 1989 و1996 وعدّلته في الأعوام 2002، 2008 و2016، ثم أُقرّ دستور جديد في عام 2020.

طبيعة سلطتها Autorité تختلف عن طبيعة السلطة Pouvoir في النظام السلطوي الذي يقوم على الإكراه والقوة، في حين أنّ سلطة الدولة تفترض أن تقوم على الإقناع والشرعية، وعندما يتعلق الأمر بالتجربة الجزائرية، فإنّ ثمّة حاجة إلى بناء الدولة الوطنية؛ لأنّ المجتمع الجزائري لم يعرف إلّا دولة الأجانب، على الأقل في العصر الحديث. وهو ما يؤدي إلى طرح إشكالية أساسية مفادها الحاجة إلى بناء دولة القانون والمواطنة.

هـ. يعتبر النظام السلطوي بحسب تحليلنا حالة مرضية باثولوجية، بالمعنى الذي تقدّمه تحليلات النظرية النقدية، وذلك بحكم آلياته التكوينية ونتائجه العملية التي يغلب فيها الجانب السلبي على الإيجابي، سواء في تحقيق التنمية الاقتصادية الموعودة أو على مستوى المشاركة السياسية وإقامة دولة القانون والحق والمواطنة، وبالأخص فيما يحدثه من معاناة اجتماعية وسياسية لقطاعات واسعة من المجتمع، وما يكتنف خطابه من مفارقات بين الواقع والوعود، وبين المعطيات والتطلعات.

و. قد يعترض معترض على هذه القراءة من جهة أنّ البحث اكتفى بتحليل جنيالوجيا النظام السلطوي وآليات عمله، في حين أنّ الفلسفة الاجتماعية معنيّة بحاضر المجتمعات وما تعرفه من تحوّلات وصراعات: فكيف يمكن الحديث عن نظام سلطوي من دون الحديث عن المجتمع الجزائري وما يعرفه من تغيّرات، وبخاصة منذ (حراك) فبراير 2019؟ لا شك في أنّ ثمة جانبًا وجيهًا في هذا السؤال، وهو الاعتراض، إلّا أنّه، في تقديري، ثمة أوجه أخرى يجب الإشارة إليها: أوّلها، إنّ تشخيص بنية النظام السلطوي يعدّ خطوة منهجية أساسية للنظر في البدائل الممكنة. وثانيها، إنّ الفلسفة الاجتماعية بقدر ما تهتم بتشخيص الحاضر فإنّها معنيّة بالكشف عن العقبات التي تحول دون تحقيق التحرر والانعتاق، ويعتبر النظام السلطوي عقبة كأداء، تليها عقبة ضعف النخبة السياسية مقارنةً بأشكال الصراع والنضال التي يخوضها المجتمع الجزائري منذ الاستقلال إلى اليوم. ولا شك في أنّ ثمة عقبات أخرى تحتاج إلى البحث والدراسة، لعلّ الكشف عنها يبدأ بالنظر في هذا السؤال: كيف يتمكّن مجتمع خاض حربًا تحريرية ضد الاستعمار من أن يتحرّر من إكراهاته الداخلية والخارجية، ويمكّن مواطنيه من تحقيق ذاتيتهم الحرة المستقلة؟

المراجع

العربية

الأزرق، مغنية. **نشوء الطبقات في الجزائر: دراسة في الاستعمار والتغيير الاجتماعي-السياسي**. ترجمة سمير كرم. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1980.

آسون، بول-لوران. **مدرسة فرانكفورت**. ترجمة سعاد حرب. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1990.

بشارة، عزمي. **الجيش والسياسة: إشكاليات نظرية ونماذج عربية**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.

بغوره، الـزواوي. **ما بعد الحداثة والتنوير: موقف الأنطولوجيا التاريخية**. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2009.

_____. **مدخل إلى فلسفة ميشيل فوكو**. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2013.

_____. **الشمولية والحرية: دراسات في الفلسفة السياسية والاجتماعية**. بيروت/ الكويت: دار سؤال وصوفيا، 2018.

_____. "الفلسفة الاجتماعية بحث في مفهومها ونظريتها وعلاقاتها". **تبيُّن**. مج 8، العدد 30 (2019).

_____. "خطاب الشعبوية في الفكر السياسي المعاصر". **التفاهم**. مج 17، العدد 65 (2019).

_____. **الإسلام والحكم: دراسات في المسألة السياسية في الفكر الإسلامي المعاصر**. بيروت: ابن النديم للنشر والتوزيع؛ دار الروافد - ناشرون، 2019.

_____. "تحليل الخطاب في فرنسا وألمانيا وبريطانيا: الحالة، المنهج، الممارسة". **تطريس في النقد وتحليل الخطاب**. العدد 2 (كانون الثاني/ يناير 2024).

بن مخلوف، علي ومحمد الصغير جنجار. **مفردات الفلسفة الأوربية: الفلسفة السياسية**. الدار البيضاء/ بيروت: المركز الثقافي العربي، 2012.

الجيش والسياسة والسلطة في الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002.

حربي، محمد. **جبهة التحرير الوطني: الأسطورة والواقع**. ترجمة كميل قيصر داغر. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1983.

الحلو، عبده. **معجم المصطلحات الفلسفية: فرنسي – عربي**. بيروت: مكتبة لبنان، 1994.

خليل، خليل أحمد. **مفاتيح العلوم الإنسانية: معجم عربي - فرنسي – إنكليزي**. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1989.

الخوري، فؤاد إسحاق. **العسكر والحكم في البلدان العربية**. سلسلة بحوث اجتماعية. بيروت: دار الساقي، 1990.

دالون، ميريام ريفولت. **سلطان البدايات: بحث في السلطة**. ترجمة سايد مطر. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2012.

دليل تحليل الخطاب. إشراف ديبورا شيفرن وديبورا تانن وهايدي إ. هاملتون. ترجمة خليفة الميساوي. المنامة: هيئة البحرين للثقافة والآثار، 2019.

شاتليه، فرانسوا وأوليفيه دوهاميل وإيفلين بيزيه. **معجم المؤلفات السياسية**. ترجمة محمد عرب صاصيلا. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2001.

شرابي، هشام. **مقدمات لدراسة المجتمع العربي**. ط 6. بيروت: دار نلسن، 1999.

_____. **النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي**. ترجمة محمود شريح. ط 4. بيروت: دار نلسن، 2000.

فروم، إريك. **الخوف من الحرية**. ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972.

فوكو، ميشيل. **مولد السياسة الحيوية**. ترجمة الـزواوي بغوره. الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية، 2018.

_____. **يجب الدفاع عن المجتمع**. ترجمة الـزواوي بغوره. الكويت: دار صوفيا، 2020.

لالاند، أندريه. **موسوعة لالاند الفلسفية**. ترجمة خليل أحمد خليل. مج 1. بيروت/ باريس: منشورات عويدات، 2001.

لخضاري، منصور. **السياسة الأمنية الجزائرية: المحددات-الميادين-التحديدات**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.

مدكور، إبراهيم. **المعجم الفلسفي**. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1979.

موسوعة العلوم السياسية. محمد محمود ربيع وإسماعيل صبري مقلد (محرران). الكويت: جامعة الكويت، 1994.

النقيب، خلدون حسن. **الدولة التسلطية في المشرق العربي: دراسة بنائية مقارنة**. ط 3. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004.

نويمان، فرانز. **البهيموت: بنية الاشتراكية القومية (النازية) وممارساتها**. ترجمة حسني زينة. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.

هارون، علي. **خيبة الانطلاق أو فتنة عام 1962**. ترجمة الصادق عماري وآمال فلاح. الجزائر: دار القصبة للنشر، 2003.

الأجنبية

Addi, Lahouari. "L'armée, la nation et l'État en Algérie." *Confluences en Méditerranée*. no. 29 (1999).

_____. "Sociologie politique d'un populisme autoritaire." *Confluences Méditerranée*. vol. 81, no. 2 (2012).

Adorno, Théodore W. et al. *The Authoritarian Personality*. New York: Harper & Brothers, 1950.

Arendt, Hannah. *La Crise de la culture*. Patrick Levy (trad.). Paris: Gallimard, 1972.

Cavatorta, Francesco & Belgacem Tahchi. "Politique économique et résilience autoritaire en Algérie Les difficultés de la diversification économique." *Études internationales*. vol. 50, no. 1 (2019).

Chiban, Saïd. *L'Algérie entre totalitarisme & populisme*. vol. 1: *Le temps du parti unique*, vol. 2: *La fausse ouverture* ou *l'heure des illusions/désillusions*. Paris: L'harmattan, 2016.

Droz-Vincent, Philippe. "Quel avenir pour l'autoritarisme dans le monde arabe?" *Revue française de science politique*. vol. 54, no. 6 (2004).

Foucault, Michel. *Sécurité, Territoire, Population: Cours au Collège de France. 1977-1978*. Paris: Gallimard-Seuil, 2004.

_____. *La société punitive*. Paris: Gallimard-Seuil, 2013.

_____. "L'armée et le pouvoir en Algérie de 1962 à 1992." *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*. vol. 65, no. 1 (1992).

Franz, Neumann. *Béhémoth: Structure et pratique du national-socialisme*. Paris: Payot, 1987.

Haber, Stéphane. "Pathologie de l'autorité. Quelques aspects de la notion de 'personnalité autoritaire' dans l'École de Francfort." *Cités*. vol. 6, no. 2 (2001).

Habermas, Jürgen. *Le discours philosophique de la modernité, Douze conférences*. Christian Bouchindhomme & Rainer Rochlitz (trad.). Paris: Gallimard,1988.

Harbi, Mohammed. *L'Algérie et son destin: Croyants ou citoyens*. Paris: Éditons Bouchene, 2016.

Hermet, Guy. *Traité de science politique*. vol. 2: *Les régimes politiques contemporains*. Paris: PUF, 1985.

Honneth, Axel. *Critique du pouvoir*. Marianne Dautrey & Olivier Voirol (trad.). Paris: La Découverte, 2016.

Horkheimer, Max. *Studien über Autorität und Familie*: *Forschungsberichte aus dem Institut für Sozialforschung*. Lüneburg: Dietrich zu Klampen Verlag, 1987.

_____. *Théorie critique*: *Essais*. Luc Ferry & Allain Renaut (présentés). Le groupe de traduction du Collège de philosophie et G. Coffin et al. (trad.). Paris: Payot, 2009.

_____. *Théorie traditionnelle et théorie critique*. Claude Maillard & Sibyle Muller (trad.). Paris: Gallimard, 1974.

Lefort, Claude. *Eléments d'une critique de la bureaucratie*. Paris: Gallimard, 1979.

Vatin, Jean-Claude & Jean. Leca. *L'Algérie politique*. Paris: Les Presses de la Fondation nationale des sciences politiques, 1975.

Yefsah, Abdelkader. *Le processus de légitimation du pouvoir militaire et la construction de l'état en Algérie*. Paris: Editions Anthropos, 1982.

صـدر حديـثًا

تـأليف: خالد وليد محمود

الفضاء السيبراني وتحولات القوة في العلاقات الدولية

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتاب **الفضاء السيبراني وتحولات القوة في العلاقات الدولية**، وهو من تأليف خالد وليد محمود. ويتألف الكتاب من 376 صفحة شاملةً ببليوغرافيا وفهرسًا عامًا.

دراسات
Articles

المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/EUNU1558
القبول Accepted
2025-4-15
التعديل Revised
2024-10-10
التسلم Received
2024-1-16

محمد وسيم ملا | Mohmad Waseem Malla*

العلاقات الهندية – القطرية: نمو حذر في ظل اعتماد متبادل متزايد؟

India-Qatar Relations: Growing yet Stagnant?

تطوّرت العلاقات الهندية – القطرية منذ أن أرسى البلَدان علاقاتهما الدبلوماسية في عام 1973، وقد تحسّنت على نحو ملحوظ في السنوات الأخيرة، مدفوعةً بمصالح اقتصادية مشتركة وتعاون متنام في مجالات شتى، مثل الطاقة والدفاع والثقافة. تبحث هذه الدراسة في مسار العلاقات الهَندية – القطرية والعوامل التي أسهمت في تطوّرها. وانطلاقًا من الإطار النظري الأوسع للاعتماد المتبادل المعقّد، تحلّل العواملَ الاقتصادية والجيوسياسية التي تدفع الهند إلى تطوير علاقاتها بقطر، فضلًا عن دور الأواصر الثقافية والشعبية في تقوية هذه العلاقات. وتتناول التحديات التي عرقلت تطور العلاقات، بما في ذلك التوتّرات الإقليمية والخلافات السياسية. وعلى الرغم من أن هذه العلاقات تشهد نموًّا واعدًا، فإنها لا تزال تعاني ركودًا ملحوظًا في المجالَين السياسي والاستراتيجي.

كلمات مفتاحية: السياسة الخارجية، العلاقات الهندية – القطرية، الاعتماد المتبادل المعقد.

India-Qatar relations have come a long way since the two nations established diplomatic ties in 1973. Despite a slow start, relations between the two countries have improved significantly in recent years, driven by shared economic interests and increasing cooperation in areas such as energy, defence, and culture. This article examines the trajectory of India-Qatar relations and the factors that have shaped their development. Within the broader theoretical framework of Complex Interdependence, this study analyses the economic and geopolitical factors driving India's engagement with Qatar, as well as the role of cultural and people-to-people ties in strengthening the relationship. It also considers the challenges that have impeded progress in India-Qatar relations, including regional tensions and political differences. Despite the promising growth in India-Qatar relations, this article argues that the relationship remains largely stagnant in the political and strategic domain, with Qatar's independent policymaking contributing to India's inhibitions to pursue a relationship more forcefully beyond economic transactions.

Keywords: Foreign Policy, India-Qatar Relations, Complex Interdependence.

* زميل باحث، المركز الدولي لدراسات السلام، نيودلهي، الهند.

Research Fellow, International Centre for Peace Studies (ICPS), New Delhi, India.
Email: anthemwaseem@gmail.com

مقدمة

تُعد العلاقات القطرية - الهندية جزءًا من علاقات الهند التاريخية بمنطقة الخليج. وقبل توطيد حكم أسرة آل ثاني، الحاكمة في قطر، في القرن التاسع عشر، خضعت الإمارة لحكم مَرنٍ وتأثرت بتدخلات خارجية. وقد نجح الشيخ جاسم بن محمد بن ثاني (1878-1913)، مؤسِّس قطر الحديثة وبانيها، في تأمين الحكم الذاتي، من خلال سلسلة من المناورات السياسية، التي بلغت ذروتها مع إبرام معاهدة 1868 مع الإمبراطورية البريطانية والسلطات العثمانية[1].

أقدم الشيخ جاسم، في ثمانينيات القرن التاسع عشر، على استبعاد أبناء الجالية التجارية الهندية، الذين كانوا يتمتّعون بامتيازات اقتصادية تفضيلية في أنحاء الخليج كلّه، بوصفهم رعايا بريطانيين. وقد اتخذ هذا القرار انطلاقًا من استراتيجية التحوط Hedging التي تبنّاها من أجل ضمان استقلال قطر. وحدثت هذه العملية في عام 1883، ثم تكرّرت في عام 1885؛ ما جعل قطر البلد الخليجي الوحيد الذي ظلّ يخلو من جالية هندية طوال نحو نصف قرن[2]. وعلى الرغم من هذا الانقطاع التاريخي، سارعت الهند وقطر إلى إضفاء الطابع الرسمي على علاقاتهما الدبلوماسية في عام 1973؛ أي بعد استقلال قطر عن بريطانيا في 3 أيلول/ سبتمبر 1971 بعامَين.

وبينما كانت الهند وقطر تحتفلان، في عام 2023، بمرور 50 عامًا على بداية علاقاتهما الثنائية، شهدت هذه العلاقة توترًا حادًّا حين أصدرت المحكمة الابتدائية القطرية، في 27 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، حكمًا بالإعدام على ثمانية مسؤولين سابقين في البحرية الهندية، بتهمة "انتهاك أسرار حسّاسة" بإيعاز من إسرائيل[3]. كان هؤلاء المسؤولون موظّفين في شركة الظاهرة العالمية للتقنيات والخدمات الاستشارية Dahra Global Technologies and Consulting Services. وقد بدا أن هذا التطوّر يمكن أن يلقي بظلاله على علاقات البلدين الثنائية، ويختبر قوة الهند الدبلوماسية، على الرغم من تعهّد مستويات حكومية هندية رفيعة بالتدخّل السريع لمعالجة القضية.

وشهدت القضية تطوّرًا لافتًا للانتباه بعد اجتماع بين رئيس الوزراء ناريندرا مودي Narendra Modi (2014-) وأمير قطر، الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، في 18 كانون الأول/ ديسمبر 2023، خلال مؤتمر المناخ الثامن والعشرين COP28 في دبي. وقد خفّفت محكمة الاستئناف القطرية، في 28 كانون الأول/ ديسمبر 2023، أحكامَ الإعدام الصادرة في حقّ المعتقلين إلى أحكام متفاوتة بالسجن[4]، ثم أفرجت الحكومة عن المسؤولين المعتقلين في شباط/ فبراير 2024، إثر صدور عفو أميري[5]. وفي إثر ذلك، لاقت الحكومة الهندية تقريظًا من أطراف داخلية متعدّدة، مفاده أن ذلك يمثّل نجاحًا دبلوماسيًا كبيرًا للهند، ودليلًا على نفوذها في المنطقة. فمثلًا، أثنت افتتاحية صحيفة **ذي إنديان إكسبرس** الهندية الشهيرة على الحكومة الهندية، لارتقائها إلى مستوى "التحدّي" وتأمينها الإفراج عن المواطنين الهنود بـ "دبلوماسية هادئة وصبورة أشرف عليها رئيس الوزراء، على الرغم من الأضواء التي ألقتها وسائل الإعلام الوطنية والدولية على قضية السجناء"[6].

وشهدت علاقات الهند بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، عامة، قفزة وتنوّعًا ملحوظين، بفعل الزخم الذي منحته الهند منذ عام 2014 لتركيزها المستجدّ على المنطقة، في إطار سياسة "التوجه غربًا" Look West Policy[7]. وهكذا، باتت الهند تنظر إلى المنطقة بوصفها "جوارها الممتدّ"، أو "جوارها البحري"، على حدّ وصف رئيس الوزراء مودي؛ إذ تمثل لها شريان الحياة في مجال الطاقة. ثم إن الهند نفسها كانت مصدرًا رئيسًا للعمالة في دول مجلس التعاون. وقد تنوّعت علاقاتها النوعية واتّسعت في مجالات التعاون المختلفة، بما في ذلك القطاعات السياسية والدفاعية وسواها. أما في المجالات السياسية والدبلوماسية، فيبدو أن الهند قد حيّدت، إلى حدّ ما،

1 Allen Fohmertz, *Qatar Modern History* (Washington, DC: Georgetown University Press, 2012), p. 41.

2 Rosemarie Said Zahlan, *The Creation of Qatar*) London: Croom Helm; New York: Barnes & Noble Books, 1979), p. 56;
فتوح عبد المحسن الخترش وعبد العزيز المنصور، **مصادر تاريخ قطر: 1868-1916**، ط 2 (الكويت: دار ذات السلاسل، 1984)، ص 82؛
K. Pasha, "Sheikh Jasim and India," in: A. K. Pasha (ed.), *India and the GCC States: Historical, Geopolitical and Strategic Perspectives* (New Delhi: Wisdom Publications, 2014), p. 327.

3 Kallol Bhattacherjee & Suhasini Haidar, "Eight former Indian Navy Officers get Death Penalty in Qatar," *The Hindu*, 27/10/2023, accessed on 16/1/2025, at: https://acr.ps/1L9GPuQ;
"قطر.. أحكام بإعدام 8 هنود والحكومة الهندية تعلق"، **سي إن إن بالعربية**، 2024/10/27، شوهد في 2025/1/17، في: https://n9.cl/7ae53

4 Meryl Sebastian, "Qatar Commutes India Ex-Navy Officers' Death Penalty," *BBC*, 29/12/2023, accessed on 17/1/2025, at: https://n9.cl/c34xb;
"الخارجية الهندية: محكمة قطرية تخفف أحكام الإعدام بحق ثمانية هنود"، **العربي الجديد**، 2023/12/19، شوهد في 2025/1/17، في: https://n9.cl/vspia3

5 "الهند: قطر أفرجت عن 8 ضباط سابقين بالبحرية الهندية"، **الجزيرة نت**، 2024/2/12، شوهد في 2025/1/17، في: https://shorturl.at/GoUDt

6 "Express View on Indian Navy Veterans' Return from Qatar: Breakthrough," *The Indian Express*, 12/2/2024, accessed on 17/1/2025, at: https://shorturl.at/AgdQ0

7 Guy Burton, "India's 'Look West' Policy in the Middle East under Modi," 6/8/2016, accessed on 17/1/2025, at: https://shorturl.at/5R6j3

العامل الباكستاني في تعاملاتها مع دول المنطقة، بعد أن كانت الأخيرة تُعدّ حليفًا تقليديًا لباكستان، ولا سيما فيما يتعلق بقضية كشمير[8].

ومن بين دول الخليج، برزت قطر فاعلًا جيو-اقتصاديًا مهمًا؛ لا بفعل ثرواتها فحسب، بل بفعل مكانتها الإقليمية والدولية في شؤون غرب آسيا أيضًا. وقد دأبت الهند وقطر على إقامة علاقات دبلوماسية، وسياسية، وتجارية، لتصبح – شيئًا فشيئًا – أشد متانة وعمقًا وشمولًا. وبعد أن كان التركيز في بداية العلاقات على القضايا الدبلوماسية والسياسية، اتّسع نطاق التعاون تدريجيًا ليتضمّن التعاون السوسيو-اقتصادي. وتجدر الإشارة إلى أن قطر هي المزود الرئيس للهند بالغاز الطبيعي، في حين تمثل الهند الشريك التجاري الأكبر لقطر بعد الصين[9].

أولًا: الإطار النظري

لفحص الديناميات المختلفة للعلاقات الهندية - القطرية، تعتمد هذه الدراسة نظريةَ الاعتماد المتبادل Interdependence، التي قدّمها في سبعينيات القرن العشرين عالِمَا السياسة والعلاقات الدولية الأميركيان، روبرت كيوهان وجوزيف ناي، لتكون إطارًا تحليليًا بديلًا من البرادايم الواقعي في فهم العلاقات الدولية، ولإعادة تفسير ديناميات التحوّلات السياسية الدولية.

أكّد كيوهان وناي، في كتابهما **القوة والاعتماد المتبادل** (1977)، أن التداول فوق الوطني Transnational لرؤوس الأموال، والاتصالات، والأشخاص، والبضائع، وتعدّد الارتباطات العابرة للحدود والمعاملات المتبادلة، كل ذلك ولّد مصفوفة معقّدة من "الاعتماد المتبادل" بين الدول ذات السيادة. ويحاجّان بأن الدول انتقلت، من خلال تعدد التفاعلات والتبادلات العابرة للحدود، إلى حالة اعتماد متبادل تتسم فيها العلاقات بطبيعة تبادلية، لكنها تتصف بعدم التماثل Asymmetry[10]. ويحددان لاحقًا، ثلاث سمات رئيسة وضرورية لظهور الاعتماد المتبادل بين الدول:

1. وجود قنوات متعدّدة: لا تقتصر هذه القنوات على التفاعلات الرسمية بين الحكومات، التي تديرها الدوائرُ المسؤولة عن العلاقات الخارجية، بل تشمل - أيضًا وعلى نحو جوهري - العلاقات غير الرسمية بين النخب الحكومية وغير الحكومية، فضلًا عن المنظّمات فوق الوطنية؛ إذ يؤدي هؤلاء الفاعلون دورًا حاسمًا في تعزيز أهداف العلاقات بين الحكومات، وهو ما يعزّز الترابط بين سياسات الدول الخارجية. ومن جهة أخرى، توسّع هذه التفاعلاتُ فوق الوطنية الوظائفَ المحلية للدول تدريجيًا، لتتداخل - بصورة متنامية - مع السياسات المحلية وتشكّلها. وتتعاظم هذه العملية من خلال الاتصالات فوق الوطنية؛ "ما يؤدّي إلى انطماس الخطوط الفاصلة بين السياسة الداخلية والخارجية، وزيادة عدد القضايا المرتبطة بالسياسة الخارجية"[11].
2. غياب التسلسل الهرمي للقضايا التي تسعى الدول إلى التصدّي لها: يرجع ذلك، في المقام الأول، إلى انحسار أهمية الأمن العسكري في تحديد العلاقات بين الدول. ومن هنا، نجد أن أهمية القضايا غير العسكرية، التي يُنظر إليها غالبًا بوصفها قضايا ذات نطاق محلي، تتجاوز الحدود الوطنية على نحو مطّرد؛ ما يـؤدّي إلى انطماس التمييز الصارم بين المخاوف الداخلية والخارجية. ويتفاقم التعقد الخاص بـ "صياغة سياسة خارجية متماسكة ومتّسقة"[12] أيضًا، وذلك عندما تملأ القضايا المتعدّدة أجندات السياسة الخارجية، مع احتمال أن تتعرّض مصالح دوائر محلية محدّدة للخطر بسبب بعض تلك القضايا، من دون أن يحتّم ذلك تهديد المصالح الوطنية الشاملة.
3. تضاؤل التعويل على القوة العسكرية: يرجع هذا التضاؤل إلى غياب التسلسل الهرمي للقضايا المترابطة ارتباطًا وثيقًا. وتفترض النظرية أن استخدام القوة العسكرية مكلف ومُحاط بالشكوك؛ ما يجعلها أداة تفتقر إلى التأثير والجدوى في تحقيق المصالح الاقتصادية والبيئية، ولا سيما في السياقات التي تدفع الدول إلى تبنّي الاعتماد المتبادل.

إن العلاقات الهندية - القطرية ذات الأوجه المتعدّدة تتّسم بقنوات متنوّعة للتفاعل، مثل تجارة الطاقة والعلاقات الثقافية وحضور الجالية الهندية الكبيرة، وغير ذلك. ومن ثم، تبرز أهمية إطار الاعتماد المتبادل في توفير عدسة نظرية يمكن من خلالها تحليل تعقيدات العلاقات الثنائية بين الدول وديناميّاتها. ويساعد هذا الإطار في تفكيك الأسباب الكامنة في ركودها؛ عبر السماح بتحليل مساعي الدولتين تجاه تحقيق أهدافهما السياسية، وفهم مدى تأثر تلك المساعي بعوامل داخلية

8 Seema Guhadown, "Beyond Religion, Remittances: India's Relationship with West Asia Has Transformed into Partnership of Mutual Interests," *Outlook India*, 10/1/2023, accessed on 5/9/2024, at: https://shorturl.at/46DEy

9 National Planning Council Qatar, "Qatar Foreign Merchandise Trade Surplus was QR 17.6 billion of the State of Qatar, March 2024," 29/4/2024, accessed on 5/9/2024, at: https://shorturl.at/B9Ky9

10 Robert Keohane & Joseph Nye Jr., *Power & Interdependence*, 4th ed. (Boston: Longman, 2011), pp. 20-21.

11 Ibid.

12 Ibid., p. 22.

وخارجية. ويشير الفهم التقليدي السائد إلى أن تعزيز الاعتماد المتبادل الاقتصادي سيؤدّي على نحو طبيعي إلى علاقة أوسع شمولًا بين البلدين، لكننا نزعم أن العلاقات لم تصل بعد ذلك إلى المستوى المنشود؛ إذ لا يزال بعض التردد قائمًا، وخصوصًا في مجال التعاون الدفاعي.

ثانيًا: طبيعة العلاقات السياسية بين الهند وقطر

1. بداية العلاقات الثنائية

شهدت العلاقات الثنائية بين الهند وقطر في مراحلها الأولى تطوّرًا بطيئًا؛ إذ لم يتبادل الطرفان زيارات رفيعة المستوى، بعد إقامة علاقات رسمية في عام 1973، طوال ثلاثة عقود، إلى أن حدث ما يمكن تسميته "الانفراج الدبلوماسي المهمّ الأول" بين البلدين، حين زار الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني (1995-2013) الهند في نيسان/ أبريل 1999[13].

يمكن أن يُعزى هذا التطوّر البطيء في العلاقات الهندية - القطرية إلى طبيعة اهتمامات الدولتين، الداخلية والاستراتيجية، وهو ما تفسره النظرية الواقعية التي تركّز على الأولويات الداخلية والخارجية التي توجّه سلوك كل دولة. ففي العقدين اللذين أعقبا استقلال قطر، لم تُظهِر الأخيرة في عهد الأمير الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني (1972-1995) نزعة لاستغلال ثروتها الهيدروكربونية؛ على نحو يمكّنها من رسم سياسة خارجية إقليمية مستقلّة عن التيار السائد في الدبلوماسية الإقليمية، الذي تقوده المملكة العربية السعودية. وكانت الهند، حينئذ، مُثقَلة بإطار اقتصادي حمائي وسياسات تنموية حذرة، فقد واجهت التعقيدات التي خلّفها نموذجها الاقتصادي المنغلق على نفسه. وأسهمت سياستها الخارجية - التي اتّسمت بعدم الانحياز - في التحجيم النسبي لانخراطها في الاقتصاد الدولي، وهذا الأمر شمل دول منطقة الخليج أيضًا. وأدّت المقاربة التنموية الحذرة والجمود البيروقراطي إلى ركود علاقات الهند الثنائية مع دول المنطقة.

2. التهيئة لتطور العلاقات الثنائية بين الهند وقطر

شكّلت تسعينيات القرن العشرين منعطفًا في العلاقات بين البلدين؛ إذ اعتبرت الإصلاحات الاقتصادية في الهند، والتحولات التي شهدتها سياسة قطر الخارجية مع تولي الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني مقاليد الحكم مؤشّرًا دالًّا على تبدّل السياسات في كلا البلدين، بما في ذلك تهيئة الظروف للتحوّل الذي طرأ على علاقاتهما الثنائية وإعادة صياغتها. وتعكس هذه التطوّرات، على نحو حاسم، الطريقة التي شرعت بموجبها الدولتان في تعزيز مواقفهما وإبرازها في الساحة الدولية.

ففي السياق الهندي، تخلّت البلاد تحت قيادة رئيس الوزراء ناراسيمها راو P. V. Narasimha Rao (1991-1996)، ووزير المالية مانموهان سينغ Manmohan Singh (1991-1996)، عن المقاربة الاقتصادية التي اتبعتها بعد الاستقلال، وانفتحت على العالم، عبر الشروع في سلسلة من الإصلاحات الاقتصادية التي استهدفت تحرير اقتصادها. وشملت هذه الإصلاحات البنيوية، بداية من عام 1991، المجالات الاقتصادية الرئيسة، مثل الصناعة والتجارة والاستثمارات الأجنبية والتكنولوجيا والقطاع العام، وقد كانت حيوية في إنعاش الاقتصاد الهندي الذي كان يعاني ركودًا[14]. ومع بدء اقتصاد البلاد في تسريع وتيرة الانتعاش الملموس الذي رافق التوسّع الصناعي الكبير، تزايدت حاجة الهند إلى الطاقة كثيرًا؛ ما أدّى إلى الاعتماد المتنامي على النفط الخليجي والغاز الطبيعي القطري المُسال على نحو متزايد.

تزامن ذلك مع النقلة النوعية التي شهدتها قطر، بتولّي الشيخ حمد مقاليد الحكم. وقد بشّر هذا التحوّل بعهد جديد في طموحات قطر الجيوسياسية والجيو-اقتصادية؛ إذ أصبحت الدولة أكثر حزمًا في سياستها الخارجية، وشرعت في إعادة بلورة مكانتها السياسية والدبلوماسية في المنطقة وخارجها[15]. وقد شرعت أيضًا في استغلال مواردها بكثافة لتحقيق التنمية الوطنية، وفرضت نفسها لاعبًا إقليميًا رئيسًا ذا طموحات دولية، عبر توسيع علاقاتها الثنائية مع القوى الغربية، لا سيما الولايات المتحدة الأميركية والمملكة المتحدة وسواهما، في المجالات الجيوسياسية والجيو-اقتصادية[16]. فضلًا عن ذلك، تبنّى الشيخ حمد مقاربة متعدّدة الأطراف في سياسة البلاد الخارجية؛ إذ أقام علاقات مع فاعلين سياسيين ينتمون إلى توجهات أيديولوجية متنوّعة[17].

وفي خضمّ هذه التحوّلات المتوازية، أعادت قطر والهند تشكيل علاقاتهما من خلال التركيز على مصالحهما الوطنية في تنويع الأسواق

13 جمهورية الهند، سفارة دولة قطر في نيودلهي، "العلاقات القطرية - الهندية"، شوهد في 2025/1/17، في: https://rb.gy/4xz4o3

14 Deepak Nayyar, "Economic Liberalisation in India: Then and Now," *Economic and Political Weekly*, vol. 52, no. 2 (2017), pp. 41–48.

15 ينظر: مروان قبلان، **سياسة قطر الخارجية: الاستراتيجيا في مواجهة الجغرافيا** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021).

16 Mohamad Waseem Malla, "Media-Foreign Policy Discourse: Analysing Coverage of Saudi Arabia-Iran Rivalry by Al Jazeera English, 2006-2018," PhD Thesis, Jawaharlal Nehru University, New Delhi, pp. 49-50.

17 ينظر: قبلان.

وتعزيز أمن الطاقة. وتُظهر هذه الإجراءات، من منظور الاعتماد المتبادل المعقد، كيف أنّ الدول تُعيد تكييف نفسها وتعزز قوّتها، من أجل تأمين مصالحها. ولا ريب في أن تبادل زيارات رفيعة المستوى بين الدول يُعدّ من المؤشّرات المهمّة الدالّة على طبيعة العلاقات الدبلوماسية الصحية. وهكذا، شهدت العلاقات بين الهند وقطر تطوّرًا وترسيخًا ملحوظين مع مضي الوقت، وتميّزت بسلسلة من الزيارات المتبادلة الرفيعة المستوى على مرّ السنين.

أدّت الزيارات دورًا محوريًا في تحسين العلاقات الثنائية وتقويتها. ويتّضح ذلك، خاصةً، في الاتفاقيات المتعلّقة بالتجارة والدفاع ومكافحة الإرهاب. وانطلاقًا من منظور الاعتماد المتبادل، لم تهدف هذه الزيارات إلى تعزيز العلاقات التاريخية فحسب، بل يمكن فهمها أيضًا بوصفها خطوات عملية اتخذتها الدولتان، من أجل الاستفادة من التعاون الاقتصادي في تعزيز قوّتهما وأمنهما ودعم مصالحهما، في نظام دولي يقوم على التنافس والتعاون في الوقت نفسه.

3. الزيارات المتبادلة

في ظل الديناميات المحلية والدولية المتغيّرة في البلدين، جاءت الزيارة الأولى لأمير دولة قطر، الشيخ حمد، للهند، في الفترة 6-8 نيسان/ أبريل 1999. وقد أظهرت هذه الزيارة رغبة قطر في التعاون الشامل مع الهند، وعُدّت حدثًا "فاصلًا" في سياق تأسيس شراكة "تقليدية دافئة وودّيــة"[18]. وقد عكست تشكيلة الوفد الذي ضمّ وزير الخارجية الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني (1992-2013) ووزير الصناعة والطاقة عبد الله بن حمد العطية (1999-2011) ووزراء بارزين آخرين، عَـزْم قطر على مواصلة شراكتها الشاملة مع الهند[19]. عقد الوفد القطري محادثات موسّعة مع القيادة الهندية، بما في ذلك الرئيس الهندي كوتشيريل رامان نارايانان Kocheril Raman Narayanan (1997-2002) ورئيس الوزراء أتال بيهاري فاجبايي Atal Bihari Vajpayee (1998-2004) وغيرهما، ركّزت على تعزيز العلاقات الثنائية، وخصوصًا في قطاع صادرات الغاز الطبيعي المُسال الطويلة الأمد. وتمخّضت الزيارة عن توقيع ستّ اتفاقيات، منها مذكرة تفاهم حول إنشاء مجلس أعمال مشترك لتسهيل التجارة البينية. وفي غضون بضعة أشهر من الزيارة، أبرمت شركة بترونت الهندية Petronet LNG Limited, PLL في 31 تموز/ يوليو 1999 اتفاقية أمدها 25 عامًا لاستيراد الغاز الطبيعي المُسال، مع شركة راس غاز القطرية التي أصبح اسمها "قطر للطاقة"[20].

زار الشيخ حمد الهند مرة ثانية في نيسان/ أبريل 2005. وقد اكتسبت هذه الزيارة أهمية كبيرة، في ضوء تبنّي الهند سياسة "التوجه غربًا" بداية من عام 2005، اعترافًا من الهند بالأهمية الاقتصادية والاستراتيجية التي تحظى بها قطر ومنطقة الخليج بالنسبة إلى مساعيها الاقتصادية وسياستها الخارجية على حدّ سواء، كما أن "إمكانات؛ الهند بوصفها دولة كبيرة ومستقرّة وديمقراطية، وقوة سياسية واقتصادية ناشئة في آسيا والعالم"، جعلت دول الخليج وجهة جذّابة لوارداتها من الطاقة[21]. ومن هنا، ركّزت الزيارة على تعزيز العلاقات الثنائية في قطاعات الطاقة والطيران والتجارة والتعليم والأمن والدفاع، بما في ذلك اتفاقية الخدمات الجوية[22].

استجابت الهند، على نحو مماثل، للمساعي القطرية الرفيعة المستوى، وذلك بزيارة رئيس الوزراء مانموهان سينغ للدوحة في عام 2008. وقد شكّلت هذه الزيارة مرحلة جديدة في علاقاتهما الثنائية؛ إذ كان لها دور حاسم في توسيع آفاق علاقاتهما لتتجاوز نطاقها التقليدي المتمحور حول الطاقة إلى مجال الدفاع والأمن، عبر توقيع اتفاقية التعاون الدفاعي والأمني[23]. ومثّلت هذه الاتفاقية التعاون الدفاعي الجوهري الأول الذي أبرمته الهند مع دولة خليجية؛ ما أكّد عزم الهند على تنويع علاقاتها، والانتقال من الشراكة في مجال الطاقة التي طالما ميّزت العلاقات الهندية - القطرية، إلى التعاون الاستراتيجي. وأسّس الطرفان آلية للمراقبة المشتركة، وهي إطار عملٍ يهدف إلى الإشراف على تنفيذ اتفاقياتهما الثنائية وتقييمها، وتعميق التعاون المؤسساتي، وضمان المشاركة السلسة في مختلف القطاعات، فضلًا عن تعزيز المساءلة[24]. وعلى الرغم من هذه التطوّرات الواعدة، ولا سيما في مجال الدفاع، فإن الاجتماعات لم تُفضِ إلى تفاهم مشترك يعكس مخرجات الاجتماعات الرفيعة المستوى؛ ما أكّد أن العقبات التي تحول دون التوافق الاستراتيجي الكامل كانت لا تزال قائمة. وقد ألقى التردّد

18 Government of India, Ministry of External Affairs, *Annual Report 1999–2000* (New Delhi: 2000), p. 38, accessed on 17/1/2025, at: https://acr.ps/1L9GPF2

19 Ibid.

20 Ibid.

21 Prasanta Kumar Pradhan, "Accelerating India's 'Look West Policy' in the Gulf," *IDSA Issue Brief*, 3/2/2011, accessed on 10/9/2024, at: https://tinyurl.com/ycxrkv62

22 "India, Qatar to Boost Energy Ties," *Al Jazeera*, 14/4/2005, accessed on 14/1/2025, at: https://acr.ps/1L9GP48

23 Government of India, Ministry of External Affairs, *Annual Yearbook 2008-2009* (New Delhi: 2009), p. 46.

24 Avtar Singh Bhasin, *India's Foreign Relations – 2009 Documents*, Government of India, Ministry of External Affairs (New Delhi: 2009), p. 1772.

المتبادل الضوء على سياسة الحذر لدى البلدين؛ ما أكد أن توسيع نطاق العلاقات الثنائية كان لا يزال مقيّدًا بدرجة من التحفّظ الجيوسياسي.

وواصلت قطر تأكيد صعودها الجيوسياسي إبّان عهد الشيخ حمد؛ ما رسّخ قوّتها الدبلوماسية مع الفاعلين الدوليين الكبار، وخصوصًا في مجال الطاقة، بعد أن أصبحت أكبر مُصدِّر للغاز الطبيعي المُسال في العالم، وحرصها على توسيع سوق الغاز. وكان لهذا التطوّر آثار حاسمة في أمن الطاقة الهندية، إذ زاد طلب الهند على النفط والغاز الطبيعي المُسال على نحو ملحوظ، من 4.7 في المئة إلى 14 في المئة، وهذا استدعى إنشاء سلسلة إمدادات مُستدامة للطاقة، وجعل قطر فاعلًا محوريًا في بنية أمن الطاقة الهندية[25]. وانطلاقًا من ذلك، توجّه الشيخ حمد إلى نيودلهي في الفترة 8-10 نيسان/ أبريل 2012، في زيارة كانت الثالثة من نوعها. وقد أشارت الرئيسة الهندية براتيبها باتيل Pratibha Patil (2007-2012) إلى قطر بوصفها جزءًا من "الجوار الممتدّ" للهند، وركّزت على الأهمية الحضارية والاستراتيجية التي توليها بلادها لمنطقة الخليج. وقد عكست دعوتها إلى ترجمة التناغم الحالي بين البلدين إلى "شراكة مفيدة ودائمة"، وهو طموح للهند متمثّل في الارتقاء بعلاقتها مع قطر إلى ما هو أبعد من التعاملات الاقتصادية[26].

واكتسبت هذه الزيارة أهمية أيضًا بسبب ما رافقها من تحوّل جيوسياسي في عموم منطقة الشرق الأوسط كانت له آثار بعيدة المدى في الحسابات الاستراتيجية الهندية. فقد برزت متغيّرات جديدة في العلاقات الثنائية بين البلدين، بعد تطوّر سياسة قطر الخارجية وتأكيد تبنيها استراتيجية متعددة الأبعاد للحفاظ على استقلاليتها، فضلًا عن تطور دورها وسيطًا دبلوماسيًا في العديد من النزاعات التي شملت فاعلين إقليميين أساسيين، بما في ذلك افتتاح حركة طالبان مكتبًا سياسيًا لها في الدوحة في عام 2012[27]. وقد عدّت الهند ذلك تطوّرًا مقلِقًا لها، ولا سيما عند النظر إلى شراكتها المتطوّرة مع الحكومة الأفغانية، وجهودها الطويلة الأمد في بناء "النيات الحسنة" مع أفغانستان، عبر استثمارات كبيرة في مجال إعادة الإعمار والتنمية. وكانت مخاوف الهند متجذّرة في علاقات طالبان الأفغانية التاريخية الوطيدة مع باكستان، وهي الخصم الإقليمي الرئيس للهند؛ إذ تعاملت مع عودة ظهورها المحتمل بوصفها تهديدًا مباشرًا لمصالحها الاستراتيجية؛ ما يهدّد نفوذها الذي بنته بعناية على مرّ السنين، عبر جهود إعادة الإعمار الاقتصادي في أفغانستان التي تُقدّر قيمتها بمليارات الدولارات الأميركية[28].

شهدت قطر والهند، في عامَي 2013 و2014، تحوّلات على مستوى قيادتَي البلدين؛ ففي قطر تولى الشيخ تميم مقاليد الحكم في البلاد في حزيران/ يونيو 2013. أما في الهند، فقد أصبح ناريندرا مودي رئيسًا للوزراء في أيار/ مايو 2014، بعد أن قاد حزب بهاراتيا جاناتا Bharatiya Janata اليميني الهندوسي إلى الفوز في الانتخابات العامة. سعى مودي إلى توجيه ثقل الهند غربًا نحو تعزيز العلاقة مع دول الخليج، وكان الشيخ تميم الزعيم العربي والخليجي الأول الذي يصل إلى الهند بعد تولّي مودي منصبه خلال زيارة جرت في 24 و25 آذار/ مارس 2015؛ ما أكّد أهمية قطر بوصفها "مصدرًا موثوقًا للطاقة"[29]. ففضلًا عن توقيع ستّ اتفاقيات في مجالات الطاقة والاستثمارات والإعلام والتكنولوجيا، أكد بيان مشترك مقتضب أهمية "العلاقات الثنائية الوثيقة والودّية المتجذّرة في التاريخ المشترك، وهي تتّسم بالاستدامة والنمو بفعل الروابط الاقتصادية المتزايدة والتعاون المتعدّد الأوجه والتواصل الحيوي بين الشعبين"[30]. وأشار إلى مستوى جديد من التعاون؛ إذ دان الجانبان الإرهاب واتّفقا على تعميق التعاون في مجال تبادل المعلومات الاستخبارية، ومكافحة الجرائم العابرة للحدود.

وجاءت زيارة مودي لقطر يومَي 4 و5 حزيران/ يونيو 2016، في سياق تأكيد تركيز الهند المتجدّد على منطقة الخليج، من أجل توسيع نطاق التعاون الثنائي بين البلدين، لينتقل ملف الطاقة إلى الأمن السيبراني والدفاع ومكافحة الإرهاب، فضلًا عن جذب الاستثمارات في إطار سياسة "اِصْنع في الهند"[31]. وبعد أن أبرم الجانبان سبع اتفاقيات تناولت تعميق التعاون في عمليات مكافحة الإرهاب، وتبادل المعلومات الاستخبارية، ومكافحة غسيل الأموال والاتجار بالمخدّرات، وسواها من الجرائم العابرة للقوميات، اتفقا على ملامح

25 Elizabeth Roche, "India to Ask Qatar to Increase LNG Exports During Emir's Visit," *Live Mint*, 4/4/2012, accessed on 17/1/2025, at: https://tinyurl.com/5xphy755

26 President of India Office, "Speech of the President of the Republic of India, H.E. Smt. Pratibha Devisingh Patil, at the Banquet in Honour of the Emir of the State of Qatar, H.H. Sheikh Hamad Bin Khalifa Al-thani," 9/4/2012, accessed on 1/9/2024, at: https://acr.ps/1L9GPQ6; Ministry of External Affairs, "State Visit of Emir of Qatar to India," 4/4/2012, accessed on 17/1/2025, at: https://acr.ps/1L9GPQU

27 ينظر: قبلان.

28 President of India Office.

29 Amiri Diwan, "HH The Amir Speech at the Dinner Banquet by the President of India," 25/3/2015, accessed on 17/1/2025, at: https://tinyurl.com/25zhpd5k

30 Ministry of External Affairs, "Joint Statement During the State Visit of the Emir of the State of Qatar to India (March 24-25, 2015)," 26/3/2015, accessed on 17/1/2025, at: https://tinyurl.com/3w4sj4tv

31 "About Us," *Make in India*, accessed on 17/1/2025, at: https://tinyurl.com/3jweeu5m

بيان مشترك؛ ما عكس مستوى جديدًا من الثقة في تعاونهما، بخلاف ما شهدته الزيارات الثنائية الرفيعة التي تبادلاها من قبلُ. وتجدر الإشارة إلى أن البيان المذكور دان الإرهاب بطريقة لا لبس فيها، وشدّد على "ضرورة عزل رعاة الإرهاب وداعميه"، من دون الإشارة إلى جهات بعينها، داعيًا إلى "اتخاذ إجراءات عاجلة ضدّ كل الكيانات التي تدعم الإرهاب، وتستخدمه أداة سياسية"[32]. ومن وجهة نظر الهند، شكّل البيان إنجازًا مهمًّا في مجال جهودها الدبلوماسية في حشد الإجماع الدولي ضد الإرهاب، وخصوصًا في سياق سعيها إلى عزل باكستان عن الساحة العالمية.

شملت الزيارات المتبادَلة ذات المستوى الرفيع زيارة رئيس الوزراء القطري الشيخ عبد الله بن ناصر بن خليفة آل ثاني (2013-2020) في عام 2016 للهند، في مقابل زيارة نائب الرئيس الهندي فينكايا نايدو Venkaiah Naidu (2017-2022) في عام 2022، وزيارة نائب الرئيس الهندي جاغديب دانكهار Jagdeep Dhankhar (2022-) في العام نفسه، وزيارة رئيس الوزراء مودي، في شباط/ فبراير 2024، لقطر. وهكذا، شهدنا تبادلًا مستمرًا لزيارات رفيعة المستوى بين الهند وقطر؛ ما أكّد تطوّر العلاقات الثنائية بين البلدين وتعزيزها إلى مدى بعيد. فقد أثمرت الزيارات المتبادلة، بدءًا من زيارة أمير قطر، الشيخ حمد في نيسان/ أبريل 1999، والزيارات اللاحقة في الأعوام 2005 و2008 و2012 و2015، فضلًا عن الأعوام 2016 و2022 و2024، إبرامَ اتفاقيات جوهرية سهّلت التعاون المتعدّد الأبعاد، وشملت التجارة والدفاع والأمن والطاقة والتكنولوجيا والمجال الثقافي. ولم يركّز مسار هذه التفاعلات الدبلوماسية على الضرورات الاقتصادية للعلاقة فحسب - من خلال متابعة الهند سعيها إلى تحصين أمن الطاقة لديها عبر سلاسل إمدادات قطرية مستقرّة - بل يبدو أنّ ثمة توافقًا متناميًا بشأن معالجة المخاوف المشتركة؛ بما في ذلك التهديدات العالمية للإرهاب والجريمة الإلكترونية، وغير ذلك من التحدّيات الأمنية غير التقليدية. وقد عمّقت كل الزيارات الرفيعة المتبادَلة الالتزام المشترك بإضفاء الطابع المؤسساتي على آليات مكافحة الإرهاب وتبادل المعلومات الاستخباراتية والأمن السيبراني؛ ما عكس تقاربًا في المصالح الأمنية الوطنية. من هنا، يمكن القول إن هذه الزيارات الرسمية تجاوزت الطابع الاحتفالي، لتصبح منابر ضرورية للتفاوض على الحقائق الجيوسياسية المعقّدة وإعادة ضبط الأولويات الاستراتيجية، وضمان قابلية الشراكة الثنائية للتأقلم مع تطوّر الخطوط العريضة للسياسة العالمية والإقليمية.

32 Government of India, Ministry of External Affairs, "India-Qatar Joint Statement During the Visit of Prime Minister to Qatar," 5/6/2016, accessed on 17/1/2025, at: https://acr.ps/1L9GPFw

4. الهند ومراجعاتها الاستراتيجية

اكتسبت أوجه التفاعل بين قطر والهند أهمية متزايدة في المشهد الجيوسياسي المتغيّر؛ ما أجبر الهند على إدخال تعديلات استراتيجية على سياستها في منطقة الخليج بمرور السنين. وجاء موقف الهند الحيادي من التطورات السياسية الداخلية في منطقة الخليج والقضايا الإقليمية الأوسع نطاقًا، مع الامتناع عن الانحياز إلى أيّ طرف وتشديدها على أهمية حلّ النزاعات عبر الحوار، انسجامًا مع سياستها العامة التي تركّز على تأمين مصالحها الاقتصادية. وقد تجلّى التزامها الحيادي بوضوح في عام 2017، حين واجهت قطر حصارًا غير مسبوق تسبّب في عرقلة الطرق الجوية والبرية والبحرية، فرضَه تحالف تقوده المملكة العربية السعودية، وتضمّن البحرين ومصر والإمارات العربية المتّحدة. شكّل الحصار على قطر تحدّيًا للهند انطلاقًا من رهاناتها في المنطقة، بيد أنها أكّدت أن "القضية داخلية" في دول مجلس التعاون، ودعت إلى حوار بنّاء لحل المشكلات[33]. ويرجع السبب الرئيس لموقفها الحيادي الصريح من الأزمة، إلى وجود جالية هندية كبيرة من المغتربين في أنحاء الخليج كلّه، فضلًا عن الأهمية الاقتصادية لجميع هذه الدول[34]. ومع ذلك، ساعدت الهندُ قطر في التخفيف من وطأة الندرة التي طرأت على المواد الغذائية الأساسية، عبر إنشاء "الخدمة الهندية - القطرية السريعة"، التي ربطت ميناء حمد بميناءَي موندرا Mundra ونافا شيفا Nhava Sheva، في منطقتَي غوجارات Gujarat وماهاراشترا Maharashtra الهنديتين[35]. واستخدمت هذين الميناءَين بلدان كثيرة في جنوب شرق آسيا، لإعادة توجيه إمداداتها إلى قطر بهدف كسر الحصار عليها.

وعلى الرغم من هذا الحذر، لم تتطوّر العلاقات الهندية - القطرية بالوتيرة والمستوى اللذين شهدناهما في علاقات الهند بدول مجلس التعاون الأخرى، مثل الإمارات. ويعود ذلك جزئيًا إلى علاقات قطر الوثيقة بدول أخرى مثل تركيا وباكستان. فخلال ثورات الربيع العربي، التي اندلعت عام 2010 وما بعده، تغير المشهد الجيوسياسي في الشرق الأوسط؛ إذ انحازت قطر إلى دعم المد الثوري العربي، وهو موقف شاركتها فيه تركيا، بينما فضّلت الإمارات والسعودية الوضع القائم آنذاك.

33 "Qatar Crisis: India Favours Constructive Dialogue," *Times of India*, 10/6/2017, accessed on 12/9/2024, at: https://acr.ps/1L9GQ2c

34 Shruti Sonal, "Qatar Crisis: Why India Failed to move Beyond short-Term Concerns," *Observer Research Foundation*, 24/4/2018, accessed on 12/9/2024, at: https://acr.ps/1L9GPaB

35 Giorgio Cafiero & Elaine Miao, "India's Role in Qatar's Food Security Crisis," *TRT World*, 15/9/2017, accessed on 14/1/2025, at: https://acr.ps/1L9GPGS

وتعتقد الهند أن علاقات قطر ببعض التيارات الإسلامية الوسطية تُشكّل مصدر قلقٍ لها، ولا سيما علاقتها بباكستان، المنافس الجيوسياسي الرئيس للهند؛ إذ يسهم النزاع القائم بين البلدين حول إقليم كشمير في تعقيد هذه العلاقة. فقد انخرطت الهند وباكستان في عدد من الصراعات الخاصة بالوضع السياسي لمنطقة الهيمالايا ذات الأغلبية المسلمة؛ إذ تطالب الدولتان بالسيادة عليها، مع أنهما تديران أجزاء منها فحسب، فضلًا عن أن الصين تسيطر على جزء صغير منها ذي أهمية استراتيجية. وترى الهند أن باكستان استفادت تاريخيًا من علاقاتها السياسية بالدول الخليجية في كسب الدعم لمطالبها الخاصة بكشمير، فقد ساندت كثير من دول الخليج جهود باكستان في تدويل القضية، من خلال عدد من المنابر، مثل منظمة التعاون الإسلامي. وشكّل هذا الدعم عقبة في طريق محاولات الهند تعزيز علاقاتها الثنائية بالمنطقة[36]. وبعد اتساع نفوذها الاقتصادي وبروزها سوقًا مهمة للطاقة، استطاعت الهند فصل النزاع حول كشمير عن تعاملاتها الاستراتيجية والاقتصادية الشاملة مع دول الخليج، ونجحت في فصل علاقاتها الثنائية عن القضايا التي تتمحور حول باكستان. وأسهمت هذه الاستراتيجية في تعزيز علاقات الهند بدول الخليج، وتحويل المنطقة إلى عنصر حيوي في أمن الطاقة والدبلوماسية الاقتصادية، مع استمرار السعي إلى الحدّ من قوة النفوذ الباكستاني في المحافل الإقليمية.

مع ذلك، تبدي الهند تحفظًا بخصوص دور **شبكة الجزيرة الإعلامية** في تغطيتها لقضية كشمير والاضطهاد الذي تعانيه الأقلية المسلمة في الهند. فقد حظرت الحكومة الهندية، مثلًا، بثّ قناة **الجزيرة** مدة خمسة أيام في عام 2015، على خلفية استخدامها خرائط لا تُظهر الأجزاء التي تسيطر عليها باكستان والصين من كشمير، بوصفها جزءًا من الهند[37]. ومنعت محكمة هندية القناة، في عام 2023، من عرض وثائقي استقصائي بعنوان "الهند... من أشعل الفتيل؟"، يغطّي حملات الكراهية الواسعة التي تمارسها الجماعات الهندوسية المتطرّفة ضد المسلمين، في عدد من الولايات الهندية[38]. وفضلًا عن ذلك، أثار تنامي العنف ضد المسلمين وسردية الإسلاموفوبيا Islamophobic Narrative في الهند تساؤلات مهمة بشأن علاقاتها، لا مع قطر فحسب، بل مع دول العالم الإسلامي.

ففي حزيران/ يونيو 2022، أدلت نوبور شارما Nupur Sharma، النائبة عن حزب بهاراتيا جاناتا الحاكم، بتصريحات مسيئة للنبي محمد وزوجته عائشة خلال مناظرة تلفزيونية؛ ما أسفر عن اندلاع احتجاجات واسعة بين مسلمي الهند، وغضب عارم في أنحاء العالم الإسلامي كلّه. وقد ندد العديد من الحكومات والمنظمات العربية والإسلامية بذلك، معبرة عن انزعاجها من تصاعد العنف الطائفي وكراهية المسلمين في الهند، بما فيها دولة قطر التي سلّمت السفيرَ الهندي، في الدوحة، مذكرةَ احتجاج رسمية، أعربت خلالها عن رفضها هذه التصريحات المسيئة[39].

ولتفادي هذا الغضب العربي والإسلامي، بادرت الهند إلى حملة دبلوماسية هدفها طمأنة الشركاء الخليجيين بأن حزب بهاراتيا جاناتا الحاكم لن يتغاضى عن سردية الإسلاموفوبيا التي يتبنّاها الفاعلون اليمينيون، بما في ذلك تعليق عمل المتحدثة باسم الحزب، نوبور شارما، وطرد زميلها نافين كومار جيندال، المسؤول عن وحدة الحزب الإعلامية إثر التعليقات المسيئة للنبي محمد[40].

ثالثًا: العلاقات الاقتصادية القائمة على الطاقة: محور العلاقة بين البلدين

اتّسمت العلاقات الاقتصادية بين الهند وقطر بنموّ مطّرد في التجارة البينية على مرّ السنين، مدفوعة بسيطرة صادرات قطر الهيدروكربونية. وقد بلغ إجمالي التجارة البينية، خلال السنة المالية 2023-2024، ما مقداره 14.042 مليار دولار. ويوضّح الجدول (1)، المبني على البيانات المتاحة، حجم التبادل التجاري السنوي بين البلدين، من السنة المالية 1987-1988 إلى السنة المالية 2023-2024. ويميل الميزان التجاري بوضوح لمصلحة قطر، على الرغم من أن الهند هي ثالث أكبر وجهة لسلعها (12.342 مليار دولار)، ورابع أكبر مصدر لوارداتها (1.77 مليار دولار)، بحصّة سوقية تبلغ 12 في المئة و5.63 في المئة على التوالي في عام 2023، ويرجع ذلك أساسًا إلى حصّة قطر العالية من الصادرات الهيدروكربونية إلى الهند. ويُظهر الشكل (1) ديناميات التجارة الإجمالية بين البلدين.

36 Khurram Abbas, "India, the Arab Gulf Countries and the Pakistan Factor," *Insights no. 306*, Middle East Institute, 28/11/2023, accessed on 15/9/2024, at: https://acr.ps/1L9GP3b

37 "Al Jazeera Penalised for Showing Wrong Map of India, Off Air for 5 Days," *NDTV*, 22/4/2015, accessed on 25/8/2024, at: https://acr.ps/1L9GPTZ

38 "India Court Bars Airing of Al Jazeera Documentary," *Al Jazeera*, 16/6/2023, accessed on 25/8/2024, at: https://acr.ps/1L9GPpt

39 "قطر تستدعي سفير الهند.. وتطالب باعتذار فوري عن تصريحات 'مسيئة' للنبي محمد والسيدة عائشة"، **سي إن إن بالعربية**، 2022/6/5، شوهد في 2025/1/17، في: https://acr.ps/1L9GP8N

40 "الهند.. طرد مسؤول بالحزب الحاكم إثر تعليقات مسيئة للنبي محمد"، **وكالة الأناضول**، 2022/6/5، شوهد في 2025/1/17، في: https://acr.ps/1L9GPT9

الجدول (1)

التجارة الثنائية السنوية بين الهند وقطر (1987-1988 إلى 2023-2024)

السنة المالية	صادرات الهند إلى قطر (مليار دولار)	معدّل النمو	صادرات قطر إلى الهند (مليار دولار)	معدّل النمو	إجمالي التجارة (مليار دولار)	معدل النمو السنوي
2024-2023	1.770	9.97-	12.342	27.21-	14.112	24.83-
2023-2022	1.966	7.02	16.808	27.42	18.774	24.91
2022-2021	1.837	43.07	13.193	66.37	15.03	63.12
2021-2020	1.284	1.58	7.930	18.12	9.214	15.876-
2020-2019	1.268	21.29-	9.685	9.66-	10.953	11.18-
2019-2018	1.611	9.46	10.721	26.28	12.332	24.82
2018-2017	1.471	87.61	8.409	9.98	9.88	17.20
2017-2016	0.784	13.03-	7.646	15.25-	8.43	15.05-
2016-2015	0.902	14.49-	9.022	38.22-	9.924	36.62-
2015-2014	1.054	8.87	14.604	7.02-	15.658	6.10-
2014-2013	0.969	41.02	15.707	0.09	16.676	1.81
2013-2012	0.687	14.95-	15.693	21.50	16.38	19.36
2012-2011	0.807	115.23	12.916	89.41	13.723	90.76
2011-2010	0.375	30.09-	6.819	46.71	7.194	38.77
2010-2009	0.536	20.38-	4.648	32.88	5.184	24.25
2009-2008	0.674	25.18	3.498	42.48	4.172	39.39
2008-2007	0.538	62.50	2.455	19.17	2.993	25.18
2007-2006	0.331	27.84	2.060	128.49	2.391	106.12
2006-2005	0.259	23.84	0.901	34.00	1.16	31.67
2005-2004	0.209	63.05	0.672	259.72	0.881	179.68
2004-2003	0.128	33.65	0.187	65.43	0.315	50.71
2003-2002	0.096	96.12	0.113	23.31	0.209	49.29
2002-2001	0.049	22.98-	0.091	16.01	0.14	1.41-
2001-2000	0.063	78.92	0.079	62.32-	0.142	42.5-
2000-1999	0.035	11.45-	0.209	199.06	0.244	121.82
1999-1998	0.040	8.88-	0.070	30.69-	0.11	24.14-
1998-1997	0.044	38.13	0.101	17.32-	0.145	5.29-
1997-1996	0.031	0.00	0.122	11.93	0.153	9.29
1996-1995	0.031	6.80	0.109	15.96	0.14	13.74
1995-1994	0.029	0	0.094	18.26-	0.123	14.58-
1994-1993	0.029	0	0.115	12.88-	0.144	10.55-
1993-1992	0.029	3.33-	0.132	17.86	0.161	13.38
1992-1991	0.030	57.89	0.112	220.00	0.142	162.96
1991-1990	0.019	11.76	0.035	34.61	0.054	25.58
1990-1989	0.017	5.55-	0.026	73.33	0.043	30.30
1989-1988	0.018	28.57	0.015	57.14-	0.033	35.29-
1988-1987	0.014	-	0.035	-	0.051	-
معدل النمو السنوي التراكمي	13.97 في المئة		17.18 في المئة		16.41 في المئة	

المصدر: من إعداد الباحث، استنادًا إلى: حكومة الهند، وزارة التجارة والصناعة، **بنك بيانات الصادرات والواردات**، شوهد في 2025/1/17، في: https://tradestat.commerce.gov.in

وقد شهدت التجارة البينية نموًا متفاوتًا، على الرغم من معدّل النمو السنوي التراكمي الإيجابي الذي بلغ 16.41 في المئة من السنة المالية 1988-1987 إلى السنة المالية 2023-2024. وانخفضت التجارة البينية، مثلًا، من 18.774 مليار دولار بين عامَي 2022 و2023، وهو أعلى معدّل نمو سنوي تراكمي للتجارة الثنائية بين البلدين، إلى 14.112 مليار دولار بين عامَي 2023 و2024، مسجّلة بذلك نموًا سنويًا سلبيًا بنسبة -24.83 في المئة. وما يثير الاهتمام أنّ البلدين حقّقا أعلى مستوى من التجارة البينية، على الرغم من الصدمات الاقتصادية الناجمة عن تفشي جائحة فيروس كورونا المستجدّ (كوفيد-19)؛ إذ بلغ 18.774 مليار دولار في السنة المالية 2022-2023، مقارنةً بـ 10.953 مليار دولار في السنة المالية 2019-2020. ويُظهر الشكل (2) الاتجاه المتقلّب لمعدّل النموّ السنوي بالنسبة إلى التجارة البينية بين الهند وقطر.

الشكل (1)
ديناميات التجارة الثنائية بين الهند وقطر (1987-2024)

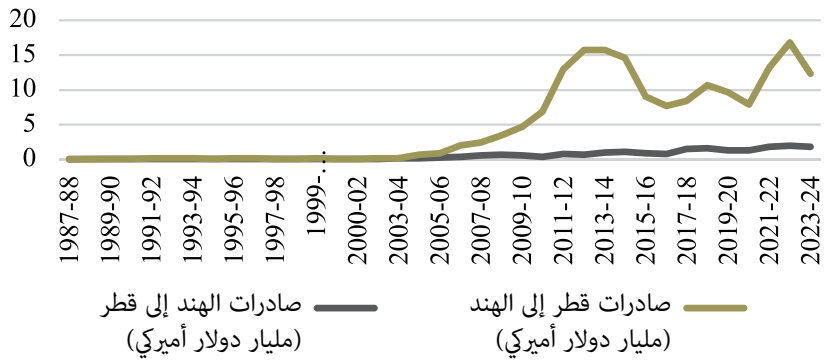

المصدر: من إعداد الباحث استنادًا إلى: حكومة الهند، وزارة التجارة والصناعة، **بنك بيانات الصادرات والواردات**، شوهد في 2025/1/17، في: https://tradestat.commerce.gov.i.

الشكل (2)
معدّل النمو السنوي للتجارة الثنائية بين الهند وقطر (1988-2023)

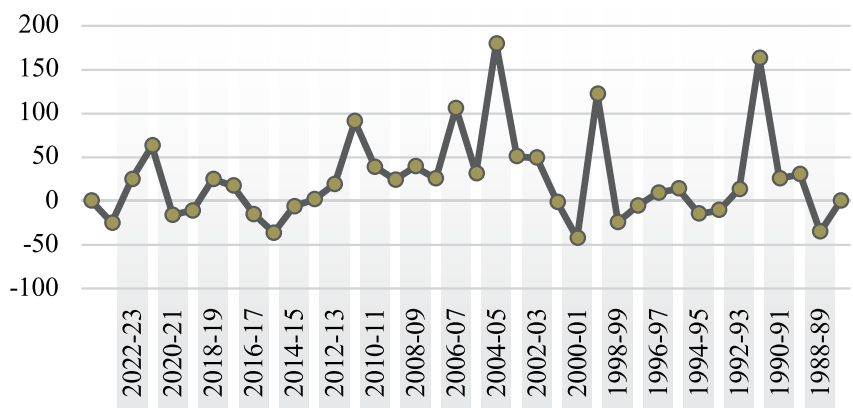

المصدر: من إعداد الباحث استنادًا إلى: المرجع نفسه.

الجدول (2)

نظرة عامة في أهم السلع المتبادلة بين الهند وقطر (2023-2024) (مليون دولار أميركي)

صادرات الهند إلى قطر		واردات الهند من قطر	
المنتجات	القيمة	المنتجات	القيمة
أصناف الحديد والصلب	200.18	البترول المسال، والغاز الطبيعي المسال، والنفط الخام	11009.06
الحبوب	165.38	المواد الكيميائية العضوية	388.53
المركبات وأجزاؤها	109.55	البلاستيك	316.27
المفاعلات النووية والمراجل وسواها	106.40	الألمنيوم	159.55
الأحجار الكريمة والمجوهرات	99.37	الأسمدة	155.78
السفن والقوارب والهياكل العائمة	73.64	المواد الكيميائية غير العضوية	114.79
آلات ومعدات كهربائية	67.65	منتجات كيميائية متنوعة	80.68
الوقود المعدني	59.31	الأحجار الكريمة والمجوهرات	37.59
البلاستيك	51.20	الملح والكبريت والجير والإسمنت	26.86
المواد الكيميائية العضوية	50.95	السفن والقوارب والهياكل العائمة	20.66

المصدر: من إعداد الباحث، استنادًا إلى:

Embassy of India in Doha, "India Qatar Bilateral Relations," accessed on 14/1/2025, at: https://acr.ps/1L9GPJL

تشمل البيانات المتاحة نحو أربعة عقود مضت، وتكشف عن زيادة صادرات الهند إلى قطر من 14 مليون دولار في الفترة 1987-1988 إلى أكثر من 1.77 مليار دولار في الفترة 2023-2024. وعلى الرغم من أن الصادرات الهندية سجّلت نموًا سنويًا تراكميًا بلغت نسبته 17.18 في المئة خلال تلك الفترة، فقد شهدنا سابقًا فترات من النمو السنوي السلبي؛ إذ كانت النسبة، مثلًا، -9.97 في المئة في الفترة 2023-2024، و-21.29 في المئة في الفترة 2019-2020، و-30.09 في الفترة 2010-2011 (ينظر الجدول 1). ومع ذلك، صدّرت الهند في المقام الأول الإلكترونيات القائمة على الكربون والمجوهرات والأرز، فضلًا عن الحبوب واللحوم والأقمشة والبلاستيك والآلات ومعادن المركبات، وغير ذلك (ينظر الجدول 2).

ومع ذلك، تُظهر البيانات التجارية المتاحة أن سلّة الصادرات الهندية ظلّت على حالها، إلى حدّ ما، خلال تسعينيات القرن العشرين، حين أخذت المشاركة الاقتصادية في الانتعاش، كما هو واضح في الشكل (3). ولم يكن ثمة أي توسّع جدير بالاهتمام في اختيار السلع التجارية، على الرغم من نمو الاقتصاد الهندي أضعافًا مضاعفة، وارتفاعه إلى أكثر من 3 تريليونات دولار، خلال هذه الفترة.

في الوقت نفسه، شهدت قطر أيضًا اتجاهًا تصاعديًا كبيرًا في صادراتها إلى الهند، وخصوصًا منذ التغيير التاريخي الذي طرأ على القيادة في عام 1995. وقد أدّى ذلك إلى ارتفاع قيمة الصادرات من 35 مليون دولار خلال السنة المالية 1987-1988 إلى 12.342 مليار دولار خلال السنة المالية 2023-2024، بمعدّل نمو سنوي تراكمي بلغ 17.18 في المئة (ينظر الجدول 1). وشهدت الصادرات القطرية إلى الهند فترات من النمو السنوي السلبي. فخلال العقد الماضي مثلًا، شهدت صادراتها، من السنة المالية 2013-2014 إلى السنة المالية 2023-2024، نموًا سنويًا سلبيًا طوال ستّ سنوات مالية، من بينها ما نسبته -27.21 في المئة خلال السنة المالية 2023-2024، و-18.12 في المئة خلال السنة المالية 2020-2021، و-38.22 في المئة خلال السنة المالية 2015-2016 (ينظر الجدول 1). وعلى منوال وارداتها من الهند، لم يطرأ تغيّر كبير على سلة صادراتها، باستثناء المنتجات الهيدروكربونية التي أصبحت سلعة تجارية مهيمنة على الصادرات القطرية إلى العالم، عندما رسّخت مكانتها بوصفها واحدة من الدول الكبرى المنتجة والمصدّرة للغاز على نطاق عالمي. ويوضح الشكل (4) النسبة المئوية لحصّة المنتجات المختلفة التي صدّرتها قطر إلى الهند، منذ تسعينيات القرن العشرين حتى الوقت الراهن.

الشكل (3)
النسبة المئوية لحصّة السلع الرئيسة في صادرات الهند إلى قطر (1997-1998 في مقابل 2023-2024)

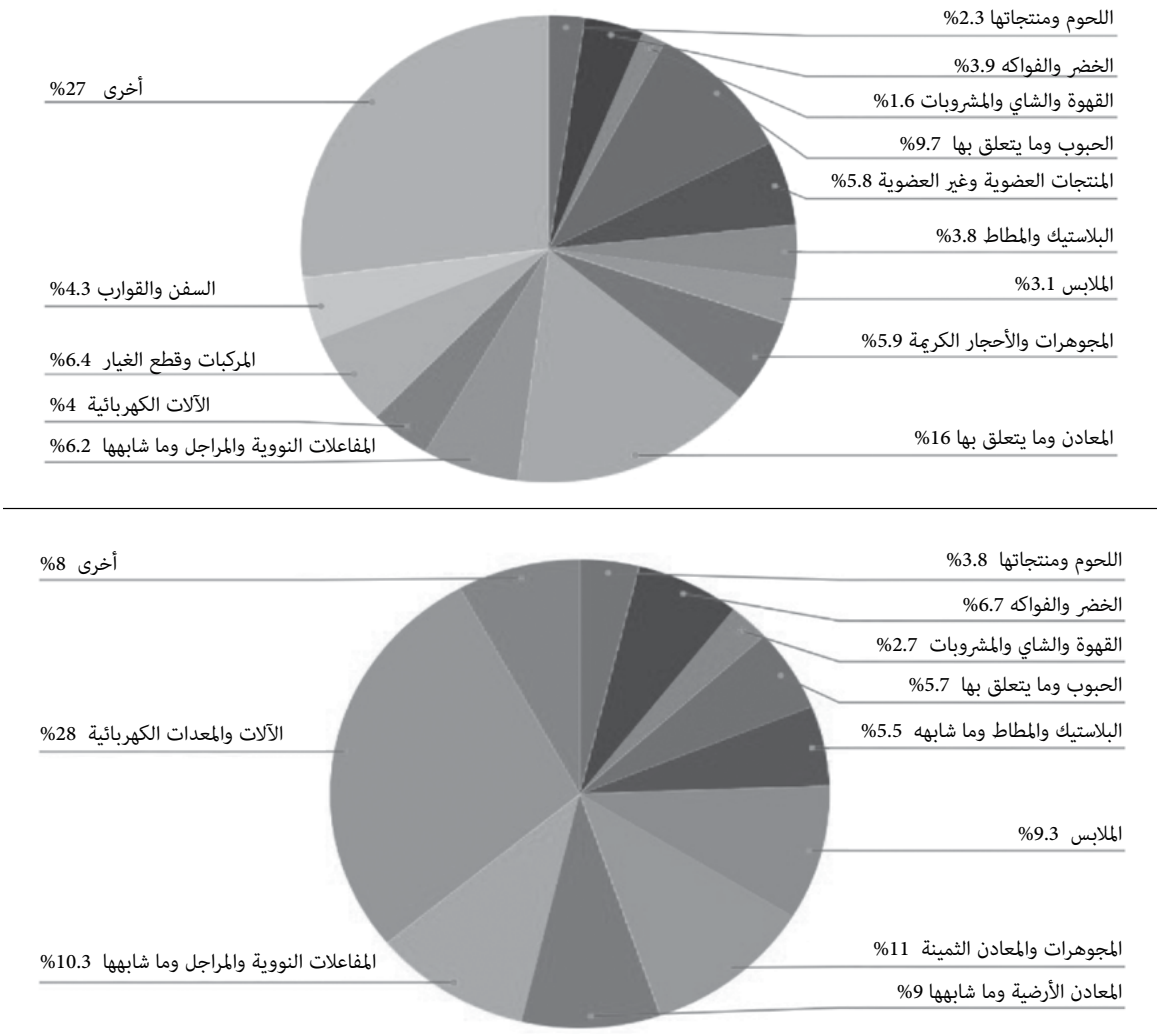

المصدر: من إعداد الباحث استنادًا إلى:

Government of India, Ministry of Commerce and Industry, Department of Commerce, "Exports Commodity Wise," accessed on 17/1/2025, at: https://tradestat.commerce.gov.in

يمكن قياس مدى تطوّر العلاقات التجارية الثنائية من خلال تنامي عدد الشركات الهندية المسجّلة في قطر، الذي ارتفع تدريجيًا إلى أكثر من 15 ألف شركة. وقد كُشف عن ذلك خلال منتدى الأعمال القطري الهندي في 5 حزيران/ يونيو 2022، الذي نظّمه اتحاد غرف التجارة والصناعة الهندي FICCI، واتحاد الصناعات الهندية CII، وغرف التجارة والصناعة الهندية ASSOCHAM، وغرفة تجارة وصناعة قطر، في أثناء زيارة نائب الرئيس الهندي فينكايا نايدو لقطر، في الفترة 4-7 حزيران/ يونيو 2022[41].

41 Press Information Bureau, "Vice President lauds India-Qatar Economic Partnership; Calls for Building an Enabling Environment and Forging more Collaborations for Mutual Benefit," 6/6/2022, accessed on 25/8/2024, at: https://acr.ps/1L9GPEK

الشكل (4)
النسبة المئوية لحصّة السلع الرئيسة في واردات الهند من قطر (1997-1998 في مقابل 2023-2024)

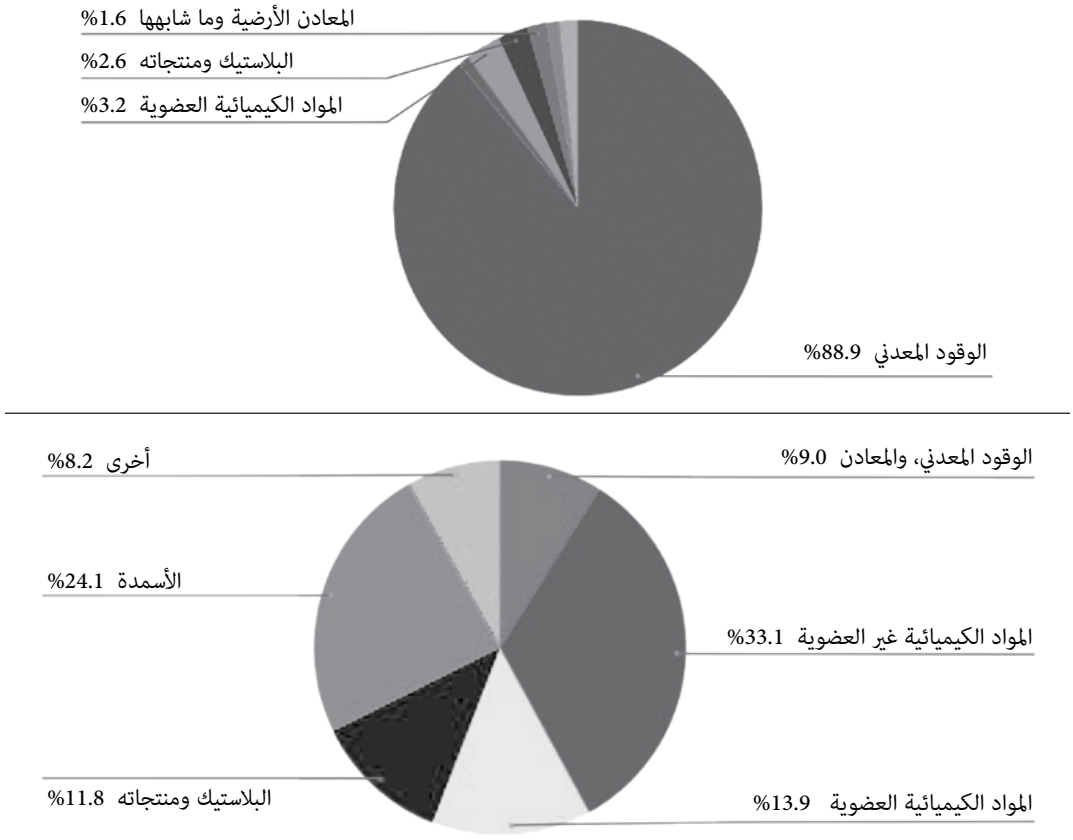

المصدر: Ibid.

1. هيمنة الطاقة

تشغل قطر المرتبة الثالثة في سلّم الاحتياطي الأكبر المؤكّد من الغاز الطبيعي على مستوى العالم، بعد روسيا وإيران؛ إذ تُقدّر احتياطياتها بنحو 843 تريليون قدم مكعبة؛ ما يمثّل نحو 11 في المئة من إجمالي الاحتياطيات العالمية و30 في المئة من احتياطيات الشرق الأوسط. وفي عامَي 2021 و2022، صُنّفت قطر في المركز الثالث ثم الثاني على التوالي، بوصفها المُصدّر الأكبر للغاز الطبيعي والغاز الطبيعي المُسال، بحصّة سوقية عالمية تزيد على 21 في المئة؛ ما عزّز دورها الاستراتيجي في سوق الطاقة الدولية. وتُصدّر أيضًا أكثر من 70 في المئة من المواد الهيدروكربونية الغازية إلى السوق الآسيوية، وتعدّ الهند والصين وجهتين رئيستَين لذلك[42].

ومع استمرار احتياجات الهند إلى الطاقة في التصاعد، للحفاظ على نشاط اقتصادها الآخذ في الاتساع والنمو، تؤدّي قطر بإنتاجها وتصديرها الكبير للغاز الطبيعي والغاز الطبيعي المُسال دورًا حاسمًا في تلبية تلك الاحتياجات. ويبدو واضحًا، من منظور الاعتماد المتبادل المعقد، أن تعاملات الهند الأساسية مع قطر مدفوعةٌ بمتطلبات أمن الطاقة التي تحافظ على النمو الاقتصادي والاستقرار، على الرغم من أنها تخدم مصالحها الذاتية في المقام الأول. ولذلك، وبقدر ما مثّلت العلاقات الاقتصادية حافزًا للعلاقات الثنائية بين البلدين، فقد هيمنت عليها كثيرًا صادرات الطاقة القطرية إلى الهند.

وتبين البيانات التجارية المتاحة هذه الدينامية بوضوح؛ إذ تزيد حصّة الطاقة باستمرار على 80 في المئة من صادرات قطر إلى الهند، بما في ذلك النفط والغاز (ينظر الشكل 5). وقد استوردت الهند، مثلًا، الغاز

42 US Energy Information Administration, "Country Analysis Brief: Qatar," 28/3/2023, accessed on 18/1/2025, at: https://acr.ps/1L9GPGZ

الجدول (3)

واردات الهند من الغازات البترولية والمواد الهيدروكربونية الغازية الأخرى من قطر (2014-2023)

الرقم	السنة المالية	2013-2014	2014-2015	2015-2016	2016-2017	2017-2018	2018-2019	2019-2020	2020-2021	2021-2022	2022-2023	2023-2024
1	القيم (بمليون دولار)	9958.82	10820.30	6317.98	4922.40	5844.15	7941.38	6825.80	5644.95	9582.19	12,381.59	9,349.02
2	النسبة المئوية للنمو	31.00	8.65	41.61-	22.1-	18.73	35.9	14.05-	17.3-	69.74	29.21	24.49-
3	إجمالي واردات الهند من الغاز	15235.31	16,280.92	11,429.81	10,733.52	14,183.81	18,935.80	17,489.29	15,642.60	26,426.59	31,883.98	25,202.39
4	النسبة المئوية من حصّة قطر (1 من 3)	65.36	66.45	55.27	45.85	41.20	41.94	39.03	36.09	36.26	38.83	37.1
5	إجمالي واردات الهند من قطر	15,707.99	14,604.71	9,022.16	7,646.22	8,409.02	10,721.70	9,685.98	7,930.15	13,193.70	16,808.10	12,342.51
6	النسبة المئوية من حصّة السلعة (1 من 5)	63.46	74.08	70.02	64.37	69.49	74.07	70.47	71.18	72.62	73.66	75.74

المصدر: Ibid.

بقيمة 9.3 مليارات دولار خلال السنة المالية 2023-2024؛ ما يمثّل نسبة تزيد على 37 في المئة من واردات الهند من الغاز، و75.74 في المئة من إجمالي الصادرات القطرية، كما هو موضح في الجدول (3).

ومع أن الغاز يهيمن على قطاع الطاقة، فإنّ الهند تستورد أيضًا كميات كبيرة من النفط الخام القطري. ففي السنة المالية 2023-2024، مثلًا، استوردت الهند نفطًا خامًا قطريًا بقيمة 1.1 مليار دولار؛ ما مثّل نسبة تزيد على 9 في المئة من تجارتهما البينية. ويظهر الجدول (3) التباين العشري لواردات الهند من النفط الخام القطري.

مأسست الهند وقطر تجارتهما البينية في مجال الطاقة في 31 تموز/ يوليو 1999، حين أبرمتا اتفاقية بيع وشراء بين شركتَي بترونت الهندية وراس غاز القطرية، التي أصبحت حاليًا تحت مظلة قطر للطاقة بعد اندماجها مع قطر للبترول في عام 2018. وقد وُقّعت الصفقة بعد ثلاثة أشهر من زيارة الشيخ حمد الأولى للهند، في نيسان/ أبريل من العام نفسه؛ إذ أُبرِمت في أثنائها مذكّرة تفاهم للتعاون في مجال الطاقة. وبموجب هذه المذكرة، وافقت شركة الطاقة القطرية، الحكومية العملاقة، على تصدير 7.5 أطنان مترية من الغاز الطبيعي المُسال سنويًا، إلى محطات داهيج الغازية في غوجارات وكوتشي بولاية كيرالا الهندية، على امتداد 25 عامًا بدءًا من عام 2003، على أساس التسليم فوق متن السفينة، فضلًا عن أن الهند كانت ملزمة بترتيب شحنات الغاز[43]. وحين كان البلدان يتفاوضان على صفقة دفاعية في منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، أنقذت قطر الهند عبر تزويد محطة دابهول لتوليد الطاقة في ماهاراشترا بـ 1.5 مليون طن إضافي من الغاز الطبيعي المُسال، حين طلب مورّدون آخرون أسعارًا أعلى في ضوء ارتفاع أسعار الغاز العالمية؛ ما أكّد الثقة في ترقية علاقتهما الثنائية إلى مستوى استراتيجي[44].

43 "India Renews USD 78 Bn Qatar LNG Deal with USD 6 Bn Saving," *Outlook Business*,7/2/2024, accessed on 20/9/2024, at: https://acr.ps/1L9GP1o

44 Sushant Singh, "Strategic Partners in Security: India and Qatar," in: Pasha, p. 229.

الشكل (5)

النسبة المئوية لحصّة النفط والغاز في واردات الهند من قطر (2013-2014 إلى 2023-2024)

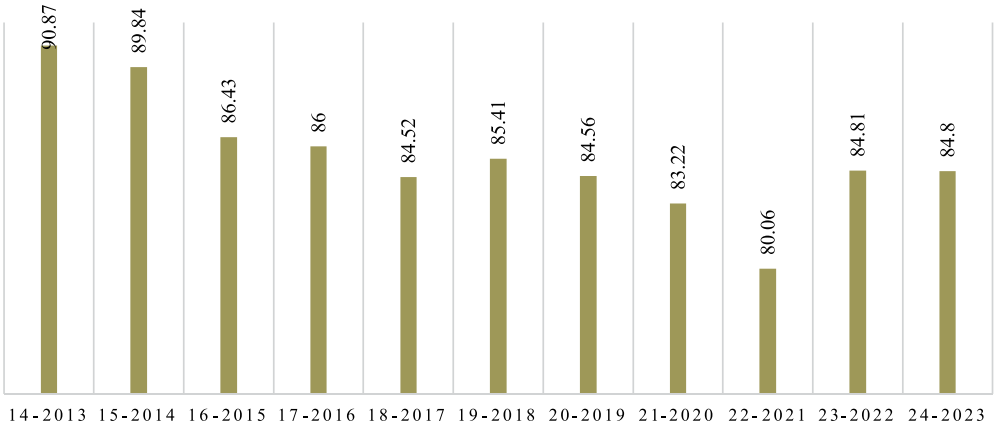

المصدر: Ibid.

الجدول (4)

صادرات قطر إلى الهند من النفط الخام (2014-2024)

الرقم	السنة المالية	2013-2014	2014-2015	2015-2016	2016-2017	2017-2018	2018-2019	2019-2020	2020-2021	2021-2022	2022-2023	2023-2024
1	القيم بمليون دولار	4315.40	2301.40	1480.28	1654.04	1264.98	1215.74	1365.52	955.73	981.44	1874.62	1117.82
2	النسبة المئوية للنمو	35.29-	46.67-	35.68-	11.74	23.52-	3.89-	12.32	30.01-	3.01	91.01	40.37-
3	إجمالي واردات الهند من النفط الخام	143638.53	116442.85	65922.98	70705.39	87372.26	114042.11	102748.76	59477.65	122449.32	162205.16	139287.81
4	النسبة المئوية من حصّة قطر (1 من 3)	3.00	1.98	2.24	2.32	1.44	1.06	1.32	1.60	0.80	1.15	0.80
5	إجمالي واردات الهند من قطر	15,707.99	14,604.71	9,022.16	7,646.22	8,409.02	10,721.70	9,685.98	7,930.15	13,193.70	16,808.10	12,342.51
6	النسبة المئوية من حصّة السلعة (1 من 5)	27.49	15.75	16.40	21.63	15.04	11.33	14.09	12.05	7.43	11.75	9.05

المصدر: Ibid.

الجدول (5)

الحصّة التراكمية للطاقة (النفط والغاز) في واردات الهند من قطر (2014-2024) (مليون دولار أميركي)

الرقم	السنة المالية	2013-2014	2014-2015	2015-2016	2016-2017	2017-2018	2018-2019	2019-2020	2020-2021	2021-2022	2022-2023	2023-2024
1	واردات النفط والغاز	14274.22	13121.70	7798.26	6576.44	7108.13	9157.12	8191.32	6599.68	10563.63	14256.21	10466.84
2	إجمالي الواردات	15,707.99	14,604.71	9,022.16	7,646.22	8,409.02	10,721.70	9,685.98	7,930.15	13,193.70	16,808.10	12,342.51
3	النسبة المئوية للحصّة	90.87	89.84	86.43	86.00	84.52	85.41	84.56	83.22	80.06	84.81	84.80

المصدر: Ibid.

بذلت الهند جهودها في توسيع اقتصادها إلى 5 تريليونات دولار في السنوات الأخيرة؛ ما أدّى إلى تزايد الطلب على مصادر إضافية للطاقة. وفي ظل ذلك، لجأت الهند إلى تبني عقيدة "أمن الطاقة"، لبناء خطوط إمداد مُستدامة للطاقة من الدول المُصدّرة المستقرّة سياسيًا واجتماعيًا، والمحصّنة إلى حدّ بعيد من الاضطرابات، في حين أثبتت قطر أنها مورّد موثوق. ومن أمثلة ذلك التزام الهند الصريح بزيادة حصّة الغاز في سلّة الطاقة الخاصة بها، التي تزيد على 6 في المئة إلى 15 في المئة، بحلول عام 2023؛ ما أضفى أهمية كبيرة على إمدادات قطر من الغاز الطبيعي المُسال[45].

تقدّم هذا الأرقام التراكمية من خلال إضافة البيانات من الجدولين (3 و4) لتوفير فكرة شاملة عن حصّة الطاقة في سلة الواردات الهندية القادمة من قطر.

في 6 شباط/ فبراير 2024، جدّدت شركتا بترونت الهندية وقطر للطاقة اتفاقية الغاز الطبيعي المُسال التي أُبرمت في عام 1999؛ ما مدّد التصدير السنوي للغاز الطبيعي المُسال، البالغ 7.5 ملايين طن، 20 عامًا (من 2028 إلى 2048). وكان ذلك بعد أشهر من المفاوضات الثنائية بين الحكومتين. وبعد أسبوع من هذا الاتفاق، أعلنت وزارة الشؤون الخارجية الهندية، في 12 شباط/ فبراير 2024، أن أمير قطر الشيخ تميم أمر بالعفو عن المدانين الثمانية الذين خدموا سابقًا في البحرية الهندية، وتسهيل الإفراج عنهم وترحيلهم إلى الهند. وعلى الرغم من استمرار المفاوضات حول الصفقة، وقرار قطر المتمثل في الإفراج عن المدانين الهنود، فإنّ تقارير هندية أشارت إلى أن المفاوضات جاءت بعد فترة من التعثر بسبب تباينات في المواقف؛ ما تطلّب جهودًا دبلوماسية مكثفة لتقريب وجهات النظر[46]. وعلى هذا النحو، يمكن النظر إلى ذلك بوصفه نتيجة طبيعية لدبلوماسية قطر الجيو-اقتصادية، للاحتفاظ بحصّتها في سوق الغاز العالمي وتوسيعها. ومن وجهة نظر تحليل الاعتماد المتبادل المعقد، يكشف قرار عدم السماح لهذه القضية بأن تتحوّل إلى أزمة كبيرة عن كيفية استفادة الطرفين من هذه القضية في تحقيق مصالح كل منهما؛ إذ عزّزت قطر نفوذها الجيو-اقتصادي وحصلت الهند على موارد الطاقة الحيوية لتوسّعها الاقتصادي.

2. الاستثمارات الثنائية بين البلدين

على الرغم من أن الطاقة ظلّت محور العلاقات القطرية - الهندية، فإن الاستثمارات بين البلدين توسّعت تدريجيًا إلى ما هو أبعد من الهيدروكربونات. وتعود الجهود الثنائية في مجال تبادل الاستثمارات إلى زيارة رئيس الوزراء الهندي مانموهان سينغ لقطر في عام 2008، وهي أوّل زيارة من جانب رئيس وزراء هندي لقطر. ناقش الجانبان حينها استثمارات قطر البالغة 5 مليارات دولار، في قطاعات الطاقة والكهرباء والأسمدة، وغير ذلك من القطاعات الهندية[47]. ومع ذلك، لم يمأسس الجانبان تلك الاستثمارات قبل عام 2016، عبر توقيع مذكّرة تفاهم بين الصندوق الوطني للاستثمار والبنية التحتية الهندي National Investment and Infrastructure Fund, NIIF وجهاز قطر للاستثمار Qatar Investment Authority, QIA، خلال زيارة

45 Saurav Anand, "India Aims to Triple Natural Gas Share to 15% by 2030: Minister," *Mint*, 10/8/2023, accessed on 17/1/2025, at: https://acr.ps/1L9GPSG.

46 Pranay Dutta Roy, ""Told to Pack Up, Had No Idea': Behind Indian Navy Veterans' Release from Qatar," *The Quint*, 12/2/2024, accessed on 17/1/2025, at: https://acr.ps/1L9GPtO.

47 Avtar Singh Bhasin, *India's Foreign Relations-2008 Documents*, p. XLI.

مودي لقطر. كان الهدف من الزيارة وضع "إطار عمل من شأنه تسهيل مشاركة مستثمري المؤسسات القطرية في مشاريع البنية التحتية الهندية". وبدا الأمر تدخّلًا ضروريًا؛ لأن كثيرًا من المستثمرين الأجانب، بمن فيهم الخليجيون، سلّطوا الضوء على "بيئة الأعمال الصعبة في الهند، وعدم قدرتهم على توقّع اللوائح القانونية الهندية، بسبب التدخّل البيروقراطي الواسع فيها؛ ما شكّل عائقًا رئيسًا أمام استثمارهم بحرية في البلاد"[48].

وهكذا، تبنّى جهاز قطر للاستثمار، الذي يدير محفظة الحكومة القطرية الاستثمارية، الزيادة الاستراتيجية لاستثماراته في قطاعات البنية التحتية وتجارة التجزئة والتكنولوجيا في الهند. وقد كان ثمة توجّه نحو الاستثمار الكبير في "مجال البنية التحتية الهندية، يشمل الطرق العادية والطرق السريعة والممرّات الاقتصادية والمطارات والموانئ والسياحة والفنادق، فضلًا عن المشاريع المتعلّقة بالغاز والأسمدة"[49].

كان الاستثمار الرئيس الأول، الذي أنجزه جهاز قطر للاستثمار في الهند، شراء حصّة 25.1 في المئة في شركة أداني للكهرباء مومباي المحدودة Adani Electricity Mumbai Limited, AEML، باستثمار قيمته 450 مليون دولار في عام 2019؛ ما أتاح له دخول قطاع توزيع الطاقة المتنامي في البلاد[50]. ومن بين الاستثمارات الرئيسة الأخرى المهمة الصفقةُ التي أبرمها جهاز قطر للاستثمار بقيمة 1.5 مليار دولار مع شركة بودي تري Bodhi Tree في عام 2022، وهي الصفقة الأكبر حتى الوقت الراهن في الهند، مع تطلّعها إلى دخول قطاع "الإعلام والتكنولوجيا الاستهلاكية" المتنامي باستمرار في البلاد[51]. وأعقبت ذلك صفقةٌ بقيمة 994.39 مليون دولار مع شركة ريلاينس ريتيل فينتشرز المحدودة Reliance Retail Ventures Limited, RRVL، وهي إحدى أكبر شركات تجارة التجزئة في البلاد. وقد منحت هذه الصفقة جهاز قطر للاستثمار حصّة ضئيلة نسبتها 0.99 في المئة في أسهم شركة ريلاينس التي تمتلك شبكة واسعة تضم أكثر من 18500 متجر ومنصة للتجارة الرقمية في جميع القطاعات، بما في ذلك محلات البقالة والإلكترونيات الاستهلاكية والأزياء ونمط الحياة والمستحضرات الصيدلانية[52]. فضلًا عن ذلك، أبرم جهاز قطر للاستثمار اتفاقية شراكة مع شركة بايجوس Byju's الهندية لتكنولوجيا التعليم، بهدف "إنشاء شركة جديدة لتكنولوجيا التعليم، ومركز بحث وتطوير متقدّم في الدوحة، بغية إيجاد حلول تعليمية مخصّصة ومتطوّرة للطلاب العرب"[53]. وما يثير الاهتمام أن فريق العمل المشترك في مجال الاستثمار، الذي أُنشِئ في عام 2024 في إطار اتفاقية عام 2016، عقد اجتماعه الافتتاحي بنيودلهي، في 6 حزيران/ يونيو 2024، مشدّدًا على الإفادة من علاقات البلدين في دعم "النمو المتسارع وفرص الاستثمار والتعاون المشترك"، عبر التركيز على تطوير البنية التحتية وشراكات الطاقة والابتكارات التكنولوجية والتنويع الاقتصادي[54].

وهكذا، تمكّن جهاز قطر للاستثمار من زيادة محفظته الاستثمارية في الهند، عبر الاستثمارات المباشرة والمشاركة في حملات جمع التبرعات العامة للشركات الهندية، بينما توغّل عدد من الشركات الهندية في السوق القطرية تدريجيًا. فعلى منوال استثمارات جهاز قطر للاستثمار التي شملت عددًا من القطاعات الهندية، انخرطت الشركات الهندية أيضًا في عدد من القطاعات الاقتصادية القطرية، بما في ذلك الغاز الطبيعي المسال والصناعات الكيميماوية، فضلًا عن الإنشاءات والبنية التحتية وتكنولوجيا المعلومات.

ويتّضح مدى مشاركة الشركات الهندية في مجال البنية التحتية القطرية، من خلال المشروع المشترك بين شركة لارسن أند توبرو Larsen & Toubro وشركة "البلاغ للتجارة والمقاولات" في الدوحة، لبناء ملعب أحمد بن علي في مدينة الريان، وهو ملعب رياضي مكشوف يتّسع لـ 40 ألف مقعد مكيّف. وقد استضاف الملعب المذكور سبع مباريات في بطولة كأس العالم لكرة القدم في عام 2022. وشيّدت الشركة نفسها في عام 2016 مشروع طريق الوكرة السريع، وهو جزء لا يتجزّأ من طريق الدوحة السريع، فضلًا عن أنها قادت تحالفًا من عدد من الشركات الهندية مع شركة الجابر الهندسية، لتصميم الخطّ الذهبي وبنائه (بين راس أبو عبود والعزيزية) بتكلفة تبلغ 3.3 مليارات دولار، في إطار مشروع مترو الدوحة. وتشير

48 "An India Economic Strategy To 2035," accessed on 25/8/2024, at: https://acr.ps/1L9GPgX.

49 Embassy of the State of Qatar in New Delhi, "Qatar-India Relations," accessed 25/8/2024, at: https://acr.ps/1L9GPGD

50 "Qatar Investment Authority to Invest INR 3,200 Crore in Adani Electricity Mumbai Limited," *PR Newswire*, 11/12/2019, accessed on 17/1/2025, at: https://acr.ps/1L9GPkD

51 "Lupa Systems and Uday Shankar Enter into a Strategic Partnership to form 'Bodhi Tree', an Investment Platform that Will be Financially Supported by the Qatar Investment Authority," *PR Newswire*, 9/2/2022, accessed on 17/1/2025, at: https://acr.ps/1L9GPDH

52 "Qatar Investment Authority to Invest Approx $1bln in India's Largest Retailer, Reliance Retail," *Qatar Day*, 24/8/2023, accessed on 25/8/2024, at: https://acr.ps/1L9GPXT

53 "QIA, BYJU'S Announce MENA Focused Edtech Subsidiary in Doha," *The Peninsula Qatar*, 28/3/2022, accessed on 25/8/2024, at: https://acr.ps/1L9GP59

54 "India, Qatar set the Stage for Enhanced Investment Cooperation and Mutual Economic Growth," *India News Network*, 7/6/2024, accessed on 17/1/2025, at: https://acr.ps/1L9GPPC

هذه الاستثمارات إلى الإدراك المشترك لأهمية تنويع التعاملات الاقتصادية بما يتجاوز قطاعات الطاقة؛ إذ باتت قطر تدرك أن الهند تتمتّع بمشهد اقتصادي ينمو باستمرار، فباتت عازمة على الإفادة من إمكاناتها السوقية الهائلة. ويعني هذا أنّ الدولتين تعملان على تحسين مواردهما في توسيع نطاق تعاونهما، من أجل المصلحة الأكبر للتنمية الاقتصادية، مع الحفاظ على نفوذهما الجيوسياسي عبر هذا الاعتماد الاقتصادي المتبادل.

رابعًا: تحديات تعزيز التعاون الدفاعي

حرصت الهند على تنويع علاقاتها بدول الخليج، وتوسيع نطاقها من العلاقات الاقتصادية والطاقة إلى مجال الدفاع والتعاون الاستراتيجي، وهذا مثّل تطوّرًا حديثًا نسبيًا. وقد جاء هذا التحوّل في أعقاب التغيّر الذي طرأ على المشهد الجيو-اقتصادي مع بداية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، والذي اتّسم باستمرار صعود الصين والهند بوصفهما قوّتين اقتصاديتين آسيويتين. وقد أدّت إعادة توجيه تجارة الطاقة العالمية الناتجة من ذلك نحو آسيا إلى زيادة الرهانات الاستراتيجية للهند والصين إلى حدّ بعيد، ضمن الحسابات الجيوستراتيجية الخليجية في إطار البنية الأمنية الآسيوية الشاملة. وعلى الرغم من أن الحاجة إلى تنويع الأسواق كانت الدافع الأساس لهذا التوجّه الآسيوي إلى تجارة الطاقة الخليجية، فإنه لا يمكن إغفال البعد الجيوسياسي لهذا التوجّه. وترتبط العلاقات في مجال الطاقة ارتباطًا وثيقًا بالمخاوف الجيوسياسية، ولا سيما في منطقة تتّسم بالحساسية الاستراتيجية مثل منطقة الخليج.

وهكذا، ينبغي تحليل جهود الهند في مجال تنويع ارتباطاتها لتتخطّى العلاقات الاقتصادية التي تهيمن عليها الطاقة إلى التعاون الدفاعي والاستراتيجي مع دول الخليج، خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، في إطار استراتيجيتها الشاملة لتأمين مصالحها الوطنية، وخصوصًا أن دول الخليج تستضيف جاليات كبيرة من المغتربين الهنود، بلغ تعدادها نحو 9 ملايين نسمة في عام 2024. وتشمل هذه المصالح ضمان الهند أمن الخطوط الناقلة للطاقة، والحفاظ على الاستقرار الإقليمي، وحماية جاليتها في المهجر. وفي سياق ذلك، يبدو التعاون الهندي - الخليجي المتنامي في المجال الدفاعي منسجمًا مع أهداف الهند الاستراتيجية الطويلة الأمد، المتمثّلة في تعميق علاقاتها بالمنطقة لتعزيز الأمن الاقتصادي والنفوذ الجيوسياسي.

فضلًا عن ذلك، شهدت سياسة الهند الخارجية تطوّرًا كبيرًا، في السياق الشامل لنظام عالمي يتنامى فيه التشابك والاعتماد المتبادل. ووفقًا لوزير الخارجية الهندي الأسبق، شيفشانكار مينون Shivshankar Menon (2006-2009)، تميّزت عملية إعادة التقويم بمنعطف استراتيجي نحو ثلاثة أهداف أساسية: "أولًا: ضمان محيط سلمي؛ ثانيًا: العلاقات بالقوى الكبرى؛ ثالثًا: قضايا المستقبل، أي الأمن الغذائي والمياه والطاقة والبيئة"[55]. ومن هنا، فإن عملية إعادة التوجيه وضعت التعاون الدفاعي مع الدول الحليفة، والمشاركة البنّاءة مع دول الجوار، وإرساء العلاقات المعزّزة بالقوى العالمية، في صميم الأجندة الاستراتيجية للهند[56].

أما منظور قطر، فيقوم على تنويع شراكاتها الدولية من أجل السعي إلى تعزيز سياستها الخارجية المستقلّة. وقد بات هذا التنويع ضروريًا من أجل تأمين موقفها الدفاعي واستقرارها الاقتصادي على حدّ سواء؛ ما سمح لها بالمناورة على نحو فعال في إطار ديناميات القوى الإقليمية المعقّدة والمتغيّرة. وهكذا، شكّلت المواءَمة التكاملية بين هذه الأولويات الاستراتيجية المركبة مقدّمة لجهود الهند وقطر في تنويع علاقاتهما، بما في ذلك التعاون الدفاعي والأمني.

وبناءً على ذلك، ينبغي تحليل الجهود، التي بذلتها قطر والهند، لتكريس تعاون دفاعي عملي في إطار هذا السياق الجيوسياسي الشامل. فبعد مفاوضات أولية في عام 2005، أضفى البلدان طابعًا رسميًا على علاقاتهما الدفاعية، بتوقيع اتفاقية التعاون الدفاعي خلال زيارة رئيس الوزراء الهندي مانموهان سينغ الأولى لقطر، في 9 و10 تشرين الثاني/ نوفمبر 2008. وكانت هذه الاتفاقية هي أوّل اتفاقية أبرمتها الهند مع دولة عربية. وقد كانت التعاملات الدفاعية بين الهند وقطر مقتصرة من قبلُ على المشاركة في المعارض الدفاعية المتبادَلة، مثل معرض ديمدكس DIMDEX[57] الذي تنظّمه قطر، ومعرض ديف إكسبو DefExpo[58] الذي تنظّمه الهند. وهكذا، افتتحت هذه الاتفاقية مجالًا جديدًا في العلاقات الثنائية بين البلدين؛ إذ دمجت مخاوف البلدين الأمنية، وسلّمت بأهمية الموارد الطبيعية القطرية الاستراتيجية لأمن الطاقة الهندية، واعترفت صراحة بضرورة تعاون

55 Government of India, Ministry of External Affairs, "The Challenges Ahead for India's Foreign Policy," 10/4/2007, accessed on 20/9/2024, at: https://acr.ps/1L9GPXS

56 Arvind Dutta, "Role of India's Defence Cooperation Initiatives in Meeting the Foreign Policy Goals," *Journal of Defence Studies*, vol. 3, no. 3 (July 2009), p. 32.

57 معرض الدوحة الدولي للدفاع البحري (ديمدكس) معرض ومؤتمر مختص في الدفاع البحري، يُعقد كل عامين في الدوحة، وتنظمه القوات المسلحة القطرية، ويمثل منصة بارزة لقطاع الدفاع والأمن البحري؛ ما يُتيح فرصًا لعقد صفقات وشراكات مهمة.

58 معرض ديف إكسبو هو فعاليةٌ تُقام كل عامين في الهند، وتُعرَض فيها أنظمة الأمن البري والبحري والداخلي. بدأ المعرض في عام 1999، ويُبرز حضور الهند المتزايد في مجال الدفاع من خلال التحالفات والمشاريع المشتركة. ويُعزز هذا المعرض إمكانات التصدير لقطاع الدفاع المحلي الهندي. وتُنظّمه منظمة المعارض الدفاعية DEO، وهي شركة تابعة لوزارة الدفاع الهندية تأسست في عام 1981 لتنسيق معارض الفضاء والدفاع في الهند وخارجها.

البلدين في حماية هذه الأصول من التهديدات المُحتَملة. وبينما ركّزت الاتفاقية عامةً على التعاون في التدريب البحري والمناورات العسكرية المشتركة، فإنها أشارت أيضا إلى التعاون المتبادل في مجال حماية البنية التحتية للطاقة القطرية.[59]

وقد دفع هذا النص كثيرًا من المسؤولين والمحلّلين في الهند إلى التعامل مع هذه الاتفاقية بوصفها علامة فارقة[60]. ثم إن تركيز الاتفاقية على الإنتاج المشترك للأسلحة والمعدّات العسكرية، كان من العناصر المهمّة الأخرى في هذه الاتفاقية، وهو إجراء تعاوني سبق أن نوقش خلال مفاوضات حزيران/ يونيو 2007. وقد ركّز هذا الجانب على تعميق العلاقات الاستراتيجية؛ إذ يتّجه البلدان نحو شراكة دفاعية أكثر تكاملًا، تهدف إلى تعزيز قدراتهما العسكرية[61]، وهي تشمل بعض المجالات الأخرى للتعاون الدفاعي الثنائي، المدرَجة في المادة (4) من هذه الاتفاقية[62]:

1. التعاون العسكري المتبادَل من خلال التدريب والزيارات وتبادل المعلومات والأفراد والتدريبات المشتركة وزيارات السفن.
2. التعاون في المشاريع الثنائية المتعلّقة بالمعدّات الدفاعية ومكوّناتها والمساعدة التقنية والتدريب والإنتاج المشترك.
3. التعاون في مجال العلوم الدفاعية وتكنولوجيتها، من خلال تبادل المعلومات والتدريب والزيارات وتبادل الأفراد والمشاريع المشتركة.
4. تبادل المعلومات المفيدة لكلا الطرفين أو لأحدهما.
5. الانخراط في مجالات التعاون الدفاعي الأخرى التي يتّفق عليها الطرفان.

في الهند، نُظِر بوجه خاص إلى البند المتعلّق بزيارات السفن، في اتفاقية التعاون الدفاعي عام 2008، بوصفه أداةً لتعزيز الوجود البحري الهندي الحاسم في مياه الخليج. ولم يكن هذا الوصول مقتصرًا على تحصين المصالح الاقتصادية الهندية، عبر حماية الممرّات البحرية الحيوية، بل إنه أنشأ أيضًا منصّة لتعزيز قوّتها الجيوسياسية في المنطقة[63].

واستكمالًا للتعاون الدفاعي والأمني بين الهند وقطر، وقّع البلَدان اتفاقية أخرى حول "التعاون في قضايا الأمن وإنفاذ القانون" في 9 تشرين الثاني/ نوفمبر 2008، بهدف مكافحة كل أنواع الأنشطة الإجرامية، من خلال مأسسة جهود التنسيق الأمني عبر بناء إطار تعاوني. واستهدفت الاتفاقية إقامة إطار تعاوني في القضايا المتعلّقة بالإرهاب والجريمة المنظّمة وتهريب الأسلحة والجرائم الاقتصادية، وسواها من أشكال النشاط الإجرامي العابر للحدود[64]. وعلى المستوى النظري، مثّل ذلك تقدّمًا كبيرًا عبر السعي إلى توسيع نطاق التعاون الأمني الثنائي بين الهند ودول الخليج[65].

وعلى الرغم من إنشاء اللجنة المشتركة للتعاون الدفاعي في عام 2010 للإشراف على تنفيذ المبادرات الدفاعية والأمنية والنهوض بها، فقد ظلّ التقدّم بطيئًا. وعقدت اللجنة المشتركة للتعاون الدفاعي خمسة اجتماعات، بالتناوب ما بين الدوحة ونيودلهي؛ إذ عُقِد الاجتماع الافتتاحي في عام 2010 (الدوحة)، تلته اجتماعات في الأعوام 2011 (نيودلهي) و2013 (الدوحة) و2015 (نيودلهي)، وكان آخرها في عام 2019 (الدوحة). ومع ذلك، وُقّعت مذكّرات تفاهم مهمة، مثل مذكّرة التفاهم بين وحدة الاستخبارات المالية الهندية ووحدة المعلومات المالية القطرية، بهدف "تبادل المعلومات الاستخبارية الخاصة بغسيل الأموال وتمويل الإرهاب والجرائم ذات الصلة"[66]. وجرى إضفاء الطابع الرسمي على هذه المذكّرة، خلال زيارة مودي الأولى لقطر، في 5 حزيران/ يونيو 2016. ومن بين المبادرات المهمة الأخرى "بروتوكول التعاون التقني في مجال الفضاء الإلكتروني ومكافحة الجرائم الإلكترونية"، الذي وُقّع في أثناء زيارة رئيس الوزراء القطري الشيخ عبد الله بن ناصر آل ثاني للهند، في 3 كانون الأول/ ديسمبر 2016. وكان يتوقّع أن يوسّع هذا البروتوكول نطاق التعاون الأمني، في الإطار الأشمل لاتفاقية التعاون الدفاعي المبرمة عام 2008، ويعالج التهديدات الناشئة في الفضاء الإلكتروني والجرائم الإلكترونية[67].

59 Nagapushpa Devendra, "India-Qatar Defence Cooperation: The Road Ahead," *Diplomacy and Beyond*, 23/3/2021, accessed on 25/8/2024, at: https://acr.ps/1L9GPkZ

60 Ibid., p. 32.

61 Zakir Hussain, "Indian PM's Visit to Oman and Qatar," *IDSA Comment*, 2/12/2008, accessed 25/8/2024, at: https://acr.ps/1L9GQ3t

62 Avtar Singh Bhasin, *India's Foreign Relations-2008 Documents*, pp. 1830-1831.

63 Ibid., p. 61.

64 Ibid., pp. 62, 1834.

65 Ibid., pp. 1837-1838.

66 Government of India, Ministry of External Affairs, "List of Agreements Exchanged During the Visit of Prime Minister of Qatar to India," 3/12/2016, accessed on 25/8/2024, at: https://acr.ps/1L9GPId

67 Ibid.

وبصرف النظر عن الأهمية الرمزية لهذه الاتفاقيات، فإنّ التقدّم الملموس في التعاون العسكري ظل بطيئًا. ولم تنخرط الهند وقطر في التمرين البحري الثنائي الأول، "زئير البحر" Roar of the Sea، إلا بعد عقد من الزمن، حين نفذت القوات البحرية الأميرية القطرية والبحرية الهندية مناورة بحرية في الفترة 17-22 تشرين الثاني/ نوفمبر 2019[68]. وربما يتجلّى البطء في تعزيز التعاون الدفاعي والاستراتيجي في عدم تجديد اتفاقية التعاون الدفاعي الأساسية المبرمة في عام 2008، بعد أن انتهى أجلها في عام 2023. وهذا بخلاف التجديد الاستباقي السابق للاتفاقية في عامَي 2013 و2018؛ إذ جرى التجديد قبل انتهاء فترة كل منهما. ولم يوقف ذلك استمرار التمرينات العسكرية المشتركة بين قطر والهند؛ إذ أعلنت وزارة الدفاع القطرية، في 16 تموز/ يوليو 2021 اختتام فعاليات التمرين البحري الثنائي، "زئير البحر 2"، بالمشاركة مع القوات البحرية الهندية في قطر[69].

أما فيما يتعلق بالروابط الثقافية والجالية الهندية في قطر، فقد يمثّل الهنود اليوم الجالية القومية الأكبر في قطر، وتسهم هذه الجالية في الفسيفساء الثقافية المتنوّعة، وتدعم العلاقات الثنائية بين البلدين. ويُقدّر عدد الهنود في قطر بأكثر من 800 ألف نسمة، وهم يمثّلون أكثر من ربع سكانها الذين بلغ عددهم نحو 3 ملايين نسمة في عام 2024. وقد أسفرت جائحة فيروس كورونا عن انخفاض مؤقّت في عددهم إلى النصف تقريبًا بين عامَي 2020 و2021، بيد أنها عادت إلى مستويات ما قبل الجائحة مع تخفيف القيود المفروضة على السفر. واكتسب دور الجالية الهندية في الخارج أهميته الشديدة في ضوء المبالغ الكبيرة الآتية من التحويلات المالية التي تسهم في التنمية الاقتصادية الهندية. وقد كشف تقرير البنك الدولي حول الهجرة والتنمية في عام 2023، أن الهند كانت المستفيد الأكبر من تحويلات الأموال القطرية؛ إذ تلقّت 4.432 مليارات دولار من إجمالي التحويلات القطرية البالغة 12.12 مليار دولار. وحصلت الهند على أكثر من 111 مليار دولار في عام 2022، وهو الرقم الأعلى في العالم؛ إذ بلغت التدفّقات النقدية الواردة من قطر نحو 4 في المئة من إجمالي التحويلات المالية[70].

أما الجانب الثقافي، فقد مثّلته اتفاقية التعاون الثقافي في عام 1980، وهي من بين أولى الاتفاقيات الثنائية بين البلدين، وقد جاءت بعد نحو ثماني سنوات من إقامة العلاقات الدبلوماسية في عام 1973. وهذه الاتفاقية وفّرت إطارًا تأسيسيًا قبل توقيع اتفاقية جديدة في أثناء زيارة الشيخ حمد للهند في عام 2012. وقد تضمّنت الاتفاقية بناء العلاقات الثنائية "على الصداقة وتعزيز" التعاون الثقافي، مع التركيز على دورها الجوهري في تعميق الفهم المتبادل للثقافة والمجتمعات[71]. فضلًا عن ذلك، ركّز البيان المشترك الصادر خلال زيارة مودي، في عام 2016، على مركزية التواصل بين الشعوب في تعزيز العلاقات الثنائية، وقرّر توسيع نطاق التعاون الثقافي ليشمل الرياضة والسينما[72]. وتجدر الإشارة إلى أن متاحف قطر احتفلت بعام 2019 بوصفه عامًا للثقافة بين قطر والهند، اعترافًا بدور الثقافة في تعزيز التفاهم المتبادل بين البلدين[73]. وانخرط البلدان باستمرار في المهرجانات الثقافية والمعارض الفنية؛ إذ تشارك الفرق الفنية الهندية بانتظام في الفعاليات الكبرى التي تنظّمها قطر. ومن هنا، تشكّل هذه الأنشطة الثقافية أدوات دبلوماسية لترسيخ المشاركة وتعميقها، والعمل على نحو أساسي على تسهيل سعي البلدين إلى إقامة أسس الشراكة الاستراتيجية التي تهدف إلى تأمين مصالحهما الوطنية، وأمن الطاقة الهندية والحصّة القطرية في سوق الطاقة.

وتؤدّي السياحة دورًا محوريًا في تسهيل التفاهم الثقافي بين الشعوب على نحو يتجاوز الحدود الوطنية وسواها من حدود التمايز. وثمة ندرة في البيانات السنوية الخاصة بحجم التبادل السياحي بين البلدين. وقد شهدت الفترة 2001-2016، وهي الفترة التي تتوافر بياناتها، عددًا قليلًا من السائحين القطريين في الهند، مع أنها أظهرت اتجاهًا تصاعديًا (ينظر الجدول 6). وقد كان عدد القطريين الذين زاروا الهند عام 2001 قليلًا؛ إذ بلغ 1361 سائحًا، بينما أظهر عام 2016، وهو آخر عام توافرت بياناته لنا، أن 7486 قطريًا سافروا إلى الهند لأغراض السياحة؛ ما يدل على معدل نمو سنوي تراكمي بلغ 11.24 في المئة في هذه الفترة. وقد شكّل عدد السائحين القطريين ما نسبته 0.08 في المئة من إجمالي عدد السائحين الأجانب الوافدين إلى الهند البالغ عددهم 8.8 ملايين سائح أجنبي عام 2016، لكن هذه النسبة تبدو جيدة جدًا من منظور قطر؛ لأنها تعني 2 في المئة من مواطنيها.

68 Government of India, Ministry of Defence, *Annual Report 2019-2020*, p. 49, accessed on 25/8/2024, at: https://acr.ps/1L9GPfq

69 "تدريبات ومباحثات.. تعاون عسكري متنامٍ بين قطر والهند"، **الخليج أونلاين**، 2021/8/17، شوهد في 2025/1/17، في: https://acr.ps/1L9GQ2u

70 World Bank, "Remittances Remain Resilient but Are Slowing," *Migration and Development Brief 38* (June 2023), accessed on 10/9/2024, at: https://acr.ps/1L9GQ2q

71 Government of India, Ministry of Culture, "Agreement between the Government of Republic of India and the Government of the State of Qatar in the Field of Cultural Cooperation," 9/4/2012, accessed on 25/8/2024, at: https://acr.ps/1L9GPVH

72 "India-Qatar Joint Statement During the PM's Visit to Qatar," *PM India*, 5/6/2016, accessed on 25/8/2024, at: https://acr.ps/1L9GPgO

73 "Qatar Museums Wraps up Qatar-India Year of Culture 2019," *The Peninsula*, 2/1/2020, accessed on 25/8/2024, at: https://acr.ps/1L9GPM3

الجدول (6)
عدد السائحين القطريين الوافدين إلى الهند سنويًّا (2001-2016)

العام	2016	2015	2014	2013	2012	2011	2010	2009	2008	2007	2006	2005	2004	2003	2002	2001
السائحون القادمون من قطر	7486	6313	6291	4966	4132	3266	2735	2765	2934	2606	2392	2176	1788	1434	1215	1361

المصدر: من إعداد الباحث استنادًا إلى:

Government of India, Ministry of Statistics and Programme Implementation, *Statistical Year Book India*, accessed on 17/1/2025, at: https://acr.ps/1L9GP6S

الجدول (7)
عدد السائحين الهنود الوافدين إلى قطر سنويًّا (2019-2022)

العام	عدد السائحين الهنود	النسبة المئوية لحصّة السياح الهنود من إجمالي الوافدين إلى قطر
الربع الأول 2024	105,911	7
2023	419,722	10
2022	272,987	11
2021	166,000	27
2020	92,435	13
2019	385,148	18

المصدر: من إعداد الباحث استنادًا إلى:

"Qatar Tourism Reports," *Visit Qatar* (2025), accessed on 17/1/2025, at: https://acr.ps/1L9GPR8

في المقابل، ما زالت البيانات المتوافرة عن السائحين الهنود الذين زاروا قطر محدودة؛ إذ أُتيحت لنا على نحو أوّلي إحصاءات شاملة بين عامَي 2019 و2023 (ينظر الجدول 7)، مُستمدّة من مصادر هندية وقطرية. وتجدر الإشارة إلى أن الهند شغلت باستمرار المراتب الأولى بين أكبر مصادر السائحين الوافدين إلى قطر، فضلًا عن السعودية. ففي أثناء الحصار على قطر (2017-2021)، شكّل السائحون الهنود الشريحة الأكبر من زوّار قطر. لكن السعودية عادت إلى المركز الأول بوصفها المصدر الرئيس للسائحين الوافدين إلى قطر، بعد "طيّ صفحة الخلاف" في عام 2021، لتتراجع الهند إلى المرتبة الثانية. ويلقي هذا التحوّل الضوء على الديناميات الجيوسياسية التي تؤثّر في تدفّقات السياحة الإقليمية. ومع ذلك، تدلّ مكانة الهند المستمرة، بوصفها المصدر الرئيس للسائحين، على جاذبية قطر المتنامية في كونها وجهة مفضّلة للسائحين الهنود.

في إطار التحليل القائم على الاعتماد المتبادل المعقد، يوفّر اعتماد الهند على الغاز الطبيعي القطري، وهو أمر حيوي في مجال تنويع مصادر الطاقة والنمو الاقتصادي، حافزًا قويًا للحفاظ على علاقات ودّية بقطر. وقد دفع ذلك الهند إلى رسم سياستها الخارجية تجاه قطر من مقاربة براغماتية، مع السعي إلى إدارة صعود الإسلاموفوبيا في الهند الذي يمكن أن يهدّد شريان حياتها في مجال الطاقة، فضلًا عن أمن جالياتها الكبيرة في المهجر. وأظهرت قطر، مثلها مثل بقية الدول العربية والإسلامية، حساسية تجاه الخطاب المعادي للإسلام في الهند. لذا، فإن أي عداء مُتصوّر تجاه المسلمين في الهند قد يلقي بظلاله على العلاقات الهندية - القطرية، والعلاقات الهندية مع بقية الدول العربية والإسلامية.

خاتمة

يتّضح من التحليل والأدلّة الواردة في هذه الدراسة أن الهند وقطر عملتا على تعزيز علاقاتهما الثنائية طوال العقود الخمسة الماضية.

وبخلاف المنظور الواقعي القائم على الهيمنة العسكرية والأمنية، اكتسبت العلاقات الهندية - القطرية طابعًا متناميًا من الاعتماد المتبادل؛ إذ تحوّلت من الاقتصار على التعاون الاقتصادي إلى تعاون استراتيجي سهّله تحسن العلاقات السياسية. وقد أكّد هذه الدينامية تبادلٌ منتظمٌ لزيارات رسمية رفيعة المستوى منذ عام 1999 واتفاقيات لاحقة. وفضلًا عن ذلك، عملت التبادلات الثقافية والشعبية، كما هي الحال مع الجالية الهندية الكبيرة في قطر، على تعميق الروابط الثنائية؛ ما أبرز طبيعة علاقتهما ذات الأبعاد المتعدّدة. وهكذا، حقّقت الهند إنجازًا ملحوظًا في إعادة تكييف سياستها الخليجية، والتعامل مع دولٍ مثل قطر من دون ربط تعاملها بعوامل خارجية؛ وهذا عزّز مكانتها السياسية في المنطقة. وقد وُثّقت هذه المساعي من خلال جهود متزامنة بذلتها قطر لاستغلال سوق الطاقة المتنوّعة، وفي توسيع صادرات الغاز الطبيعي المُسال، بالتزامن مع تعزيز مكانتها الإقليمية والدولية.

ونجح البلدان في التنقّل عبر المشهد السياسي الداخلي والتحوّلات العالمية بطرائق تتوافق مع نظرية الاعتماد المتبادل المعقّد. وقد تجلّى ذلك في الإجراءات التي اتخذتها الدولتان في خفض التصعيد مراعاةً للمصالح الاقتصادية، في أعقاب قضية التجسّس التي تورّط فيها مسؤولون سابقون هنود في عام 2023. ويوضّح ذلك الكيفية التي يمكن أن تشكّل بموجبها القضايا الداخلية مصادر محتملة للاضطراب، على غرار حالة صعود الإسلاموفوبيا في الهند. إن ردّ قطر (مثل حال العديد من الدول العربية والإسلامية) الدبلوماسي على صعود الإسلاموفوبيا الداخلية في الهند (مثل الجدل حول تصريحات نوبور شارما في عام 2022)، من شأنه أن يلقي الضوء على تعقد العلاقات الاقتصادية والاستراتيجية المستقرّة، بسبب السياسات الداخلية والحساسيات السياسية. ومع ذلك، أظهرت استجابة الجانبين لهذه المنغّصات الداخلية أن الاعتماد الاقتصادي المتبادَل في هذه العلاقة يمكن أن يتغلّب على تلك القضايا.

وبهذا، تميّزت العلاقات الهندية - القطرية، من منظور نظرية الاعتماد المتبادَل، بتعدّد قنوات التفاعل والاعتماد الاقتصادي المتبادَل والحساسية تجاه التحوّلات الداخلية والعالمية؛ إذ اكتسب الاعتماد المتبادَل أهمية محورية في تأمين مصالح البلدين. وفي الوقت نفسه، تلوح في الأفق فرص غير مُستغلّة من شأنها أن تزيد الاستثمارات القطرية في الهند وترفع مستوى الانخراط الهندي في قطر، وخصوصًا في قطاعات السياحة والطاقة المتجدّدة والأمن الغذائي. وبينما تجاوزت المحفظة الاستثمارية القطرية في الهند مجال الطاقة إلى قطاعات أخرى مثل البيع بالتجزئة والبنية التحتية والتكنولوجيا، فإنه يتعيّن على الهند الاستجابة لذلك بالمثل عبر تعزيز حضورها في قطر، ولا سيما أن الأخيرة تُقدّم نفسها بوصفها مركزًا إقليميًا للاقتصاد والأعمال.

المراجع

العربية

الخترش، فتوح عبد المحسن وعبد العزيز المنصور. **مصادر تاريخ قطر: 1868-1916**. ط 2. الكويت: دار ذات السلاسل، 1984.

قبلان، مروان. **سياسة قطر الخارجية: الاستراتيجيا في مواجهة الجغرافيا**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021.

الأجنبية

Abbas, Khurram. "India, the Arab Gulf Countries and the Pakistan Factor." *Insights*. no. 306. Middle East Institute. 28/11/2023. at: https://acr.ps/1L9GP3b

Bhasin, Avtar Singh. *India's Foreign Relations–2008 Documents*. New Delhi: Geetika Press, 2008.

Bhasin, Avtar Singh. *India's Foreign Relations–2009 Documents*. New Delhi: Geetika Publishers, 2009.

_____. *India's Foreign Relations–2008 Documents*. Government of India. Ministry of External Affairs. New Delhi: 2009.

Dutta, Arvind. "Role of India's Defence Cooperation Initiatives in Meeting the Foreign Policy Goals." *Journal of Defence Studies*. vol. 3, no. 3 (July 2009).

Fohmertz, Allen. *Qatar Modern History*. Washington, DC: Georgetown University Press, 2012.

Government of India. Ministry of External Affairs. *Annual Report 1999–2000*. New Delhi: 2000. at: https://acr.ps/1L9GPF2.

_____. *Annual Yearbook 2008–2009*. New Delhi: 2009.

Keohane, Robert & Joseph Nye Jr. *Power & Interdependence*. 4th ed. Boston: Longman, 2011.

Malla, Mohmad Waseem. "Media-Foreign Policy Discourse: Analysing Coverage of Saudi Arabia-Iran Rivalry by Al Jazeera English, 2006–2018."

PhD Thesis. Jawaharlal Nehru University, New Delhi.

Ministry of Defence, Government of India. *Annual Report 2019–2020.* at: https://acr.ps/1L9GPfq

Nayyar, Deepak. "Economic Liberalisation in India: Then and Now." *Economic and Political Weekly.* vol. 52, no. 2 (2017).

Pasha, A. K. (ed.). *India and GCC Countries: Historical, Political and Strategic Perspectives.* New Delhi: Wisdom Publications, 2014.

US Energy Information Administration. "Country Analysis Brief: Qatar." 28/3/2023. at: https://acr.ps/1L9GPGZ

World Bank. "Remittances Remain Resilient but Are Slowing." *Migration and Development Brief 38.* June 2023. at: https://acr.ps/1L9GQ2q

Zahlan, Rosemarie Said. *The Creation of Qatar.* London: Croom Helm; New York Barnes & Noble Books, 1979.

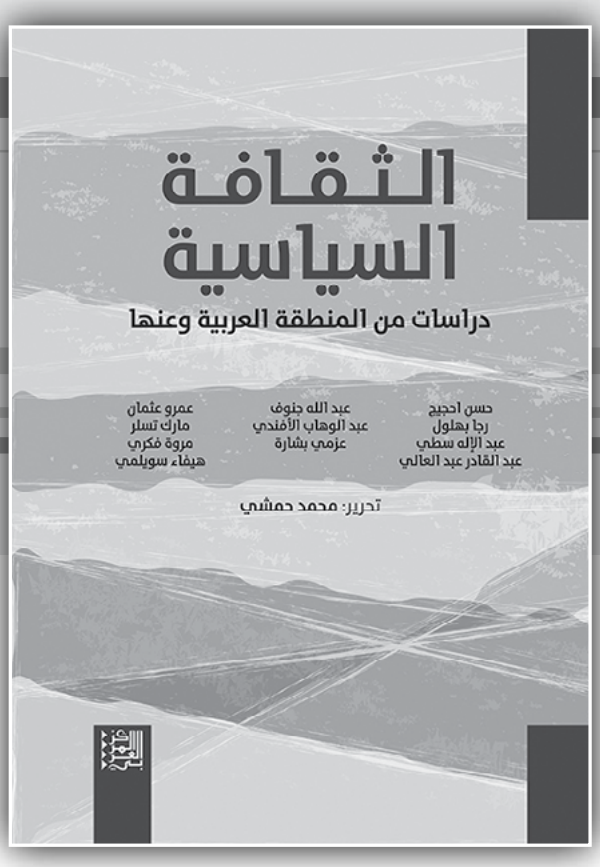

صـدر حديـثًا

تـأليف: مجموعة مؤلفين
تحـريـر: محمد حمشي

الثقافة السياسية: دراسات من المنطقة العربية وعنها

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتاب **الثقافة السياسية: دراسات من المنطقة العربية وعنها**. وهو مؤلف جماعي حرره محمد حمشي، ويضمّ مقدمة وعشرة فصول، ويقع في 423 صفحة، شاملةً ببليوغرافيا وفهرسًا عامًّا.

دراسة مترجمة

Translation

المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/QNKZ2573

أندرياس يونهير | Andreas Jungherr*
ترجمة عبد الكريم أمنكاي | Translated by Abdelkarim Amengay**

الذكاء الاصطناعي والديمقراطية: إطار مفهومي***

Artificial Intelligence and Democracy: A Conceptual Framework

عزّز نجاح الذكاء الاصطناعي وانتشاره الواسع مستوى الوعي بالعواقب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لهذه التكنولوجيا. وتُرافِق كلّ خطوة جديدة، في سيرورة تطويره واستخداماته، تكهّناتٌ فحواها أنّ الوصول إلى ذكاء اصطناعي عامّ، يُضاهي القدرات البشرية أو يتفوق عليها، بات وشيكًا. وهي تكهّنات خيالية إلى حد بعيد، مثلها مثل تلك التي تظهر في الخطاب الحالي بشأن قدرات النماذج اللغوية الكبيرة وآثارها، في أعقاب ظهور "تشات جي بي تي". وتؤدي هذه التوقّعات البعيدة المدى إلى احتدام النقاش بشأن الأثر المجتمعي والسياسي للذكاء الاصطناعي، الذي تهيمن عليه المخاوف والحماس، من دون التركيز على سياقات أو حقول بعينها. وعلى خلاف هذا التوجّه، تقدّم هذه الدراسة إطارًا للتحليل أكثر تركيزًا وإنتاجية. ولمناقشة التأثيرَ المحتملَ للذكاء الاصطناعي في حقل اجتماعي بعينه، هو الديمقراطية، من الضروري توضيح كيفية عمله. ويعني ذلك التمييز بين ما يُروَّج له حاليًّا من مقولات، خيالية في معظمها، عن الذكاء الاصطناعي العام، وبين الذكاء الاصطناعي بمعناه الضيّق؛ أي الذي يركز على حلّ مهمّات محدّدة. ويسمح هذا التمييز بمناقشة نقدية لكيفية تأثير الذكاء الاصطناعي في جوانب مختلفة من الديمقراطية، بما في ذلك آثاره في ظروف الحكم الذاتي وإمكانية ممارسة الأفراد له، والمساواة، والانتخابات بوصفها مؤسسة، والتنافس بين أنظمة الحكم الديمقراطية والسلطوية. وتُبرز الدراسة أنّ عواقب الذكاء الاصطناعي اليوم هي في الحقيقة أكثر دقّة مما يترتب على التكهّن الفضفاض بشأن قدرات الذكاء الاصطناعي العام. إنّ التركيز على هذه الجوانب المحدّدة يسمح برصد المخاطر والفرص الفعلية، ومن ثم ضبط أفضل لأثر الذكاء الاصطناعي في الديمقراطية، في إطار مجهود بينتخصّصي يجمع بين علوم الحاسوب والعلوم الاجتماعية.

كلمات مفتاحية: الذكاء الاصطناعي، الديمقراطية، الحكم الذاتي، المساواة، الانتخابات، السلطوية.

The success and widespread deployment of artificial intelligence (AI) have raised awareness of the technology's economic, social, and political consequences. Each new step in the development and application of AI is accompanied by speculations about a supposedly imminent but largely fictional artificial general intelligence (AGI) with (super-)human capacities, as seen in the unfolding discourse about capabilities and impact of large language models (LLMs) in the wake of ChatGPT. These far-reaching expectations lead to a discussion on the societal and political impact of AI that is largely dominated by unfocused fears and enthusiasms. In contrast, this article provides a framework for a more focused and productive analysis and discussion of AI's likely impact on one specific social field: democracy. First, it is necessary to be clear about the workings of AI. This means differentiating between what is at present a largely imaginary AGI and narrow artificial intelligence focused on solving specific tasks. This distinction allows for a critical discussion of how AI affects different aspects of democracy, including its effects on the conditions of self-rule and people's opportunities to exercise it, equality, the institution of elections, and competition between democratic and autocratic systems of government. This article shows that the consequences of today's AI are more specific for democracy than broad speculation about AGI capabilities implies. Focusing on these specific aspects will account for actual threats and opportunities and thus allow for better monitoring of AI's impact on democracy in an interdisciplinary effort by computer and social scientists.

Keywords: Artificial Intelligence, Democracy, Self-rule, Equality, Elections, Autocracy.

* أستاذ العلوم السياسية، معهد العلوم السياسية، جامعة بامبرغ الألمانية.
Professor of Political Science, Institute for Political Science, University of Bamberg, Germany.
** أستاذ مساعد، برنامج العلوم السياسية والعلاقات الدولية، معهد الدوحة للدراسات العليا.
Assistant Professor, Political Science and International Relations Program, Doha Institute for Graduate Studies.
Email: abdelkarim.amengay@dohainstitute.edu.qa

*** هذا النص ترجمة لـ:
Andreas Jungherr, "Artificial Intelligence and Democracy: A Conceptual Framework," *Social Media + Society*, vol. 9, no. 3 (2023).

مقدمة: الذكاء الاصطناعي والديمقراطية

عزّز نجاح الذكاء الاصطناعي وانتشاره الواسع مستوى الوعي بالتداعيات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لهذه التكنولوجيا. وهيمنت الخطوة الأحدث في تطوّره، المتمثّلة في توظيف النماذج اللغوية الكبيرة في توليد محتوى نصّي مرئي أو صوتيّ، على المخيال العام وسَرَّعت هذا النقاش. ولكن التقييم الجدّي للأثر الاجتماعي للذكاء الاصطناعي يقتضي تدقيق النظر في آليات اشتغال التكنولوجيا الكامنة فيه، وتحديد نطاقات الاتصال بالحقول ذات الصلة. وانطلاقًا من هذا، تقترح الدراسة إطارًا مفهوميًّا مناسبًا لدراسة الأثر الحالي والمحتمل للذكاء الاصطناعي في الديمقراطية.

أصبح للذكاء الاصطناعي حضورٌ متفشٍّ في المجتمع. فقد سمحت التطوّرات التكنولوجية الحديثة بنَشرٍ واسع للأنظمة القائمة عليه، في مجالات واسعة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وفي إطار هذا المسار، كان للذكاء الاصطناعي - ويتوقّع أن يكون له - تأثير قويّ في كل المجالات التي يلامسها. فقد أصبحنا نرى أمثلة لنقاشات حول الكيفية التي تحدّد بها الخوارزميات بيئات التواصل الرقمي، وما يترتب على ذلك من تقهقر في الخطاب السياسي[1]، وحول إغراق الفضاء العام بالمعلومات المضلِّلة الذي يمكن أن يسهم فيه الذكاء الاصطناعي التوليدي[2]، والنزاعات السياسية التي تُثار عبر الخوارزميات[3]، وأثر الذكاء الاصطناعي في قانون حقوق الإنسان الدولي[4]، وفي مستقبل العمل ودوره في تعويض الوظائف والبطالة الناتجة من الأتمتة Automation[5]، فضلًا عن أثره في خلخلة التوازن في التنافس القائم بين السلطويات والديمقراطيات[6]. وبفضل هذه التطوّرات، بدأ الذكاء الاصطناعي يلامس جوهر الديمقراطية، فكرةً وممارسةً.

يشبه التكييف الحالي للذكاء الاصطناعي موجات التغيُّر التكنولوجي السابقة وآثارَها السياسية. وتوفّر التكنولوجيات البنى الداعمة لتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. فعبر هندستها وميكانيزماتها الكامنة فيها ومدخلاتها ومخرجاتها، تؤثّر تكنولوجيات متعددة في مختلف المجالات الاجتماعية وفي العمليات التي تمرّ بها أو تعتمد عليها[7]. وبناء عليه، فإن التكنولوجيات والتحوّلات التكنولوجية لها تأثير في السياسة والتنافس السياسي، من خلال إنتاج تمييز غير متكافئ لمصلحة فاعلين أو فصائل أو جماعات، ويرتبط بمدى اتساقهم أو عدم اتساقهم مع الإمكانيات والفرص التي تَبرز في تكنولوجيا اليوم[8]. لقد شهدنا مثل هذا في الماضي مع الخرائط والهندسة والكتابة[9] والصحافة المطبوعة[10] والجرائد[11] والإعلام السمعي البصري[12]؛ وفي الآونة الأخيرة مع الإعلام الرقمي[13].

---

1 David Kaye, *Report on Artificial Intelligence Technologies and Implications for Freedom of Expression and the Information Environment*, United Nations Human Rights Office of the High Commissioner, 2018. at: https://acr.ps/1L9BPbf

2 Samuel Krebs, Robert M. McCain & Miles Brundage, "All the News That's Fit to Fabricate: AI-Generated Text as a Tool of Media Misinformation," *Journal of Experimental Political Science*, vol. 9, no. 1 (2022), pp. 104-117.

3 Jaime E. Settle, *Frenemies: How Social Media Polarizes America* (Cambridge: Cambridge University Press, 2018).

4 Joshua C. Gellers & David J. Gunkel, "Artificial Intelligence and International Human Rights Law: Implications for Humans and Technology in the 21st Century and beyond," in: Andrej Zwitter & Oskar J. Gstrein (eds.), *Handbook on the Politics and Governance of Big Data and Artificial Intelligence* (Cheltenham: Edward Elgar Publishing, 2023), pp. 430-455.

5 Carl Benedikt Frey, *Technology Trap: Capital, Labor, and Power in the Age of Automation* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2019); Erik Brynjolfsson & Andrew McAfee, *The Second Machine Age: Work, Progress, and Prosperity in a Time of Brilliant Technologies* (New York: W. W. Norton, 2016); Daron Acemoglu & Simon Johnson, *Power and Progress: Our Thousand-Year Struggle over Technology and Prosperity* (New York: PublicAffairs, 2023).

6 Kai-Fu Lee, *AI Superpowers: China, Silicon Valley, and the New World Order* (Boston: Houghton Mifflin Harcourt, 2018); Fernando Filgueiras, "The Politics of AI: Democracy and Authoritarianism in Developing Countries," *Journal of Information Technology & Politics*, vol. 19, no. 4 (2022), pp. 449-464.

7 Langdon Winner, "Do Artifacts Have Politics?" *Dædalus*, vol. 109, no. 1 (Winter 1980), pp. 121-136.

8 Jan-Werner Müller, *Democracy Rules* (London: Allen Lane, 2021); Andreas Jungherr, Ralph Schroeder & Sebastian Stier, "Digital Media and the Surge of Political Outsiders: Explaining the Success of Political Challengers in the United States, Germany, and China," *Social Media + Society*, vol.5, no. 3 (July 2019), pp. 1-12; Manuel Castells, *Communication Power*, 2nd ed. (Oxford: Oxford University Press, 2013 [2009]); Bruce Bimber, *Information and American Democracy: Technology in the Evolution of Political Power* (Cambridge: Cambridge University Press, 2003).

9 David Stasavage, *The Decline and Rise of Democracy: A Global History from Antiquity to Today* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2020).

10 Thomas Kaufmann, *Die Mitte der Reformation: Eine Studie zu Buchdruck und Publizistik im deutschen Sprachgebiet, zu ihren Akteuren und deren Strategien, Inszenierungs- und Ausdrucksformen* [The Middle of the Reformation: A Study on Book Printing and Journalism in the German-Speaking Area, on Their Actors and Their Strategies, Staging and Forms of Expression] (Tübingen: Mohr Siebeck, 2019); Elizabeth L. Eisenstein, *The Printing Press as an Agent of Change* (Cambridge: Cambridge University Press, 1979).

11 Michael Schudson, *Discovering the News: A Social History of American Newspapers* (New York: Basic Books, 1978).

12 W. Russell Neuman, *The Future of the Mass Audience* (Cambridge: Cambridge University Press, 1991); Markus Prior, *Post-Broadcast Democracy: How Media Choice Increases Inequality in Political Involvement and Polarizes Elections* (Cambridge: Cambridge University Press, 2007).

13 Bruce A. Williams & Michael X. Delli Carpini, *After Broadcast News: Media Regimes, Democracy, and the New Information Environment* (Cambridge: Cambridge University Press, 2011); Andreas Jungherr, Gonzalo Rivero & Daniel Gayo-Avello, *Retooling Politics: How Digital Media Are Shaping Democracy* (Cambridge: Cambridge University Press, 2020).

إنّ الحضور المتزايد للأنظمة القائمة على الذكاء الاصطناعي في المجتمع يتطلّب، بالمثل، مساءلة الكيفية التي يؤثّر بها في فكرة الديمقراطية وممارستها[14].

كثيرًا ما يناقَش الذكاء الاصطناعي بوصفه خطرًا على المجتمع، وربما على الحياة الإنسانية برمّتها[15]؛ وهذا النقاش في معظمه قائم على ذكاء اصطناعي عام خيالي إلى حد بعيد، قادر على الإدراك والتفكير واتخاذ القرار والـتصرّف على نحوٍ مستقل في سياقات متنوعة وبقدرات تضاهي القدرات البشرية أو تتجاوزها. وهذه الفكرة المستمدة في الغالب من الخيال الافتراضي لا تتوافق مع التطوّر الحالي للأنظمة القائمة على الذكاء الاصطناعي أو الأبحاث المخبرية في مجال تطويره[16]. وفي الحقيقة، إنّ الذكاء الاصطناعي المتوافر حاليًّا هو في أغلبه **ذكاء اصطناعي محدود** مدرّب على البيانات الخاصة بمجال معيّن لتنفيذ مهمّات مرتبطة بالمجال الذي دُرّب عليه[17]. وبناء عليه، عند فحص أثر الذكاء الاصطناعي في الديمقراطية، من المهمّ عدم السماح للذكاء الاصطناعي العام المتخيّل بتشتيت الانتباه، والتركيز على الحالات المحددة للذكاء الاصطناعي بمعناه الضيّق، وشروط توظيفه الفعّال، واستخداماته في المجالات ذات الصلة، وآثار تلك الحالات. من هذا المنطلق، تقدّم هذه الدراسة أجوبة عن السؤالين التاليين:

1. أيّ نوع من الذكاء الاصطناعي نواجه عند دراسة أثر الذكاء الاصطناعي في الديمقراطية؟
2. كيف يلامس ذلك فكرة الديمقراطية وممارستها؟ وفي أيّ جانب؟

تقدّم الدراسة إطارًا مفهوميًّا جديدًا من أجل تقييمٍ ورصدٍ للكيفية التي يؤثّر بها الذكاء الاصطناعي في فكرة الديمقراطية وممارستها، وذلك حتّى في تمظهره المحدود حاليًّا. وتمزج بين مناقشة الخصائص التقنية التكوينية للذكاء الاصطناعي وأثره المتوقّع في الديمقراطية، مسترشدةً في ذلك بالنظرية السياسية والنتائج الإمبريقية من حقول بحثية مختلفة. إنّ اتساع نطاق هذا التصوّر يؤدّي بطبيعة الحال إلى إغفال التفصيلات الدقيقة لمجالات محدَّدة. وإذا كان ذلك ربما يبدو مؤسفًا للمتخصّصين، فإن تجاهل هذه التفاصيل قد يُعدّ سمة من سمات النظرية الاجتماعية؛ إذ يتيح تطوير أطر مجرّدة، ما يمكّن، في المقابل، من رسم خرائط نظرية لموضوعات جديدة وإنشاء روابط بين الحقول البحثية[18]. وفي حين أنه من المحتمل أن يشعر علماء العلوم الاجتماعية وعلماء الحاسوب، على حد سواء، بنوع من الغُبن، بسبب تجاهل الفروق الدقيقة، فإن التوليف بين منظورَي هؤلاء وأولئك يَعِدُ بإفادة المجموعتين معًا. فبالنسبة إلى المتخصّصين في التكنولوجيا، تؤسس الدراسة نقاشهم حول تأثير الذكاء الاصطناعي في الديمقراطية في النظرية السياسية. أمّا علماء العلوم الاجتماعية، فيُربط نقاشهم بالانشغالات الفعلية لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي المتوافرة فعليًّا. إنّ بعض الأمثلة المقدمة هنا تظل إلى حدّ ما افتراضات. وههنا أيضًا، قد يعتبر البعض هذا عيبًا في مقاربتنا، ولكن إذا قبلنا بأنّ التطوّرات التكنولوجية الحالية، مثل الذكاء الاصطناعي، ستؤثّر في الممارسة والأفكار، وربما حتّى في البنى الديمقراطية، فإن علينا أن نسمح لأنفسنا بتأمل التجارب الذهنية والاستفادة منها؛ إذ إنّ الاعتماد الحصري على بيانات وأمثلة توثّق الحاضر والماضي يقودنا إلى تجاهل الطبيعة التطوّرية للديمقراطية، ويجعلنا نلتزم الصمت حيال الأسئلة المتعلقة بتصميم الاختيارات التي تتقاطع فيها التكنولوجيا والديمقراطية[19].

أولًا: الذكاء الاصطناعي

يحفل تاريخ الذكاء الاصطناعي بالمقاربات والتطبيقات والتصوّرات المتخيَّلة المرتبطة بـه[20]. ومن أجل صياغة توقّعات محدَّدة عن تأثيره في الديمقراطية، لا بد أولًا من توضيح المصطلح بدقة، وفهم آليات عمل التكنولوجيا التي يقوم عليها. ثمّة العديد من التعريفات المتنافسة، ولأغراض الدراسة، يمكن تعريف الذكاء الاصطناعي بأنه

14 Mathias Risse, *Political Theory of the Digital Age: Where Artificial Intelligence Might Take Us* (Cambridge: Cambridge University Press, 2023).

15 Nick Bostrom, *Superintelligence: Paths, Dangers, Strategies* (Oxford: Oxford University Press, 2014).

16 Ajay Agrawal, Joshua Gans & Avi Goldfarb, *Prediction Machines: The Simple Economics of Artificial Intelligence.* Updated and Expanded (Boston: Harvard Business Review Press, 2022 [2018]); Erik J. Larson, *The Myth of Artificial Intelligence: Why Computers Can't Think the Way We Do* (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2021); Melanie Mitchell, *Artificial Intelligence: A Guide for Thinking Humans* (New York: Farrar, Straus and Giroux, 2019); Brian Cantwell Smith, *The Promise of Artificial Intelligence: Reckoning and Judgment* (Cambridge, MA: MIT Press, 2019).

17 Mitchell, p. 45f.

18 Kieran Healy, "Fuck Nuance," *Sociological Theory*, vol. 35, no. 2 (2017), pp. 118-127.

19 Zizi Papacharissi, *After Democracy: Imagining Our Political Future* (New Haven: Yale University Press, 2021).

20 Pamela McCorduck, *Machines Who Think: A Personal Inquiry into the History and Prospects of Artificial Intelligence*)Natick, MA: A K Peters, 2004(; Nils J. Nilsson, *The Quest for Artificial Intelligence: A History of Ideas and Achievements*)Cambridge: Cambridge University Press, 2010(; Stuart Russell & Peter Norvig, *Artificial Intelligence: A Modern Approach*, 4th ed. (Hoboken, NJ: Pearson Education, 2021 [1995]).

"دراسة وإنشاء وكلاء Agents يمكنهم القيام بالأمر الصحيح"[21]. وعلى نحو أكثر تحديدًا، وُصف بأنه "النشاط المخصّص لجعل الآلات ذكية، والذكاء هو تلك الخاصية التي تمكّن كيانًا معينًا Entity من العمل على نحوٍ مناسب وبتبصّر في بيئته"[22].

يشمل هذا المقاربات التي تسمح للآلات بأداء مهمّات تضاهي أحيانًا القدرات البشرية، وتتفوق عليها أحيانًا أخرى. وقد ألهمت فكرة إنشاء نسخة قوية من الآلة - الذكية توقّعات ومخاوف كبيرة حول إمكانيات الذكاء الاصطناعي وأخطائه، بدءًا من تأثيره في النمو الاقتصادي[23] وتجاوز الإنسان والتسامي عليه Post-human Transecendence[24]، وصولًا إلى تهديد شامل للوجود البشري[25]. إنّ التوقّعات بشأن القدرة العامّة المفترضة للذكاء الاصطناعي على معالجة المهمّات، أو اتّخاذ القرارات في مجالات مختلفة (الذكاء الاصطناعي العام)، يجري استقراؤها من خلال نجاح الذكاء الاصطناعي في إنجاز مهمّات بعينها اعتمادًا على البيانات في مجالات محدَّدة (الذكاء الاصطناعي المحدود). ومع ذلك، فإنّ هذا يُعدّ خطأً في التصنيف.

لا تنتمي النجاحات الراهنة للذكاء الاصطناعي إلى مجال الذكاء الاصطناعي العام، الذي لا يزال خياليًّا إلى حد بعيد، بل تعتمد بدلًا من ذلك على الذكاء الاصطناعي المحدود. فقد تمكّنت هذه التكنولوجيا من إنجاز مهمّات معيّنة في مجالات متعدّدة. وتعتمد هذه النجاحات كثيرًا على التقدم الذي جرى إحرازه، في قدرة البرمجيات على تحديد أنماط العلاقات بين نقاط في البيانات المتوافرة والمخرجات المهمّة. ويمكن أن يتّخذ ذلك، في أبسط تجلياته، شكل استخدام نموذج انحدار أحادي أو نماذج تعلّم آلي يمكن أن يفوق نجاحها كل التوقّعات في مهمّات عديدة، وغالبًا ما تصنَّف بوصفها أحد أشكال الذكاء الاصطناعي. لكنها، بطبيعة الحال، تبقى بعيدة كل البعد عن فهم الذكاء المقدّم آنفًا. وثمّة مقاربات أكثر تقدّمًا تتوافق مع هذا الفهم للذكاء الاصطناعي، مثل التعلّم العميق Deep Learning[26] والتعلم المعزّز Reinforcement Learning[27]. وقد نجحت هذه المقاربات في العديد من السياقات، بما فيها الرؤية الحاسوبية Computer Vision، والترجمة الآلية، والتشخيص الطبّي، وعلم الروبوت، والتعرّف إلى الأصوات[28]. ومن الأمثلة على هذه التطوّرات الواعدة، التنبّؤ بمركّبات بيولوجية أو كيميائية محتملة ولكنّها غير معروفة حتّى الآن[29]، أو بحركة استراتيجية في أثناء لعبة ما[30]. ومؤخّرًا، أثبتت نماذج المحوّلات Transformer Models - وهي فئة فرعية من التعلّم العميق - أنها واعدة جدًّا[31] في التوليد المستقلّ للمحتوى، سواء من النصوص أو الصور أو الفيديو[32]. وكما سنرى لاحقًا، فإن هذه التطوّرات بدأت تتمظهر في السياسة، ويمكن أن تصل إلى حدّ التأثير في الديمقراطيات.

لكنّ هذه المقاربات لا تعمل بطريقة شاملة أو مطلقة. فهي في الواقع تعتمد على مجموعة من الشروط المسبقة، التي قد تحدّ من توظيفها في السياسة. وبعض هذه الشروط بديهي. لكي ينجح الذكاء الاصطناعي، مثلًا، يجب أن يكون قادرًا على الوصول إلى تمثيل رقمي لبيئته، سواء عبر مستشعرات ترسم خريطة العالم أو عبر إدخال البيانات الموجودة. وحين يصعب الحصول على هذه التمثيلات أو تكون البيانات شحيحة، كما هو الحال في العديد من مجالات السياسة، لن ينجح الذكاء الاصطناعي. في مقابل ذلك، ثمّة شروط مسبقة أخرى ليست على هذه الدرجة من البداهة. فمثلًا،

21 Russell & Norvig, p. 22.

22 Nilsson, p. xiii.

23 Brynjolfsson & McAfee.

24 Robin Hanson, *The Age of Em: Work, Love, and Life When Robots Rule the Earth* (Oxford: Oxford University Press, 2016).

25 Bostrom.

26 Ian Goodfellow, Yoshua Bengio & Aaron Courville, *Deep Learning* (Cambridge, MA: MIT Press, 2016).

27 Richard S. Sutton & Andrew G. Barto, *Reinforcement Learning: An Introduction*, 2nd ed. (Cambridge, MA: MIT Press, 2018).

28 Yann LeCun, Yoshua Bengio & Geoffrey Hinton, "Deep Learning," *Nature* 521 (2015), pp. 436-444.

29 Sophia Chow, Simon Liver & Alan Nelson, "Streamlining Bioactive Molecular Discovery through Integration and Automation," *Nature Reviews Chemistry*, vol. 8, no. 2 (2018), pp. 174-183; Ross D. King et al., "The Automation of Science," *Science*, vol. 324, no. 5923 (2009), pp. 88-89; Gisbert Schneider, "Automating Drug Discovery," *Nature Reviews Drug Discovery*, vol. 17, no. 2 (2018), pp. 97-113.

30 Anton Bakhtin et al., "Human-Level Play in the Game of Diplomacy by Combining Language Models with Strategic Reasoning," *Science*, vol. 378, no. 6624 (2022), pp. 1067-1074; David Silver et al., "Mastering the Game of Go with Deep Neural Networks and Tree Search," *Nature* 529 (2016), pp. 484-488; David Silver et al., "A General Reinforcement Learning Algorithm That Masters Chess, Shogi, and Go through Self-Play," *Science*, vol. 362, no. 6419 (2018), pp. 1140-1144; David Silver et al., "Mastering the Game of Go without Human Knowledge," *Nature* 550 (2017), pp. 354-359.

31 Niki J. Parmar et al., "Image Transformer," in: Jennifer Dy & Andreas Krause (eds.), *Proceedings of the 35th International Conference on Machine Learning*, Stockholm, Sweden PMLR 80, 2018, pp. 4055-4064; Ashish Vaswani et al., "Attention Is All You Need," in: Isabelle Guyon et al. (eds.), *NIPS 2017: 31st Conference on Neural Information Processing Systems*, vol. 30 (Red Hook, NY: Curran Associates, Inc., 2017), pp. 1-11.

32 Tom B. Brown et al., "Language Models Are Few-Shot Learners," in: Hugo Larochelle et al. (eds.), *Advances in Neural Information Processing Systems*, vol. 33 (Red Hook, NY: Curran Associates, Inc., 2020), pp. 1877-1901; Aditya Ramesh et al., "Hierarchical Text-Conditional Image Generation with CLIP Latents," *arXiv*, 2022.

لكي يتمكّن الذكاء الاصطناعي من تحقيق نتائج مساعدة أو مفيدة، يتعيّن أن تكون الروابط الأساسية بين المدخلات والمخرجات مستقرّة عبر الزمن. ويشير ذلك إلى مشكلتين: التغيّرات الزمنية غير الملحوظة بين المتغيّرات[33]، ومخاطر الاعتماد على أدلّة ارتباطية بحتة غير مسنودة بنماذج سببية[34].

الأهم من ذلك، خاصة فيما يتعلّق بالديمقراطية، أنّ على الماضي أن يكون نموذجًا مفيدًا للمستقبل من الناحية المعيارية. فالتغيير سمة جوهرية للمجتمعات، خاصة فيما يتعلق بتوسيع حقوق مشاركة الجماعات التي خضعت للاستبعاد سابقًا. فقد سعى العديد من المجتمعات، مع مرور الوقت، إلى الحدّ من التمييز وتعزيز المساواة. يجري، في الواقع، تخطيط السياسات على نحوٍ واعٍ لكسر أنماط التمييز السابقة. وتخاطر التوقّعات والتصنيفات القائمة على الذكاء الاصطناعي، التي تستند إلى أنماط الماضي، بإعادة إنتاج أشكال التفاوت المنهج Systemic Inequalites، بل حتّى التمييز البنيوي[35].

يمكن العثور على مشكلات تشترك في مثل هذه الخصائص في مجالات عديدة، مثل الاقتصاد الرقمي، والتجارة، والتفاعلات الاجتماعية عبر الوسائط الرقمية، والروبوتات، والرياضات. وقد أثبت الذكاء الاصطناعي نجاحًا منقطع النظير في هذه المجالات. وفي الوقت نفسه، ثمّة مشكلات قليلة في السياسة، والديمقراطية على نطاق أوسع، تشترك في هذه الخصائص نفسها. وهذا يقيّد نطاق تطبيقات الذكاء الاصطناعي في المجتمع، ومن ثمّ، يحدّ من تأثيره المحتمل في الديمقراطية.

ثانيًا: أثر الذكاء الاصطناعي في الديمقراطية

بدأت نجاحات الذكاء الاصطناعي الأخيرة، وانتشاره الواسع في العديد من مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، في طرح تساؤلات من قبيل: هل يؤثّر الذكاء الاصطناعي في الديمقراطية؟ وكيف يؤثّر فيها؟ تُعدّ الديمقراطية، فكرةً وممارسةً، من أكثر المفاهيم إثارة للجدل والخلاف، إذ إنها تشكّل موضوعًا لتصوّرات متنافسة ذات تفصيلات دقيقة. والنقاشات المرتبطة بهذا الموضوع في الفكر السياسي مثمرة ومفيدة في تحديد السمات والعواقب المعيارية والإجرائية والبنيوية التي يتأسس عليها فهمنا للديمقراطية[36]. وعلى الرغم من ذلك، وخدمةً لأهداف هذه الدراسة، يتعيّن حصر هذا الحقل الغنيّ في عدد ضئيل من السمات المهمّة للديمقراطية - وإن كانت أحيانًا خلافية - التي يمكن أن نتوقّع أثرًا للذكاء الاصطناعي فيها. وما قد يُفقِد الحجةَ دقتها، سيعوّضه توفير إطار مفهومي واسع قابل للتطبيق على نطاق واسع.

تقدّم الدراسة أربعة مجالات للأثر المحتمل من مستويات تحليلية مختلفة: على مستوى **الأفراد**، يؤثّر الذكاء الاصطناعي في ظروف الحكم الذاتي Self-rule وفرص الناس في ممارسته؛ وعلى مستوى **المجموعات**، يؤثّر في المساواة في الحقوق بين مجموعات مختلفة من الأفراد داخل المجتمع؛ أما على مستوى **المؤسسات** فيتعلق تأثيره بتصوّر الانتخابات بوصفها آلية نزيهة ومفتوحة لتقنين الصراع السياسي وإدارته؛ وأمّا على مستوى **الأنظمة**، فيؤثّر في المنافسة بين أنظمة الحكم الديمقراطية والسلطوية.

جدول يوضح مستويات تأثير الذكاء الاصطناعي في الديمقراطية

مجال الأثر	المستوى
الحكم الذاتي	الفردي
المساواة	المجموعاتي
الانتخابات	المؤسسي
التنافس بين الأنظمة	النظمي

المصدر: من إعداد الباحث.

33 David Lazer et al., "The Parable of Google Flu: Traps in Big Data Analysis," *Science*, vol. 343, no. 6176 (2014), pp. 1203-1305.

34 Judea Pearl, "The Seven Tools of Causal Inference, with Reflections on Machine Learning," *Communications of the ACM*, vol. 62, no. 3 (2019), pp. 54-60; Bernhard Schölkopf et al., "Toward Causal Representation Learning," *Proceedings of the IEEE*, vol. 109, no. 5 (2021), pp. 612-634.

35 Tolga Bolukbasi et al., "Man Is to Computer Programmer as Woman Is to Homemaker? Debiasing Word Embeddings," in: Daniel D. Lee et al. (eds.), *NIPS'16: Proceedings of the 30th International Conference on Neural Information Processing Systems* (Red Hook, NY: Curran Associates, Inc., 2016), pp. 4356-4364; Brian Christian, *The Alignment Problem: Machine Learning and Human Values* (New York: W. W. Norton, 2020); Shira Mitchell et al., "Algorithmic Fairness: Choices, Assumptions, and Definitions," *Annual Review of Statistics and Its Application*, vol. 8 (2021), pp. 141-163.

36 Robert A. Dahl, *On Democracy* (New Haven, CT: Yale University Press, 1998); Amy Guttman, "Democracy," in: Robert E. Goodin, Philip Pettit & Thomas Pogge (eds.), *A Companion to Contemporary Political Philosophy*, 2nd ed. (Malden, MA: Blackwell, 2007), pp. 521-532; Adam Przeworski, *Why Bother with Elections?* (Cambridge: Polity Press, 2018); Hélène Landemore, *Democratic Reason: Politics, Collective Intelligence, and the Rule of the Many* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2012); Hélène Landemore, "Can AI Bring Deliberative Democracy to the Masses?" *Working Paper*, 2022; Charles Tilly, *Democracy* (Cambridge: Cambridge University Press, 2007).

لا تلتزم الدراسة بنظرية واحدة ومحدّدة للديمقراطية، بل تتناولها بوصفها ظاهرة متعدّدة الأوجــه[37]. ويقدّم ذلك نظرة أوسع للمجالات، حيث يمكن تصوّر أنّ الذكاء الاصطناعي يؤثّر في المجتمع بطرائق ذات صلة بأداء الديمقراطية وجودتها.

1. الذكاء الاصطناعي والحكم الذاتي

من مبادئ الديمقراطية أنّ الحكومات يتعيّن أن يختارها أولئك الذين ستخدمهم. ويمثّل هذا الحكم الذاتي فكرة معيارية متمحورة حول إضفاء الشرعية على السلطة الدنيوية Temporal Power التي يحظى بها الحكّام على المحكومين، كما يمثّل فكرة عملية مفادها أنّ توزيع صنع القرار بين غالبية الأفراد يسمو على أشكال صنع القرار الأشدّ مركزية أو حُكم الخبراء[38]. يؤثّر الذكاء الاصطناعي في قدرة الناس على تحقيق الحكم الذاتي والتفوّق المتصوّر لعملية صنع القرار الموزّعة مقارنةً بحكم الخبراء، في النظم الاجتماعية المعقّدة؛ ما قد يدلّ على حدود الحكم الذاتي المحتملة بطرائق متعددة.

أ. تشكيل بيئات المعلومات

ترتبط شرعية الحكم الذاتي ارتباطًا وثيقًا بفكرة قدرة الأفراد على اتخاذ قرارات عن بيّنة، لأنفسهم ولجماعاتهم. ويتوقّف هذا، على الأقل في جزءٍ منه، على بيئة المعلومات التي تحتضنهم ويعيشون فيها[39]. ويؤثّر الذكاء الاصطناعي مباشرةً في هذه الركائز المعلوماتية للحكم الذاتي. ويتضمّن ذلك الكيفية التي يتعرّض بها الأفراد للمعلومات السياسية ويصلون إليها، ومدى قدرتهم على إيصال وجهات نظرهم وهمومهم، والكيفية التي قد تفضي بها هذه الركائز المعلوماتية إلى توسيع فرص التلاعب[40].

وقد أثار تشكيل الخوارزميات لبيئات المعلومات الرقمية، استنادًا إلى تفضيلات الأفراد المعلوماتية المستنتَجة أو استجاباتهم السلوكية المتنبَّأ بها[41]، مخاوفَ متزايدة[42]، من أبرزها أنّ الأفراد سيتعرّضون فقط للمعلومات التي من المحتمل أن يتّفقوا معها أو التي توافق أهواءهم، فتغيب عنهم رؤى الجانب السياسي الآخر. وتدلّ نتائج الأبحاث الإمبريقية على أنّ مثل هذه التخوّفات ربما يكون مبالغًا فيها[43]. وفي الواقع، يمكن أن يتعرّض الأشخاص في البيئات التواصلية الرقمية لمعلومات سياسية أكثر عن الجانب الآخر، والتي يختلفون معها، مقارنةً بما هو قائم في بيئات المعلومات الأخرى. ويمكن أن يمثّل هذا الأمر مشكلة، خاصة بالنسبة إلى أنصار التيارات السياسية، لأنها تزيد من بروز الصراع السياسي[44]. ومع ذلك، لا يزال غير معلوم ما إذا كانت هذه الآلية مدفوعة بالذكاء الاصطناعي، أو يمكن أن تضعفها تصميمات خوارزمية محدّدة.

وذهب عدد من المؤلّفين إلى تشخيص الآثار السيّئة لبيئات التواصل الرقمية في جودة المعلومات والخطاب السياسي، وبعضها مدفوع بالذكاء الاصطناعي، في حين أنّ بعضها الآخر لا علاقة له بها[45]. وعلى الرغم من أهمية هذا التشخيص، فإنه يخاطر بالمبالغة في تقدير جودة بيئات المعلومات السابقة، ودور المعلومات في تمكين الأفراد من ممارسة الحكم الذاتي. وفي الواقع، اتسمت الانتقادات الموجّهة إلى جودة وسائل الإعلام في الأنظمة الديمقراطية بالوفرة، حتّى قبل أن يصبح الإعلام الرقمي سائدًا، بوقت طويل[46].

إضافة إلى ذلك، لا يتابع معظم الأفراد الأخبار عن كثب، وليست لهم توجّهات سياسية قوية، ولا يتفوّقون كثيرًا في اختبار المعرفة

37 Hans Asenbaum, "Rethinking Democratic Innovations: A Look through the Kaleidoscope of Democratic Theory," *Political Studies Review*, vol. 20, no. 4 (2022), pp. 680-690.

38 Dahl; Hélène Landemore & Jon Elster (eds.), *Collective Wisdom: Principles and Mechanisms* (Cambridge: Cambridge University Press, 2012); Melissa Schwartzberg, "Epistemic Democracy and Its Challenges," *Annual Review of Political Science*, vol. 18 (2015), pp. 187-203.

39 Andreas Jungherr & Ralph Schroeder, *Digital Transformations of the Public Arena* (Cambridge: Cambridge University Press, 2022).

40 Andreas Jungherr & Ralph Schroeder, "Artificial Intelligence and the Public Arena," *Communication Theory*, vol. 33, no. 3 (2023), pp. 164–173.

41 Arvind Narayanan, *Understanding Social Media Recommendation Algorithms* (New York: Knight First Amendment Institute at Columbia University, 2023), at: https://acr.ps/1L9BPGK

42 Kaye.

43 Seth Flaxman, Sharad Goel & Justin M. Rao, "Filter Bubbles, Echo Chambers, and Online News Consumption," *Public Opinion Quarterly*, vol. 80, no. 1 (2016), pp. 298-320; Brian Kitchens, Sean L. Johnson & Paul Gray, "Understanding Echo Chambers and Filter Bubbles: The Impact of Social Media on Diversification and Partisan Shifts in News Consumption," *MIS Quarterly*, vol. 44, no. 4 (2020), pp. 1619-1649; Michael Scharkow et al., "How Social Network Sites and Other Online Intermediaries Increase Exposure to News," *Proceedings of the National Academy of Sciences of the United States of America*, vol. 117, no. 6 (2020), pp. 2761-2763.

44 Settle.

45 W. Lance Bennet & Steven Livingston (eds.), *The Disinformation Age: Politics, Technology, and Disruptive Communication in the United States* (Cambridge: Cambridge University Press, 2021).

46 John Keane, *Democracy and Media Decadence* (Cambridge: Cambridge University Press, 2013).

السياسية[47]؛ إذ يبدو أنّ معظمهم يعتمدون على مختصرات معلوماتية أو على بنى اجتماعية لممارسة الحكم الذاتي[48]. لذلك، يمكن توقّع أن تتوسّط هذه الآليات أثر تحديد بيئات المعلومات التي يقودها الذكاء الاصطناعي. ولتقييم أثره على نحو شامل، يتعيّن على البحث أن لا يأخذ في الحسبان بيئات المعلومات فحسب، بل عليه أيضًا أن ينظر في مدى تأثيره في العوامل البنيوية والاجتماعية التي تتوسط أثر المعلومات السياسية في الحكم الذاتي، وكيفيته.

لا يبدو أنّ تحديد بيئات المعلومات التي يقودها الذكاء الاصطناعي يؤدّي حتمًا إلى تدهورٍ في وصول الأفراد إلى المعلومات الضرورية، من أجل ممارسة حقهم في الحكم الذاتي. ومع ذلك، ثمّة غموض كبير يحيط بطريقة تشكيل بيئات المعلومات الرقمية. وكلما زاد دور هذه البيئات في الديمقراطيات، زادت الحاجة إلى تقييم دور الذكاء الاصطناعي في تشكيلها[49]. ونحتاج أيضًا إلى عمليات تدقيقٍ خارجية منتظمة لتأثير الذكاء الاصطناعي في المعلومات المرئية على المنصات الرقمية على الإنترنت، وخاصة طبيعة المعلومات التي يجري الترويج لها ونوعها، أو طمسها من خلال الخوارزميات.

ب. اقتصاديات الأخبار

يؤثّر الذكاء الاصطناعي على نحوٍ غير مباشر في إنشاء معلومات سياسية ذات صلة وتوفيرها، من خلال تغيير الظروف الاقتصادية لإنتاج الأخبار. فمن جهة، تشير النجاحات الأخيرة في تطوير نماذج المحوّلات Transformer Models إلى أنّ الذكاء الاصطناعي قد يُستخدم قريبًا في إنتاج محتوى النصوص والصور والفيديوهات تلقائيًّا. وهو ما قد يؤدّي إلى تعزيز الاتجاهات الحالية نحو الاعتماد على التوليد الآلي للمحتوى في الهيئات الإخبارية[50]. ويشكّل هذا التطور ضغطًا على الصحافيين الذين قد يَشهدون تحوّلًا في مهمّاتهم الروتينية نحو نُظم مَمَكَّنة بالذكاء الاصطناعي، وعلى الهيئات الإخبارية التي قد تواجه مجموعة من المنافسين الجدد ذوي التكلفة المنخفضة والمتخصصين في التوليد الآلي للمحتوى. وقد يزيد هذا من الضغوط على رواتب الصحافيين، وكذلك على الجمهور وأرباح شركات الأخبار؛ ما قد يكثّف الضغوط القائمة على قطاع الأخبار بوصفه نشاطًا تجاريًّا[51] .

إضافة إلى ذلك، يعيد الذكاء الاصطناعي تشكيل الطرائق التي يصل بها الجمهور إلى الأخبار والمعلومات السياسية؛ فمثلًا، تُجري حاليًّا محركاتُ البحث، مثل بينغ Bing وغوغل Google ، تجاربَ على النماذج اللغوية الضخمة لتزويد المستخدمين بمحتوى مولَّد آليًّا، استجابةً لطلبات البحث، بدلًا من روابط المحتوى التي يوفّرها المزوّدون بالأخبار والمعلومات. ويحدّ هذا من فرص العوائد المالية Monetization لهيئات الإعلام الصغيرة أو المتوسطة الحجم التي لا تملك علامات تجارية قوية أو تفتقر إلى ولاء زبائنها، والتي كانت في الماضي قادرة على تحفيز الزيارات لمواقعها الإلكترونية، من خلال الإحالات عليها الناتجة من طلبات البحث على محركات البحث أو على مواقع التواصل الاجتماعي. وقد تؤدّي هذه القيود الجديدة على فرص تحقيق العوائد المالية إلى تراجع تغطية الشؤون السياسية، أو حتّى تقليص عدد الهيئات الإخبارية. وسيحدّ هذا من الحجم الكلّي للمعلومات المتوافرة لدى الأفراد وتنوّعها لاتخاذ قرارات مستنيرة. سيلحق كلُّ ذلك ضررًا بالقادمين من خارج المنظومة السياسية القائمة أو متحدّيها، والذين يُعدّون الأكثر اعتمادًا على مزوّدي المعلومات الأصغر حجمًا في تغطية أنشطتهم. وسيؤدي هذا التراجع في فرص العوائد المالية للأخبار، على الأرجح، إلى تقوية المؤسسات القائمة والعلامات الإعلامية الكبيرة، وعلاقات السلطة[52] المرتبطة بها.

فضلًا عن ذلك، يمكن أن تساهم تصوّرات الجمهور بشأن هيمنة المحتوى المولَّد بالذكاء الاصطناعي على بيئات التواصل الرقمية - وبعضها صحيح، بينما بعضها الآخر مضلّل على نحو متعمّد، في حين أنّ قسطًا منها يُعدّ مضلّلًا عن غير قصد - في جعل فئات من الناس تحسّن تقييمها لهيئات الأخبار المختارة، التي يثقون بعملية إنتاجها للأخبار وضمانات جودتها. وقد تجد علامات الأخبار هذه نفسها أقوى، من خلال تزايد المحتوى المولّد بالذكاء الاصطناعي في

47 Philip Converse, "The Nature of Belief Systems in Mass Publics," in: David E. Apter (ed.), *Ideology and Discontent* (New York: Free Press, 1964), pp. 206-261; Arthur Lupia & Mathew D. McCubbins, *The Democratic Dilemma: Can Citizens Learn What They Need to Know?* (Cambridge: Cambridge University Press, 1998); Prior; John R. Zaller, *The Nature and Origins of Mass Opinion* (Cambridge: Cambridge University Press, 1992).

48 Christopher H. Achen & Larry M. Bartels, *Democracy for Realists: Why Elections Do Not Produce Responsive Government* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2016); James H. Kuklinski & Paul J. Quirk, "Reconsidering the Rational Public: Cognition, Heuristics, and Mass Opinion," in: Arthur Lupia, Mathew D. McCubbins & Samuel L. Popkin (eds.), *Elements of Reason: Cognition, Choice, and the Bounds of Rationality* (Cambridge: Cambridge University Press, 2000), pp. 153-182; Milton Lodge & Charles S. Taber, *The Rationalizing Voter* (Cambridge: Cambridge University Press, 2013); Samuel L Popkin, *The Reasoning Voter: Communication and Persuasion in Presidential Campaigns* (Chicago: University of Chicago Press, 1991).

49 Andreas Jungherr & Ralph Schroeder, "Artificial Intelligence and the Public Arena," *Communication Theory*, vol. 33, no. 3 (2023), pp. qtad006.

50 Nicholas Diakopoulos, *Automating the News: How Algorithms Are Rewriting the Media* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2019).

51 Rasmus Kleis Nielsen, "Economic Contexts of Journalism," in: Karin Wahl-Jorgensen & Thomas Hanitzsch (eds.), *The Handbook of Journalism Studies*, 2nd ed. (New York: Routledge, 2020), pp. 324-340.

52 Jungherr & Schroeder, "Artificial Intelligence and the Public Arena."

بيئات الإعلام المفتوحة أو في التغطية التي يقوم بها المنافسون الذين يخفّضون التكلفة. وبطبيعة الحال، لا تصحّ هذه التوقّعات إلّا إذا نُظر إلى العلامات التجارية الإخبارية على أنها تقدّم قيمة مضافة مقارنةً بالمحتوى المولَّد بالذكاء الاصطناعي.

من المهمّ، أيضًا، أن نتذكّر أنّ هذا التوجّه، الذي يحفّزه الذكاء الاصطناعي، نحو علامات إخبارية معيّنة لا يتحقّق إلّا في ظل تفاعل أفراد الجمهور مع الأخبار والسياسة، وسعيهم للحصول على معلومات دقيقة تعكس اهتمامهم بالسياسة. ومن المرجّح أن يكون هؤلاء الأفراد من ذوي الموارد السوسيو-اقتصادية الجيّدة والمنخرطين سياسيًا[53]. وقد يقبل آخرون بالمحتوى المجاني أو المولّد آليًّا. ومن المرجح أن يعزّز ذلك فجوة المعلومات بين الجمهور المهتمّ بالسياسة والجمهور غير المهتمّ بها، والتي اتّسعت في أعقاب التحوّل من بيئة إعلامية محدودة الخيارات إلى بيئات تواصلية رقمية تتيح خيارات أوسع[54]. وفي البلدان التي تفتقر إلى هيئات بثّ عمومية قوية، مثل الولايات المتحدة الأميركية، يعكس هذا الانقسام الفروق الاقتصادية أيضًا، إذ إنه يتيح لمن يملكون القدرة على الدفع الوصول إلى معلومات ذات جودة عالية ودقيقة ومؤكّدة؛ في حين يترك أولئك غير القادرين أو غير الراغبين في الدفع لبيئة معلومات رقمية مجانية مشوّشة، وآلية (نسبيًّا)، ومتباينة الصدقية. وبمرور الوقت، قد يعني هذا أنّ الانقسامات السوسيو-اقتصادية تحدد (أو يُنظَر إليها على أنها تحدد) مدى قدرة الناس على التوصّل إلى قرارات سياسية مستنيرة.

ج. الخطاب

لا يؤثّر الذكاء الاصطناعي في الوصول إلى المعلومات فحسب، بل يشمل أيضًا التعبير عن الآراء والاهتمامات والمخاوف في بيئات التواصل الرقمي. ومع التحوّل المتزايد لهذه البيئات إلى فضاءاتٍ للتعبير عن أصوات المستخدمين، وإبراز مخاوفهم، وبناء هوياتهم السياسية، يصبح كل ذلك عنصرًا مهمًّا في تشكيل الذكاء الاصطناعي لظروف الحكم الذاتي.

إنّ القدرة المتصوّرة للذكاء الاصطناعي على تصنيف المحتوى جعلته يتصدّر محاربة الخطابات والمعلومات المضلِّلة الضارّة. وتستخدم شركاتُ التكنولوجيا الذكاءَ الاصطناعي على نطاق واسع لتصنيف محتوى المستخدمين، سواء لمنع نشره أو الإبلاغ عنه لدى المشرفين على المنصات من أجل مراجعته[55]. وثمّة غموض في الإجراءات التي تطبّقها هذه المنصات، ومدى نجاحها ونسبة الخطأ فيها، خاصة بالنسبة إلى مَن هم مِن خارج هذه الشركات التي تشرف على المنصات؛ ما يجعل تقييم نطاق استخدامات الذكاء الاصطناعي وآثاره في الخطاب مسألة صعبة. وهذا أمر إشكاليّ؛ لأن ما يُدرج ضمن فئتَي خطاب الكراهية والمعلومات المضللة يصعب تصنيفه؛ إذ لا تتّسم أيٌّ من هاتين الفئتين بالموضوعية أو الاستقرار، فكلتاهما تتطلّب التأويل مع تغيّر المعنى، كلّما اختلفت السياقات والفترات الزمنية. وهذا ما يجعل تحديدهما باستخدام الذكاء الاصطناعي الآلي القائم على البيانات مسألة صعبة، ويخاطر بقمع الخطاب السياسي المشروع.

إضافة إلى ذلك، تؤثّر العمليات التقنية للذكاء الاصطناعي في نوع الخطاب الذي يظهر في الفضاءات التي يشكّلها هذا الذكاء نفسه. فمن خلال تعلّم أنماط معيّنة ضمن مجموعة من الحالات، يجنح الذكاء الاصطناعي إلى المتوسطات Averages؛ ومن ثمّ، فإن تشكيل الخطاب أو المواقف السياسية وتلخيصها اعتمادًا على الذكاء الاصطناعي، يمنح المواقفَ والمخاوفَ والتعبيرات الشائعة نوعًا من الأفضلية، في حين تؤدّي البيئات التواصلية التي يشكّلها، والتي لا تستجيب لهذا التحدي، إلى حجب المواقف والمخاوف والتعبيرات التي يتبنّاها مَن هم مِن خارج الفئات المرئية في الفضاء العمومي، فضلًا عن حجب مواقف الأقلّيات. وبناء عليه، فإنّ الذكاء الاصطناعي يؤثّر سلبيًّا في قدرة المجتمع على أن يجعل نفسه جليًّا لنفسه to make itself visible to itself، ويؤدي إلى تقويض قدرات الديمقراطيات على معالجة المعلومات، وإلى تعزيز الوضع السياسي القائم[56].

ومع ذلك، ثمّة بعض البدائل للإشراف القائم على الذكاء الاصطناعي، نظرًا إلى الحجم الهائل للمحتوى المنشور في بيئات التواصل الرقمية[57]، وهو ما يستدعي فهمًا أفضل لآليات عمل هذه الأنظمة وتأثيراتها. وبناء عليه، فإنّ الإشراف القائم على الذكاء الاصطناعي يحتاج إلى تقييم تجريه منصّاتٌ وعملياتُ تدقيق خارجية External Audits من أجل ضمان عمله على نحوٍ سليم.

53 Markus Prior, *Hooked: How Politics Captures People's Interest* (Cambridge: Cambridge University Press, 2018); Kay Lehman Schlozman, Henry E. Brady & Sidney Verba, *Unequal and Unrepresented: Political Inequality and the People's Voice in the New Gilded Age* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2018).

54 Markus Prior, "Conditions for Political Accountability in a High-Choice Media Environment," in: Kate Kenski & Kathleen Hall Jamieson (eds.), *The Oxford Handbook of Political Communication*, (Oxford: Oxford University Press, 2017), pp. 897-912.

55 Evelyn Douek, "Governing Online Speech: From 'Posts-as-Trumps' to Proportionality and Probability," *Columbia Law Review*, vol. 121, no. 3 (2021), pp. 759-834; Kaye.

56 Jungherr & Schroeder, "Artificial Intelligence and the Public Arena."

57 Douek.

إن الإشراف القائم على الذكاء الاصطناعي ليس مخاطرة في حد ذاته. فقد أشار الباحثون والمعلّقون، منذ فترة طويلة، إلى حدود التداولات السياسية الواسعة النطاق التي يجري فرضها في غياب أيّ كفاءة في توزيع المعلومات، وإظهار التفضيلات، والتنسيق بين الأفراد. فقد يتغلّب الذكاء الاصطناعي على بعض هذه التحدّيات من خلال التنبّؤ بالتفضيلات الفردية، وتصنيف المعلومات، وتنظيم تدفقها[58]؛ ما قد يتيح فرصًا تداولية وتشاركية جديدة في الديمقراطيات، ويعزز الممارسة الديمقراطية وينعشها.

ومن المهمّ أن نظلّ واعين بالمخاطر والفرص التي يوفّرها الذكاء الاصطناعي في الإشراف على الخطاب، وإبراز المخاوف في البيئات التواصلية الرقمية. ويمكن أن يساهم الذكاء الاصطناعي في إيجاد حلول خلّاقة لبعض التحديات التكنولوجية الكامنة في الحكم الذاتي الناجح، ولكنّ تحقيق ذلك يقتضي منا معرفة المزيد عن استخداماته الفعلية، وآثاره ومخاطره. ويتطلّب ذلك شفافية أكبر من المنصات الرقمية، ويقظةً وانتباهًا متواصلَين من المجتمع المدني.

د. التلاعب

يمكن أن يؤثّر الذكاء الاصطناعي سلبيًّا كذلك في الاستقلالية المعلوماتية للأفراد، من خلال التنبّؤ بردّات أفعالهم تجاه التدخّلات في عمليات التواصل. ويمكن أن يسمح ذلك للمشتغلين في ميدان التواصل بالوصول إلى الناس بالطريقة الصحيحة لتغيير آرائهم وسلوكاتهم. يقدّم ناثان ساندرز وبروس شناير[59] تجربة ذهنية، توضح الكيفية التي يمكن أن يستخدم بها أعضاءُ جماعات الضغط الذكاءَ الاصطناعي للتنبؤ باحتمال نجاح مقترح قانونٍ يقدمونه للمشرّعين في المجالس البرلمانية. وعلى الرغم من أنّ تحقق ذلك لا يزال بعيدًا، فإن المثال الذي قدّمه ساندرز وشناير يُظهر استخدام الأطراف ذات المصلحة للذكاء الاصطناعي لتعزيز مواردها، وربما لإحداث تدخلات تسعى إلى توجيه تصرفات الأفراد بما يخدم مصالحها الخاصة. ويمكن كذلك استخدام الذكاء الاصطناعي لتوليد رسائل هدفها إقناع الناس؛ إذ تشير أبحاث مبكرة إلى أنّ التدخلات المصمّمة باعتماد النماذج اللغوية الكبيرة لها قدرة على الإقناع[60]. وعلى هذا المنوال، يستخدم الأكاديميون وخبراءُ الحملات الانتخابية هذه النماذج حاليًّا، لإثارة ردات أفعال وتوجّهات معيّنة لدى مصوّتين نموذجيين Prototypical ؛ من أجل اختبار مدى تأثير الرسائل، ولأغراض تتعلق بالبحث العلمي، على الرغم من أن دقّة هذه المقاربات وصلاحيتها تظلّان محلّ جدل[61].

ثمّة أيضًا مخاوف ترتبط بتعرّض الأفراد لتدخلات تواصلية مستهدفة في بيئات التواصل الرقمية. فمن خلال التنبؤ بالكيفية، التي يحتمل أن يتفاعل بها الناس مع إعلان إشهاري مثلًا، يمكن أن تستخدم شركاتُ الاستشارات الرقمية الذكاءَ الاصطناعي في تصميم تدخّلات للتأثير في الأفراد. وقد قدّمَت لمحةً أولى عن هذه المشكلة ممارساتُ شركة الاستشارات الإنكليزية، "كامبريدج أناليتيكا" Cambridge Analytica، التي ادّعت القدرة على التنبّؤ بطبيعة المعلومات المنشورة على منصة فيسبوك، الضرورية لجعل المستخدمين يتصرّفون بطرائق مربحة لزبائنها الذين يخوضون انتخابات. وعلى الرغم من أنّ ادعاءات الشركة قد دُحضت[62]، فإن هذه الواقعة تكشف التصوّر الشائع بأنّ للذكاء الاصطناعي قدرةً على التلاعب بالناس بحسب الطلب، فضلًا عن استعداد الصحافيين والجمهور لقبول ادعاءات مبالغ فيها بشأن قوة التلاعب المدعوم رقميًّا، بغضّ النظر عن الحجج التي تنقضها.

تتيح التطوّرات الحديثة في نماذج المحوّلات آفاقًا جديدة لتلاعباتٍ محتملة، عبر الإنتاج الآلي للنصوص أو الصور[63]. وثمّة استخدامات مشروعة لهذه النماذج، فضلًا عن أخرى خبيثة. فعلى سبيل المثال، تسهّل هذه النماذج التوليد الآلي للمحتوى اعتمادًا على المعلومات الخام وبيانات الأحداث، كما هو الحال في تغطية الأحداث الرياضية أو سوق الأسهم[64]. وإلى حد بعيد، لا يثير ذلك أيّ إشكالية؛ لأن الذكاء الاصطناعي يترجم المعلومات من أحد أشكال التمثيل، مثل البيانات العددية أو بيانات الأحداث، إلى شكل آخر، مثل مقالة إخبارية سردية.

وأمّا الحالات الأكثر إشكالية، فهي تلك التي لا يقتصر فيها دور الذكاء الاصطناعي على تغيير شكل تمثيل للمعلومة إلى شكل آخر، بل يولّد محتوى استنادًا إلى تعليمات ونماذج سابقة. ومن الأمثلة على ذلك الاستجابات النصية أو المرئية لتعليمات نصّية أو أسئلة. ولا يلتزم الذكاء الاصطناعي بصحة الحجة أو الملاحظة، بل يحاكيها فقط كما هي موجودة في البيانات السابقة. فهو يلتزم اليوم فقط بتمثيل

58 Landemore, *Can AI Bring Deliberative Democracy to the Masses?*

59 Nathan E. Sanders & Bruce Schneier, "Machine Learning Featurizations for AI Hacking of Political Systems," *arXiv*, 2021.

60 Hao Bai et al., "Artificial Intelligence Can Persuade Humans on Political Issues," *OSF Preprints*, 2023.

61 James Bisbee et al., "Artificially Precise Extremism: How Internet-Trained LLMs Exaggerate Our Differences," *Socarxiv*, 2023; John J. Horton, "Large Language Models as Simulated Economic Agents: What Can We Learn from Homo Silicus?" NBER *Working Paper*, 2023; Jihoo Kim & Byoungkwan Lee, "AI-Augmented Surveys: Leveraging Large Language Models for Opinion Prediction in Nationally Representative Surveys," *arXiv*, 2023.

62 Jungherr, Rivero & Gayo-Avello, pp. 124-130.

63 Brown et al.; Ramesh et al.

64 Diakopoulos.

العالم أو بموضوعٍ ما أو حجة كما هي متوافرة له، وليس كما هي بالفعل[65]. وبذلك، فإن مخرجاته كما تظهر لا يمكن الوثوق بها؛ إذ إنها قد لا تكون صحيحة True، بل معقولة Plausible فقط.

ويتمثل الأمر الأكثر إشكالية في احتمال أن يُستخدم الذكاء الاصطناعي مستقبلًا لإنتاج معلومات مزيّفة على نطاق واسع. وقد يتّخذ ذلك شكل تزييف موجّه يهدف إلى تضليل الأشخاص، وإغراق بيئات المعلومات بكميات هائلة من محتوى غير موثوق به أو مضلِّل مولَّد بالذكاء الاصطناعي. وسيؤدي ذلك إلى تمييع بيئات المعلومات؛ ما يصعّب على الناس الوصول إلى المعلومات المهمّة و/ أو يجعلها تبدو غير جديرة بالثقة.

في الوقت نفسه، وعلى نحو قد يبدو معارضًا للحدس، قد يساهم تفشّي المعلومات المضلّلة المولَّدة آليًّا في تعزيز الأخبار المهنية والسعي وراء المعلومات الموثوقة، وفق ما ناقشنا آنفًا. فعندما يصبح شيوع المعلومات غير الموثوقة والمضللة في بيئات المعلومات الرقمية جليًّا، ترتفع قيمة المكاسب من الاعتماد على المعلومات الموثوقة. وبناء عليه، قد تشهد مصادر الأخبار المهنية والموثوقة والمحايدة تراجعًا في حظوظها، مقارنةً بالتحديات الاقتصادية والفكرية التي واجهتها خلال العشرين عامًا الماضية. وبهذه الطريقة، قد يؤدي التزايد في حجم المعلومات المضلّلة المؤتمتة Automated إلى تعزيز دور المؤسسات الوسيطة التي تزوّد بالمعلومات في سياق الديمقراطيات.

ومن المهمّ الإشارة إلى أنّ استخدامات الذكاء الاصطناعي هذه لا تزال تصوّرات نظرية، وقد لا تتحقق نظرًا إلى محدودية التكنولوجيا المؤسِّسة لها، أو احتمال تطوير إجراءات مضادّة فاعلة، و/ أو استمرارية وجود بنى وسيطة تحدّ من آثار المعلومات إجمالًا. مع ذلك، وبالنظر إلى التطوّرات التكنولوجية الأخيرة، أصبحت هذه الاستخدامات بارزة بقوة في مخيال الجمهور، ولذلك فهي تتطلب تأمّلًا نقديًّا من جانب علماء الحاسوب والعلوم الاجتماعية.

هـ. حكم الخبراء

يرتبط دعم الحكم الذاتي ارتباطًا وثيقًا أيضًا بتقييم محدودية حُكم الخبراء في نظم اجتماعية معقّدة. ولا شك في أنّ الخبرة مهمّة، ولكنّ قدرتها على التنبؤ تظلّ محدودة في مجتمعات معقّدة؛ إذ يُنظَر إلى آليات اتّخاذ القرار اللامركزة وظهور تفضيلات الحكم الذاتي، على الرغم من أنها لا تخلو من عيوب، على أنها أفضل ترتيبٍ لاتخاذ القرارات الملزِمة جماعيًّا[66]. لقد عزّز النموّ في حجم البيانات المتوافرة في مجالات متزايدة، إلى جانب الفرص التحليلية الجديدة التي يوفّرها الذكاء الاصطناعي، الآمالَ في تطوير قدرات تنبّئية جديدة في المجتمعات المعقّدة[67]. ولا يقتصر دوره على إلقاء الضوء على نقاط ضعف متّخذي القرارات السياسية، بل إنه يعزّز أيضًا سلطة الخبراء.

يحمل الذكاء الاصطناعي معه فرصًا جديدة لنمذجة التوجهات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية والجيوسياسية والتنبّؤ بها؛ ما يبشّر بتزويد الخبراء بتنبّؤات تتعلق بسلوك الأفراد، استجابةً للتدخلات التنظيمية أو الحوكمية. وفي حين لا تزال الجودة الفعلية لمثل هذه المقاربات محلّ تساؤل، فإنها تحظى بسلطة إضفاء الشرعية فضلًا عن سلطةٍ خطابية. فهي تعزّز سلطة الخبراء الذين يعتمدون، أحيانًا فعليًّا وأحيانًا أخرى خطابيًّا، على نماذج مدعومة بالذكاء الاصطناعي أساسًا لتوصياتهم بشأن كيفية تصرّف المجتمعات في مواجهة التحديات المجتمعية الـكبرى. ويمكن أن يقلّص هذا النموّ الجلّي في سلطة الخبراء، التي تسمح لهم بتوجيه استجابة المجتمعات للتحديات، حيّزَ الخيارات المتاحة لآليات اتخاذ القرار الديمقراطية؛ ما يحوّل السؤال من "هل **يمكن** أن يتّخذ الأفراد القرارات؟" إلى "هل **ينبغي** لهم اتخاذها بأنفسهم؟". وههنا، يمكن أن يحفّز الذكاء الاصطناعي الانتقال من الحكم الذاتي إلى حكم الخبراء؛ ومن ثمّ إضعاف الديمقراطية.

و. سلطة شركات التكنولوجيا

يعزّز الذكاء الاصطناعي أيضًا سلطةَ الشركات على الجمهور، وحتّى على الدول. وفي حين انطلقت الطفرات النظرية في الموجة الحالية من الجامعات، فإن الشركات هي التي تقود تطبيقاته العملية وتطويرها ونشرها على نطاق واسع[68]. وبمرور الوقت، قد تتحوّل القدرة على الابتكار والمساءلة النقدية للذكاء الاصطناعي من الفاعلين العموميين أو الحكوميين إلى الخواص؛ ما يضعف القدرة على الإشراف عليه وتقنينه بوساطة مؤسسات ذات شرعية ديمقراطية. ويمكن رؤية هذه

65 Smith.

66 Dahl; Charles E. Lindblom, *The Market System: What It Is, How It Works, and What to Make of It* (New Haven, CT: Yale University Press, 2001).

67 Rob Kitchin, "Big Data, New Epistemologies and Paradigm Shifts," *Big Data & Society*, vol. 1, no. 1 (2014), pp. 1-12.

68 Nabeel Ahmed, Mohamed Wahed & Neil C. Thompson, "The Growing Influence of Industry in AI Research," *Science*, vol. 379, no. 6635 (2023), pp. 884-886; Cade Metz, *Genius Makers: The Mavericks Who Brought AI to Google, Facebook, and the World* (New York: Dutton, 2021).

التحديات بوضوح في محاولات الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي فرض سيطرتهما على تقنين تطوير الذكاء الاصطناعي واستخداماته[69].

وتُطرح أيضًا مسألة السلطة الاقتصادية والسياسية؛ فقد سمح الذكاء الاصطناعي لشركات مثل غوغل وأمازون بالهيمنة على قطاعات اقتصادية عديدة[70]. وقد أخذت الحكومات أيضًا تعتمد على مزوّدي خدمات قائمة على الذكاء الاصطناعي لدعم الوظائف التنفيذية، مثل الشرطة والأمن. وترتّب على ذلك تزايد اعتماد الحكومات على شركات الذكاء الاصطناعي، وتحوّل غير شفاف للمعرفة من الحكومات إلى مزوّدي هذه الخدمات. ويضاف إلى ذلك ما تملكه هذه الشركات من سلطة على تدفّق المعلومات التي يدعمها الذكاء الاصطناعي وتحكّم في الخطاب السياسي[71]، إلى جانب احتلالها مواقعَ مركزية في النظم الديمقراطية؛ ما قد يؤثّر سلبيًّا في قدرات الأفراد على ممارسة الحكم الذاتي. ويُظهر ذلك أهمية إشراف الحكومات والمجتمع المدني على الشركات التي تطوّر تطبيقات الذكاء الاصطناعي وتستخدمها، لضمان ترسيخ أسس الحكم الذاتي في ظل التزايد المطّرد لاعتماد المجتمعات على النظم المدعومة بالذكاء الاصطناعي.

2. الذكاء الاصطناعي والمساواة

تعتمد الديمقراطية على حصول الأفراد على حقوق متساوية في المشاركة والتمثيل[72]. وعلى الرغم من أنّ هذا المثل الأعلى Ideal لا يتحقق على نحو كامل، ويجري التنازع بشأنه في الممارسة العملية[73]، فإن الديمقراطيات تخوض كفاحًا مستمرًا من أجل توسيع نطاق الحقوق لتشمل المجموعات المستبعَدة سابقًا. ويهدد اعتماد الذكاء الاصطناعي على البيانات التي توثّق للماضي بتقويض هذه العملية، واستمرار التمييز الذي كان سائدًا في الماضي، وتواصله في المستقبل؛ ومن ثم إضعاف الديمقراطية. ومن خلال التنبؤ بكيفية تصرّف الأفراد في ظروف مختلفة، استنادًا إلى ملاحظاتٍ مستمدة من الماضي، يميز الذكاء الاصطناعي بين الأفراد، بناءً على معاييرَ مجسَّدة في نقاط البيانات Data Points. ويُخشى أن يؤدي ذلك إلى تعزيز التحيّزات القائمة في المجتمع، بل إعادة إنتاج أنماط تمييزية اجتماعية وقانونية وسياسية، كنا قد تجاوزناها، ونقْلها من الماضي إلى الحاضر والمستقبل[74]. ومن ثمّ، تغدو مراقبة تطبيقات الذكاء الاصطناعي وتدقيقها باستمرار مسألة حيوية وذات أهمية قصوى.

تتوقف مرئية الأفراد بالنسبة إلى الذكاء الاصطناعي على مدى تمثيليتهم في بيانات الماضي. ويواجه الذكاء الاصطناعي صعوبة في التعرف إلى أولئك الذين ينتمون إلى مجموعات غير ممثّلة تمثيلًا كافيًا في البيانات التي جرى توظيفها في تدريبه. ستظل، مثلًا، الأقليات غير الممثّلة تقليديًّا في مجموعات البيانات غير مرئية بالنسبة إلى رؤية الحاسوب[75]، ولن يتم ربط المجموعات غير الممثّلة على نحوٍ كافٍ تاريخيًّا بمهن معيّنة، ومن ثمّ تخاطر بالتمييز في إجراءات التوظيف المسنودة بالذكاء الاصطناعي[76]. وهذا النمط العام وثيق الصلة بالديمقراطية: فمثلًا، يعني افتقار مجموعات معيّنة إلى المرئية، على نحو ممنهج، أنّ دورها سيتضاءل في أيّ تمثيل للكيان السياسي قائمٍ على الذكاء الاصطناعي، وفي التنبّؤات المتعلّقة بسلوكه ومصالحه وتوجّهاته ومظالمه. وبناءً على ذلك، قد يواجه الأفراد المحرومون خطر المزيد من الحرمان والتمييز في الوصول إلى الخدمات الحكومية، أو تطوير أجندات السياسات العمومية القائمة على تفضيلات وأصوات بوساطة رقمية، أو مواجهة قمع متزايد من أجهزة أمن الدولة.

يجعل الذكاء الاصطناعي بعض الأفراد أكثر مرئية. ومن الناحية التاريخية، سنجد المجموعات المهمّشة ممثّلة تمثيلًا عاليًا في سجلات الجرائم؛ ما سيؤثّر سلبيًّا في أعضاء تلك المجموعات في المقاربات

69 Chris Criddle & Hannah Murphy, "OpenAI Chief Says New Rules Are Needed to Guard against AI Risks," *Financial Times*, 16/5/2023; Javier Espinoza & Ian Johnston, "EU Lawmakers Agree Tough Measures over Use of AI," *Financial Times*, 11/5/2023.

70 James Bessen, *New Goliaths: How Corporations Use Software to Dominate Industries, Kill Innovation, and Undermine Regulation* (New Haven, CT: Yale University Press, 2022); Erik Brynjolfsson, Wang Jin & Xiang Hui Wang, "Information Technology, Firm Size, and Industrial Concentration," *NBER Working Paper*, no. 31065, 2023.

71 Jungherr & Schroeder, "Artificial Intelligence and the Public Arena."

72 Dahl.

73 Anne Phillips, *Unconditional Equals* (Princeton: Princeton University Press, 2021); Iris Marion Young, *Inclusion and Democracy* (Oxford: Oxford University Press, 2002).

74 Virginia Eubanks, *Automating Inequality: How High-Tech Tools Profile, Police, and Punish the Poor*. (New York: St. Martin's Press, 2018); Sandra G. Mayson, "Bias In, Bias Out," *Yale Law Journal*, vol. 128, no. 8 (2019), pp. 2218-2300; Ninareh Mehrabi et al., "A Survey on Bias and Fairness in Machine Learning," *ACM Computing Surveys*, vol. 54, no. 6 (2022); Ziad Obermeyer et al., "Dissecting Racial Bias in an Algorithm Used to Manage the Health of Populations," *Science*, vol. 366, no. 6464 (2019), pp. 447-453; Mitchell et al.

75 Joy Buolamwini & Timnit Gebru, "Gender Shades: Intersectional Accuracy Disparities in Commercial Gender Classification," in: Sorelle A. Friedler & Christo Wilson (eds.), *Proceedings of the 1st Conference on Fairness, Accountability and Transparency, 23-24 February 2018, New York*, PMLR 81 (New York: Association for Computing Machinery, 2018), pp. 77-91, accessed on 20/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BPey

76 Aylin Caliskan, Joanna J. Bryson & Arvind Narayanan, "Semantics Derived Automatically from Language Corpora Contain Human-Like Biases," *Science*, vol. 356, no. 6334 (2017), pp. 183-86.

القائمة على الذكاء الاصطناعي في مجالات إنفاذ القانون والمحاكمة[77]. وفي بلدان مثل الولايات المتحدة، حيث يُحرَم المجرمون من حقوق التصويت بدرجات متفاوتة بحسب الولايات، يمكن أن تؤدّي التحيّزات المنمنهجة الكامنة في إجراءات إنفاذ القانون والمحاكمة المدعومة بالذكاء الاصطناعي، بمرور الوقت، إلى جعل المصوّتين متحيّزين على نحو ممنهج ضد المجموعات المحرومة تاريخيًّا[78]. ويمكن أن يكون أيضًا للمقاربات القائمة عليه تأثير عميق في إعادة ترسيم الدوائر الانتخابية[79]. وقد يؤدّي ذلك أيضًا إلى تعزيز أوجه عدم المساواة البنيوية وأشكال التمييز، من خلال المساهمة في استمرارية الأنماط القائمة في البيانات التاريخية، حتّى في المجتمعات التي تسعى إلى سنّ ممارسات أكثر مساواةً وأقلّ تمييزًا.

من خلال ذلك، يمكن أن نستنتج أنّ التمثيلات اللاحقة للرأي العام والكيان السياسي، القائمة على الذكاء الاصطناعي، وعمليات إعادة ترسيم الدوائر الانتخابية المدعومة به، قد تكون متحيّزة ضد مجموعات كانت مهمَّشة في الماضي. ويمكن أن تزيد درجات مختلفة من المرئية للذكاء الاصطناعي من النفوذ الديمقراطي لبعض المجموعات، وتقلّل نفوذ مجموعات أخرى. فمثلًا، يمكن أن يساهم الذكاء الاصطناعي في زيادة موارد المحظوظين أصلًا، بجعل أصواتهم ومصالحهم وتوجّهاتهم ومخاوفهم ومظالمهم أكثر بروزًا، وفي متناول صنّاع القرار. وقد يستخدم تفضيلات المجموعات البارزة في التنبّؤ بالاتجاهات Trends السياسية وتأثير السياسات، في حين يتجاهل تفضيلات المجموعات الأقل مرئية.

قد تخلّف تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي آثارًا سلبية في سوق العمل؛ فبينما يمكن الشركات، من حيث المبدأ، أن تستثمر في الأتمتة من أجل تمكين العمال من التفرّغ لإنجاز مهمّات جديدة تزيد من قيمة عملهم، يبدو أنّها في الغالب تسعى إلى خفْض تكاليف العمالة من خلال استبدال الذكاء الاصطناعي بالمهمّات القائمة على العمل البشري[80]. وهذا يضعف قدرة العمّال على التفاوض، ويقلّل دخلهم من خلال استبدال رأس المال بالعمل؛ ما يهدد بتعميق عدم المساواة الاقتصادية وإضعاف القوة التفاوضية الجماعية لدى العمال. ومن ثمّ، قد يؤدي ذلك أيضًا إلى إضعاف نفوذ العمال السياسي وتقليص تمثيلهم[81].

ومع ذلك، فنحن غير متيقّنين من نوعية العمل الذي سيتأثّر بالتقدّم التكنولوجي القائم على الذكاء الاصطناعي؛ فعادةً ما تحلّ الأتمتة محلّ المهمّات البشرية الروتينية، ولذلك، فهي غالبًا تؤثّر في العمال ذوي المهارات المتدنّية[82]. لكنّ الموجات اللاحقة من الابتكار في الذكاء الاصطناعي بيّنت أنّ المهمّات الروتينية تشكّل أساس العديد من المهن، بما فيها المهن المكتبية White-collar والمَعرفية التي لطالما عُدَّت محصّنَة ضد الأتمتة. وهكذا، قد يساهم الذكاء الاصطناعي في تغيير مصائر العمال السياسية، مؤثِّرًا في مجموعات اقتصادية أوسع مقارنةً بأشكال الأتمتة التقليدية. ويمكن بالفعل ملاحظة ذلك في النقاش الراهن حول أثر النماذج اللغوية الكبيرة والذكاء الاصطناعي التوليدي في قطاعَي الإبداع والبرمجيات، اللذَين بدوَا حتى الآن في مأمن من مخاطر الاستبدال المهني بفعل الأتمتة. وقد تجلّت هذه التصدعات الناشئة عمليًا خلال إضرابات الكُتّاب السينمائيين في هوليود عام 2023، حيث طالب كتّاب السيناريو بحمايةٍ تعاقدية ضدّ استخدام شركات الإنتاج للذكاء الاصطناعي في مهمّات الكتابة[83].

وفي الوقت نفسه، يمكن أن يساعد الذكاء الاصطناعي المجتمعات التي تعاني الشيخوخة Aging في إنجاز مهمّات العمل، التي يمكن الاستعاضة عنها، وتركيز قوة العمل في المهمّات التي لا يمكن الاستعاضة عنها حاليًّا بالذكاء الاصطناعي، ومن ثمّ الحفاظ على مستويات الإنتاجية في مواجهة الضغوط الديموغرافية المتزايدة في العديد من

77 Alexandra Chouldechova, "Fair Prediction with Disparate Impact: A Study of Bias in Recidivism Prediction Instruments," *Big Data*, vol. 5, no. 2 (2017), pp. 153-163; Christian; Andrew Guthrie Ferguson, *The Rise of Big Data Policing: Surveillance, Race, and the Future of Law Enforcement* (New York: New York University Press, 2017).

78 Hadar Aviram, Alexander Bragg & Christopher Lewis, "Felon Disenfranchisement," *Annual Review of Law and Social Science*, vol. 13 (2017), pp. 295-311.

79 Wendy K. Tam Cho & Bruce E. Cain, "Human-Centered Redistricting Automation in the Age of AI," *Science*, vol. 369, no. 6508 (2020), pp. 1179-1181.

80 Daron Acemoglu & Pascual Restrepo, "Artificial Intelligence, Automation and Work," in: Ajay Agrawal, Joshua Gans & Avi Goldfarb (eds.), *The Economics of Artificial Intelligence: An Agenda* (Chicago: University of Chicago Press, 2019), pp. 197-236.

81 Daron Acemoglu, "Harms of AI," in: Justin B. Bullock et al. (eds.) *The Oxford Handbook of AI Governance* (Oxford: Oxford University Press, 2021); Aina Gallego & Thomas Kurer, "Automation, Digitalization, and Artificial Intelligence in the Workplace: Implications for Political Behavior," *Annual Review of Political Science*, vol. 25 (2022), pp. 463-484.

82 Daron Acemoglu & Pascual Restrepo, "Tasks, Automation, and the Rise in U.S. Wage Inequality," *Econometrica*, vol. 90, no. 5 (2022), pp. 1973-2016; Frey.

83 Alissa Wilkinson, "The Looming Threat of AI to Hollywood, and Why It Should Matter to You," *Vox*, 2023.

الاقتصاديات المتقدّمة[84]. لكنّ تحقيق الإمكانات الاقتصادية للذكاء الاصطناعي لفائدة المجتمعات يتطلب ضمان توزيع المكاسب على نطاق واسع بدلًا من أن ينحصر في نخبة محدودة. وفي ظل المكاسب الاقتصادية الناتجة من التكنولوجيا الرقمية، يبدو أنّ الرابط بين هذه المكاسب والتوزيع المشترك للرخاء قد تراجع أو انقطع. ويثير ذلك مخاوف من أنّ النخب قد تكون المستفيد الأساسي من المكاسب التي يتيحها الذكاء الاصطناعي، في حين يظل معظم الناس عرضة للمخاطر الاقتصادية الناجمة عن الأتمتة[85]. ويمكن أن يعزّز هذا غياب المساواة في المجتمع، ويضعف الديمقراطية. ويضع هذا التطوّر الخطير المحتمل توظيف الذكاء الاصطناعي والإشراف العمومي والتنظيمي عليه في صلب الاهتمام.

يلامس الذكاء الاصطناعي، بكل وضوح، مسألة المساواة داخل الديمقراطيات؛ إذ إنّ أوجه غياب المساواة ربما تتجلى في تخصيص اختيارات الأفراد والمجموعات، وفي تقديم خدمات الدولة التي تستخدم أنظمة الذكاء الاصطناعي، وفي مرئية الأفراد وتمثيلهم ضمن هذه الأنظمة، فضلًا عن توفير الفرص الاقتصادية لأولئك الذين يمكن استبدال مهمّات عملهم بالذكاء الاصطناعي، أو حجب هذه الفرص عنهم. ومن ثمّ، تُعدّ هذه المجالات مهمّة للمزيد من البحث، وللتدخل التنظيمي عند الضرورة.

3. الذكاء الاصطناعي والانتخابات

تعتمد الديمقراطية على الانتخابات التي تقنّن الصراع السياسي وتدبّره، من خلال منح مختلف الفصائل السياسية فرصة الوصول إلى السلطة ضمن إطار مؤسسي. ولا ينجح هذا، إلا إذا رأى كل فصيل فرصةً فعليةً للوصول إلى السلطة[86] عن طريق الانتخابات؛ ما يجعل الديمقراطية نظامًا قائمًا على "عدم يقين منظّم"[87]. وتهدّد تطبيقات الذكاء الاصطناعي بإزاحة هذه الحالة المتصوَّرة من عدم اليقين بشأن من سيخسر في الانتخابات ومن سيفوز بها. ومع ذلك، تظلّ استخداماته في هذا المجال محدودة.

تُعَدّ المقاربات القائمة على البيانات محدودة في قدرتها على التنبّؤ بسلوك المصوِّتين. فبينما يمكن التنبّؤ بدرجة معيّنة بسلوك تصويت المتحزّبين[88]، لا سيما في الأنظمة ثنائية الحزب، يصبح التنبّؤ بسلوك الأفراد الذين يشاركون في السياسة مشاركة محدودة أشد صعوبة وتعقيدًا؛ فالناس لا يصوِّتون دائمًا، وعندما يدلون بأصواتهم، قد تختلف السّياقات كثيرًا. وفي الغالب، لا تكون خياراتهم التصويتية متاحة أمام المُنمذجين Modelers؛ ما يجعل التنبؤ آليًا بالسلوك التصويتي مشكلة بالنسبة إلى الذكاء الاصطناعي، ويظلّ غير مؤهّل للتعامل معها. وبناء عليه، فإن عدم اليقين المرتبط بالانتصارات الانتخابية يظلّ قائمًا على المدى المنظور. وفي مقابل ذلك، يمكن أن تطوّر الحملات الانتخابية نماذج أخرى ذات صلة بالانتخابات، وقائمة على البيانات، مثل احتمال أن يصوّت الفرد أو أن يتبرّع بأموال[89]؛ ما قد يمنح الحملاتِ الانتخابيةَ ميزة تنافسية. ومع ذلك، فمن المرجّح أن تكون هذه الميزة عابرة، نظرًا إلى توافر الأدوات القائمة على الذكاء الاصطناعي، وتعلّم هيئات الحملات الانتخابية من نجاحات الآخرين وإخفاقاتهم[90].

قد تسعى الشركات والحكومات أيضًا إلى استخدام الذكاء الاصطناعي، للتنبؤ بنتائج الانتخابات أو بتقلّبات مزاج الناخبين، وربما للتدخّل فيها. ورغم أن هذه المجهودات تظل محدودة بالتحدّيات نفسها المذكورة آنفًا، فإنّ انطباع الجمهور بوجود مثل هذه القدرة قد يكون كافيًا لتقويض الانتخابات ونزع الشرعية عنها، ومنح الخاسرين ذريعةً للطعن في نتائجها بدلًا من الاعتراف بالهزيمة.

أماط الدور المحتمل لشركة كامبريدج أناليتيكا في استفتاء خروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي، وفي الانتخابات الرئاسية الأميركية عام 2016، اللثامَ عن بعض هذه التحديات. فعلى الرغم من قلّة المؤشرات على الاستخدام الواسع للاستهداف السيكولوجي للناخبين القائم على البيانات، أو على وجود آثار كبيرة له، فإن تلك الأحداث لا تزال حاضرة على نحو واسع في مخيّلة الجمهور، بوصفها مثالًا على القوة المتصوَّرة للذكاء الاصطناعي في التلاعب بالانتخابات[91]. ومن المتوقّع أن يغيّر الانتشار الأوسع للذكاء الاصطناعي في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية توقّعات الأفراد حول استخداماته وإساءة استخدامه في الحملات الانتخابية، بغضّ النظر عن توظيفاته الفعلية أو القيود الكامنة فيه.

---

84 Daron Acemoglu & Pascual Restrepo, "Demographics and Automation," *The Review of Economic Studies*, vol. 89, no. 1 (2022), pp. 1-44.

85 Acemoglu & Johnson.

86 Przeworski.

87 Adam Przeworski, *Democracy and the Market: Political and Economic Reforms in Eastern Europe and Latin America* (Cambridge: Cambridge University Press, 1991), p. 13.

88 Eitan D. Hersh, *Hacking the Electorate: How Campaigns Perceive Voters* (Cambridge: Cambridge University Press, 2015); Sasha Issenberg, *The Victory Lab: The Secret Science of Winning Campaigns* (New York: Crown Publishing Group, 2012); David W. Nickerson & Todd Rogers, "Political Campaigns and Big Data," *Journal of Economic Perspectives*, vol. 28, no. 2 (2014), pp. 51-74.

89 Nickerson & Rogers.

90 Daniel Kreiss, *Prototype Politics: Technology-Intensive Campaigning and the Data of Democracy* (Oxford: Oxford University Press, 2016).

91 Jungherr, Rivero & Gayo-Avello, pp. 124-130.

عمومًا، يبدو أثر الذكاء الاصطناعي في الانتخابات محدودًا، نظرًا إلى النُّدرة النسبية للنشاط موضوع التنبّؤ، أي التصويت. وبينما قد تظهر آثار غير مباشرة، من خلال فرص التمايز التنافسي Competitive Differentiation، فمن غير المرجّح أن تُترجَم هذه إلى تغيّر دائم ومنهجي في السلطة، لا سيما مع التوافر الواسع لأدوات الذكاء الاصطناعي. والأرجح هو الأثر غير المباشر المشار إليه سابقًا: أي إنّ الجمهور، من خلال نقل توقّعات حول القوى المفترضة للذكاء الاصطناعي في السياسة، مستوحاة من تطبيقاته في الصناعة والبحث العلمي، يعتقد أنه قادر حقًّا على تقليل "عدم اليقين المنظّم" في الانتخابات الديمقراطية. وهذا وحده كفيل بتقويض ثقة الجمهور بالانتخابات وقبول نتائجها. بناء عليه، من المهمّ المحافظة على عدم اليقين المنظّم حيًّا في مواجهة الذكاء الاصطناعي، لا إضعافه عبر تكهّنات غير مسؤولة أو خيالية.

4. الذكاء الاصطناعي والتنافس السلطوي

يؤثّر الذكاء الاصطناعي أيضًا في العلاقة بين الديمقراطية وأنظمة الحكم الأخرى، بما فيها الأنظمة السلطوية، والتي حاجّ البعض بأنها تحظى بميزة في تطويره ونشره. ففي حين تواجه الشركات والحكومات في الأنظمة الديمقراطية قيودًا على النشر أو التجميع الشامل للبيانات حول سلوك الأفراد، فإنها تحظى بهامش أوسع للقيام بذلك في الأنظمة السلطوية. ويؤدي الترابط الوثيق بين الدولة والشركات التي تطوّره وتنشره في هذه الأنظمة إلى إنشاء بيئة قانونية متساهلة فيما يتعلق بالخصوصية؛ ما يوفّر للمطوِّرين والمُنمذِجين كنزًا هائلًا من البيانات؛ وهو ما يسمح لهم بصقل نماذج للسلوك البشري مدعومة به. يضاف إلى ذلك الموارد التي تُرصد مركزيًّا وتدريب أعداد كبيرة من المهندسين والمديرين المتمرّسين بالذكاء الاصطناعي؛ ما يجعل البعض يتوقّع أن تكون النتيجة ميزة تنافسية هائلة في تطوير الأنظمة المدعومة به ونشرها وتحقيق أرباح منها[92]. وربما يسمح ذلك بنشوء مسار تطوّري غير متكافئ في مجال الذكاء الاصطناعي، وقدرات الدولة والمنافع الاقتصادية، وحتّى الكفاءة العسكرية؛ ما يمنح الأنظمة السلطوية ميزة تنافسية على الديمقراطيات.

طالما نُظر إلى الديمقراطيات، إذا ما وضعنا جانبًا الاعتبارات المعيارية، على مستوى وظيفي خالص، على أنها تتفوّق على الأنظمة السلطوية بفضل أدائها المتفوّق بوصفها أنظمةً لتجميع المعلومات وتحليلها[93]. وتوفّر حرية التعبير والصحافة والتنافس الانتخابي المقنّن بين مختلف الفصائل، آليات بنيوية تمكّن الديمقراطيات من الكشف عن معلومات تتعلق بالمجتمع وأداء البيروقراطية وآثار السياسات. وعلى نقيض ذلك، تميل السلطويات إلى تقييد تدفّق المعلومات، عبر التحكّم في حرية التعبير والإعلام والتنافس السياسي، ما يترك الحكومات في حالة من العتمة إزاء الأوضاع المحلّية، وتفضيلات الجمهور، ومستويات الفساد في البيروقراطيات، فضلًا عن عواقب السياسات التي تتّبعها في نهاية المطاف.

في المستقبل، وعلى سبيل الاستشراف، قد يمكّن الذكاء الاصطناعي السلطويات من تجاوز هذا العائق. وأوضحُ مثالٍ على ذلك، في الوقت الراهن، هو الصين[94]، التي تستخدم تجميعَ البيانات الضخمة على نطاق واسع والذكاءَ الاصطناعي لدعم التخطيط والتحكّم المجتمعيَين[95]، على غرار نظام الائتمان الاجتماعي[96]. وقد تساعد الاستفادة من إمكانات الذكاء الاصطناعي السلطويات أيضًا على زيادة قدراتها الدولتية، عبر الحوكمة والتخطيط المدعومَين به مثلًا. وقد يحسّن ذلك، في المقابل، جودة الخدمات العامة التي تقدّمها الدولة، ويتيح للأشخاص الذين يعيشون في الأنظمة السلطوية فرصًا أوسع على المستويات الثقافية والاقتصادية والصحّية[97].

92 Lee; Filgueira.

93 Timur Kuran, *Private Truths, Public Lies: The Social Consequences of Preference Falsification* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1995); Charles E. Lindblom, *The Intelligence of Democracy: Decision Making through Mutual Adjustment* (New York: Free Press, 1965); Josiah Ober, *Democracy and Knowledge: Innovation and Learning in Classical Athens* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2008); Ronald Wintrobe, *The Political Economy of Dictatorship* (Cambridge: Cambridge University Press, 1998).

94 Jinghan Zeng, *Artificial Intelligence with Chinese Characteristics: National Strategy, Security and Authoritarian Governance* (Singapore: Palgrave Macmillan, 2022).

95 Jeffrey Ding et al., "The AI Powered State: China's Approach to Public Sector Innovation," *Nesta*, 2020; Jennifer Pan, *Welfare for Autocrats: How Social Assistance in China Cares for Its Rulers* (Oxford: Oxford University Press, 2020).

96 Rogier Creemers, "China's Social Credit System: An Evolving Practice of Control," *Social Science Research Network (SSRN)*, 2018; Fan Liang et al., "Constructing a Data-Driven Society: China's Social Credit System as a State Surveillance Infrastructure," *Policy & Internet*, vol. 10, no. 4 (2018), pp. 415-453; Daithi Mac Síthigh & Mathias Siems, "The Chinese Social Credit System: A Model for Other Countries?" *Modern Law Review*, vol. 82, no. 6 (2019), pp. 1034-1071.

97 Peter H. Diamandis & Steven Kotler, *The Future Is Faster than You Think: How Converging Technologies Are Transforming Business, Industries, and Our Lives* (New York: Simon & Schuster, 2020); Kai-Fu Lee & Chen Quifan, *AI 2041: Ten Visions for Our Future* (New York: Currency, 2021).

ثمّة أيضًا من قد يرى أنّ هذه المزايا تستحق مقايضتها ببعض الحريات الفردية؛ ما يؤدي إلى تعزيز الدعم الشعبي للسلطويات وسيطرة الدولة. يمكن، إذًا، أن يعزّز التباينُ، في فرص تحقيق إمكانيات الذكاء الاصطناعي، الاتجاهاتِ الجليةَ أصلًا في البلدان التي تواجه أزمات اقتصادية وثقافية وأمنية[98]. وفي الأوقات التي تواجه فيها الديمقراطيات، على نحو خاص، تحدياتٍ داخليةً متزايدة فيما يتعلق بالفرص التي توفرها للناس، فإن هذه الإمكانيات التي تجعل الكفّة تميل على نحو غير متكافئ إلى مصلحة السلطويات، تمثّل تحدّيًا واضحًا للديمقراطيات؛ هذا إذا ما تحققت.

أبعد من ذلك، يعدّ الذكاء الاصطناعي تكنولوجيا، يجري التداول بشأنها على نحو متزايد في الأوساط العسكرية والأمنية[99]. وبينما يثير دوره المعياري وإمكاناته الوظيفية في هذه المجالات جدلًا محتدمًا، تشير المخاوف المتزايدة في هذه الأوساط إلى تصوّر عام مفاده أنه قد يسهّل تأخّر الديمقراطيات عن السلطويات.

ومع مرور الزمن، يمكن أن تبرز اختلافات في مسارات تطوّر الذكاء الاصطناعي ونشره بين الديمقراطيات والسلطويات. وإذا ثبتت صحة افتراض أنّ السلطويات تميل بطبيعتها إلى تبنّيه أكثر من الديمقراطيات، وأنّها قادرة على الاستفادة منه بدرجة أكبر، فقد يؤدّي ذلك إلى تحوّل في ميزان القوى بين الأنظمة، ومن ثمّ إضعاف الديمقراطية.

ثالثًا: الذكاء الاصطناعي والديمقراطية: الطريق إلى الأمام

بينما لا يزال العديد من تطبيقات الذكاء الاصطناعي جزءًا من المستقبل، فإن أثره في الديمقراطية بدأ يتجلى بالفعل. صحيح أنّ العديد من استخداماته وآثاره المستقبلية لا تزال غير مؤكّدة، لكن من المهمّ أن تنخرط العلوم الاجتماعية مبكرًا في مجاله، وتساعد في رصده وتقييمه وتوجيه تطبيقاته. ويشمل ذلك استخداماته في السياسة والحكومة وتقنينها وحوكمتها. تقدّم هذه الدراسة إطارًا مفهوميًّا يسمح برسم خريطة لمجالات التقاءٍ مهمّةٍ بين الديمقراطية والذكاء الاصطناعي، ويسمح أيضًا بربط استخداماته وآثاره بالنقاشات المعيارية ذات الصلة في النظرية السياسية، والتي يمكن أن توفّر الإرشاد في تقييم استخداماته وآثاره. وفي المستقبل، يمكن أن تشكّل مجالات التقاطع المفهوميةُ الواسعة، المتعلقة بالحكم الذاتي والمساواة والانتخابات والتنافس بين الأنظمة، مجموعاتٍ موضوعاتيةً رئيسة في الأبحاث مستقبلًا. وستوفّر الأبحاث المستقبلية تصوّرًا أدقّ وأكثر تفصيلًا، وستقدّم نظريات متقدمة تفسر أنماط استخدام الذكاء الاصطناعي وتأثيره.

يحتاج الباحثون في العلوم الاجتماعية إلى أن يأخذوا الذكاء الاصطناعي في الحسبان عند تحليل خصائص الديمقراطية المعاصرة ومخاطرها وإمكاناتها. وفي أثناء ذلك، عليهم أن يتدبروا الآليات الداخلية والآثار، الخاصة بكل حقل من حقول العلوم الاجتماعية، كما تتجلى في التكنولوجيا الكامنة وراء الذكاء الاصطناعي. وفي الوقت نفسه، يتعيّن على المهندسين وعلماء الحاسوب أن يأخذوا في الحسبان عواقب تطوير الذكاء الاصطناعي ونشره على الديمقراطية. ولا يعني ذلك التركيز على تحليل التكنولوجيا نفسها فحسب، بل يقتضي أيضًا أخذ طبيعتها في الاعتبار بوصفها ضمن البنى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تتوسط تأثيرها، إيجابيًا وسلبيًا. وهذا يجعل تحليل أثره في الديمقراطية مجالًا مهمًّا للأبحاث البينتخصّصية Interdisciplinary في المستقبل.

تعتمد جودة تحليل آثار الذكاء الاصطناعي في الديمقراطية على خصوصية نوعيته، وكيفية عمله، وشروط النجاح في نشره، وجوانب الديمقراطية التي يلامسها. ويمكن السرديات عن ذكاءٍ اصطناعي عام فائق القدرة وغير محدد، وعن أثره المحتمل في المجتمع، أن تنتج قراءات مثيرة، لكنها لا تقدّم إلا القليل لتحليل الآثار الفعلية في المجتمع أو الديمقراطية. وفي الواقع، قد يستخدم الأطراف المهتمون بذلك النقاشَ حول الذكاء الاصطناعي العام ومخاطرَ أحداث على مستوى انقراض البشرية ستارًا دخانيًّا، قصد إلهاء الجمهور وتشتيت الانتباه عن مسائل حوكمة الذكاء الاصطناعي وتقنينه وعن التوزيع المجتمعي للمكاسب والمخاطر الناجمة عنه، والتي قد تبدو روتينية لكنها جوهرية.

وعلى الرغم من أنّ الذكاء الاصطناعي يناقَش، في الكثير من الأحيان، بوصفه خطرًا أو تهديدًا، يمكنه أيضًا أن يتيح فرصًا لإزاحة بعض التحدّيات المعاصرة التي تواجه الديمقراطية. وقد يخفف التفكير المنفتح، في تطبيقات الذكاء الاصطناعي ضمن الديمقراطية، من وطأة بعض هذه التحديات. ويمكن أيضًا أن تساهم خيارات التصميم الواعية، وعمليات التدقيق الشفافة، في الحدّ من أوجه الخلل أو الكشف عن التحيّزات المحتمَلة.

يعتمد أثر الذكاء الاصطناعي، بصفة عامة، على التنفيذ وإشراف الجمهور والجهات التنظيمية الرقابية. لذلك، يتعيّن على الشركات

98 Mikhail Matovski, *Popular Dictatorships: Crises, Mass Opinion, and the Rise of Electoral Authoritarianism* (Cambridge: Cambridge University Press, 2021).

99 Ben Buchanan & Andrew Imbrie, *The New Fire: War, Peace, and Democracy in the Age of AI* (Cambridge, MA: MIT Press, 2022); Goldfarb & Lindsay (eds.).

والهيئات التنظيمية والمجتمعية التحلّي بالصراحة والشفافية، فيما يتعلق بالأهداف الاقتصادية والسياسية والمجتمعية التي يرغبون في تحقيقها من خلال استخدامه، وبكيفية تأثير آليات عمله المحدّدة في دفع هذه الأهداف أو عرقلتها. وبحكم طبيعة هذا النقاش، فإنه يمزج بين حجج واعتبارات معيارية وآلاتية وتكنولوجية. ومن المهمّ عدم الانجراف وراء الرؤى المبالغ فيها، أو المتخيَّلة للذكاء الاصطناعي العام، والتركيز بدلًا من ذلك على حالاته المحدودة، وآلياته الداخلية، واستخداماته في مجالات اهتمام محددة، فضلًا عن آثاره. ويشمل ذلك مناقشة الآثار المحتملة، سواء الإيجابية أو السلبية على حد سواء.

من غير المرجّح أن يؤثّر الذكاء الاصطناعي على نحو مباشر في جوانبَ عديدة من الديمقراطية. وعلى الرغم من ذلك، فإنه من المحتمل أن يستمرّ الخطاب العمومي في التركيز على التهديدات والتلاعب والتحوّلات المتوقّعة في السلطة. ولهذا الخطاب وهذه التوقّعات القدرة على تشكيل توجّهات الجمهور حيال الذكاء الاصطناعي وأثره في الديمقراطية، بغضّ النظر عن مدى واقعيتها. وقد تكون الآثار المتصوّرة أشد أهمية من الآثار الفعلية. وتقع على عاتق الباحثين مسؤولية تجنّب المبالغة بالتخمينات، بل التركيز على آليات عمل الذكاء الاصطناعي وآثاره الفعلية.

إنّ التوظيف الواسع للذكاء الاصطناعي في المجتمع والسياسة ليس سوى بداية، فالتطوّرات المستقبلية لا تزال طبعًا غير معروفة؛ لذلك، يجب الاستمرار في رصد الشكل المحدّد الذي ستتّخذه تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي، وتطبيقاتها في المجتمع، وآثارها اللاحقة في الديمقراطية. وتحدّد هذه الدراسة مجالات التقاطع بينه وبين الديمقراطية، التي تسمح بتتبّع هذا المسار ورصده. وعلى نحو أكثر تحديدًا، ثمّة سلسلة من الفرص للأبحاث المستقبلية.

وعلى مستوى أساسي للغاية، ثمّة حاجة إلى أبحاث ممنهجة أكثر حول كيفية استخدام الذكاء الاصطناعي في السياسة، لا سيما من جانب الحكومات[100]. فلدينا بعض الدراسات المبكرة، في مجالات من قبيل الشّرطة التنبّئية والنظم القانونية[101]، لكنها قليلة نسبيًّا وأغلبها يركّز على الولايات المتحدة. وتتوافر فرص لدراسات حول بلدان أخرى، ولإجراء أبحاث مقارنة أيضًا. ومن ناحية أخرى، يستند الكثير مما نعتقد أننا نعرفه عن الذكاء الاصطناعي في المجتمع إلى تقارير صحافية. ومع أنّ هذه التقارير قد تكون مفيدة جدًّا، فإن الحاجة ملحّة إلى تصوّرات علمية عن هذه التطوّرات في قطاعات ومجتمعات مختلفة.

ثمّة أيضًا تيّار جامح من الدراسات التي تشخّص تحيّزات أنظمة ذكاء اصطناعي معيّنة في سياقات خاصة، مثل عمليات التدقيق في تحليلات النصوص والصور المدعومة بالذكاء الاصطناعي، وتوظيفه في عمليات مجتمعية، مثل العمل الشُّرطي أو إصدار الأحكام القضائية أو قرارات الإقراض أو ممارسة الطبّ[102]. ومع ذلك، يمكن استخدامه أيضًا لدراسة التحيّزات التاريخية في المجتمع، وذلك بفحص مجموعات البيانات الكبيرة، المتكوّنة من النصوص والصور التاريخية، لتحديد توزيع مجموعات مجتمعية معيّنة، على أسس الجندر أو العرق مثلًا، فضلًا عن تحديد تحوّلات تمثيلها[103]؛ أو على نحو أعمّ، تحديد الحالات الواعدة التي تتعارض فيها البيانات الإمبريقية مع التوقّعات المستندة إلى النماذج، وذلك من أجل تعزيز التحليل[104].

بناءً على ذلك، ثمّة حاجة أيضًا إلى أبحاث ممنهجة عن تقنين الذكاء الاصطناعي في دول وسياقات مختلفة[105]. ورغم أننا لا نزال في مرحلة مبكرة من وضع الأطر الرسمية للتقنين، فإنّ أنشطة مثيرة للانتباه قد بدأت، لا سيما الدعم الحكومي للبحث والتطوير الذي يركّز على الذكاء الاصطناعي. وقد حدّد الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة والصين الذكاء الاصطناعي بوصفه مجالًا للتنافس الجيوسياسي والاقتصادي والاستراتيجي. ويُعدّ فحص المبادرات السياساتية المتنافسة، التي تسعى لتحفيز الابتكار، خطوة مبكرة واعدة في الطريق نحو فحص علاقات الحكومات بالذكاء الاصطناعي والسياسات واللوائح المرتبطة به. والدراسات المقارنة المبكرة عن تقنين الخصوصية، والنماذج

100 David Freeman Engstrom & Amit Haim, "Regulating Government AI and the Challenge of Sociotechnical Design," *Annual Review of Law and Social Science*, vol. 19 (2023), pp. 277-298.

101 Sarah Brayne, *Predict and Surveil: Data, Discretion, and the Future of Policing* (New York: Oxford University Press, 2021); Ferguson.

102 Bolukbasi et al.; Buolamwini & Gebru, pp. 77-91; Caliskan, Bryson & Narayanan, pp. 183-86; Mayson, pp. 2218-2300; Mehrabi et al., pp. 1-3; Mitchell Shira et al.; Ziad Obermeyer et al., "Dissecting Racial Bias in an Algorithm Used to Manage the Health of Populations," *Science*, vol. 366, no. 6464 (2019), pp. 447-453.

103 Pascal Jürgens, Christine E. Meltzer & Michael Scharkow, "Age and Gender Representation on German TV: A Longitudinal Computational Analysis," *Computational Communication Science*, vol. 4, no. 1 (2022), p. 5.

104 Anders Koed Munk, Asger Grønning Olesen & Mathieu Jacomy, "The Thick Machine: Anthropological AI between Explanation and Explication," *Big Data & Society*, vol. 9, no. 1 (2022), pp. 1-14; Jill Walker Rettberg, "Algorithmic Failure as a Humanities Methodology: Machine Learning's Mispredictions Identify Rich Cases for Qualitative Analysis," *Big Data & Society*, vol. 9, no. 2 (2022), pp. 1-6.

105 Michael Veale, Kenneth Matus & Robert Gorwa, "AI and Global Governance: Modalities, Rationales, Tensions," *Annual Review of Law and Social Science*, vol. 19 (2023), pp. 255-275.

التجارية ذات الصلة بالمنصات، يمكنها أن تقدّم جذاذات Templates للأعمال التي تركّز على الذكاء الاصطناعي[106].

أخيرًا، يُعدّ تطوير الذكاء الاصطناعي، بوصفه حقلًا علميًّا وتجاريًّا، موضوعًا بحثيًّا واعدًا في حدّ ذاته. إنّ الطبيعة البينتخصّصية، والتحوّلات في طلائع تطويره بين التخصصات العلمية والفضاء الجامعي وقطاع الأعمال، وكذا المناطق الجغرافية، تجعلها حالة مثيرة جدًّا للانتباه بالنسبة إلى العلاقة المعاصرة بين العلم والتجارة والمجتمع[107]. وإذا ذهبنا إلى أبعد من ذلك، فإن الذكاء الاصطناعي يُستخدم على نحو متزايد في العلوم الاجتماعية منهجيةً للاكتشاف. فالتحوّلات المرتبطة بسير الأعمال العلمية والأسئلة المطروحة ومقاربات التنظير تمثّل مجالًا خصبًا للتأمّل مستقبلًا[108].

للبحث العلمي حول أثر الذكاء الاصطناعي في الديمقراطية مسارات واعدة عديدة. ومن المهمّ هنا الجمع بين رؤى من حقول متعددة؛ إذ إنّ التصوّرات التكنولوجية الصرفة ربما تبالغ في تقدير أثره في النظم الاجتماعية؛ نظرًا إلى محدوديتها وتجاهلها دور البنى الاجتماعية. وفي المقابل، قد تؤدي التصوّرات الصادرة حصريًا عن العلوم الاجتماعية إلى تشويه آليات العمل الفعلية للذكاء الاصطناعي الحالي، ما يجعل عواقبه تُنسَب إلى أسباب غير دقيقة. ويوفّر الإطار المفهومي، المقدّم في هذه الدراسة، مقاربةً للجمع على نحو مثمر بين هذه الرؤى البينتخصّصية.

لا شك في أنّ تأثير الذكاء الاصطناعي في الديمقراطية جارٍ فعلًا. لذلك، فهو في حاجة إلى الاستمرار في دراسته بطرائق بينتخصّصية، ومناقشته على نحو ممنهج.

شكر

يشكر الباحث كلًّا من سكوت كوبر Scott Cooper، وفاليسكا غيرستونخ-يونغير Valeska Gerstung-Jungherr، وباسكال يورغنز Pascal Jürgens، وأوليفر بوسيجا Oliver Posegga، وأدريـان راوتشفليش Adrian Rauchfleish، ورالـف شرودر Ralph Schroeder، وألكسندر واتكر Alexdander Wuttker، والمحكّمين على تعليقاتهم القيّمة على هذه الدراسة.

106 Anu Bradford, *Digital Empires: The Global Battle to Regulate Technology* (Oxford: Oxford University Press, 2023); Julie E. Cohen, *Between Truth and Power: The Legal Constructions of Informational Capitalism* (Oxford: Oxford University Press, 2019); Henry Farrell & Abraham L. Newman, *Of Privacy and Power: The Transatlantic Struggle over Freedom and Security* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2019); Kathleen Thelen, "Regulating Uber: The Politics of the Platform Economy in Europe and the United States," *Perspectives on Politics*, vol. 16, no. 4 (2018), pp. 938-953.

107 Lee; McCorduck; Metz.

108 Justin Grimmer, Margaret E. Roberts & Brandon M. Stewart, "Machine Learning for Social Science: An Agnostic Approach," *Annual Review of Political Science*, vol. 24, no. 1 (May 2021), pp. 395-419; Jakob Mökander & Ralph Schroeder, "AI and Social Theory," *AI & Society*, vol. 37 (2022), pp. 1337-1351.

المراجع

Acemoglu, Daron & Pascual Restrepo. "Demographics and Automation." *The Review of Economic Studies*. vol. 89, no. 1 (2022).

_____. "Tasks, Automation, and the Rise in U.S. Wage Inequality." *Econometrica*. vol. 90, no. 5 (2022).

Acemoglu, Daron & Simon Johnson. *Power and Progress: Our Thousand-Year Struggle over Technology and Prosperity*. New York: PublicAffairs, 2023.

Achen, Christopher H. & Larry M. Bartels. *Democracy for Realists: Why Elections Do Not Produce Responsive Government*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2016.

Agrawal, Ajay, Joshua Gans & Avi Goldfarb (eds.). *The Economics of Artificial Intelligence: An Agenda*. Chicago: University of Chicago Press, 2019.

Agrawal, Ajay, Joshua Gans & Avi Goldfarb. *Prediction Machines: The Simple Economics of Artificial Intelligence*. Updated and Expanded. Boston: Harvard Business Review Press, 2022 [2018].

Ahmed, Nabeel, Mohamed Wahed & Neil C. Thompson. "The Growing Influence of Industry in AI Research." *Science*. vol. 379, no. 6635 (2023).

Apter, David E. (ed.). *Ideology and Discontent*. New York: Free Press, 1964.

Asenbaum, Hans. "Rethinking Democratic Innovations: A Look through the Kaleidoscope of Democratic Theory." *Political Studies Review*. vol. 20, no. 4 (2022).

Aviram, Hadar, Alexander Bragg & Christopher Lewis. "Felon Disenfranchisement." *Annual Review of Law and Social Science*. no. 13 (2017).

Bai, Hao et al. "Artificial Intelligence Can Persuade Humans on Political Issues." *OSF Preprints*. 2023.

Bakhtin, Anton et al. "Human-Level Play in the Game of Diplomacy by Combining Language Models with Strategic Reasoning." *Science*. vol. 378, no. 6624 (2022).

Bennett, W. Lance & Steven Livingston (eds.). *The Disinformation Age: Politics, Technology, and Disruptive Communication in the United States*. Cambridge: Cambridge University Press, 2021.

Bessen, James. *New Goliaths: How Corporations Use Software to Dominate Industries, Kill Innovation, and Undermine Regulation*. New Haven, CT: Yale University Press, 2022.

Bimber, Bruce. *Information and American Democracy: Technology in the Evolution of Political Power*. Cambridge: Cambridge University Press, 2003.

Bisbee, James et al. "Artificially Precise Extremism: How Internet-Trained LLMs Exaggerate Our Differences." *Socarxiv*. 2023.

Bostrom, Nick. *Superintelligence: Paths, Dangers, Strategies*. Oxford: Oxford University Press, 2014.

Bradford, Anu. *Digital Empires: The Global Battle to Regulate Technology*. Oxford: Oxford University Press, 2023.

Brayne, Sarah. *Predict and Surveil: Data, Discretion, and the Future of Policing*. New York: Oxford University Press, 2021.

Brynjolfsson, Erik & Andrew McAfee. *The Second Machine Age: Work, Progress, and Prosperity in a Time of Brilliant Technologies*. New York: W. W. Norton, 2016.

Brynjolfsson, Erik, Wang Jin & Xiang Hui Wang. "Information Technology, Firm Size, and Industrial Concentration." *NBER Working Paper*. no. 31065. 2023.

Buchanan, Ben & Andrew Imbrie. *The New Fire: War, Peace, and Democracy in the Age of AI*. Cambridge, MA: MIT Press, 2022.

Transforming Business, Industries, and Our Lives. New York: Simon & Schuster, 2020.

Ding, Jeffrey et al., "The AI Powered State: China's Approach to Public Sector Innovation." *Nesta*. 2020. at: https://acr.ps/1L9BPeE

Douek, Evelyn. "Governing Online Speech: From 'Posts-as-Trumps' to Proportionality and Probability." *Columbia Law Review*. vol. 121, no. 3 (2021).

Dy, Jennifer & Andreas Krause (eds.). *Proceedings of the 35th International Conference on Machine Learning*. Stockholm: Sweden PMLR 80, 2018.

Eisenstein, Elizabeth L. *The Printing Press as an Agent of Change*. Cambridge: Cambridge University Press, 1979.

Engstrom, David Freeman & August Haim. "Regulating Government AI and the Challenge of Sociotechnical Design." *Annual Review of Law and Social Science*. vol. 19 (2023).

Eubanks, Virginia. *Automating Inequality: How* High-Tech *Tools Profile, Police, and Punish the Poor*. New York: St. Martin's Press, 2018.

Farrell, Henry & Abraham L. Newman. *Of Privacy and Power: The Transatlantic Struggle over Freedom and Security*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2019.

Ferguson, Andrew Guthrie. *The Rise of Big Data Policing: Surveillance, Race, and the Future of Law Enforcement*. New York: New York University Press, 2017.

Filgueiras, Fernando. "The Politics of AI: Democracy and Authoritarianism in Developing Countries." *Journal of Information Technology & Politics*. vol. 19, no. 4 (2022).

Flaxman, Seth, Sharad Goel & Justin M. Rao. "Filter Bubbles, Echo Chambers, and Online News

Bullock, Justin B. et al. (eds.). *The Oxford Handbook of AI Governance*. Oxford: Oxford University Press, 2021.

Caliskan, Aylin, Joanna J. Bryson & Arvind Narayanan. "Semantics Derived Automatically from Language Corpora Contain Human-Like Biases." *Science*. vol. 356, no. 6334 (2017).

Castells, Manuel. *Communication Power*. 2nd ed. Oxford: Oxford University Press, 2013 [2009].

Cho, Wendy K. Tam & Bruce E. Cain. "Human-Centered Redistricting Automation in the Age of AI." *Science*. vol. 369, no. 6508 (2020).

Chouldechova, Alexandra. "Fair Prediction with Disparate Impact: A Study of Bias in Recidivism Prediction Instruments." *Big Data*. vol. 5, no. 2 (2017).

Chow, Sophia, Simon Liver & Alan Nelson. "Streamlining Bioactive Molecular Discovery through Integration and Automation." *Nature Reviews Chemistry*. vol. 8, no. 2 (2018).

Christian, Brian. *The Alignment Problem: Machine Learning and Human Values*. New York: W. W. Norton, 2020.

Cohen, Julie E. *Between Truth and Power: The Legal Constructions of Informational Capitalism*. Oxford: Oxford University Press, 2019.

Creemers, Rogier. "China's Social Credit System: An Evolving Practice of Control." *Social Science Research Network (SSRN)*. 2018.

Dahl, Robert A. *On Democracy*. New Haven, CT: Yale University Press, 1998.

Diakopoulos, Nicholas. *Automating the News: How Algorithms Are Rewriting the Media*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2019.

Diamandis, Peter H. & Steven Kotler. *The Future Is Faster than You Think: How Converging Technologies Are*

Hersh, Eitan D. *Hacking the Electorate: How Campaigns Perceive Voters*. Cambridge: Cambridge University Press, 2015.

Horton, John J. "Large Language Models as Simulated Economic Agents: What Can We Learn from Homo Silicus?" NBER *Working Paper* 31122 (April 2023). at: https://acr.ps/1L9BPhY

Issenberg, Sasha. *The Victory Lab: The Secret Science of Winning Campaigns*. New York: Crown Publishing Group, 2012.

Jungherr, Andreas & Ralph Schroeder. "Artificial Intelligence and the Public Arena." *Communication Theory*. vol. 33, no. 3 (2023).

Jungherr, Andreas & Ralph Schroeder. *Digital Transformations of the Public Arena*. Cambridge: Cambridge University Press, 2022.

Jungherr, Andreas, Gonzalo Rivero & Daniel Gayo-Avello. *Retooling Politics: How Digital Media Are Shaping Democracy*. Cambridge: Cambridge University Press, 2020.

Jungherr, Andreas, Ralph Schroeder & Sebastian Stier. "Digital Media and the Surge of Political Outsiders: Explaining the Success of Political Challengers in the United States, Germany, and China." *Social Media + Society*. vol. 5, no. 3 (2019).

Jürgens, Pascal, Christine E. Meltzer & Michael Scharkow. "Age and Gender Representation on German TV: A Longitudinal Computational Analysis." *Computational Communication Science*. vol. 4, no. 1 (2022).

Kaufmann, Thomas. *Die Mitte der Reformation: Eine Studie zu Buchdruck und Publizistik im deutschen Sprachgebiet, zu ihren Akteuren und deren Strategien, Inszenierungs- und Ausdrucksformen* [The Middle of the Reformation: A Study on Book Printing and Journalism in the German-Speaking Consumption." *Public Opinion Quarterly*. vol. 80, no. 1 (2016).

Frey, Carl Benedikt. *Technology Trap: Capital, Labor, and Power in the Age of Automation*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2019.

Friedler, Sorelle A. & Christo Wilson (eds.). *Proceedings of the 1st Conference on Fairness, Accountability and Transparency, 23-24 February 2018, New York*. PMLR 81. New York: Association for Computing Machinery, 2018.

Gallego, Aina & Thomas Kurer. "Automation, Digitalization, and Artificial Intelligence in the Workplace: Implications for Political Behavior." *Annual Review of Political Science*. vol. 25 (2022).

Goldfarb, Avi & Jon R. Lindsay. "Prediction and Judgment: Why Artificial Intelligence Increases the Importance of Humans in War." *International Security*. vol. 46, no. 3 (2022).

Goodfellow, Ian, Yoshua Bengio & Aaron Courville. *Deep Learning*. Cambridge, MA: MIT Press, 2016.

Goodin, Robert E, Philip Pettit & Thomas Pogge (eds.). *A Companion to Contemporary Political Philosophy*. 2nd ed. Malden, MA: Blackwell, 2007.

Grimmer, Justin, Margaret E. Roberts & Brandon M. Stewart. "Machine Learning for Social Science: An Agnostic Approach. *Annual Review of Political Science*. vol. 24, no. 1 (May 2021).

Guyon, Isabelle et al. (eds.). *NIPS 2017: 31st Conference on Neural Information Processing Systems*. vol. 30. Red Hook, NY: Curran Associates, Inc., 2017.

Hanson, Robin. *The Age of Em: Work, Love, and Life When Robots Rule the Earth*. Oxford: Oxford University Press, 2016.

Healy, Kieran. "Fuck Nuance." *Sociological Theory*. vol. 35, no. 2 (2017).

Kuran, Timur. *Private Truths, Public Lies: The Social Consequences of Preference Falsification*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1995.

Landemore, Hélène. *Democratic Reason: Politics, Collective Intelligence, and the Rule of the Many*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2012.

_____. "Can AI Bring Deliberative Democracy to the Masses?" *Working Paper*. 2022. at: https://acr.ps/1L9BPOC

Landemore, Hélène & Jon Elster (eds.). *Collective Wisdom: Principles and Mechanisms*. Cambridge: Cambridge University Press, 2012.

Larochelle, Hugo et al. (eds.). *Advances in Neural Information Processing Systems*. vol. 33. Red Hook, NY: Curran Associates, Inc., 2020.

Larson, Erik J. *The Myth of Artificial Intelligence: Why Computers Can't Think the Way We Do*. Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2021.

Lazer, David et al. "The Parable of Google Flu: Traps in Big Data Analysis." *Science*. vol. 343, no. 6176 (2014).

LeCun, Yann, Yoshua Bengio & Geoffrey Hinton. "Deep Learning." *Nature* 521 (2015).

Lee, Daniel D. et al. (eds.). *NIPS'16: Proceedings of the 30th International Conference on Neural Information Processing Systems*. Red Hook, NY: Curran Associates, Inc., 2016.

Lee, Kai-Fu. *AI Superpowers: China, Silicon Valley, and the New World Order*. Boston: Houghton Mifflin Harcourt, 2018.

Lee, Kai-Fu & Chen Quifan. *AI 2041: Ten Visions for Our Future*. New York: Currency, 2021.

Liang, Fan et al. "Constructing a Data-Driven Society: China's Social Credit System as a State Surveillance Infrastructure." *Policy & Internet*. vol. 10, no. 4 (2018).

Area, on Their Actors and Their Strategies, Staging and Forms of Expression]. Tübingen: Mohr Siebeck, 2019.

Kaye, David. *Report on Artificial Intelligence Technologies and Implications for Freedom of Expression and the Information Environment*. United Nations Human Rights Office of the High Commissioner. 2018. at: https://acr.ps/1L9BPbf

Keane, John. *Democracy and Media Decadence*. Cambridge: Cambridge University Press, 2013.

Kenski, Kate & Kathleen Hall Jamieson (eds). *The Oxford Handbook of Political Communication*. Oxford: Oxford University Press, 2017.

Kim, Jihoo & Byoungkwan Lee. "AI-Augmented Surveys: Leveraging Large Language Models for Opinion Prediction in Nationally Representative Surveys." *arXiv*. 2023.

King, Ross D. et al. "The Automation of Science." *Science*. vol. 324, no. 5923 (2009).

Kitchens, Brian, Sean L. Johnson & Paul Gray. "Understanding Echo Chambers and Filter Bubbles: The Impact of Social Media on Diversification and Partisan Shifts in News Consumption." *MIS Quarterly*. vol. 44, no. 4 (2020).

Kitchin, Rob. "Big Data, New Epistemologies and Paradigm Shifts." *Big Data & Society*. vol. 1, no. 1 (2014).

Krebs, Samuel, Robert M. McCain & Miles Brundage. "All the News That's Fit to Fabricate: AI-Generated Text as a Tool of Media Misinformation." *Journal of Experimental Political Science*. vol. 9, no. 1 (2022).

Kreiss, Daniel. *Prototype Politics: Technology-Intensive Campaigning and the Data of Democracy*. Oxford: Oxford University Press, 2016.

Mitchell, Shira et al. "Algorithmic Fairness: Choices, Assumptions, and Definitions." *Annual Review of Statistics and Its Application*. vol. 8 (2021).

Mökander, Jakob & Ralph Schroeder. "AI and Social Theory." *AI & Society*. vol. 37 (2022).

Müller, Jan-Werner. *Democracy Rules*. London: Allen Lane, 2021.

Munk, Anders Koed, Asger Grønning Olesen & Mathieu Jacomy. "The Thick Machine: Anthropological AI between Explanation and Explication." *Big Data & Society*. vol. 9, no. 1 (2022).

Narayanan, Arvind. "Understanding Social Media Recommendation Algorithms." Knight First Amendment Institute at Columbia University. 2023. at: https://acr.ps/1L9BPGK

Neuman, W. Russell. *The Future of the Mass Audience*. Cambridge: Cambridge University Press, 1991.

Nickerson, David W. & Todd Rogers. "Political Campaigns and Big Data." *Journal of Economic Perspectives*. vol. 28, no. 2 (2014).

Nilsson, Nils J. *The Quest for Artificial Intelligence: A History of Ideas and Achievements*. Cambridge: Cambridge University Press, 2010.

Ober, Josiah. *Democracy and Knowledge: Innovation and Learning in Classical Athens*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2008.

Obermeyer, Ziad et al. "Dissecting Racial Bias in an Algorithm Used to Manage the Health of Populations." *Science*. vol. 366, no. 6464 (2019).

Pan, Jennifer. *Welfare for Autocrats: How Social Assistance in China Cares for Its Rulers*. Oxford: Oxford University Press, 2020.

Papacharissi, Zizi. *After Democracy: Imagining Our Political Future*. New Haven: Yale University Press, 2021.

Lindblom, Charles E. *The Intelligence of Democracy: Decision Making through Mutual Adjustment*. New York: Free Press, 1965.

_____. *The Market System: What It Is, How It Works, and What to Make of It*. New Haven, CT: Yale University Press, 2001.

Lodge, Milton & Charles S. Taber. *The Rationalizing Voter*. Cambridge: Cambridge University Press, 2013.

Lupia, Arthur & Mathew D. McCubbins. *The Democratic Dilemma: Can Citizens Learn What They Need to Know?* Cambridge: Cambridge University Press, 1998.

Lupia, Arthur, Mathew D. McCubbins & Samuel L. Popkin. *Elements of Reason: Cognition, Choice, and the Bounds of Rationality*. Cambridge: Cambridge University Press, 2000.

Matovski, Mikhail. *Popular Dictatorships: Crises, Mass Opinion, and the Rise of Electoral Authoritarianism*. Cambridge: Cambridge University Press, 2021.

Mayson, Sandra G. "Bias In, Bias Out." *Yale Law Journal*. vol. 128, no. 8 (2019).

McCorduck, Pamela. *Machines Who Think: A Personal Inquiry into the History and Prospects of Artificial Intelligence*. Natick, MA: A K Peters, 2004.

Mehrabi, Ninareh et al. "A Survey on Bias and Fairness in Machine Learning." *ACM Computing Surveys*. vol. 54, no. 6 (2022).

Metz, Cade. *Genius Makers: The Mavericks Who Brought AI to Google, Facebook, and the World*. New York: Dutton, 2021.

Mitchell, Melanie. *Artificial Intelligence: A Guide for Thinking Humans*. New York: Farrar, Straus and Giroux, 2019.

Scharkow, Michael et al. "How Social Network Sites and Other Online Intermediaries Increase Exposure to News." *Proceedings of the National Academy of Sciences of the United States of America*. vol. 117, no. 6 (2020).

Schlozman, Kay Lehman, Henry E. Brady & Sidney Verba. *Unequal and Unrepresented: Political Inequality and the People's Voice in the New Gilded Age*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2018.

Schneider, Gisbert. "Automating Drug Discovery." *Nature Reviews Drug Discovery*. vol. 17, no. 2 (2018).

Schölkopf, Bernhard et al. "Toward Causal Representation Learning." *Proceedings of the IEEE*. vol. 109, no. 5 (2021).

Schudson, Michael. *Discovering the News: A Social History of American Newspapers*. New York: Basic Books, 1978.

Schwartzberg, Melissa. "Epistemic Democracy and Its Challenges." *Annual Review of Political Science*. vol. 18 (2015).

Settle, Jaime E. *Frenemies: How Social Media Polarizes America*. Cambridge: Cambridge University Press, 2018.

Silver, David et al. "Mastering the Game of Go with Deep Neural Networks and Tree Search." *Nature*. vol. 529 (2016).

_____. "Mastering the Game of Go without Human Knowledge." *Nature*. vol. 550 (2017).

_____. "A General Reinforcement Learning Algorithm That Masters Chess, Shogi, and Go through Self-Play." *Science*. vol. 362, no. 6419 (2018).

Síthigh, Daithi Mac & Mathias Siems. "The Chinese Social Credit System: A Model for Other Countries?" *Modern Law Review*. vol. 82, no. 6 (2019).

Pearl, Judea. "The Seven Tools of Causal Inference, with Reflections on Machine Learning." *Communications of the ACM*. vol. 62, no. 3 (2019).

Phillips, Anne. *Unconditional Equals*. Princeton: Princeton University Press, 2021.

Popkin, Samuel L. *The Reasoning Voter: Communication and Persuasion in Presidential Campaigns*. Chicago: University of Chicago Press, 1991.

Prior, Markus. *Post-Broadcast Democracy: How Media Choice Increases Inequality in Political Involvement and Polarizes Elections*. Cambridge: Cambridge University Press, 2007.

_____. *Hooked: How Politics Captures People's Interest*. Cambridge: Cambridge University Press, 2018.

Przeworski, Adam. *Democracy and the Market: Political and Economic Reforms in Eastern Europe and Latin America*. Cambridge: Cambridge University Press, 1991.

_____. *Why Bother with Elections?* Cambridge: Polity Press, 2018.

Ramesh, Aditya et al. "Hierarchical Text-Conditional Image Generation with CLIP Latents." *arXiv*. 2022.

Rettberg, Jill Walker. "Algorithmic Failure as a Humanities Methodology: Machine Learning's Mispredictions Identify Rich Cases for Qualitative Analysis." *Big Data & Society*. vol. 9, no. 2 (2022).

Risse, Mathias. *Political Theory of the Digital Age: Where Artificial Intelligence Might Take Us*. Cambridge: Cambridge University Press, 2023.

Russell, Stuart & Peter Norvig. *Artificial Intelligence: A Modern Approach*. 4th ed. Hoboken, NJ: Pearson Education, 2021 [1995].

Sanders, Nathan E. & Bruce Schneier. "Machine Learning Featurizations for AI Hacking of Political Systems." *arXiv*. 2021. at: https://acr.ps/1L9BP6X

Authoritarian Governance. Singapore: Palgrave Macmillan, 2022.

Zwitter, Andrej & Oskar J. Gstrein (eds.). *Handbook on the Politics and Governance of Big Data and Artificial Intelligence*. Cheltenham: Edward Elgar Publishing, 2023.

Smith, Brian Cantwell. *The Promise of Artificial Intelligence: Reckoning and Judgment*. Cambridge, MA: MIT Press, 2019.

Stasavage, David. *The Decline and Rise of Democracy: A Global History from Antiquity to Today*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2020.

Sutton, Richard S. & Andrew G. Barto. *Reinforcement Learning: An Introduction*. 2nd ed. Cambridge, MA: MIT Press, 2018.

Thelen, Kathleen. "Regulating Uber: The Politics of the Platform Economy in Europe and the United States." *Perspectives on Politics*. vol. 16, no. 4 (2018).

Tilly, Charles. *Democracy*. Cambridge: Cambridge University Press, 2007.

Veale, Michael, Kenneth Matus & Robert Gorwa. "AI and Global Governance: Modalities, Rationales, Tensions." *Annual Review of Law and Social Science*. vol. 19 (2023).

Wahl-Jorgensen, Karin & Thomas Hanitzsch. *The Handbook of Journalism Studies*. 2nd ed. New York: Routledge, 2020.

Williams, Bruce A. & Michael X. Delli Carpini. *After Broadcast News: Media Regimes, Democracy, and the New Information Environment*. Cambridge: Cambridge University Press, 2011.

Winner, Langdon. "Do Artifacts Have Politics?" *Dædalus*. vol. 109, no. 1 (1980).

Wintrobe, Ronald. *The Political Economy of Dictatorship*. Cambridge: Cambridge University Press, 1998.

Young, Iris Marion. *Inclusion and Democracy*. Oxford: Oxford University Press, 2002.

Zaller, John R. *The Nature and Origins of Mass Opinion*. Cambridge: Cambridge University Press, 1992.

Zeng, Jinghan. *Artificial Intelligence with Chinese Characteristics: National Strategy, Security and*

التوثيق
Documentation

محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي

Milestones in Democratic Transition in the Arab World

يتضمن هذا التقرير توثيقًا لأبرز محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي، في المدة 1 آذار/ مارس – 30 نيسان/ أبريل 2025.

كلمات مفتاحية: سورية، تونس، السودان، الجزائر.

Keywords: Syria, Tunisia, Sudan, Alegria.

2025/3/2 كلّف الرئيس السوري أحمد الشرع لجنة مكونة من 7 أعضاء، من بينهم سيدتان، بمهمة صياغة مسودة الإعلان الدستوري. وتتكون اللجنة من عبد الحميد العواك، وياسر الحويش، وإسماعيل الخلفان، وريعان كحيلان، ومحمد رضى جلكي، وأحمد قربي، وبهية ماركني.

(العربي الجديد، 2025/3/2)

2025/3/6 ردّت الجزائر على تقرير جرى تقديمه إلى مجلس حقوق الإنسان الأممي في جنيف، بشأن أوضاع الحريات ونشاط المدافعين عن حقوق الإنسان في الجزائر، ووصفته بـ "المزاعم"، وقدّمت توضيحات بشأن الملاحظات التي وردت في التقرير.

(العربي الجديد، 2025/3/6)

2025/3/7 تعهّد الرئيس السوري أحمد الشرع بملاحقة "فلول" نظام الرئيس المخلوع بشار الأسد، وذلك في سياق الاشتباكات التي وقعت في محافظتَي اللاذقية وطرطوس على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهي مناطق كان دعم النـظام السابق فيها قويًّا، وقد شهدت اندلاع أعمال عنف طائفية خلال الأشهر الثلاثة الماضية.

(سي إن إن بالعربية، 2025/3/7)

2025/3/9 دعا "المجلس الوطني الكردي" الإدارة الجديدة في دمشق إلى اتخاذ إجراءات عاجلة لوقف الانتهاكات ضد المدنيين وضمان أمنهم وحماية ممتلكاتهم في الساحل السوري.

(وكالة شام الإخبارية، 2025/3/9)

2025/3/9 اتخذت السلطة المستقلة للانتخابات في الجزائر قرارًا يقضي بأن يكون التصويت إجباريًّا في انتخابات التجديد النصفي لأعضاء مجلس الأمة.

(العربي الجديد، 2025/3/9)

2025/3/9 دعا الرئيس السوري، أحمد الشرع، إلى الوحدة الوطنية، واصفًا أعمال العنف بين القوات الحكومية وأنصار الرئيس المخلوع السابق، بشار الأسد، بأنها "تحديات متوقعة".

(سي إن إن بالعربية، 2025/3/9)

2025/3/9 حسمت أحزاب الأغلبية الرئاسية انتخابات التجديد النصفي لمجلس الأمة في الجزائر، الغرفة العليا البرلمان، حيث حصلت على أغلبية المقاعد الـ 58 المتنافس عليها في هذه الانتخابات. وفازت أحزاب الأغلبية الرئاسية بمجموع 47 مقعدًا، موزعة على 19 مقعدًا لجبهة التحرير الوطني، و14 مقعدًا للتجمع الوطني الديمقراطي، و10 مقاعد لجبهة المستقبل الذي شكّلت نتيجته مفاجأة سياسية، وحصلت حركة البناء (حركة إسلامية مشاركة في الحكومة) على ثلاثة مقاعد، ومقعد واحد لتجمع أمل الجزائر.

(العربي الجديد، 2025/3/9)

2025/3/9 قال الرئيس السوري أحمد الشرع إن حكومته لن تتسامح مع فلول النظام السابق، متعهّدًا بمحاسبة كل من تلطخت يداه بدماء المدنيين أو استغل السلطة لتحقيق مصالح خاصة، وشدّد على أن العدالة ستشمل الجميع من دون استثناء.

(الجزيرة نت، 2025/3/9)

2025/3/10 شهدت مناطق الساحل السوري أحداث عنف طائفي دامية خلال الـفترة 6-10 آذار/ مارس 2025، وذلك في أعقاب مواجهات عسكرية بين فلول من نظام الرئيس السابق بشّار الأسد وقوات الأمن التابعة للإدارة السورية الجديدة، أسفرت عن سقوط مئات القتلى من المدنيين، وقد يكون عدد الضحايا تجاوز ألف شخص، وعشرات آخرين من قوات الأمن العام ومن المتمرّدين المحسوبين على النظام السابق.

(العربي الجديد، 2025/3/10)

2025/3/10 أعلنت وزارة الدفاع السورية انتهاء العملية العسكرية في الساحل السوري، مؤكدةً على لسان العقيد حسن عبد الغني، المتحدث باسم الوزارة، أن المؤسسات العامة صارت قادرة على بدء استئناف عملها وتقديم الخدمات الأساسية، تمهيدًا لعودة الحياة إلى طبيعتها.

(بي بي سي عربي، 2025/3/10)

2025/3/10 قال الرئيس السوري أحمد الشرع إن المواجهات التي جرت في محافظات الساحل، بين القوات السورية ومن وصفها بمجموعات مسلحة موالية لنظام الرئيس السابق بشار الأسد، تشكّل تهديدًا لجهوده المتعلقة بلَمِّ شمل البلاد التي مزقتها الحرب، متعهدًا بمعاقبة المسؤولين عنها، حتى لو كانوا "أقرب الناس" إليه.

(الشرق بلومبيرغ، 2025/3/10)

2025/3/10 وقّع الرئيس السوري أحمد الشرع وقائد قوات سوريا الديموقراطية (قسد)، مظلوم عبدي، اتفاقًا يقضي بـ "دمج" كل المؤسسات المدنية والعسكرية التابعة للإدارة الذاتية الكردية في إطار الدولة السورية، وفقًا لِمَا أعلنته الرئاسة.

(سكاي نيوز عربية، 2025/3/10)

2025/3/12 شهدت محافظة السويداء السورية توقيع وثيقة تفاهم صادرة عن دارة قنوات (دارة الشيخ حكمت الهجري) بين ممثلي المجتمع المحلي والإدارة السورية، وقد جرى ذلك من خلال المجموعة السياسية الممثلة لدارة قنوات من ناشطي السويداء الذين شاركوا في مؤتمر الحوار الوطني من جهة، ومصطفى البكور موفد دمشق إلى السويداء من جهة أخرى.

(العربي الجديد، 2025/3/12)

2025/3/13 وقّع الرئيس السوري أحمد الشرع مسودة الإعلان الدستوري بعد أن تسلَّم هذا الإعلان من اللجنة المكلفة بصياغته، وأعرب عن أمله بأنْ يكون ذلك "فاتحة خير" للشعب السوري.

(الجزيرة نت، 2025/3/13)

2025/3/13 انتقدت الإدارة الذاتية الكردية الإعلان الدستوري الذي وقّعه الرئيس السوري أحمد الشرع، معتبرة أنه - وفقًا لبيان صدر عنها - "يتنافى" مع تنوع سورية، وأنه يضم بنودًا تتشابه مع حقبة حكم حزب البعث. وقال البيان إن الإعلان الدستوري يخلو "من المكونات المختلفة (في سوريا) من كرد وعرب".

(بي بي سي عربي، 2025/3/13)

2025/3/13 أعلن الشيخ حكمت الهجري، أحد شيوخ عقل، طائفة الموحدين الدروز في محافظة السويداء جنوب سورية، في مقطع فيديو مسجّل، أنه "لا وفاق أو توافق" مع الحكومة السورية الحالية، معتبرًا أنها متطرفة ومطلوبة للعدالة، وأشار إلى أنه لا تساهل معها على المستوى الداخلي وعلى المستوى الدولي.

(العربي الجديد، 2025/3/13)

2025/3/16 حذّر الرئيس السابق للحزب التقدمي الاشتراكي في لبنان، وليد جنبلاط، من الاختراق الفكري الصهيوني لأبناء الطائفة الدرزية واستخدام بعضهم "إسفينا" لتقسيم سورية تحت شعار "تحالف الأقليات".

(وكالة الأناضول، 2025/3/16)

2025/3/18 عبّر الشيخ حكمت الهجري، أحد شيوخ عقل طائفة الموحدين الدروز في محافظة السويداء، عن رفضه الإعلان الدستوري السوري، مطالبًا بإعادة صياغته على نحو يؤسِّس فيه نظامًا ديمقراطيًّا تشاركيًّا، يأخذ الخصوصية التاريخية والثقافية للبلاد في الحسبان، ويضمن استقلالية وفصل السلطات، وتوسيع صلاحيات الإدارات المحلية، والحدّ من صلاحيات رئاسة الجمهورية.

(تلفزيون سوريا، 2025/3/18)

2025/3/19 أكد الرئيس الصومالي حسن شيخ محمود أن "الجيش يواصل دَكَّ أوكار المتشددين وتحقيق انتصارات متتالية في ساحة المعركة"، معلنًا أن "الدولة ملتزمة بتقديم كل أشكال الدعم العسكري واللوجستي للقوات لمواصلة عملياتها ضد الإرهاب".

(العربي الجديد، 2025/3/19)

2025/3/21 أعلنت الرئاسة التونسية إنهاء مهمات رئيس الحكومة كمال المـدوري، وتعيين وزيرة التجهيز والإسكان سارة الزعفراني الزنزري خلفًا له. وقرّر الرئيس قيس سعيّد تعيين صلاح الزواري وزيرًا للتجهيز والإسكان الذي أدّى اليمين أمام رئيس الجمهورية.

(الشرق بلومبيرغ، 2025/3/25)

2025/3/25 اتهم "محامو الطوارئ"، الذين يوثّقون الانتهاكات في الحرب السودانية، الجيشَ السوداني بقتل "مئات المدنيين" في قصف على سوق بمدينة طرة، في شمال إقليم دارفور، غرب البلاد.

(العربي الجديد، 2025/3/25)

2025/3/27 أعلن قائد الجيش السوداني، الفريق عبد الفتاح البرهان، من داخل القصر الجمهوري أن "الخرطوم حرة الآن، والأمر انتهى".

(الشرق الأوسط، 2025/3/27)

2025/3/28 أعلن الجيش السوداني أنه سيطر كليًّا على العاصمة الخرطوم، وذلك بعد أسبوع من استعادته القصر الرئاسي من قبضة قوات الدعم السريع.

(العربي الجديد، 2025/3/28)

2025/3/29 أصدرت الإدارة المركزية التنفيذية لإدارة الأمن العام في دمشق - وفقًا لتعميم داخلي للأمن العام - قرارًا يقضي بمنع جميع عناصرها الأمنية من ارتداء اللثام على نحو نهائي، وذلك استجابةً لشكاوى متعددة ومتكررة من المواطنين، ومن أجل تعزيز الأمن وتحقيق الشفافية في التعامل بين العناصر الأمنية والمدنيين.

(شبكة شام الإخبارية، 2025/3/29)

2025/3/30 تعهّد قائد الجيش السوداني عبد الفتاح البرهان بأن تقاتل قواته حتى النصر، مستبعدًا السلام مع قوات الدعم السريع ما لم تُسلِّم أسلحتها.

(العربي الجديد، 2025/3/30)

2025/3/30 أعلن الرئيس السوري أحمد الشرع عن تشكيلة الحكومة السورية الجديدة، معتبرًا أن ذلك يمثّل إعلانًا لإرادة السوريين المشتركة في بناء دولة جديدة.

(سي إن بي سي عربية، 2025/3/30)

2025/3/30 انتقدت "الإدارة الذاتية" في شمال شرق سورية تشكيل الحكومة السورية الجديدة، ووصفتها بأنها "لا تراعي التنوع"، وأكّدت أنها "لن تنفذ مستقبلًا قراراتها".

(العربي الجديد، 2025/3/30)

2025/4/3 قالت منظمة العفو الدولية أنه يتعين على الحكومة السورية أن تضمن محاسبة مرتكبِي المتسبّبين في عمليات القتل الجماعي التي استهدفت المدنيين العلويين في المناطق الساحلية، وأن تتخذ خطوات فورية لضمان عدم استهداف أيّ شخص أو جماعة على أساس طائفتهم. وقد قتلت قوات تابعة للحكومة أكثر من 100 شخص في مدينة بانياس الساحلية يومَي 8 و9 مارس/ آذار 2025، وفقًا لمعلومات تلقتها منظمة العفو الدولية. وحقّقت المنظمة في

32 عملية قتلٍ، وخلصت إلى أنها كانت متعمدة وموجهة ضدّ الأقلية العلوية، وأنها غير مشروعة.

(منظمة العفو الدولية، 2025/4/3)

2025/4/9 أعلن مجلس الوزراء العراقي تحديد 11 تشرين الثاني/ نوفمبر المقبل موعدًا رسميًّا لإجراء الانتخابات البرلمانية، وذلك في أثناء تصاعد الخلافات السياسية بشأن قانون الانتخابات وآلية توزيع الدوائر الانتخابية.

(سكاي نيوز عربية، 2025/4/9)

2025/4/9 احتجّ مئات من أنصار المعارضة ضد ما وصفوه بأنه "حكم استبدادي" للرئيس قيس سعيّد، وطالبوا بالإفراج عن السجناء من السياسيين والصحافيين والناشطين، في حين شرع ستة معارضين بارزين معتقلين في الإضراب عن الطعام في السجون.

(فرانس 24، 2025/4/9)

2025/4/16 أعلنت وزارة الداخلية السورية إلقاء القبض على العميد سالم داغستاني، الرئيس السابق لفرع التحقيق في إدارة المخابرات الجوية، في مدينة اللاذقية شمال غربي سورية، وذلك بعد عملية أمنيّة نفذتها إدارة الأمن العام.

(العربي الجديد، 2025/4/16)

2025/4/16 أعلن قائد قوات الدعم السريع محمد حمدان دقلو، المعروف بحميدتي، تشكيل حكومة موازية في السودان، مع بداية العام الثالث للحرب.

(بي بي سي عربي، 2025/4/16)

2025/4/19 أصدرت محكمة تونسية أحكامًا بالسجن تراوح بين 13 و66 عامًا على زعماء من المعارضة ورجال أعمال ومحامين ممَّن يُتابَعون ضمن ما يُعرَف بـ "قضية التآمر".

(الجزيرة نت، 2025/4/19)

2025/4/17 ألقت قوات الأمن المصرية القبض على أحمد عبد المنعم أبو الفتوح، نجل السياسي المعارض ورئيس حزب مصر القوية الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، أثناء وجوده في وحدة مرور القطامية، في القاهرة، حيث كان يجدِّد رخصة سيارته.

(عربي 21، 2025/4/17)

2025/4/21 ندّد سياسيون وناشطون خلال مسيرة حاشدة في تونس العاصمة بالأحكام الصادرة ضد المعتقلين السياسيين، وقد وصفوها بأنها "صورية وسياسية"، مطالبين بإطلاق سراح القاضي السابق والمحامي أحمد صواب الذي اعتُقل من منزله بسبب تصريحات أدلى بها. ورفع المحتجون شعارات: "الظلم له نهاية والثورة قادمة"، و"حريات حريات يا صواب لا تهتم"، و"لا قضاء التعليمات"، و"شغل حرية كرامة وطنية".

(العربي الجديد، 2025/4/21)

2025/4/23 أعلن وزير الداخلية الأردني مازن الفراية "حظر كافة نشاطات جماعة الإخوان المسلمين المنحلّة واعتبارها جمعية غير مشروعة". ووفقًا له، قُرِّر ما يلي: "اعتبار الانتساب لجماعة الإخوان المسلمين أمرًا محظورًا، وحظر الترويج لأفكارها، وتحت طائلة المساءلة القانونية".

(بي بي سي عربي، 2025/4/23)

2025/4/24 وجّهت السلطات الفرنسية انتقادات بعد "الأحكام الثقيلة" التي أصدرتها محكمة تونسية في حق قيادات معارضة ورجال أعمال، وذلك في سياق تُهم التآمر، في نهاية الأسبوع الماضي. وقالت إن ظروف "المحاكمة العادلة" لم تتوفر.

(فرانس 24، 2025/4/24)

2025/4/26 دعا مؤتمر الحوار الوطني الكردي، الذي عُقد في مدينة القامشلي في محافظة الحسكة، في شمال شرق سورية، إلى دولة "ديمقراطية ولامركزية" في سورية. وتضمّن البيان الختامي لمؤتمر "وحدة الموقف والصف الكردي" دعوةً إلى حل عادل للقضية الكردية في سورية، معلنًا عن تشكيل وفد كردي للتفاوض مع دمشق. وورد في البيان الختامي "تمت صياغة رؤية سياسية كردية مشتركة تعبّر عن إرادة جماعية ومشروعًا واقعيًا لحل عادل للقضية الكردية في سوريا كدولة ديمقراطية لامركزية".

(العربي الجديد، 2025/4/26)

2025/4/27 اتهمت الرئاسة السورية قوات سوريا الديمقراطية، المسيطرة على مناطق في شمال شرق سورية، بعدم الالتزام ببنود الاتفاق الموقَّع مع الحكومة السورية.

(العربي الجديد، 2025/4/27)

2025/4/27 قالت شبكة أطباء السودان إنّ قوات الدعم السريع قتلت 31 شخصًا من بينهم أطفال في حيّ صالحة جنوبي مدينة أم درمان في غرب العاصمة الخرطوم.

(تي آر تي عربي، 2025/4/27)

2025/4/28 قررت نيابة أمن الدولة العليا إخلاء سبيل أحمد الطنطاوي على ذمة التحقيق معه في قضيتين متهم فيهما بالتحريض على التظاهر وارتكاب عمل إرهابي.

(الشروق، 2025/4/28)

2025/4/28 شهدت محافظة السويداء، في جنوب سورية، اشتباكات مسلحة بين عناصر من أبناء المكونين الدرزي وعشائر البدو، وقد استمرت عدّة ساعات، وتخلّلها قطعُ عصابات مسلحة طريقَ دمشق - السويداء، وتوقيفٌ للمواطنين، وترهيبُهم بالسلاح، في حين اندلع شجار بمدينة حمص بين عدد من الطلاب المتحدرين من السويداء وطلاب آخرين على إثر تسجيل صوتي طائفي، وذلك قبل تدخّل قوى الأمن العام في ساعة متأخرة من الليل.

(العربي الجديد، 2025/4/28)

وثائق التحول الديمقراطي في الوطن العربي

Documents of Democratic Transition in the Arab World

يرصد هذا الباب أبرز الوثائق السياسية ذات الصلة بالتحول الديمقراطي في الوطن العربي. وننشر، في هذا العدد، وثيقة من سورية، في المدة 1 آذار/ مارس – 30 نيسان/ أبريل 2025.

كلمات مفتاحية: سورية.

Keywords: Syria.

وثيقة الإعلان الدستوري للجمهورية العربية السورية

رئاسة الجمهورية العربية السورية
Presidency of the Syrian Arab Republic

الإعلان الدستوري للجمهورية العربية السورية

المقدمة

في فجرِ يومٍ مشهود، تنفَّس صبحُ النصر، وانطلقت سورية نحو عهدٍ جديد، إيذانًا بزوال الظلم والقهر، وانبعاث الأمل في بناء دولةٍ حديثة قائمةٍ على العدل والكرامة والمواطنة الحقة، فقد جثم الاستبداد على صدور السوريين، إذ امتدَّ لستةِ عقودٍ نظامٌ شموليٌّ فرضَه حزب البعث، فاحتكر السلطة، وصادر الحقوق، ومكَّن لحكمٍ استبداديٍّ قمعيٍّ أجهزَ على مؤسسات الدولة، وأفرغَ الدستور من مضمونه، وحوَّل القانون إلى أداةٍ للقمع والاستعباد. كانت تلك العقودُ حِقْبةً سوداءَ مظلمة، فثارَ الشعب مطالبًا بحريته واستردادِ كرامته، لكنه تعرَّض على يد العصابة الأسدية للقتل الممنهج، والتدمير الشامل، والتعذيبِ الوحشي، والتهجيرِ القسري، والحصارِ الجائر، والاستهدافِ المباشِر للمدنيين، فضلاً عن تدمير البيوت فوق رؤوس ساكنيها، تارةً بالبراميل المتفجرة، وأخرى بالأسلحة الكيميائية. وقد شكّلت هذه الجرائم، التي تُعدُّ جرائمَ حرب وجرائمَ ضد الإنسانية، وجريمةَ إبادة جماعية، نموذجًا صارخًا لانتهاك القيم البشرية والشرائعِ الدولية.

لكنَّ الشعبَ السوري، بإيمانه الراسخ، وإرادته الصُّلبة، وصموده الأسطوري، لم يستسلم، بل واصل ثورتَه العظيمة التي امتدَّت قُرابة أربعةَ عشرَ عامًا، قدَّم فيها أبناءُ سورية الأحرارُ دماءَهم وتضحياتهم، يكنسون فيها إرثَ الاستبداد، حتى بزغَ فجرٌ جديد، وسطعت شمسُ التحرير على دمشق في 8 كانون الأول 2024، مُعلنةً نهاية عهدِ نظامِ الأسدِ المجرمِ وداعميه. ثم أُعلِنَ هذا النصرُ رسميًّا في مؤتمر النصر، حيث صدر البيانُ التاريخي الذي وثّقَ انتصار الثورة السورية، واستعادةَ الشعبِ قرارَهُ وسيادتَهُ على أرضه.

واليوم، وقد عاد الوطن إلى أبنائه، وعادوا إليه ليبنوا أركانه ويحفظوا ثغوره، باتت المسؤوليةُ التاريخية تحتّم استكمالَ مسيرة النضال بتحصين هذا الانتصار، وترسيخ أسس العدالة، وضمان عدم تكرارِ المأساة، وحمايةِ الأجيال القادمة من أي استبداد جديد. وانطلاقًا من هذا الواجبِ الوطني، وبعد حواراتٍ مكثفةٍ بين مختلف مكونات المجتمع السوري، أُجريت في أجواءٍ من الحرية والتبادل البنّاء لوجهات النظر بشأن مستقبل سورية، تُوِّجت بانعقاد مؤتمر الحوار الوطني، الذي صدرت مخرجاتُه بتاريخ ٢٥ شباط ٢٠٢٥، معبّرةً عن الوفاق الوطني حول القضايا الكبرى، وفي مقدمتها:

* الحفاظ على وحدة وسلامة سورية، أرضًا وشعبًا.
* تحقيقُ العدالة الانتقالية وإنصاف الضحايا.
* بناءُ دولة المواطنة والحرية والكرامة وسيادة القانون.
* تنظيمُ شؤون البلاد خلال المرحلة الانتقالية وفق مبادئ الحكم الرشيد.

واستنادًا إلى القيم العريقة والأصيلة التي يتميّز بها المجتمع السوري بتنوّعه وتراثه الحضاري، وإلى المبادئ الوطنية والإنسانية الراسخة، وحرصًا على إرساء قواعد الحكم الدستوري السليم، المستوحى من روح الدساتير السورية السابقة، ولا سيما دستور عام ١٩٥٠ (دستور الاستقلال)، وإعمالًا لما نصَّ عليه إعلانُ انتصار الثورة السورية الصادر بتاريخ ٢٩ كانون الأول ٢٠٢٥، الذي يُعدُّ أساسًا متينًا لهذا الإعلان.
فإن رئيس الجمهورية يُصدرُ الإعلانَ الدستوري الآتي، والذي تُعدُّ مُقدمتُه جزءًا لا يتجزأ منه:

الباب الأول: **أحكام عامة**

المادة ١:

الجمهورية العربية السورية دولة مستقلة ذات سيادة كاملة، وهي وحدة جغرافية وسياسية لا تتجزأ، ولا يجوز التخلي عن أي جزء منها.

المادة ٢:

تؤسس الدولة لإقامة نظام سياسي يرتكز على مبدأ الفصل بين السلطات، ويضمن الحرية والكرامة للمواطن.

المادة ٣:

١- دين رئيس الجمهورية الإسلام، والفقه الإسلامي هو المصدر الرئيس للتشريع.
٢- حرية الاعتقاد مصونة، وتحترم الدولة جميع الأديان السماوية، وتكفل حرية القيام بجميع شعائرها على ألا يُخِلّ ذلك بالنظام العام.
٣- الأحوال الشخصية للطوائف الدينية مصونة ومرعية وفقاً للقانون.

المادة ٤:

اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة.

المادة ٥:

دمشق هي عاصمةُ الجمهوريةِ العربيةِ السورية، ويُحَدّدُ شعارُ الدولةِ ونشيدها الوطني بقانون.

المادة ٦:

يكون العلم السوري على الشكل التالي:

يمتد العلم على شكل مستطيلٍ طولهُ يساوي ثلثي عرضه.

يتضمنُ ثلاثةَ مستطيلاتٍ متساوية يعلوها اللونُ الأخضر ويتوسطها اللونُ الأبيضُ ومن ثم الأسودُ في الأسفلِ.

تتوسط العلمَ في المنتصفِ وضمنَ المساحةِ البيضاءِ ثلاثة نجماتٍ حمراء.

المادة ٧:

١-تلتزمُ الدولةُ بالحفاظ على وحدة الأرضِ السورية، وتجرّم دعواتِ التقسيمِ والانفصال، وطلب التدخل الأجنبي أو الاستقواء بالخارج.

٢- تلتزم الدولة بتحقيق التعايش والاستقرار المجتمعي وتحفظ السلم الأهلي، وتمنع أشكال الفتنةِ والانقسام وإثارة النعرات والتحريض على العنف.

٣- تكفل الدولة التنوع الثقافي للمجتمع السوري بجميع مكوناته، والحقوقَ الثقافية واللغوية لجميع السوريين.

٤- تضمنُ الدولةُ مكافحةَ الفسادِ.

المادة ٨:

١-تسعى الدولةُ للتنسيق مع الدول والجهات ذات الصلة لدعم عملية إعادة الإعمار في سورية.

٢-تعملُ الدولةُ بالتنسيق مع الدول والمنظمات الدولية ذات الصلة لتذليل عقبات العودة الطوعية للاجئين والنازحين وجميع المهجّرين قسرياً.

٣- تلتزم الدولة بمكافحة جميع أنواع وأشكال التطرف العنيف، مع احترام الحقوق والحريات.

المادة ٩:

١-الجيش مؤسسة وطنية محترفة مهمته حماية البلاد والحفاظ على أمنها وسلامتها ووحدة أراضيها. بما يتوافق مع سيادة القانون و حماية حقوق الإنسان.

٢- الدولة وحدَها هي التي تنشئ الجيش. ويَحظرُ على أي فردٍ أو هيئةٍ أو جهةٍ أو جماعةٍ إنشاءُ تشكيلاتٍ أو فرقٍ أو تنظيماتٍ عسكرية أو شبه عسكرية، ويُحصَرُ السلاح بيد الدولة.

المادة ١٠:

المواطنون متساوون أمام القانون في الحقوق والواجبات، من دون تمييز بينهم في العرق أو الدين أو الجنس أو النسب.

المادة ١١:

١- يهدفُ الاقتصادُ الوطني إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والتنمية الاقتصادية الشاملة وزيادة الإنتاج ورفع مستوى المعيشة للمواطنين.

٢- يقومُ الاقتصادُ الوطني على مبدأ المنافسة الحرة العادلة ومنعِ الاحتكار.

٣- تشجّعُ الدولة الاستثمار وتحمي المستثمرين في بيئة قانونية جاذبة.

الباب الثاني: الحقوق والحريات

المادة ١٢:

١-تصون الدولة حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، وتكفل حقوق المواطن وحرياته.

٢- تُعد جميع الحقوق والحريات المنصوص عليها في المعاهدات والمواثيق والاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان التي صادقت عليها الجمهورية العربية السورية جزءًا لا يتجزأ من هذا الإعلان الدستوري.

المادة ١٣:

١- تكفلُ الدولة حرية الرأي والتعبير والإعلام والنشر والصحافة.

٢- تصون الدولة حرمة الحياة الخاصة، وكلُّ اعتداءٍ عليها يعدُّ جرماً يعاقب عليه القانون.

٣- للمواطن حرية التنقل، ولا يجوز إبعاد المواطن عن وطنه أو منعه من العودة إليه.

المادة ١٤:

١- تصون الدولة حق المشاركة السياسية وتشكيل الأحزاب على أسس وطنية، وفقاً لقانون جديد.

٢- تضمن الدولة عمل الجمعيات والنقابات.

المادة ١٥:

العمل حق للمواطن وتكفل الدولة مبدأ تكافؤ الفرص بين المواطنين.

المادة ١٦:

١- حقُّ الملكية الخاصة مصون، ولا تُنزَعُ إلا للمنفعة العامة ومقابلَ تعويضٍ عادل.

٢- ملكية الأموال العامة مصونة وجميع الثروات الطبيعية ومواردها هي ملكية عامة وتقوم الدولة بحفظها واستغلالها واستثمارها لمصلحة المجتمع.

المادة ١٧:

١- العقوبة شخصية، ولا جريمة ولا عقوبة إلا بنص.

٢- حق التقاضي والدفاع وسلوك سبل الطعن مصون بالقانون، ويُحظر النص في القوانين على تحصين أي عمل أو قرار إداري من رقابة القضاء.

٣- المتهم بريء حتى تثبت إدانته بحكم قضائي مبرم.

المادة ١٨:

١- تصونُ الدولةُ كرامةَ الإنسان وحرمة الجسد وتمنع الاختفاء القسري والتعذيب المادي والمعنوي، ولا تسقط جرائم التعذيب بالتقادم.

٢- باستثناءِ حالة الجرم المشهود، لا يجوز إيقافُ أيّ شخصٍ أو الاحتفاظ به أو تقييد حريته إلا بقرار قضائي.

المادة ١٩:

المساكنُ مصونة، لا يجوز دخولها أو تفتيشها إلا في الأحوال المبينة في القانون.

المادة ٢٠:

الأسرة نواة المجتمع، وتلتزم الدولة بحمايتها.

المادة ٢١:

١-تحفظ الدولة المكانة الاجتماعية للمرأة، وتصون كرامتها ودورها داخل الأسرة والمجتمع، وتكفل حقها في التعليم والعمل.

٢-تكفل الدولة الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمرأة، وتحميها من جميع أشكال القهر والظلم والعنف.

المادة ٢٢:

تعمل الدولة على حماية الأطفال من الاستغلال وسوء المعاملة، وتكفل حقهم في التعليم والرعاية الصحية.

المادة ٢٣:

تصونُ الدولةُ الحقوقَ والحرياتِ الواردة في هذا الباب، وتُمارَس وفقاً للقانون، ويجوز إخضاعُ ممارستِها للضوابط التي تشكل تدابيرَ ضروريةً للأمن الوطني أو سلامة الأراضي أو السلامة العامة أو حماية النظام العام ومنع الجريمة، أو لحماية الصحة أو الآداب العامة.

الباب الثالث: نظام الحكم خلال المرحلة الانتقالية

أولاً- السلطة التشريعية:

يمارس السلطةَ التشريعية مجلس الشعب.

المادة ٢٤:

١-يشكلُ رئيسُ الجمهورية لجنةً عليا لاختيار أعضاء مجلس الشعب.

٢-تقومُ اللجنةُ العليا بالإشراف على تشكيل هيئات فرعية ناخبةٍ، وتقومُ تلك الهيئات بانتخاب ثلثي أعضاء مجلس الشعب.

٣-يعين رئيس الجمهورية ثلث أعضاء مجلس الشعب لضمان التمثيل العادل والكفاءة.

المادة ٢٥:

١ -لا يجوز عزل عضو مجلس الشعب إلا بموافقة ثلثي أعضائه.

٢-يتمتعُ عضو مجلس الشعب بالحصانة البرلمانية.

المادة٢٦:

١- يتولى مجلسُ الشعب السلطةَ التشريعية حتى اعتمادِ دستور دائم، وإجراءِ انتخابات تشريعية جديدة وفقاً لهُ.

٢- مدة ولاية مجلس الشعب ثلاثون شهراً قابلة للتجديد.

المادة ٢٧:

يؤدي أعضاء مجلس الشعب القسم أمام رئيس الجمهورية، وتكون صيغة القسم: "أقسم بالله العظيم أن أؤديَ مهمتي بأمانةٍ وإخلاص".

المادة ٢٨:

ينتخبُ مجلسُ الشعب في أول اجتماع له رئيساً ونائبين وأميناً للسر، ويكون الانتخاب بالاقتراع السري وبالأغلبية، ويرأس الجلسة الأولى لحين الانتخاب أكبرُ الأعضاء سناً.

المادة ٢٩:

يُعِدّ مجلسُ الشعبِ نظامهُ الداخلي خلال شهر من أول جلسة له.

المادة ٣٠:

١- يتولى مجلس الشعب المهام التالية:

أ - اقتراح القوانين وإقرارها.

ب- تعديل أو إلغاء القوانين السابقة.

ت- المصادقة على المعاهدات الدولية.

ث- إقرار الموازنة العامة للدولة.

ج - إقرار العفو العام.

ح- قبول استقالة أحد أعضائه أو رفضها أو رفع الحصانة عنه وفقاً لنظامه الداخلي.

خ- عقد جلسات استماع للوزراء.

٢- يتخذ مجلس الشعب قراراتِهِ بالأغلبية.

ثانياً: السلطة التنفيذية:

المادة ٣١:

يمارس رئيس الجمهورية والوزراءُ السلطة التنفيذية ضمن الحدود المنصوص عليها في هذا الإعلان الدستوري.

المادة ٣٢:

رئيس الجمهورية هو القائدُ الأعلى للجيش والقوات المسلحة، والمسؤولُ عن إدارة شؤون البلاد ووحدة أراضيها وسلامتها، ورعاية مصالح الشعب.

المادة ٣٣:

يؤدي رئيس الجمهورية اليمين الدستورية أمام مجلس الشعب، وتكون صيغتها: "أقسم باللّه العظيم أن أحافظ مخلصاً على سيادة الدولة ووحدة البلاد وسلامة أراضيها واستقلال قرارها، والدفاع عنها، وأن أحترم القانون وأرعى مصالح الشعب، وأسعى بكل صدق وأمانة لتأمينِ حياة كريمة لهم وتحقيق العدل بينهم، وترسيخِ القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة".

المادة ٣٤:

يقومُ رئيس الجمهورية بتسمية نائبٍ له أو أكثر ويحدد اختصاصاتهم ويعفيهم من مناصبهم ويقبل استقالتهم، وفي حال شغور منصب الرئاسة يتولى النائب الأول صلاحيات رئيس الجمهورية.

المادة ٣٥:

١- يعين رئيس الجمهورية الوزراء ويعفيهم من مناصبهم ويقبل استقالتهم.

٢- يؤدي الوزراء القسم أمام رئيس الجمهورية، وتكون صيغة القسم: "أقسم باللّه العظيم أن أؤديَ مهمتي بأمانة وإخلاص".

المادة ٣٦:

يُصدرُ رئيس الجمهورية اللوائحَ التنفيذيةَ والتنظيميةَ ولوائحَ الضبطِ والأوامرَ والقراراتِ الرئاسية وفقاً للقوانين.

المادة ٣٧:

يمثلُ رئيسُ الجمهوريةِ الدولةَ، ويتولى التوقيع النهائي على المعاهدات مع الدول والمنظمات الدولية.

المادة ٣٨:

يقوم رئيس الجمهورية بتعيين رؤساء البعثات الدبلوماسية لدى الدول الأجنبية وإقالتهم، ويقبل اعتمادَ رؤساء البعثات الدبلوماسية الأجنبية لدى الجمهورية العربية السورية.

المادة ٣٩:

١- لرئيسِ الجمهورية حقُّ اقتراح القوانين.

٢- يُصدرُ رئيسُ الجمهورية القوانين التي يقرها مجلس الشعب، وله الاعتراض عليها بقرار معلل خلال شهر من تاريخ ورودها من المجلس الذي يعيد النظر فيها، ولا تقرُّ القوانينُ بعد الاعتراض إلا بموافقة ثلثي مجلس الشعب، وفي هذه الحالة يُصدرها رئيس الجمهورية حكماً.

المادة ٤٠:

لرئيس الجمهورية منحُ العفو الخاص وردُ الاعتبار.

المادة ٤١:

١- يعلن رئيس الجمهورية التعبئة العامة والحرب بعد موافقة مجلسِ الأمن القومي.

٢- إذا قام خطر جسيم وحال يهدد الوحدة الوطنية أو سلامة واستقلال أرض الوطن أو يعوق مؤسسات الدولة عن مباشرة مهامها الدستورية، لرئيس الجمهورية أن يعلن حالة الطوارئ جزئياً أو كلياً لمدة أقصاها ثلاثة أشهر في بيان الى الشعب بعد موافقة مجلس الأمن القومي واستشارة رئيس مجلس الشعب و رئيس المحكمة الدستورية ولا تمدد لمرة ثانية إلا بعد موافقة مجلس الشعب.

٣- المادة ٤٢:

تتولى السلطة التنفيذية ما يلي:

١- تنفيذَ القوانين والخطط والبرامج المعتمدة.

٢- إدارةَ شؤون الدولة وتنفيذ السياسات العامة التي تحقق الاستقرار والتنمية.

٣- إعدادَ مشروعات القوانين لرئيس الجمهورية لاقتراحها على مجلس الشعب.

٤- إعدادَ الخططِ العامةِ للدولة.

٥- إدارةَ الموارد العامة للدولة وضمان استخدامها بشكل فعّال وشفاف.

٦- إعادةَ بناء المؤسسات العامة وتعزيز سيادة القانون والحكم الرشيد.

٧- بناءَ المؤسسة الأمنية بما يضمن تعزيز الأمن والاستقرار الداخلي وحماية حقوق المواطنين وحرياتهم.

٨- بناءَ جيش وطني احترافي مهمته الدفاع عن حدود البلاد وسيادتها، وحماية الشعب بكل وطنية وإخلاص، مع الالتزام التام باحترام القوانين النافذة.

٩- تعزيزَ العلاقات الدولية والتعاون مع المنظمات الدولية لتحقيق المصالح الوطنية.

ثالثاً: السلطة القضائية:

المادة ٤٣:

١-السلطةُ القضائيةُ مستقلة، ولا سلطان على القضاة إلا للقانون.

٢- يضمن المجلس الأعلى للقضاء حسن سير القضاء واحترام استقلاله.

المادة ٤٤:

تنشأ المحاكم وتحدد اختصاصاتها بقانون، ويُحظرُ إنشاء المحاكم الاستثنائية.

المادة ٤٥:

١-النظام القضائي مزدوج ويتكون من القضاء العادي والقضاء الإداري.

٢-يشرفُ مجلس القضاء الأعلى على القضاء العادي والعسكري.

٣- يتولى مجلس الدولة القضاء الإداري وهو هيئة قضائية واستشارية مستقلة ويبينُ القانون اختصاصاتهِ وشروط تعيين قضاته وصلاحياته.

المادة ٤٦:

تتبعُ إدارة قضايا الدولة لوزارة العدل ويُنظَّمُ اختصاصها بقانون.

المادة ٤٧:

١-تحلُ المحكمةُ الدستوريةُ العليا القائمة وتنشأ محكمة دستورية عليا جديدة.

٢-تتكون المحكمة الدستورية العليا من سبعةِ أعضاء يسميهم رئيس الجمهورية من ذوي النزاهة والكفاءة والخبرة. وتنظم آليّة عملها واختصاصاتها بقانون.

الباب الرابع: الأحكام الختامية:

المادة ٤٨:

تمهد الدولة الأرضية المناسبة لتحقيق العدالة الانتقالية من خلال:

١-إلغاءِ جميع القوانين الاستثنائية التي ألحقت ضرراً بالشعب السوري وتتعارضُ مع حقوق الإنسان.

٢-إلغاءِ مفاعيل الأحكام الجائرة الصادرة عن محكمة الإرهاب التي استخدمت لقمع الشعب السوري بما في ذلك رد الممتلكات المصادرة.

٣-إلغاءِ الإجراءات الأمنية الاستثنائية المتعلقة بالوثائق المدنية والعقارية والتي استخدمها النظام البائد لقمع الشعب السوري.

المادة ٤٩:

١- تُحدَثُ هيئة لتحقيق العدالة الانتقالية تعتمد آليات فاعلة تشاورية مرتكزة على الضحايا، لتحديد سبل المساءلة، والحق في معرفة الحقيقة، وإنصاف للضحايا والناجين، بالإضافة إلى تكريم الشهداء.

٢- تستثنى جرائمُ الحربِ والجرائمُ ضد الإنسانيةِ وجريمةُ الإبادةِ الجماعية وكلُّ الجرائمِ التي ارتكبها النظام البائد من مبدأ عدم رجعية القوانين.

٣- تجرّم الدولةُ تمجيدَ نظامِ الأسدِ البائدِ ورموزِه، ويعدُّ إنكارُ جرائمهِ أو الإشادةُ بها أو تبريرُها أو التهوين منها، جرائمَ يعاقب عليها القانون.

المادة ٥٠:

يتمُّ تعديلُ الإعلان الدستوري بموافقة ثلثي مجلس الشعب بناءً على اقتراحِ رئيس الجمهورية.

المادة ٥١:

يستمرُّ العمل بالقوانين النافذة ما لم يتمَّ تعديلها أو إلغاؤها.

المادة ٥٢:

تحددُ مدةُ المرحلةِ الانتقاليةِ بخمسِ سنوات ميلادية تبدأ من تاريخ نفاذ هذا الإعلان الدستوري. وتنتهي بعد إقرار دستور دائم للبلاد وتنظيم انتخابات وفقاً له.

المادة ٥٣:

ينشرُ هذا الإعلانُ في الجريدة الرسمية، ويعملُ به من تاريخ نشره.

رئيس الجمهورية العربية السورية

13 رمضان 1446 هـ - 13 آذار 2025 مـ

10

رئاسة الجمهورية العربية السورية

جهة الإصدار: الرئاسة السورية.

المصدر: صحيفة إندبندنت عربية، 2025/3/13، شوهد في 2025/4/30، في: https://acr.ps/1L9BPk2

الوقائع الفلسطينية

Palestine Over Two Months

يتضمن هذا التقرير توثيقًا لأهم الوقائع الفلسطينية والأحداث المرتبطة بالصراع العربي – الإسرائيلي، في المدة 1 آذار/ مارس – 30 نيسان/ أبريل 2025.

كلمات مفتاحية: فلسطين، إسرائيل، الصراع العربي – الإسرائيلي.

Keywords: Palestine, Israel, Arab-Israeli Conflict.

2025/3/1 وجّه رئيس المجلس القيادي في حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، محمد درويش، رسالة إلى القمة العربية وقادة الدول العربية، يؤكد فيها حرص الحركة على استكمال باقي مراحل اتفاق وقف إطلاق النار، وصولًا إلى وقف إطلاق النار الشامل والدائم وانسحاب قوات الاحتلال الإسرائيلي الكامل من قطاع غزة وإعادة الإعمار ورفع الحصار.

(الموقع الرسمي لحركة حماس، 2025/3/1)

2025/3/1 تظاهر آلاف الإسرائيليين في عدة مدن مطالبين رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، بإتمام جميع مراحل صفقة تبادل الأسرى مع حركة حماس في قطاع غزة.

(التلفزيون العربي، 2025/3/1)

2025/3/2 حذّرت بلدية غزة من كارثة بيئية وصحية كبيرة نتيجة تراكم نحو 170 ألف طن من النفايات في شوارع المدينة والمكبات المؤقتة، ويعود ذلك إلى منع قوات الاحتلال الإسرائيلي طواقم البلدية من الوصول إلى المكب الرئيس شرق المدينة، وتدمير نحو 80 في المئة من آلياتها خلال العدوان المستمر.

(العربي الجديد، 2025/3/2)

2025/3/2 قررت الحكومة الإسرائيلية وقف إدخال المساعدات الإنسانية إلى قطاع غزة.

(القدس العربي، 2025/3/2)

2025/3/3 فاز الفيلم الفلسطيني "لا أرض أخرى" *No Other Land* بجائزة الأوسكار في دورتها الـ 97 عن أفضل فيلم وثائقي طويل.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2025/3/3)

2025/3/3 اقتحم 158 مُستعمِرًا المسجد الأقصى، وتجوّلوا في باحاته، وأدّوا طقوسًا تلمودية، وذلك بحماية من شرطة الاحتلال الإسرائيلي ومخابراته. وشددت قوات الاحتلال إجراءاتها في حق المصلين والأهالي عند بوابات المسجد الأقصى وفي محيط البلدة القديمة.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2025/3/3)

2025/3/3 هدد وزير المالية الإسرائيلي، بتسلئيل سموتريتش، بقطع إمدادات المياه والكهرباء عن قطاع غزة، مشددًا على ضرورة "فتح أبواب الجحيم" عبر هجوم عسكري واسع النطاق يؤدي إلى "احتلال القطاع".

(عرب 48، 2025/3/3)

2025/3/3 رفضَ نتنياهو تشكيل لجنة تحقيق رسمية مستقلة بشأن أحداث 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، مشددًا على أن حكومته لن تقبل بلجنة "منحازة سياسيًا".

(ألترا صوت، 2025/3/3)

2025/3/4 منعت سلطات الاحتلال الإسرائيلي لجنة تقصي الحقائق التابعة لمنظمة العمل الدولية من الدخول إلى فلسطين، لإعداد تقريرها السنوي عن أوضاع العمال الفلسطينيين وما يتعرّضون له من ممارسات إسرائيلية تنتهك حقوقهم.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2025/3/4)

2025/3/4 قال المتحدث باسم الأمين العام للأمم المتحدة، ستيفان دوجاريك، إن إبقاء المعابر إلى غزة مغلقة سيكون له "عواقب مدمرة على السكان الذين بدؤوا للتو في التعافي من شهور من الحرمان والجوع"، ودعا الدول وأصحاب النفوذ إلى استخدام "كل الوسائل المتاحة لضمان استمرار وقف إطلاق النار".

(أخبار الأمم المتحدة، 2025/3/4)

2025/3/7 قال وزير الدفاع الإسرائيلي، يسرائيل كاتس، إنه أوعز إلى القوات الإسرائيلية في الاستعداد للبقاء في مخيمات اللاجئين في الضفة الغربية حتى نهاية العام على الأقل.

(ألترا صوت، 2025/3/7)

2025/3/8 شهدت العاصمة السويدية، ستوكهولم، مظاهرة حاشدة احتجاجًا على خطة الرئيس الأميركي، دونالد ترمب، بشأن الاستيلاء على قطاع غزة وتهجير الفلسطينيين قسرًا من أراضيهم.

(وكالة الأناضول، 2025/3/8)

2025/3/9 رحّب وزراء خارجية فرنسا وألمانيا وإيطاليا والمملكة المتحدة بالمبادرة العربية لخطة الإنعاش وإعادة الإعمار في غزة، مشيرين إلى أن الخطة توضح مسارًا واقعيًا لإعادة الإعمار، وتَعد إذا جرى تنفيذها بتحسين سريع ومستدام للأوضاع المعيشية الكارثية للفلسطينيين الذين يعيشون في غزة.

(وزارة الخارجية الألمانية، المركز الألماني للإعلام، 2025/3/9)

2025/3/10 قال سموتريتش إن إسرائيل ستستأنف الحرب على غزة بقوة كبيرة، مدّعيًا عدم تقدم المفاوضات مع حركة حماس حول تبادل الأسرى.

(القدس العربي، 2025/3/10)

2025/3/10 استهدفت المقاتلات الحربية الإسرائيلية بعدة غارات مواقع عسكرية لقوات النظام السوري السابق، وسط تحليق مكثف للطائرات الحربية الإسرائيلية في أجواء درعا والسويداء.

(المرصد السوري لحقوق الإنسان، 2025/3/10)

2025/3/10 أكد الرئيس ترمب توقيفَ الطالب الفلسطيني، محمود خليل؛ بسبب قيادته مظاهرات مناهضة لإسرائيل في حربها على غزة.

(التلفزيون العربي، 2025/3/10)

2025/3/11 أعلنت القوات المسلحة اليمنية عن استئناف حظر عبور كل السفن الإسرائيلية في البحر الأحمر والبحر العربي وباب المندب وخليج عدن. وأكدت أنها في إطار الإسناد والانتصار لمظلومية الشعب الفلسطيني.

(موقع أنصار الله "الحوثيون"، 2025/3/11)

2025/3/12 قال المكتب الإعلامي الحكومي في قطاع غزة إن الاحتلال الإسرائيلي لم يلتزم ببنود اتفاق وقف إطلاق النار في غزة منذ اليوم الأول لسريانه، فقد رصد أكثر من ألف و300 خرق تسببت في استشهاد العشرات.

(المركز الفلسطيني للإعلام "غزة"، 2025/3/12)

2025/3/12 أصدر قائد المنطقة الوسطى في جيش الاحتلال الإسرائيلي قرارًا بتحويل البؤرة الاستعمارية "إدوريم"، المقامة على أراضي دورا جنوب الخليل إلى مستعمرة.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2025/3/12)

2025/3/12 استضافت دولة قطر اجتماع اللجنة الخماسية الوزارية بشأن غزة، بمشاركة المبعوث الخاص للولايات المتحدة إلى الشرق الأوسط، ستيف ويتكوف. وأصدر المجتمعون بيانًا أكدوا فيه دعم خطة إعادة إعمار غزة التي أُقرّت خلال القمة العربية المنعقدة في القاهرة في 4 آذار/ مارس 2025.

(دولة قطر، وزارة الخارجية، 2025/3/12)

2025/3/13 استولت سلطات الاحتلال الاسرائيلي، بموجب ما يُعرَف بـ "أمر عسكري"، على مساحات تُقدَّر بـ 1200 متر مربع في مدينة قلقيلية.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2025/3/13)

2025/3/13 قالت الحملة الوطنية لاسترداد جثامين الشهداء، إن عدد الشهداء المحتجزين الموثقين لدى الاحتلال الإسرائيلي في "مقابر الأرقام" والثلاجات ارتفع إلى 676 شهيدًا. وأوضحت أن من بين الشهداء المحتجزين 71 شهيدًا من الحركة الأسيرة، و60 طفلًا، و9 نساء.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2025/3/13)

2025/3/14 أكد كاتس أن الجيش الإسرائيلي سيبقى في النقاط الخمس التي تسيطر على الشريط الأمني في لبنان إلى أجل غير مُسمّى "من أجل حماية سكان الشمال، وبغض النظر عن أي مفاوضات بشأن النقاط المتنازع عليها على الحدود".

(النهار، 2025/3/14)

2025/3/16 شهدت شوارع العاصمة البريطانية لندن مظاهرات طالب المشاركون فيها بوقف ما وصفوها بالإبادة الجماعية التي ترتكبها إسرائيل في حق الشعب الفلسطيني. وطالب المتظاهرون أيضًا حكومتهم بالتوقف عمّا اعتبروه تواطؤًا بريطانيًا في الجرائم الإسرائيلية في حق الفلسطينيين.

(القدس العربي، 2025/3/16)

2025/3/18 قال مدير مستشفى الشفاء بغزة، محمد أبو سلمية، إن الطواقم الطبية بالمستشفى عاجزة عن استيعاب الأعداد المتزايدة من المصابين من جرّاء الغارات الإسرائيلية الكثيفة. وأشار إلى نفاد كميات كبيرة من الأدوية والمستهلكات الطبية نتيجة استمرار الحرب والحصار الإسرائيلي على قطاع غزة.

(المركز الفلسطيني للإعلام "غزة"، 2025/3/18)

2025/3/18 أشارت هيئة شؤون الأسرى والمحررين وجمعية نادي الأسير الفلسطيني إلى أن حصيلة حملات الاعتقال بلغت نحو 15700 حالة اعتقال في الضفة الغربية، وهذا لا يشمل حالات الاعتقال في غزة التي تُقدَّر بالآلاف.

(جمعية نادي الأسير الفلسطيني، 2025/3/18)

2025/3/20 نشرت وزارة الصحة الفلسطينية إحصائية تفصيلية عن تداعيات العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة منذ 18 آذار/ مارس، أشارت فيها إلى ارتفاع حصيلة الشهداء إلى 506 والجرحى إلى 909، وبذلك ترتفع حصيلة الشهداء إلى 49617 والجرحى إلى 112950 منذ 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023.

(وزارة الصحة الفلسطينية، 2025/3/20)

2025/3/20 قال سموتريتش إن إسرائيل تقود ثورة في الضفة الغربية لتعزيز سيادتها ومنع خطر الدولة الفلسطينية، وإنه اجتاز رقمًا قياسيًا سنويًا في الموافقة على وحدات استيطانية جديدة في الضفة الغربية.

(عرب 48، 2025/3/20)

2025/3/24 أفادت هيئة شؤون الأسرى والمحررين أن أوضاع الأسرى في سجن "جلبوع" الاحتلالي سيئة ومأساوية؛ حيث ينتشر مرض الجرب (سكابيوس) انتشارًا كبيرًا بين الأسرى، تزامنًا مع إهمال طبي متعمّد من إدارة السجن.

(هيئة شؤون الأسرى والمحررين، 2025/3/24)

2025/3/27 اغتالت قوات الاحتلال الصهيوني، الناطق باسم حركة حماس، الدكتور عبد اللطيف القانوع، في قصف على جباليا شمال غزة.

(المركز الفلسطيني للإعلام "غزة"، 2025/3/27)

2025/3/30 شهدت عدة مدن إسبانية مسيرات ووقفات تضامنية مع الشعب الفلسطيني وإحياء لذكرى يوم الأرض الذي يوافق 30 آذار/ مارس من كل عام، وطالبت بإنهاء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة.

(العربي الجديد، 2025/3/30)

2025/3/31 أغلقت جميع المخابز في قطاع غزة أبوابها؛ بسبب نفاد الدقيق والسولار اللازم لعملها من جرّاء استمرار قوات الاحتلال الإسرائيلي في إغلاق المعابر.

(المركز الفلسطيني للإعلام "غزة"، 2025/3/31)

2025/4/2 دانت وزارة الخارجية والمغتربين الفلسطينية المجزرةَ التي ارتكبتها قوات الاحتلال الإسرائيلي في حق النازحين في عيادة تتبع لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين في الشرق الأدنى "الأونروا" في مخيم جباليا شمال قطاع غزة.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2025/4/2)

2025/4/2 أعلن نتنياهو بدءَ السيطرة على محور "موراغ" الذي وصفه بأنه محور "فيلادلفيا الثاني" جنوب قطاع غزة، والذي من شأنه قطع أوصال القطاع بين خان يونس ورفح، في حين استكمل جيش الاحتلال حصار حي تل السلطان في رفح وتطويقه.

(عرب 48، 2025/4/2)

2025/4/5 أكدت بلدية غزة أن المدينة تعيش أزمة عطش كبيرة بسبب توغل قوات الاحتلال الإسرائيلي في مناطق شرق المدينة، وتوقف خط مياه ميكروت الذي يغذي المدينة بنحو 70 في المئة من احتياجاتها الحالية من المياه القادمة من الداخل.

(المركز الفلسطيني للإعلام "غزة"، 2025/4/5)

2025/4/5 خرجت مظاهرات في عدد من العواصم والمدن حول العالم رفضًا لاستئناف إسرائيل عدوانها على قطاع غزة، وللمطالبة بوقف التهجير والإبادة الجماعية المتواصلين في حق الفلسطينيين.

(العربي الجديد، 2025/4/5)

2025/4/6 دانَ رئيس المجلس الوطني الفلسطيني، روحي فتوح، قرار السلطات الإسرائيلية بمنع دخول النائبتَين البريطانيتَين يوان يونغ وابتسام محمد واحتجازهما في أثناء زيارتهما فلسطين رفقةَ وفد برلماني بريطاني دعمًا لحقوق الشعب الفلسطيني.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2025/4/6)

2025/4/6 انطلقت في بريطانيا حملة جديدة لمقاطعة منتجات إسرائيل والشركات الداعمة للاحتلال الإسرائيلي، بالتنسيق مع الحركة العالمية لمقاطعة إسرائيل "بي دي إس".

(القدس العربي، 2025/4/6)

2025/4/7 اقتحم 93 مستعمرًا المسجد الأقصى من جهة باب المغاربة، وأدّوا طقوسًا تلمودية في باحاته، وذلك بحراسة مشددة من شرطة الاحتلال الإسرائيلي.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2025/4/7)

2025/4/9 أعلن الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، أن فرنسا قد تعترف بدولة فلسطين في حزيران/ يونيو في مؤتمر عن فلسطين يُعقد في نيويورك، تترأسّه فرنسا رفقةَ المملكة العربية السعودية.

(*France 24*، 9/4/2025)

2025/4/10 سلّمت سلطات الاحتلال الإسرائيلي إخطارًا بالاستيلاء على نحو 137 دونمًا من أراضي مدينة البيرة، وبلدات سلواد وعين يبرود وبيتين وبرقا، شرق محافظة رام الله والبيرة، وبلدة مخماس شمال شرق القدس المحتلة.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2025/4/10)

2025/4/11 أعلنت منظمة الصحة العالمية أن مخزونات الأدوية منخفضة على نحو خطير؛ بسبب منع دخول المساعدات إلى غزة، وهذا يصعب على المستشفيات مواصلة العمل ولو جزئيًا.

(القدس العربي، 2025/4/11)

2025/4/14 اقتحم 1149 مستوطنًا المسجدَ الأقصى، في ثاني أيام عيد "الفصح" اليهودي، وذلك بحماية مشددة من شرطة الاحتلال الإسرائيلي.

(عرب 48، 2025/4/14)

2025/4/15 أعلنت وزارة الصحة في غزة أن 1400 من الكوادر الطبية قُتلوا خلال الإبادة التي يرتكبها الاحتلال الإسرائيلي في حق الفلسطينيين في قطاع غزة.

(المركز الفلسطيني للإعلام "غزة"، 2025/4/15)

2025/4/16 أشارت مؤسسات الأسرى الفلسطينية (مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، ونادي الأسير الفلسطيني، وهيئة شؤون الأسرى والمحررين) بمناسبة يوم الأسير الفلسطيني إلى أن منظومة الاحتلال الإسرائيلي تواصل وحشيتها في حق الأسرى والمعتقلين خلال صمت دولي تجاه ذلك، وعجز مرعب كما هو الحال أمام استمرار الإبادة، وهذا ساهم في تصاعد الجرائم المنظمة في حق الأسرى، التي أدّت إلى استشهاد 63 أسيرًا على الأقل ممّن جرى الإعلان عن هوياتهم، من بينهم 40 شهيدًا من غزة. في حين يواصل الاحتلال إخفاء هويات العشرات من الشهداء، واحتجاز جثامينهم، علمًا أن عدد الشهداء الأسرى الموثقة أسماؤهم منذ عام 1967 بلغ 300 شهيد.

(مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، 2025/4/16)

2025/4/16 دعت المحكمة الجنائية الدولية المجر إلى تقديم توضيح بشأن فشلها في اعتقال نتنياهو، المطلوب للعدالة الدولية؛ لارتكابه جرائم ضد الإنسانية في حق الفلسطينيين في قطاع غزة.

(العربي الجديد، 2025/4/16)

2025/4/17 أشار المدير التنفيذي لمؤسسة الضمير لحقوق الإنسان، علاء السكافي، إلى أن الاحـتلال الإسرائـيلي يمارس سياسة الإخفاء القسري في حق أعداد غير معلومة من أسرى قطاع غزة، إضافة إلى نحو 4 آلاف جثة شهيد انتشلها وسرقها من القطاع منذ اندلاع الحرب عقب عملية "طوفان الأقصى" في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023.

(القدس العربي، 2025/4/17)

2025/4/17 عبَّر رئيس حركة حماس في قطاع غزة ورئيس الوفد المفاوض، خليل الحية، عن استعداد الحركة للبدء الفوري في مفاوضات الرزمة الشاملة؛ بحيث يجري إطلاق سراحِ جميع الأسرى لدى المقاومة، وعددٍ متفقٍ عليه من الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحـتلال، مقابلَ الوقف التام للحرب على الشعب الفلسطيني، والانسحاب الكامل من القطاع، وبدء الإعمار وإنهاء الحصار.

(حركة المقاومة w "حماس"، 2025/4/17)

2025/4/25 أعلن برنامج الأغذية العالمي عن نفاد كل المخزون الغذائي المخصص للأسر في قطاع غزة، مشيرًا إلى أنه وزّع آخر ما تبقى من مخزونه الغذائي على مطابخ الوجبات الساخنة في القطاع. ومن المتوقع أن ينفد كل ما لدى هذه المطابخ من المواد الغذائية خلال الأيام القليلة المقبلة.

(برنامج الأغذية العالمي، 2025/4/25)

2025/4/30 ارتفعت حصيلة العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة إلى 52400 شهيد و118014 إصابة منذ 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023. ومنذ 18 آذار/ مـارس 2025، بلغت الحصيلة 2308 شهداء، و5973 إصابة.

(وزارة الصحة الفلسطينية، Facebook، 2025/4/30)

2025/4/30 قالت المتحدثة باسم برنامج الغذاء العالمي، إن الوضع الإنساني في قطاع غزة بلغ مرحلة بالغة الصعوبة، مؤكدة أن مخزون البرنامج من المواد الغذائية قد نفد تمامًا. وأوضحت أن نحو 700 ألف شخص في القطاع كانوا يعتمدون يوميًا على الوجبات التي يوفرها البرنامج، إلا أن استمرار إغلاق المعابر حال دون تلبية احتياجاتهم.

(العربي الجديد، 2025/4/30)

مراجعات الكتب

Book Reviews

المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/FBAU5060

أحمد مأمون | Ahmed Mamoun*

مختبر فلسطين: كيف تصدّر إسرائيل تقنيات الاحتلال إلى العالم

The Palestine Laboratory: How Israel Exports the Technology of Occupation around the World

عنوان الكتاب في لغته: *The Palestine Laboratory: How Israel Exports the Technology of Occupation around the World*.

عنوان الكتاب: مختبر فلسطين: كيف تصدّر إسرائيل تقنيات الاحتلال إلى العالم.

المؤلف: أنتوني لونشتاين Antony Loewenstein.

المترجم: عامر شيخوني.

سنة النشر: 2024.

الناشر: بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

عدد الصفحات: 334.

* باحث في العلوم السياسية والتاريخ السياسي.

Researcher in political science and political history.
Email: aamer3860@gmail.com

مقدمة

يأتي كتاب **مختبر فلسطين: كيف تصدّر إسرائيل تقنيات الاحتلال إلى العالم** لمؤلفه أنتوني لونشتاين في سياق تراكمي ضمن حقل دراسات الصناعة العسكرية الإسرائيلية وتصدير السلاح الذي نشأ في منتصف ثمانينيات القرن العشرين، وقد أخذت هذه الأدبيات تعيد صياغة النقاش حول العلاقة بين الأمن والسياسة والاقتصاد في بنية الاحتلال الإسرائيلي، كاشفةً عن أبعادٍ أعمق من مجرد نشاط تجاري أو سوق سلاح. فقد قدّم آرون كليمان، في كتابه **المدى العالمي لإسرائيل: مبيعات الأسلحة بوصفها أداة دبلوماسية**[1]، أطروحة تأسيسية ترى أنّ صادرات السلاح الإسرائيلي قد شكّلت وسيلة لفتح قنوات سياسية جديدة وتعزيز نفوذها الدولي. وبعده بسنوات قليلة، عزز بشارة بحبح هذا المسار التحليلي في كتابه **إسرائيل وأميركا اللاتينية: البعد العسكري**[2]؛ فقد كشف عن تغلغل شبكات التسليح الإسرائيلية في أميركا اللاتينية، بوصفها امتدادًا استراتيجيًا للسياسة الخارجية الإسرائيلية. وقد أرست هذه الأعمال معًا ما يمكن اعتباره "مدرسة كلاسيكية" في فهم تصدير السلاح الإسرائيلي بوصفه أداةً سياسية واقتصادية في آنٍ واحد.

وبعد قرابة عقدَين من انقطاع المساهمات الأكاديمية عن هذا الحقل، وبحلول نهاية العقد الأول من الألفية الثالثة، عاد هذا الحقل نفسه ليطلق موجة جديدة من الدراسات تطرح تساؤلات جديدة وتدرس أبعادًا مختلفة؛ إذ لم يعد السؤال المركزي: كيف تُستخدم صادرات السلاح في السياسة الخارجية؟ بل أصبح: كيف يتحوّل الاحتلال ذاته إلى اقتصاد أمني وعسكري مُربِح؟ فقد ساهمت أعمال إيال وايزمان[3] وستيفن غراهام[4] في الكشف عن البنية التحتية المكانية للاحتلال، وكيفية إعادة تشكيل الفضاءات العمرانية لتكريس تفوّق المستعمِر، وعن انتقال تقنيات الضبط والسيطرة على المكان والجسد الفلسطيني إلى مدن العالم الكبرى، مثل باريس ونيويورك. ثم جاء شير هيفر[5]، موضحًا كيفية إعادة إنتاج الاحتلال باعتبارها صناعة تغذّي قطاعات التكنولوجيا الأمنية وتغدو مصدرًا دائمًا للربح في اقتصاد المستوطنين. تأتي في هذا السياق، أيضًا، دراسة طارق دعنا، التي يجادل فيها بأنّ اقتصاد الحرب أداة مركزية في تشكّل الدولة والمجتمع في إسرائيل، وذلك عبر الممارسات التي تعمل على تحويل الفلسطينيين إلى حقل تجارب لاختبار أسلحتها، على نحو يخدم اقتصاد الحرب من خلال التصدير إلى الخارج[6]. بهذا المعنى، لم تعد إسرائيل تُدرس من زاوية صادراتها العسكرية فحسب، بل من خلال بنيتها الاستعمارية أيضًا، التي تحوّل الاحتلال نفسه إلى منصة إنتاج للمعرفة الأمنية وأداة لتسليع القمع.

في هذا السياق الأوسع، يجادل لونشتاين بأنّ الاستعمار الاستيطاني الإسرائـيلي لم يعد حدثًا استثنائيًا محصورًا في مجال الجغرافيا الفلسطينية، بل تحوّل إلى مختبر دائم تُنتَج فيه أدوات الهيمنة والرقابة التي تُختبر على الفلسطينيين، وتُسوَّق لاحقًا في أسواق السلاح العالمية باعتبارها "مجرَّبة ميدانيًا"، معتمدًا على مزيج من التحقيقات الصحافية، والأرشيف الرسمي، والمقابلات الميدانية. وما يميز أطروحة المؤلف هو جمعها لمختلف مقاربات الأدبيات السابقة، من حيث إنّ تجارة السلاح الإسرائيلي ساعدت إسرائيل على بناء تحالفات سياسية واقتصادية، وساهمت في إخراجها من العزلة الدولية، إلى جانب تصويت الدول لمصلحتها في المحافل الدولية، إضافة إلى إبرازه الكيفية التي صار بوساطتها الاحتلال رأسَ مالٍ مربحًا للدولة وسوق السلاح العالمية.

لم تعد الممارسات القمعية والرقابية الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة، من الحواجز العسكرية والطائرات المسيّرة والكوادكابتر والروبوتات إلى برامج التجسّس على الهواتف، أحداثًا فلسطينية معزولة، بل أضحت حلقة في شبكة عابرة للحدود تربط مصائر الفلسطينيين بالمكسيكيين ومسلمي الروهينغا والصحافيين والمعارضين السياسيين في أنحاء العالم. وهذا يعني أنّه لم يعد لزامًا أن تكون فلسطينيًا كي تُستهدَف بالسلاح أو التقنية الإسرائيلية؛ بل يكفي أن تكون جزءًا من فئة مضطهدة أو ضحية في أيّ مكان، حتى تجد نفسك معرّضًا لانتهاك الحقوق والتنكيل عبر أدوات القمع التي تنتهجها إسرائيل وتسوّقها.

لا تتبع هذه المراجعة منهجًا يقوم على مراجعة كل فصلٍ على حدة، بل تعيد تنظيم محتوى الكتاب ضمن ثلاثة محاور أساسية مترابطة، انطلاقًا من أنّ فصوله، على الرغم من تنوّع موضوعاتها وسياقاتها، تتأسس جميعها على ثلاث أفكار رئيسة متكررة، وهي: أولًا، الاحتلال بوصفه سلعةً أمنيةً وتجاريةً؛ ثانيًا، غياب الاستقرار شرطًا للربح؛ ثالثًا،

1 Aaron Klieman, *Israel's Global Reach: Arms Sales as Diplomacy* (Washington: Pergamon-Brassey's, 1985).

2 بشارة بحبح، **إسرائيل وأميركا اللاتينية: البعد العسكري** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1987).

3 إيال وايزمان، **أرض جوفاء: الهندسة المعمارية للاحتلال الإسرائيلي**، ترجمة باسل وطفة (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر؛ مدارات للأبحاث والنشر، 2017).

4 Stephen Graham, *Cities Under Siege: The New Military Urbanism* (London/ New York: VERSO, 2010).

5 Shir Hever, *The Political Economy of Israel's Occupation: Repression Beyond Exploitation* (London: Pluto Press, 2010).

6 طارق دعنا، "الإنتاج العسكري - الأمني واقتصاد الحرب في سياق الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي"، **عمران**، مج 10، العدد 39 (شتاء 2022)، ص 69-90.

إسرائيل بوصفها رمزًا عالميًا للهيمنة والقمع. هذا التداخل البنيوي يجعل المراجعة الفصلية عرضةً للتكرار وإعادة إنتاج الحجج نفسها، بينما يسمح الدمج بإبراز وحدة الأطروحة، ويمنح المراجعة قيمة تفسيرية إضافية.

أولًا: الاحتلال سلعة أمنية وتجارية

يوضح المؤلف تحوّل الاحتلال الإسرائيلي إلى سلعة قائمة بذاتها، تُنتَج وتُسوَّق وتُباع في أسواق عالمية تبحث عن أدوات السيطرة والقمع. يطلّ هذا المنطق بوضوح في الفصول الأول والرابع والسادس، التي تقدّم سردًا ممتدًا لتاريخ العلاقات العسكرية والأمنية لإسرائيل، وتُظهر أنّ الأدوات التي جُرّبت أولًا على الفلسطينيين تحوّلت إلى منتجات جاهزة للتسويق تحت شعار "مجرّب في الميدان" Battle-Tested. أعطت هذه الخاصية إسرائيل موقعًا استثنائيًا؛ إذ لم يعد الاحتلال عبئًا أخلاقيًا وسياسيًا كما يُفترض، بل أصبح رأسَ مالٍ استراتيجيًا يدرّ الأرباح ويعزز مكانتها الدولية.

بعد مقدمة مطوّلة وغنية، يركّز الفصل الأول، "بيع الأسلحة لكل من يريدها"، على حقبة السبعينيات والثمانينيات، وهي الفترة التي تكثفت فيها الشراكات العسكرية بين إسرائيل وأنظمة استبدادية في أميركا اللاتينية وأفريقيا، فأعانت هذه الشراكات السلطويات في بلدان عديدة على تثبيت نظم حكمها بالحديد والنار بأدوات إسرائيلية. وكان المثال الأبرز الذي يورده المؤلف هو تشيلي بعد انقلاب الجنرال أوغستو بينوشيه Augusto Pinochet عام 1973 (ص 37). فبعد أن فرضت الولايات المتحدة الأميركية حظرًا على تصدير الأسلحة إلى النظام الجديد نتيجة انتهاكاته الجسيمة لحقوق الإنسان، سارعت إسرائيل إلى ملء الفراغ، فباعت تل أبيب دبابات "شيرمان" معدّلة وطائرات مقاتلة وصواريخ ومدرعات، وساعدت في تدريب أجهزة الاستخبارات التشيلية التي كانت تنفذ عمليات اعتقال المعارضين وتعذيبهم وقتلهم (ص 42). ويستشهد المؤلف بقصة عائلة ديفيد سيلبرمان David Silberman، مدير مناجم النحاس وصديق الرئيس التشيلي سلفادور أليندي Salvador Allende (1970-1973)، أحد أبرز ضحايا النظام؛ إذ إنه اعتُقل وعُذّب ثم اختُطِف عام 1974، ولم يُعثر له على أثر، بينما التجأت عائلته، التي يلاحقها نظام بينوشيه، إلى إسرائيل نفسها (ص 39). وبعد تكشّف الحقائق، قال دانييل بن ديفيد: "كان الأمر صادمًا ومؤلمًا بالنسبة إليَّ شخصيًا عندما اكتشفت أن إسرائيل كانت تساعد نظام بينوشيه، فقد كانت هذه الدولة هي التي منحت عائلتي فرصة ثانية" (ص 42)، وهو ما دفع بن ديفيد إلى العمل على كشف العلاقة بين إسرائيل وبينوشيه من خلال عرض آلاف الوثائق المتعلقة بتشيلي في إسرائيل، التي بلغ عددها 19 ألف وثيقة. تُظهر هذه المأساة أنّ إسرائيل لم تكن مزوّدَ سلاح محايدًا، بل كانت طرفًا فاعلًا في ترسيخ بنية القمع من خلال توفير أدوات قتل المتظاهرين وقمعهم، من قبيل رشاشات المياه الملوّنة التي كانت تُصنع في كيبوتس بيت ألف" (ص 43-44).

ولا تقتصر الأمثلة على تشيلي، ففي غواتيمالا أيضًا، قدّمت إسرائيل دعمًا مباشرًا للجيش والميليشيات التي نفّذت مذابح ضد السكان الأصليين "المايا" (ص 68-71). وفي جنوب أفريقيا، واصلت إسرائيل تعاونها العسكري مع نظام الفصل العنصري في وقت كانت فيه معظم دول العالم قد قطعت علاقاتها مع بريتوريا، فكانت الأسلحة الإسرائيلية تصل إلى نظام الأبارتهايد على الرغم من قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالمقاطعة (ص 58، 188-196). ويذكر المؤلف صفقات مع نظام الشاه في إيران قبل الثورة الإسلامية، حيث نسجت إسرائيل علاقات وثيقة مع جهاز الاستخبارات الإيراني "السافاك"، وهو ما يكشف أن منطق "التجريب والتصدير" لم يكن حكرًا على منطقة بعينها، بل هو سمة أساسية في السياسة الخارجية الإسرائيلية (ص 60-61).

يُظهِر الفصل الرابع، "تسويق الاحتلال الإسرائيلي للعالم"، أنّ الاحتلال تحوّل من عبء سياسي إلى سلعة استراتيجية تُسوَّق عالميًا، فالتقنيات الأمنية والعسكرية التي جُرِّبت أولًا على الفلسطينيين صارت تُعرض في الأسواق تحت شعار "مجرَّبة ميدانيًا"، خصوصًا بعد غزو لبنان (1982) الذي شكّل لحظة مفصلية في هذا المسار؛ إذ استُخدمت دعايات "الدقة الجراحية" على الرغم من سقوط آلاف المدنيين لترويج صورة متفوقة للجيش الإسرائيلي، وهو ما جذب أنظمة استبدادية تبحث عن أدوات جاهزة للسيطرة (ص 20).

يوسّع الفصل السادس، "الرقابة الإسرائيلية الشاملة في دماغ هاتفك"، هذا المنطق ليشمل فضاء المراقبة الرقمية، فشركات مثل NSO Group[7] (مطورة برنامج "بيغاسوس" Pegasus[8]) وسيلبرايت Cellebrite[9]، تقدّم نفسها اليوم بوصفها من أبرز الشركات العالمية الرائدة في مجال اختراق الهواتف واستخراج البيانات، وهي تقنيات تطوّرت في إطار التجربة الاحتلالية الإسرائيلية. وتستفيد هذه الشركات مباشرة من خبرات

7 هي شركة إسرائيلية خاصة، متخصصة في تطوير برمجيات التجسس والمراقبة. أُسِّسَت عام 2010، وارتبط اسمها بفضائح واسعة لاستخدام منتجاتها في مراقبة معارضين وصحافيين وناشطين في مختلف أنحاء العالم.

8 هو برنامج تجسّس إسرائيلي، يمكّن من اختراق الهواتف الذكية iOS وAndroid عن بُعد، والوصول إلى المكالمات والرسائل والملفات وحتى تشغيل الكاميرا والميكروفون سرًّا.

9 هي شركة إسرائيلية متخصصة في أمن المعلومات والطب الشرعي الرقمي. أُسِّسَت عام 1999، واشتُهِرَت بتطوير أدوات لاستخراج بيانات الهواتف الذكية والأجهزة الرقمية وتحليلها، وتُستخدم منتجاتها في التحقيقات القضائية والأجهزة الأمنية حول العالم لفكّ تشفير الهواتف واسترجاع البيانات. ارتبط اسمها بانتقادات حقوقية بسبب بيع تقنياتها لأنظمة استبدادية.

الجيش وأجهزة الاستخبارات، وتحوّل تقنيات المراقبة التي طُبِّقت على الفلسطينيين إلى منتجات قابلة للتصدير (ص 225-226). ويورد المؤلف أمثلة كثيرة عن استخدام بيغاسوس لتعقّب معارضين وصحافيين في المكسيك (ص 233-235)، والتجسس على معارضين سياسيين في المجر والهند (ص 248-254).

وتجسّد تجربة شركة Any Vision، التي أصبحت لاحقًا Oosto[10]، بوضوح دور "المختبر الفلسطيني" في إنتاج أدوات المراقبة الرقمية، فقد نُصبت أنظمتها للتعرّف إلى الوجه بالذكاء الاصطناعي على الحواجز في الضفة الغربية ضمن مشروع Google Ayosh، فقد جُمعت صور الفلسطينيين في قاعدة بيانات واسعة استُخدمت لتدريب الخوارزميات. وتحوّل هذا الاختبار الميداني إلى عنصر تسويقي مكّن الشركة من بيع تقنياتها في أكثر من أربعين دولة، من روسيا والصين إلى الولايات المتحدة، واستخدامها في قطاعات متنوعة، من الكازينوهات إلى المصانع. ومع إعادة التسمية عام 2021، حصلت Oosto على استثمارات تجاوزت 235 مليون دولار أميركي، معتمدةً على خبرات ضباط من وحدة 8200 (ص 104-106)، لتؤكد أنّ المختبر لم يعد يقتصر على السلاح التقليدي، بل صار أيضًا منصة لتصدير أنظمة المراقبة والقمع الرقمي عالميًا.

ثانيًا: غياب الاستقرار شرطًا للربح السياسي – الاقتصادي

يخصّص المؤلف الفصلَين الثاني والثالث لتفكيك مفارقة أساسية في التجربة الإسرائيلية، تتمثل في أنّ الخوف وغياب الاستقرار لا يُنظر إليهما بوصفهما أزمات ينبغي احتواؤها، بل يُعدّان شرطَين ضروريَين لازدهار الصناعات الأمنية والعسكرية. ووفق هذا المنطق، فإنّ السلام لا يُعدّ مكسبًا سياسيًا أو أخلاقيًا، بل يُعدّ تهديدًا مباشرًا لمورد اقتصادي متجذّر. ومن هنا، جاء عنوان الفصل الثاني "كارثة 11 سبتمبر كانت جيدة للأعمال"، الذي يوجز تحوّل صدمة الهجمات على برجَي مركز التجارة العالمي في الولايات المتحدة إلى فرصة ذهبية لإسرائيل؛ كي تعرض خبرتها الأمنية باعتبارها منتجًا جاهزًا.

ومنذ اللحظة الأولى بعد 11 أيلول/ سبتمبر 2001، ارتفع الطلب العالمي على أنظمة المراقبة والحماية الحدودية والتدريب الأمني، وبدت إسرائيل، بما تملكه من تجربة في السيطرة على الفلسطينيين، في نظر الحكومات الغربية، "الدولة المثالية" لتقديم حلول سريعة. يسرد المؤلف تفاصيل دقيقة حول مطار بن غوريون، الذي شكّل نموذجًا في فحص المسافرين؛ حيث أصبح مرجعًا لأنظمة مطارات أوروبية وأميركية (ص 93، 32). وكذلك أنظمة المراقبة البيومترية، التي طُبّقت بدايةً على العمال الفلسطينيين عند المعابر، ثم استُنسِخت لاحقًا في مطارات لندن وبرلين (ص 105-107). وشاركت الشرطة الأميركية والبريطانية في تدريبات داخل إسرائيل، تعلّمت فيها أساليب فضّ التظاهرات والتعامل مع "التهديدات غير التقليدية"، وهي أساليب طُبّقت على الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة قبل أن تُدرَّس في نيويورك وواشنطن (ص 30-33)، بل إن الحرب الأميركية على المخدرات في المكسيك استعانت بتقنيات إسرائيلية لبناء جدار مراقبة إلكتروني على الحدود، في تكرارٍ شبه مباشر لنموذج الجدار الفاصل في الضفة الغربية (ص 85، 215-216). أما الهند، التي واجهت تهديدات أمنية متصاعدة بعد هجمات مومباي (2008)، فقد صارت أحد أكبر عملاء إسرائيل في شراء الطائرات المسيّرة وأنظمة المراقبة المتقدمة (ص 197-199).

تكشف هذه الأمثلة تحوّل الاحتلال إلى شهادة "كفاءة أمنية" مُعترَف بها عالميًا، فما جُرِّب على الفلسطينيين صار "منتجًا" جاهزًا للشراء، بينما أصبحت إسرائيل جزءًا لا يتجزأ من البنية الأمنية الدولية بعد 11 أيلول/ سبتمبر. ومن هنا، تتضح الفكرة الجوهرية المتمثلة في أنّ الخوف العالمي كان موردًا لإسرائيل، لا عبئًا عليها.

يُترجم الفصل الثالث، "منع كل فرصة للسلام"، هذه المفارقة إلى الداخل الإسرائيلي، ويبيّن أنّ أيّ تقدّم مع الفلسطينيين نحو التسوية السياسية يعني تقويض السوق التي تغذي الصناعات الأمنية الإسرائيلية، كما أن السلام ليس تحدّيًا سياسيًا للأحزاب أو تهديدًا أيديولوجيًا لليمين القومي – الديني فحسب، بل يمثّل أيضًا خطرًا اقتصاديًا على شركات السلاح والتكنولوجيا (ص 113-116). ولم يُفضِ مسار أوسلو منذ تسعينيات القرن العشرين إلى تراجع الاستيطان أو تقليل الأجهزة الأمنية، بل أدى إلى طفرة جديدة في المشاريع الأمنية، من نقاط التفتيش الإلكترونية إلى الجدار العازل، وصولًا إلى توسيع شبكات المراقبة (ص 195-196)، حتى إنّ الانسحاب من غزة عام 2005، الذي بدا خطوة نحو تقليص الاحتلال، قدّم لإسرائيل فرصة لتجريب نموذج "التحكّم عن بُعد"؛ أي حصار شامل تديره التكنولوجيا والطائرات المسيّرة والمراقبة الإلكترونية، وتجرَّب فيه أنواع مختلفة من القنابل والصواريخ في الحروب الموسمية على القطاع. ويقول المؤلف إن قطاع غزة هو "المختبر النموذجي للعبقرية الإسرائيلية في السيطرة" (ص 118). وقد سبق أن أكد أفنر بنزاكين، رئيس قسم التكنولوجيا واللوجستيات في الجيش الإسرائيلي، أهمية غزة باعتبارها مختبرًا لتجربة الأسلحة الإسرائيلية حين قال: "إذا طورْت منتجًا وأردت اختباره في الميدان، فليس عليّ سوى أن أقطع مسافة خمسة أو عشرة

10 هي شركة إسرائيلية أُسِّسَت عام 2015، متخصصة في تقنيات التعرّف إلى الوجه والرؤية الحاسوبية، جُرِّبت أنظمتها أولًا على الحواجز في الضفة الغربية قبل أن تُسوَّق عالميًا. عمل رئيس الموساد الأسبق، تامير باردو، مستشارًا لها.

كيلومترات من قاعدتي، ثم أنظر وأرى ما يحدث مع المعدات [...] وأحصل على الانطباعات، الأمر الذي يجعل عملية التطوير أسرع وأكثر كفاءة"[11]. وقد تحولت هذه التجربة إلى سلعةٍ تُسوَّق بوصفها "ابتكارًا أمنيًا" يُعرَض على دول تودّ فرض سيطرة كاملة من دون وجود عسكري مباشر (ص 117-118).

تتمثل القيمة التحليلية لهذا المحور في أنّه يكشف الجانب "النفعي" من استمرار العنف، فبالنسبة إلى الصناعات الأمنية، لا يمثل التهديد حالة طارئة يجب إنهاؤها، بل يُعدّ شرطًا لدوام الإنتاج، فأيّ تراجع في حدة الصراع سيُضعف القدرة على تسويق الأدوات الأمنية. وبهذا، يصبح استمرار الانتفاضات الفلسطينية، أو غياب الاستقرار في غزة والضفة، مصلحة بنيوية للاقتصاد العسكري – الأمني، وأمّا السلام فإنه يهدد بإغلاق المختبر، وتجفيف المورد الأساسي الذي يمدّ الشركات بميزة تنافسية.

ثالثًا: إسرائيل رمزًا عالميًا للهيمنة والقمع

يتجاوز المؤلف في الفصلَين الخامس والسابع حدود السلاح والتكنولوجيا ليكشف بُعدًا آخر في "المختبر الفلسطيني"، وهو البُعد الرمزي؛ فإسرائيل لا تبيع العالم أسلحةً أو برامج مراقبة فحسب، بل تقدّم نفسها أيضًا نموذجًا سياسيًا وأيديولوجيًا يُحتذى به، سواء لدى الحكومات القومية اليمينية أو لدى شركات التكنولوجيا العملاقة التي تتحكّم في الخطاب في الفضاء الرقمي. وهذا التحوّل من عبء إلى رمز يجعل التجربة الإسرائيلية جذابة لقوى عدة ترى في القمع والهيمنة وسيلة للشرعية (ص 19).

في الفصل الخامس، "النداء المستمر للهيمنة الإسرائيلية"، يوضح المؤلف أنّ إسرائيل لم تعد تُقدِّم حالةً استثنائيةً محاصَرة بالانتقادات، بل أصبحت قدوة في كيفية تحويل الاحتلال إلى عنصر قوة، فالتيارات اليمينية المتطرفة في الغرب تبدي إعجابها الصريح بالنموذج الإسرائيلي، فمثلًا ريتشارد سبنسر Richard Spencer، أحد رموز اليمين البديل في الولايات المتحدة، وصف نفسه يومًا بأنه "صهيوني أبيض"، معتبرًا إسرائيل مثالًا على الدولة التي تحتفظ بطابعها العرقي عبر التفوّق العسكري والسيطرة الأمنية. ورُفعت الأعلام الإسرائيلية في تظاهرات أقصى اليمين في الولايات المتحدة وأوروبا، في مشهدٍ يلخّص هذا التماهي بين خطاب التفوّق الأبيض والنموذج الإسرائيلي (ص 17).

لا يقتصر الأمر على حركات هامشية، بل يمتد إلى قادة دول، فعلى سبيل المثال وجد رئيس الوزراء المجري، فيكتور أوربان Viktor Orbán (2010-) في إسرائيل نموذجًا للدولة - الحصن التي تضع الأمن فوق الحريات، أما رئيس الوزراء الهندي، ناريندرا مودي Narendra Modi (2014-)، فبنى تحالفًا استراتيجيًا مع إسرائيل، يجمع بين تبادل السلاح والخبرة الأمنية وبين الإعجاب السياسي بنموذج يربط القومية بالهيمنة العسكرية (ص 200-209). حتى في البرازيل، أبدى الرئيس السابق، جايير بولسونارو Jair Bolsonaro (2019-2022) تقاربًا واضحًا مع إسرائيل، معتبرًا إياها مثالًا للدولة القوية (ص 101). وبهذا، تكشف هذه الأمثلة أنّ إسرائيل لم تعد تُحرج حلفاءها، بل تُقدَّم "شريكًا أيديولوجيًا" يعزز سرديات اليمين الشعبوي في أنحاء متفرقة من العالم.

وفي الفصل السابع، "شركات وسائل التواصل الاجتماعي لا تحب الفلسطينيين"، ينقل المؤلف النقاش إلى مستوى آخر، وهو الفضاء الرقمي الذي تبدو سيطرته خفيّة غير أنه يشكّل خطورة كبيرة؛ تتمثل في تقييد الخطاب وتوجيهه. ويورد شواهد متكررة عن حذف محتوى فلسطيني على منصات مثل فيسبوك وإكس (تويتر سابقًا) وإنستغرام، بحجة الإرهاب أو خطاب الكراهية (ص 293-294). وفي المقابل، يسمح بخطابات تحريضية صادرة عن مسؤولين أو مستوطنين إسرائيليين (ص 297). إن هذه العلاقة التي يرسمها المؤلف ليست مصادفة، فالشركات العملاقة، الساعية للحفاظ على أسواقها وعلاقاتها مع الحكومات، تستجيب لضغوط إسرائيلية منظمة، والنتيجة أنّ الرواية الفلسطينية تُقصى من الفضاء العام العالمي، تمامًا، كما يُقصى الفلسطينيون من الأرض (ص 278-279). ليست هذه السيطرة الرقمية تفصيلًا ثانويًا، بل تُعدّ جزءًا من "المختبر الفلسطيني"، فكما جُرّبت الأسلحة على الأجساد الفلسطينية، تُختبر الآن سياسات الرقابة على كلماتهم وصورهم (ص 279).

يربط المؤلف بين التهميش الإعلامي التاريخي للقضية الفلسطينية في الصحافة الغربية وما يحدث اليوم على المنصات الرقمية، لكن هذا التهميش كان قبل الإبادة الجارية في غزة؛ ما يعني أنّ ميزة الفصل تكمن في توثيقه هذه السياسات قبل الإبادة (ص 277-301).

خاتمة

يكشف الكتاب حقيقة مركزية طالما لوحِظت في دراسات الاستعمار الاستيطاني، لكن قلّما جرى توثيقها بهذا القدر من التفصيل، مفادها أنّ الاحتلال ليس ممارسة سياسية أو عسكرية ذات تكلفة فحسب، بل هو أيضًا بنية إنتاجية قائمة بذاتها، فمنذ السبعينيات، تحوّلت

11 غسان أبو ستة، "الفيروس والمستوطِن والحصار: غزة في زمن كورونا"، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 123 (صيف 2020)، ص 117.

فلسطين إلى ساحة تجريبية للسلاح المُصدَّر إلى أميركا اللاتينية وجنوب أفريقيا، مرورًا بما يسمى "الحرب على الإرهاب" بعد عام 2001، التي جعلت الخبرة الإسرائيلية "شهادة ثقة" في السوق الأمنية العالمية، وصولًا إلى عصر الرقابة الرقمية والذكاء الاصطناعي؛ إذ غدا الهاتف نفسه امتدادًا للحاجز الإسرائيلي. ويبرهن ذلك كله على أنّ الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي أصبح خطًّ إنتاج متكاملًا، مادّيًا ورمزيًا، يوفّر أدوات القمع، ويصدّر خطاب شرعنته في آن واحد[12].

تكمن أهمية الكتاب في كثافة شواهده وقدرته على جمع خطوط متفرقة من التاريخ العسكري، والاقتصاد السياسي، والرقابة الرقمية، والسياسات الرمزية في سرديـة واحـدة تفضح منطق "المختبر الفلسطيني"، وهذا المنطق يعيد الاعتبار لفلسطين بوصفها عدسة كاشفة لآليات الحكم السلطوي في القرن الحادي والعشرين. ومن هذا المختبر، تُقرأ طبيعة الدولة الأمنية النيوليبرالية العابرة للحدود. ويكشف الكتاب الأرشيف المسكوت عنه أو التاريخ الذي نجهله، ويقدّم كمًّا هائلًا من الأمثلة الموثّقة والقصص التي تجعل أطروحته مؤثّرة في وعي أيّ قارئ؛ إذ يخرج القارئ بتصور جديد عن الدور والموقع الفعلي لإسرائيل في العالم، ويجعل قراءته ضرورة في ظل الجرائم الإسرائيلية في المشرق العربي، لا سيّما إبادته للحجر والبشر في قطاع غزة.

مع ذلك، فإنّ الكتاب لا يخلو من ثغراتٍ منهجية، أبرزها:

1. طابعه الصحافي الاستقصائي الذي يجعله يميل إلى مراكمة الأمثلة والقصص أكثر من صياغة إطار نظري صارم يمكن أن يفسر الظاهرة في أبعادها البنيوية؛ إذ يثبت المؤلف وجود "المختبر الفلسطيني" بما فيه من قمع وتجريب وتسويق، لكنه لا يفكك على نحو كافٍ العلاقة الجدلية بين جهاز الدولة الإسرائيلي من جهة، والشركات الأمنية والعسكرية الخاصة من جهة أخرى، ولا يقدّم مقارنات معمقة بحالات استعمارية أخرى لجأت إلى منطق التجريب والتصدير، وهذه الثغرات لا تُضعف الأطروحة المركزية بقدر ما تحدّ من قابليتها للتحوّل إلى نظرية تفسيرية عامة، خصوصًا أنّ هدف الكتاب، كما هو واضح، هو توثيق علاقات إسرائيل المشبوهة مع دول العالم وفضح دورها أكثر من تقديم أطروحة نظرية تفسيرية.
2. الافتقار إلى التحقيب الزمني المتماسك، فبدلًا من أن يبدأ من لحظة بناء "المختبر الفلسطيني" باعتباره مسارًا ممتدًا منذ عام 1948 حتى اليوم، يميل إلى القفز بين حقب متباعدة: من جنوب أفريقيا في السبعينيات إلى حروب غزة، ومن تشيلي إلى رواندا، من دون خيط كرونولوجي يوضح استمرارية البنية. وعلى الرغم من غنى النص بالأمثلة، فإنّ القفز والعودة يُضعفان التفسير التاريخي؛ إذ يَظهر كأنه تجميع من قصص منفصلة أكثر منه سردية متكاملة لتطور منظومة الاحتلال في التصدير.
3. المبالغة، أحيانًا، في تصوير الإعجاب بإسرائيل؛ فكأنّ الأمر تبنٍّ كامل لنموذجها، بينما هو في حالات كثيرة توظيف براغماتي أو رمزي يخدم مصالح محلية، فأوربان، مثلًا، قد يستخدم إسرائيل لتعزيز خطابه ضد المهاجرين، لكنّ ذلك لا يعني تبنّي سياساتها بحذافيرها.
4. الميل ضمنيًا، في الفصل الثالث، إلى تفسير ظاهرة الانسحاب من غزة وسعي إسرائيل إلى استدامة العنف على أنه حصيلة قرار اقتصادي. وهذه القراءة اختزالية في سياق التعقيد الهائل في السياسة الإسرائيلية الداخلية، فإفشال التسوية لم يكن دومًا بقرار من الشركات أو بتواطؤ منها مع الدولة فحسب، بل أيضًا نتيجة انقسامات أيديولوجية ودينية وحزبية عميقة داخل المجتمع الإسرائيلي الذي يرفض أيّ تسوية حقيقية وعادلة للشعب الفلسطيني، فقرار الانسحاب من غزة كان الهدف منه، بالأساس، إحباط خريطة الطريق الأميركية التي ظهرت فيها فكرة الدولة الفلسطينية واضحة بعد الانتفاضة الثانية (2000-2005)[13].

وفي أثناء الإبادة الجماعية التي تنفّذها إسرائيل في قطاع غزة منذ تشرين الأول/ أكتوبر 2023، يتيح الكتاب أفقًا تحليليًا لفهم المآلات المحتملة لتصاعد العزلة الدولية المفترضة حولها. إنّ التجربة التاريخية، لا سيما في السبعينيات والثمانينيات، تُظهر أنّ عزلة إسرائيل لم تكن يومًا كما روّجت بعض الدول، بل ظلّت قنوات التسليح والتعاون الأمني مفتوحة رغم المقاطعة السياسية والتجارية المُعلَنة.

12 حاييم بريشيت زابنر، **جيش ليس ككل الجيوش: كيف زيف جيش الدفاع الإسرائيلي أمة**، ترجمة نصار عبد الله وعمرو نصار (القاهرة: البحر الأحمر، 2025)، ص 420-421.

13 عزمي بشارة، **الطوفان: الحرب على فلسطين في غزة** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024)، ص 11.

المراجع

العربية

أبو ستة، غسان. "الفيروس والمستوطِن والحصار: غزة في زمن كورونا". **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد 123 (صيف 2020).

بحبح، بشارة. **إسرائيل وأميركا اللاتينية: البعد العسكري**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1987.

بشارة، عزمي. **الطوفان: الحرب على فلسطين في غزة**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024.

دعنا، طارق. "الإنتاج العسكري - الأمني واقتصاد الحرب في سياق الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي". **عمران**. مج 10، العدد 39 (شتاء 2022).

زابنر، حاييم بريشيت. **جيش ليس ككل الجيوش: كيف زيف جيش الدفاع الإسرائيلي أمة**. ترجمة نصار عبد الله وعمرو نصار. القاهرة: البحر الأحمر، 2025.

وايزمان، إيال. **أرض جوفاء: الهندسة المعمارية للاحتلال الإسرائيلي**. ترجمة باسل وطفة. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر؛ مدارات للأبحاث والنشر، 2017.

الأجنبية

Graham, Stephen. *Cities Under Siege: The New Military Urbanism*. London/ New York: VERSO, 2010.

Hever, Shir. *The Political Economy of Israel's Occupation: Repression Beyond Exploitation*. London: Pluto Press, 2010.

Klieman, Aaron. *Israel's Global Reach: Arms Sales as Diplomacy*. Washington: Pergamon-Brassey's, 1985.

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

سياسات عربية هي دورية محكّمة تصدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعهد الدوحة للدراسات العليا، وتحمل الرقم الدولي المعياري ISSN: 2307-1583. صدر عددها الأول في آذار/ مارس 2013. تصدر مرة واحدة كلّ شهرين، ولها هيئة تحرير علمية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. تستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات ذات الصلة بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية كافة.

تُعنى الدورية بنشر الدراسات في مجموعة متنوعة من مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية؛ مثل الفكر السياسي، والنظرية السياسية، والسياسة المقارنة، ودراسات الدولة والنظم والمؤسسات السياسية، ودراسات الرأي العام، والاقتصاد السياسي، والسياسة الدولية، والنظم الإقليمية والدولية، والدراسات الاستراتيجية والأمنية، ودراسات النزاع، والاقتصاد السياسي الدولي، والدبلوماسية والسياسة الخارجية، والقانون الدولي، والحوكمة العالمية. ترحب الدورية بالدراسات النظرية والإمبريقية، وبالأبحاث التي توظف مناهج كيفية أو كمية أو تمزج بينها. وتهتم خاصةً بالتحولات السياسية، الوطنية والإقليمية، التي يشهدها العالم العربي، وما يتعلق بها من جوانب سياسية واجتماعية واقتصادية، إضافة إلى علاقات العالم العربي الدولية.

تعتمد الدورية المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة، وفقًا لما يلي:

- **أولًا:** أن يكون البحث أصيلًا معدًّا خصيصًا للدورية، وألّا يكون قد نشر جزئيًا أو كليًّا أو نُشر ما يشبهه في أيّ وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية، أو قُدّم في أحد المؤتمرات العلمية من غير المؤتمرات التي يعقدها المركز، أو إلى أيّ جهة أخرى.
- **ثانيًا:** أن يرفق البحث بسيرة مختصرة للباحث.
- **ثالثًا:** يجب أن يشتمل البحث على العناصر التالية:
  - عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها وآخر إصداراته.
  - الملخّص باللغتين العربية والإنكليزية في نحو (250-300) كلمة لكل لغة، والكلمات المفتاحية Keywords. ويقدّم الملخص إشكالية البحث، وأطروحته الرئيسة، والمنهجية المتبعة في بحثها، والاستنتاجات التي توصّل إليها، وذلك بجمل قصيرة ودقيقة وواضحة.
  - تحديد إشكالية البحث، وأهداف الدراسة، وأهميتها، والمراجعة النقدية لما سبق أن كُتب عن الموضوع، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد أطروحة البحث والجديد الذي تضيفه إلى المعرفة الأكاديمية في الموضوع، ووضع تصوّر مفهومي وتحديد مؤشّراته الرئيسة، ووصف منهجية البحث، والتحليل والنتائج، والاستنتاجات، على أن يكون البحث مذيّلًا بقائمة ببيليوغرافية تتضمن أهم المصادر والمراجع التي استند إليها. وتذكر في القائمة بيانات المراجع بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.
  - أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقًا لنظام الإحالات المرجعية المعتمد في المركز (ملحق 1: أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع).

- لا تنشر الدورية مستلات أو فصولًا من رسائل جامعية أقرّت إلّا على نحو استثنائي، وبعد أن يعدّها الباحث من جديد للنشر في الدورية. وفي هذه الحالة، على الباحث أن يشير إلى ذلك، ويقدّم بيانات وافية عن عنوان الأطروحة وتاريخ مناقشتها والمؤسسة التي جرت فيها المناقشة.
- أن يقع البحث في مجال أهداف الدورية واهتماماتها البحثية.
- يراوح عدد كلمات البحث، بما في ذلك هوامشه ومراجعه وملحقاته، بين 8000-10000 كلمة. وللدورية أن تنشر، بحسب تقديراتها وبصورة استثنائية، بعض الأبحاث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد.
- في حال وجود مخططات أو أشكال أو معادلات أو رسوم بيانية أو جداول، ينبغي إرسالها بالطريقة التي أُعِدّت بها في الأصل بحسب برنامجَي إكسل Excel أو وورد Word ، ولا تُقبل الأشكال والرسوم والجداول التي ترسَل صورًا.
- تهتم الدورية بنشر مراجعات نقدية معمقة لأبرز الكتب الصادرة حديثًا في مجالات اختصاصها، بأيّ لغة من اللغات، شرط ألّا يكون قد مضى على صدورها أكثر من خمس سنوات. ويمكن هيئة التحرير، استثناءً، اعتماد مراجعات لكتب أقدم من ذلك إذا رأت فيها قيمة مضافة إلى الدورية. يراوح حجم المراجعة بين 4500-5000 كلمة، وتخضع لقواعد تحكيم الأبحاث في المركز العربي.

– **رابعًا:** يخضع كلّ بحث لتحكيم الأقران مع إغفال الهوية المزدوج، ويقوم به محكّمان من المحكّمين المختصين اختصاصًا دقيقًا في موضوع البحث، ومن ذوي الخبرة العلمية بما أنجز في مجاله، ومن المعتمدين في قائمة المحكّمين - القرّاء في المركز العربي. وفي حال تباين تقارير المحكّمَين، يحال البحث إلى محكّم مرجّح ثالث. وتلتزم هيئة تحرير الدورية، في حدود الإمكان، بموافاة الباحث بقرارها بالنشر أو النشر بعد إجراء تعديلات محددة أو الاعتذار عن عدم النشر في فترة لا تتجاوز أربعة أشهر من تاريخ استلام البحث.

– **خامسًا:** تلتزم الدورية ميثاقًا أخلاقيًا يشتمل على احترام الخصوصية والسرية والموضوعية وعدم إفصاح المحرّرين والمراجعين وأعضاء هيئة التحرير عن أيّ معلومات بخصوص البحث المحال إليهم إلى أيّ شخص آخر غير المؤلّف والمحكّمين وفريق التحرير (ملحق 2).

- تلتزم الدورية بجودة خدمات التحرير والتدقيق اللغوي والتحرير العلمي التي تقدّمها للبحث.
- يخضع ترتيب نشر البحوث لمقتضيات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث.
- لا تدفع الدورية مكافآت ماليّة عن الموادّ - من الدراسات ومراجعات الكتب - التي تنشرها؛ مثلما هو متَّبَعٌ في الدوريات العلمية في العالم. ولا تتقاضى الدورية أيّ رسوم على النشر فيها.

ملحق 1: أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع

1. الكتب

اسم المؤلّف، عنوان الكتاب، اسم المترجم أو المحرّر، الطبعة (مكان النشر: الناشر، تاريخ النّشر)، رقم الصّفحة.

- جيمس بيسكاتوري، **الإسلام في عالم الدُّول القوميّة** (بيروت: دار النّهضة، 1986)، ص 116-119.
- كيت ناش، **السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة**، ترجمة حيدر حاج إسماعيل (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013)، ص 116.

ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق الموالي مباشرةً على النّحو التالي: المرجع نفسه، ص 118.

ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق غير الموالي مباشرةً على النّحو التالي مثلًا: ناش، ص 117.

أما إن وُجد أكثر من مرجع واحد للمؤلّف نفسه، ففي هذه الحالة يجري استخدام العنوان مختصرًا: ناش، **السوسيولوجيا**، ص 117.

أمّا في قائمة المراجع فيرد الكتاب على النّحو التالي:

- ناش، كيت. **السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة**. ترجمة حيدر حاج إسماعيل. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013.

وبالنسبة إلى الكتاب الذي اشترك في تأليفه أكثر من ثلاثة مؤلفين، فيُكتب اسم المؤلف الرئيس أو المحرر أو المشرف على تجميع المادة مع عبارة [وآخرون]. مثال:

- السيد ياسين [وآخرون]، **تحليل مضمون الفكر القوميّ العربيّ**، ط 4 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991)، ص 109.

ويُستشهد به في الهامش اللاحق كما يلي: ياسين [وآخرون]، ص 109.

أمّا في قائمة المراجع فيكون كالتالي:

- ياسين، السّيد [وآخرون]. **تحليل مضمون الفكر القوميّ العربيّ**. ط 4. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.

2. الدوريات

اسم المؤلّف، "عنوان الدّراسة أو المقالة"، **اسم الدورية**، المجلّد و/أو رقم العدد (سنة النّشر)، رقم الصّفحة. مثال:

- محمد حسن، "الأمن القوميّ العربيّ"، **إستراتيجيات**، مج 15، العدد 1 (2009)، ص 129.

أمّا في قائمة المراجع، فنكتب:

- حسن، محمد. "الأمن القوميّ العربي". **إستراتيجيات**. مج 15، العدد 1 (2009).

3. مقالات الجرائد

تكتب بالترتيب التالي (تُذكر في الهوامش فحسب، ومن دون قائمة المراجع). مثال:

- السيد ياسين، "من الحداثة إلى ما بعد الحداثة 2"، **الحياة**، 2016/8/21.

4. المنشورات الإلكترونية

عند الاقتباس من مواد منشورة في مواقع إلكترونية، يتعين أن تذكر البيانات جميعها ووفق الترتيب والعبارات التالية نفسها: اسم الكاتب إن وجد، "عنوان المقال أو التقرير"، **اسم السلسلة** (إن وُجد)، اسم الموقع الإلكتروني، تاريخ النشر (إن وُجد)، شوهد في 2016/8/9، في: http://www.....

ويتعين ذكر الرابط مختصرًا بالاعتماد على مُختصِر الروابط Bitly أو Google Shortner مثل:

- "ارتفاع عجز الموازنة المصرية إلى 4.5%"، **الجزيرة نت**، 2012/12/24، شوهد في 2012/12/25، في: http://bit.ly/2bAw2OB
- "معارك كسر حصار حلب وتداعياتها الميدانية والسياسية"، **تقدير موقف**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016/8/10، شوهد في 2016/8/18، في: http://bit.ly/2b3FLeD

ملحق 2: أخلاقيات النشر في مجلات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

1. تعتمد مجلات المركز العربي قواعد السرية والموضوعية في عملية التحكيم بالنسبة إلى الباحث والمحكّمين على حدّ سواء، وتُحيل كل بحث قابل للتحكيم إلى محكّمين معتمديْن لديها من ذوي الخبرة والاختصاص الدقيق بموضوع البحث، لتقييمه وفق نقاط محددة. وفي حال تعارض التقييم بين المحكّمين، تُحيل الدورية البحث إلى قارئ مرجّح آخر.
2. تعتمد دوريات المركز محّكمين موثوقين ومن ذوي الخبرة بالجديد في اختصاصهم.
3. تعتمد دوريات المركز تنظيمًا داخليًا دقيقًا واضح الواجبات والمسؤوليات في عمل جهاز التحرير ومراتبه الوظيفية.
4. لا يجوز للمحرّرين والمحكّمين، باستثناء المسؤول المباشر عن عملية التحرير (رئيس التحرير أو من ينوب عنه)، أن يبحثوا الورقة البحثية المقدمة للدورية مع أيّ شخصٍ آخر، بما في ذلك المؤلّف. وينبغي الإبقاء على أيّ معلومةٍ أو رأيٍ جرى الحصول عليه من خلال التحكيم قيد السرّية، ولا يجوز استعمال أيٍّ منهما لاستفادةٍ شخصية.
5. تقدّم الدورية في ضوء تقارير المحكمين خدمة دعم فنّي ومنهجي ومعلوماتي للباحثين بحسب ما يستدعي الأمر ذلك ويخدم تجويد البحث.
6. تلتزم الدورية إعلام الباحث بالموافقة على نشر البحث من دون تعديل أو وفق تعديلات معينة، بناءً على ما يرد في تقارير التحكيم، أو الاعتذار عن عدم النشر، مع بيان أسبابه.
7. تلتزم دوريات المركز جودة الخدمات التدقيقية والتحريرية والطباعية والإلكترونية التي تقدمها للبحث.
8. احترام قاعدة عدم التمييز: يقيّم المحرّرون والمراجعون المادّة البحثية بحسب محتواها العلمي، مع مراعاة مبدأ عدم التمييز على أساس العرق أو الجنس الاجتماعي أو المعتقد الديني أو الفلسفة السياسية للكاتب.
9. قاعدة عدم تضارب المصالح بين المحررين والباحث، سواء كان ذلك نتيجة علاقة تنافسية أو تعاونية أو علاقات أخرى أو روابط مع أيّ مؤلّف من المؤلّفين، أو الشركات، أو المؤسّسات ذات الصّلة بالبحث.
10. تتقيد الدوريات بعدم جواز استخدام أيّ من أعضاء هيئتها أو المحررين المواد غير المنشورة التي يتضمنها البحث المُحال إلى الدورية في بحوثهم الخاصة.
11. النسخة النهائية للبحث والتعديلات: تعرض الدورية النسخة المحررة شبه النهائية من البحث بصيغة PDF على الباحث قبل النشر. وفي هذه المرحلة، لا تُقبل أيّ تعديلات مهمّة أو إضافات على البحث، إلّا ما كان من تصحيحاتٍ أو تصويبات أو تعديلات طفيفة؛ وذلك ضمن أمدٍ زمني وجيز جدًا تُحدّده رسالة الدورية إلى الباحث.
12. حقوق الملكية الفكرية: يملك المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات حقوق الملكية الفكرية بالنسبة إلى المقالات المنشورة في دورياته العلمية المحكّمة، ولا يجوز إعادة نشرها جزئيًّا أو كلّيًا، سواءٌ باللغة العربية أو ترجمتها إلى لغات أجنبية، من دون إذنٍ خطي صريح من المركز العربي.
13. تتقيد دوريات المركز في نشرها لمقالات مترجمة تقيّدًا كاملًا بالحصول على إذن الدورية الأجنبية الناشرة، وباحترام حقوق الملكية الفكرية.
14. المجانية. تلتزم دوريات المركز العربي بمجانية النشر، وتُعفي الباحثين والمؤلّفين من جميع رسوم النشر.

5. Based on reviewers' reports, the editorial board may offer researchers methodological, technical and other assistance in order to improve the quality of their submissions.

6. The journal editors commit to informing authors of the acceptance or otherwise of their manuscripts, based on the reviewers' report, or to notify in case of rejection, specifying the reasons.

7. The journal remains committed to providing a high standard of professional copy editing, proof reading, and production quality during the publication process.

8. Non-discrimination principle: Editors and reviewers evaluate submissions solely on their intellectual merit, without discrimination based on race, gender, religion, or the author's political philosophy.

9. Conflict of interests: Editors and peer-reviewers should not consider manuscripts in which they have conflict of interests resulting from competitive, collaborative or other relationships or affiliations with any of the authors, companies, or institutions connected to the research.

10. Confidentiality: unpublished data obtained through peer-review must be kept confidential and cannot be used for personal research.

11. Final version and revisions: Before publication, the journal sends the author a semi-final edited version of the article in PDF format. At this stage, only corrections or very minor amendments are allowed, within a short time frame specified in the journal's correspondence with the author.

12. Intellectual property and copyright: The ACRPS holds the intellectual property rights for articles published in its peer-reviewed journals. These articles may not be republished, in whole or in part, in Arabic or in translation into other languages, without the Center's explicit written permission.

13. For translated articles, the journals fully comply with the conditions of the original publisher and respect intellectual property rights.

14. The Center's journals are committed to free publication and exempt authors from all publication charges.

Newspaper articles

Author name (if available), "Article Title," *News Outlet,* 00/00/0000.

Only cited in footnotes, not listed in the bibliography.

- Ian Black, "Assad urges US to rebuild diplomatic road to Damascus," *The Guardian*, 172009/02/.

Online Sources

Only cited in footnotes, not listed in the bibliography.

Author name (if available), "Article Title," series name (if any), *website name*, publication date, access date, and full URL (or shortened using reputable shortener).

Examples:

- Patrick Wintour "Israeli attempt to annex West Bank would be 'red line' for US, says Macron," *The Guardian*, 242025/09/, accessed on 252025/09/, at: https://acr.ps/1L9BORH
- Harith Hasan and Hazim Rahahleh, "Post-Liberalism: Trumpism and the Rise of Economic Nationalism," *Economic Papers*, Arab Center for Research and Policy Studies, 242025/02/, accessed on 252025/09/, at: https://acr.ps/1L9BPFF

Annex II: Ethical Guidelines for Publication in *Siyasat Arabiya*

1. *Siyasat Arabiya*'s editorial board maintains confidentiality and adheres to objectivity in the peer-reviewing process. It adopts an anonymized peer review process, where the editorial board selects two accredited reviewers with proven expertise, who evaluate it according to specific criteria. In case of a conflict between the reviewers regarding the publication assessment, a third reviewer will be selected.

2. *Siyasat Arabiya* relies on an accredited pool of experienced peer-reviewers who are up to date with the latest developments in their field.

3. *Siyasat Arabiya* follows a rigorous internal organization with clear duties and obligations to be fulfilled by the editorial board.

4. With the exception of the editor in charge (editor-in-chief or those standing in for the editor), neither the editors, nor the peer-reviewers, are allowed to discuss the manuscript with third parties, including the author. Information or ideas obtained in the course of the reviewing and editing processes and related to possible benefits must be kept confidential and cannot be used for obtaining personal gain.

Annex I: Footnotes and Bibliography

Books

In footnotes:

Author's name, *Book Titl*e, Translator or Editor's name, Edition (Place of publication: Publisher, Year of publication), page number.

For example:

- Michael Pollan, *The Omnivore's Dilemma: A Natural History of Four Meals* (New York: Penguin, 2006), pp. 99100-.
- Gabriel Garcia Marquez, *Love in the Time of Cholera,* Edith Grossman (trans.), (London: Cape, 1988), pp. 55242-.

Subsequent non-consecutive citations:

- Marquez, p. 117.
- If multiple works are cited by the same author: abbreviated title used, e.g. Marquez, *Cholera*, pp. 117.
- If immediately consecutive: Ibid., pp. 118.

The corresponding bibliographical entry:

- Garcia Marquez, Gabriel. *Love in the Time of Cholera,* Edith Grossman (trans.). London: Cape, 1988

If more than three authors: cite main author/editor plus "et al."

- Michael Gibbons et al.*, The New Production of Knowledge: The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies*, (London: Sage, 1994), pp. 109.
- In later quotes: Gibbons et al., pp.35.

The corresponding bibliographical entry:

- Gibbons, Michael et al., *The New Production of Knowledge: The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies*. London: Sage, 1994.

Journals

In footnotes:

Author's name, "Article Title," *Journal Title*, vol. and/or issue (Year), page number.

- Mohamed Hassan, "Arab National Security," *Strategies*, vol. 15, no. 1 (2009), p. 129.

Corresponding bibliographical entry:

- Hassan, Mohamed. "Arab National Security." *Strategies*. Vol. 15, no. 1 (2009).

- A statement of the research question, objectives, and significance, a critical review of relevant literature (including the most recent work), a clear research hypothesis, a conceptual framework with key indicators, description of methodology, analysis and findings, and conclusions. Each article must end with a bibliography listing the main sources and references, cited in their original language(s).
- Citations and references must follow the Arab Center's referencing style (Appendix 1: Footnote and Reference Style Guide).
- The journal does not normally publish excerpts or chapters from approved theses, except in exceptional cases and only once they have been revised by the author for publication in the journal. In such cases, the author must indicate this and provide full details of the thesis title, date of defence, and institution.
- The article must fall within the research scope of the journal.
- Articles should be between 8,000–10,000 words (including references, footnotes, tables, figures, and appendices). In exceptional cases, the journal may accept longer studies.
- Figures, charts, equations, or tables must be submitted in their original formats (Excel or Word). Images are not acceptable.
- The journal publishes in-depth critical reviews of significant recently published books in its fields of interest (in any language), provided they were published within the last five years. Exceptionally, the editorial board may accept reviews of older works if deemed valuable. Reviews should be 4,500–5,000 words and are subject to peer review.

– **Peer review:** All submissions are subject to a double-blind peer review by two anonymous reviewers who are recognized experts in the subject area, selected from the Arab Center's reviewer database. In case of conflicting reports, the article is referred to a third reviewer. The editorial board undertakes to notify authors of its decision (acceptance, acceptance conditional on revisions, or rejection) within four months of submission.

– **Ethical charter:** The journal upholds an ethical code of confidentiality, objectivity, and non-disclosure of research information by editors, reviewers, or board members to anyone other than the author, reviewers, and editorial team (Appendix 2).

- The journal provides expert language and academic editing.
- The order of publication is based on technical considerations and not on the author's academic standing.
- The journal does not provide financial compensation for published studies or book reviews, in line with international scholarly practice. Nor does it charge publication fees.

SIYASAT ARABIYA سياسات عربية

Siyasat Arabiya is a bi-monthly peer reviewed academic journal published by the Arab Center for Research and Policy Studies and Doha Institute for Graduate Studies (ISSN: 2307-1583). First published in March 2013, the journal is overseen by an academic editorial board and an actively engaged board of international advisers. It adheres to an ethical charter that governs its publishing standards and the relationship between the journal and researchers. It also relies on internal regulations to organize the peer-review process, as well as an approved list of reviewers specializing in all fields of political science and international relations.

Contributions in *Siyasat Arabiya* are drawn from all fields of political science and international relations, including political thought, political theory, comparative politics, studies of state, political systems and institutions, public opinion studies, political economy, international politics, regional and international systems, strategic and security studies, conflict studies, international political economy, diplomacy and foreign policy, international law, and global governance. The journal welcomes both theoretical and empirical studies, as well as research employing qualitative or quantitative methods, or a combination of both. Particular attention is paid to the contemporary political transformations in the Arab world, specifically in relation to political systems, political stability and regional relations.

Submission to and publication in *Siyasat Arabiya* must adhere to the following guidelines, in line with peer-reviewed international journals:

- **Originality:** The article must be original and prepared specifically for the journal. It must not have been published, in whole or in part, or in a similar form, in any print or digital medium; nor should it have been presented at any conference other than those organized by the Center or submitted elsewhere.
- **Author details**: The submission must be accompanied by a short biography of the author.
- **Article requirements**: Each article should include:
  - The title in both Arabic and English, a brief author bio that lists institutional affiliation, and the author's latest publications.
  - Abstracts in both Arabic and English (250–300 words each) and keywords. The abstract should clearly and concisely state the research question, main argument, methodology, and conclusions.

دعوة للكتابة

تدعو دورية **سياسات عربية** الباحثات والباحثين المهتمين بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية والحقول المعرفية ذات الصلة إلى تقديم أبحاثهم لنشرها في الدورية. تقبل **سياسات عربية** الأبحاث النظرية والإمبريقية الرصينة، المكتوبة باللغة العربية، ومراجعات الكتب النقدية المعمقة. وتخضع جميع المواد التي تصلها لتحكيم الأقران مع إغفال الهوية المزدوج، وذلك من قبل محكّمين مختصين اختصاصًا دقيقًا بموضوع البحث. وتتوقع الدورية من الباحثين الالتزام بمعاييرها، وبملاحظات المحكمين واقتراحاتهم، بهدف تجويد البحث. وتهدف الدورية إلى أن تكون طيعة الفهم لدى المختصين وغير المختصين من القراء، من دون التضحية برصانة ما تنشره.

ترسل كل الأوراق الموجهة للنشر باسم رئيس التحرير

على العنوان الإلكتروني الخاص بالمجلة:

siyasat.arabia@dohainstitute.edu.qa

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

قسيمة الاشتراك

الاسم _____

العنوان البريدي _____

البريد الإلكتروني _____

عدد النسخ المطلوبة _____

طريقة الدفع ☐ تحويل بنكي ☐ شيك لأمر المركز

Invitation to submit papers

Siyasat Arabiya welcomes submissions from researchers interested in political science, international relations, and related fields. The journal publishes rigorous theoretical and empirical studies written in Arabic as well as in-depth critical book reviews. All submissions are subject to double-blind peer review, carried out by experts on the subject. Authors are therefore expected to adhere to the journal's standards and to adopt reviewers' comments and suggestions. *Siyasat Arabiya* seeks to be accessible to both specialists and non-specialist readers, without compromising the academic integrity of its publications.

All submissions intended for publication should be sent by email:

siyasat.arabia@dohainstitute.edu.qa

Address all correspondence to the Editor-in-Chief

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

الاشتراكات السنوية

(ستة أعداد في السنة بما في ذلك أجور البريد المسجل)

35	دولارًا أميركيًا للأفراد في لبنان.
55	دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في لبنان.
55	دولارًا أميركيًا للأفراد في الدول العربية وأفريقيا.
75	دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في الدول العربية وأفريقيا.
95	دولارًا أميركيًا للأفراد في أوروبا.
120	دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في أوروبا.
120	دولارًا أميركيًا للأفراد في القارة الأميركية.
140	دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في القارة الأميركية.

عنوان الاشتراكات:

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES

جادة الجنرال فؤاد شهاب - بناية الصيفي 174 - مار مارون

ص.ب: 11-4965 رياض الصلح 1107-2180 بيروت - لبنان

عنوان التحويل البنكي:

ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES

Qatar National Bank

Account Number: 3804002-000072- (FOR US DOLLARS)

IBAN number: LB70 0136 0000 000 3804 000072 002 (FOR US DOLLARS)

SWIFT code: QNBA LB BE

من إصدارات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

- للحصول على منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،
يرجى الاطلاع على قائمة موزّعي الكتب والمجلات على موقعنا الإلكتروني: www.dohainstitute.org
- بالنسبة إلى البلاد التي لا يوجد فيها موزعون إلى الآن، يرجى الاتصال مباشرة بقسم التوزيع في مكتب بيروت:
هاتف: 009611991837 أو على البريد الإلكتروني: distribution@dohainstitute.org

في هذا العدد

ملف: قضايا في السياسة والفكر السياسي بعد الثورات العربية

المحرر الضيف: عماد العلي

عماد العلي
تقديم: السياسة عربيًا: أزمتا الواقع والنظرية

محمد بامية
المعرفة العفوية وروح الثورة

نبيل فازيو
العدل وأزمة "النظرية السياسية" في الفكر السياسي العربي المعاصر: في الحاجة إلى التسويغ

عماد العلي
الثورة بين الأهداف الواقعية والمضامين المعيارية

الزواوي بغوره
في الخطاب السياسي العربي المعاصر: بحث في التجربة السياسية الجزائرية من منظور الفلسفة الاجتماعية

دراسات

محمد وسيم ملا
العلاقات الهندية - القطرية: نمو حذر في ظل اعتماد متبادل متزايد؟

دراسة مترجمة

أندرياس يونهير
ترجمة عبد الكريم أمنكاي
الذكاء الاصطناعي والديمقراطية: إطار مفهومي

التوثيق

محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 3/1 - 2025/4/30

وثائق التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 3/1 - 2025/4/30

الوقائع الفلسطينية في المدة 3/1 - 2025/4/30

مراجعات الكتب

أحمد مأمون
"مختبر فلسطين: كيف تصدّر إسرائيل تقنيات الاحتلال إلى العالم" لأنتوني لونشتاين

جميع الحقوق محفوظة لمعهد الدوحة للدراسات العليا والمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies
DOHA INSTITUTE FOR GRADUATE STUDIES

سعر النسخة

قطر	18 ريالًا	العـــراق	3500 دينار	الجزائر	150 دينارًا
السعودية	18 ريالًا	تونس	3 دنانير	المغرب	18 درهمًا
الإمارات	18 درهمًا	سوريـــا	150 ليرة	موريتانيا	500 أوقية
البحرين	ديناران	لبنان	100000 ليرة	ليبيا	3 دنانير
الكويت	1,5 دينار	الأردن	1,5 دينار	فلسطين	3 دولارات
عُمان	ريالان	اليمن	300 ريال	الصومال	2500 شلن
مصـــر	20 جنيهًا	السودان	10 جنيهات		

ISSN 2307-1583